

الوقت وأهميته في حياة المسلم

(2)

الباب الثاني

أهمية الزمن في حياة المسلم

جمع وإعداد

الباحث في القرآن والسنة

علي بن نايف الشحود

الباب الثاني
أهمية الزمن في حياة المسلم

دموعٌ لم يغيّبها الزمن

محسن علي السهيمي 13/9/1426

16/10/2005

ما بالُ دمعك من عينيك لم يغبِ
يا واحةَ التينِ والزيتونِ والعنبِ؟
أكلَّ دهرك أحزاناً تفجّرُها
رصاصَةُ الغدرِ من عكا إلى النقبِ؟
أهكذا العمرُ يمضي دونما أملٍ
تسلو به النفسُ أو يقضي على الوصبِ؟
وهكذا أنت دون الخلق ما غمضت
عيناك إلا على شوك من اللهبِ
وما أتاكَ بنوك من مفازتهم
إلا لقوك بقيد الذلِّ والسغبِ
وما دنا المرءُ نحو القدس ممتلاً
للهدى إلا ونادى العليجُ بالعطبِ
ماذا أقول بني قومي وفي كبدي
نارٌ مؤججةٌ من ظلم مغتصبِ؟
وفي فؤادي براكين بفورتها
تهوي النجومُ نهاراً من لظى الغضبِ
قد شاب في أمّتي ما يُرتجى طمعاً
في النصرِ إلا حروف الشعر لم تشبِ
يا قبةَ الصخرةِ السماء لا سلمت
يدُ الظلوم من الأرزاء واللّغِبِ

ويا محطاً لمعراج به انبلجت
شمسُ العدالة في الأكوان من حقبِ
تطاول الليل في مغناك واحتشدت
على ثراك قوى الأحقاد في صخبِ
وزمجرت ثم بالخسران معلنة
حرباً يهودية تقضي على النخبِ
ونحن يا قدسنا "عذراً" .. قد امتلأت
قلوبنا رهبةً تتبي عن الودبِ
ماذا دهى أمة الإسلام إذ عُرِفَتْ
بالنصر بين العدا دوما وبالغلبِ؟
ولم تكن شمسها يوماً مغيبة
عن الأنام ولم تجنح لمنتقبِ
واليوم أضحت كقنديل وقد عصفت
به الرياح فتاه النورُ في التربِ
صبراً فلسطينُ فالظلماءُ ما نزلت
إلا ويعقبها فجرٌ لمرتقبِ
والوعدُ آت كتابُ الله يذكره
على رباك ولكن ليس بالخطبِ
عفواً بني أمتي فالنصرُ مطلبه
لا يُرتجى بلذيذ النوم واللعبِ
وليس يأتي بأحلامٍ مدغدغةٍ
لكن بملحمة تُسقى من الثغبِ
فالقوم لم يعتلوا هامَ الزمان سوى
بالعلم فالعلمُ يغدو منتهى الطلبِ
لكنما العلمُ والإيمانُ ما اجتمعا
إلا وقد توجَّجا بالنصر في اللّجبِ

فإن أضعنا علومَ الدين عن سفه

فلنفتح الباب.. باب العلم ولنتب

=====

المرأة في عمق الزمن تحرير أم تغير

يسري صابر 27/2/1425

17/04/2004

مرت المرأة في تاريخها الطويل بمرحلتين:

المرحلة الأولى: مرحلة الظلم والظلام وبؤس المرأة العربية وسوء حالها، وذلك قبل الدعوة المحمدية وظهور الإسلام في الجزيرة العربية، المرأة في فترة الظلام قد سلبت جميع الحقوق دون استثناء، بل لم تعتبر المرأة امرأة كما هو معلوم عندنا الآن؛ فالمرأة كانت تعد حشرة من الحشرات، أو كانت تعد من عالم آخر كعالم الجن والشياطين، والذي كان يعتبرها امرأة من أهل الجاهلية كان يمنعها حقها ويفرض عليها أموراً، ويعاملها معاملة غير إنسانية؛ فمثلاً: إذا حاضت المرأة كان الزوج لا يأكل ولا يشرب معها، بل ولا يسكن معها في البيت، وإنما يخرجها خارج البيت هذا ما كان عليه أهل الجاهلية. وأما حقوقها كأم أو أخت أو غير ذلك فلم يكن لها أي حق على الإطلاق.. قال تعالى: (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ) [النحل:58] فكانت بشرى في منتهى التعاسة والذكد لو بشر أحد الجاهليين بأنه رزق بأنثى، يفكر ماذا يفعل بها (يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهٖ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) [النحل:59]

(أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ) يبقها على مضض (أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ) فكان أهل الجاهلية يدسون ويئدون بناتهم في التراب وهن أحياء، فكان يحفر الأب أو الأخ لابنته أو لأخته في التراب ثم يضعها فيه وهي حية يجري الدم في عروقها!

المرأة كانت عند أهل الجاهلية كمتاع يقتنى، وسلعة يستكثر منها ولا يهم بعد ذلك ما يصيب الأسرة من تفكك وانهيار، ولا ما يترتب على تعدد الزوجات من عداوة

وبغضاء بين النساء وبين الأبناء حتى تعلن حرباً على نفسها و تصبح مصدر نزاع وعداوة بين أفرادها.

وكان الزوج لا يعنيه الأمر سواء عدل بين أزواجه أو جار، سوى يبينهن في الحقوق أو مال؛ فكانت حقوق الزوجات مهضومة، ونفوسهن ثائرة، وقلوبهن متنافرة، وليت الأمر كان قاصراً على تعدد الزوجات في أبشع الصور وأوخم العواقب؛ بل كان الرجل منهم إذا قابل آخر معه ظعينته (امراته في هودجها) هجم عليه فتقاتلا بسيوفهما، فإن غلبه أخذ منه ظعينته واستحلها لنفسه ظلماً وعدواناً. وحرمت المرأة في الجاهلية من الميراث؛ فهي لا تترث الرجل بعد وفاته؛ بل هي من تركته التي تركها، فإذا جاء أحد أقارب الزوج المتوفى وألقى بثوبه على المرأة صارت له، فبدست التقاليد وبدست العادات، فلا رحمة ولا مودة ولا تعاطف؛ بل جفاء طاغ.

المرحلة الثانية: هي مرحلة النور .. مرحلة التحرير .. مرحلة العزة والكرامة؛ وهي المرحلة التي أعطى الإسلام للمرأة كامل حقوقها وفرض عليها الواجبات التي تتناسب مع خلقتها وينصلح بها حالها، وبصلاح المرأة ينصلح المجتمع كله. لقد جاءت الدعوة المحمدية فحررت المرأة من فوضى الجاهلية وأخرجتها من الظلمات إلى النور، وأعدت إليها حريتها كاملة غير منقوصة ونظمت أو حددت تعدد الزوجات بأربع فقط.

وقد اعترف المستشرق الفرنسي (أندريه سرفيه) بفضل هذا الرسول -صلى الله عليه وسلم- في كتابه "الإسلام ونفسية المسلمين"؛ فقال: لا يتحدث هذا النبي -صلى الله عليه وسلم- عن المرأة إلا في لطف وأدب، كان يجتهد دائماً في تحسين حالها ورفع مستوى حياتها، بعد أن كانت تعد مالا أو رقيقاً، وعندما جاء الرسول -صلى الله عليه وسلم- قلب هذه الأوضاع؛ فحرر المرأة وأعطاه حق الإرث" ثم ختم كلمته قائلاً: "لقد حرر محمد المرأة العربية، ومن أراد التحقيق بعناية هذا النبي بها؛ فليقرأ خطبته في مكة التي أوصى فيها بالنساء خيراً، وليقرأ أحاديثه المتباينة".

ما أصدق هذا القول ووضوح تلك الرؤية التي بعد عنها كثير من أبناء المسلمين بعد أن صاروا ببغاوات وأبواق لأذنانهم من الغرب، وما أكثر دفاع النبي -صلى الله عليه وسلم- عن المرأة وحقوقها، ألم يقل في خطبته في حجة الوداع: " أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا ، فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ ، لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ ، إِلا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ ، فَإِنْ أَطَعْتُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ، أَلَا إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا ، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا ، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلَا يُوطِئَنَّ فَرْشَكُمْ مَنْ تَكَرَّهُونَ ، وَلَا يَأْذَنَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكَرَّهُونَ ، أَلَا وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ " [رواه الترمذي(1163) وابن ماجه (1851) من حديث عمرو بن الأحوص -رضي الله عنه- وعند مسلم (1218) بلفظ: "فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئَنَّ فَرْشَكُمْ أَحَدًا تَكَرَّهُونَهُ ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ" ، وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : " خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي " [رواه الترمذي(3895) وغيره]. وعن معاوية بن حيدة -رضي الله عنه- أن رجلاً سأل النبي -صلى الله عليه وسلم- : مَا حَقُّ الْمَرْأَةِ عَلَى الزَّوْجِ؟ فَقَالَ : " أَنْ يُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمَ ، وَأَنْ يَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَى ، وَلَا يَضْرِبَ الْوَجْهَ ، وَلَا يُقَبِّحَ ، وَلَا يَهْجُرَ إِلَّا فِي الْبَيْتِ " [رواه أبو داود (2142) وابن ماجه(1850)]. وأمر بالرفق العام بهن فقال صلى الله عليه وسلم: "ارفق بالقواريو" [رواه البخاري (

6209) ومسلم (2323) من حديث أنس -رضي الله عنه-]

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما-- قال : "إني لأتزين لامرأتي كما أحب أن تتزين لي". ولها رأيها في تزويجها ، وليس لوليها أن يعدو إزنها، ويقصرها على من لا تريد إن كانت رشيدة؛ فعن خنساء بنت خدام الأنصارية -رضي الله عنها- أن أباه زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك، فأنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فرد نكاحه [رواه البخاري (5137) تحت باب: إذا زوج ابنته وهي كارهة فنكاحه مردود].

ومن أعجب المصادفات أن يجتمع (ماكون) في زمن النبي -صلى الله عليه وسلم- أي في سنة 586 م لبحث هل المرأة إنسان ، وبعد بحث ومناقشة وجدل قرر: أنها إنسان ولكن خلقت لخدمة الرجل وحده. ولم يكذب صدر هذا القرار الجائر في أوروبا، حتى نقضه محمد -صلى الله عليه وسلم- في بلاد العرب إذ رفع صوته قائلاً: "إنما النساء شقائق الرجال" [رواه الترمذي (113) وأبو داود (237) وابن ماجه (612) من حديث عائشة -رضي الله عنها-].

بل إن جاهمة المسلمي - رضي الله عنه- جاء إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: يارسول الله أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك؛ فقال صلى الله عليه وسلم: "هل لك من أم؟" قال: نعم. قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "فالزمها فإن الجنة تحت رجليها". أليس هذا فضل وأي فضل، إن الجنة مبتغى كل رجل، وكل امرأة أم لكل رجل!، فالمرأة نصف المجتمع وتلد النصف الآخر فهي المجتمع بأسره، وبذلك علم العالم أجمع أن المرأة إنسان مهذب له من الحقوق ما يتناسب مع خلقها وفطرتها في وقت كانت فيه أوروبا تنظر إلى المرأة نظرة سخرية واحتقار، وفي القرن السابع الميلادي عقد مؤتمر عام في روما لبحث فيه المجتمعون شؤون المرأة فقرروا أنها كائن لا نفس له ، وعلى هذا فليس من حقها أن ترث الحياة الآخرة ، ووصفها المؤتمر بأنها رجس كبير. وحرّم عليها ألا تأكل اللحم ، وألا تضحك ، وألا تتكلم ، ونادى بعضهم بوضع أقفال على فمها ، وفي هذا الوقت كانت المرأة العربية تأخذ طريقها نحو النور وتحذل مكانتها الرفيعة في المجتمع العربي وتقف بجانب الرجال في معترك القتال .

لقد قالت الربيع بنت معوذ -رضي الله عنها-: "كنا نغزو مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؛ فنسقي القوم ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة" [رواه البخاري (2883)].

ألا يحق بعد هذا كله للاسيد (ريفيل) أن يقول: إننا لو رجعنا إلى زمن هذا النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- لما وجدنا عملاً أفاد النساء أكثر مما فعله هذا الرسول؛ فالنساء مديونات للنبي -صلى الله عليه وسلم- بأمور كثيرة رفعت مكانتهن بين الناس.

وقد كتبت جريدة "المونيتور الفرنسية" عن تصور احترام الإسلام ونبية للمرأة فقالت: لقد أجرى الإسلام ونبية تغييراً شاملاً في حياة المرأة في المجتمع الإسلامي فمنحها حقوقاً واسعة تفوق في جوهرها الحقوق التي منحناها للمرأة الفرنسية.

أما الكونت (هنري دي كاستري) فقد تناول عقد الزواج عند المسلمين فقال: "إن عقد الزواج عند المسلمين يخول للمرأة حقوقاً أدبية وحقوق مادية من شأنها إعلاء منزلة المرأة في الهيئة الاجتماعية"، وهذا أيضاً هو ما دفع العالم الألماني (دريسمان) أن يسجل قوله: لقد كانت دعوة محمد إلى تحرير المرأة السبب في نهوض العرب وقيام مدينتهم، وعندما عاد أتباعه وسلبوا المرأة حقوقها وحريتها كان ذلك من عوامل ضعفهم واضمحلال قوتهم. إن الفضل قد يخرج من الأعداء في لحظة صدق وإنصاف والفضل ما شهد به الأعداء.

نعم عاد من أبناء جلدتنا من سلب المرأة حقوقها وأرادها خراجة ولاجة يساومونها على عفتها وكرامتها وشرفها عبر إعلانتهم التجارية وفضائياتهم العفنة، وآخرين يعتقدون على أنوثتها ويدنسون رقتها قالوا لها: كوني رجلاً! وقابلي المجرمين لتقضي بينهم! كوني مقولة..! تنقلي بين البلاد واغتربي لتكوني سفيرة..!! زعموها حقوقاً!!! هل من حق المرأة أن تكون رجلاً؟! أن تخرج عن خلقتها؟! أن تمارس أدواراً خارج فطرتها؟! أن تمارس أعمالاً لا طاقة لها بها؟! أن تتمرد على أنوثتها؟! أن تخالف رقتها؟! أن تبغثو جمالها؟! عجباً أن يطلب من القمر المضيء أن يكون شمساً محرقة! أهذه حقوق؟! أم أنها مفاهيم عفنة وألفاظ تتصادم مع الفطرة وتعجل بانقمام الخالق سبحانه.

إن الإسلام هو المملكة التي أعطت الحقوق لكل من فيها ذكراً كان أو أنثى، إنساناً أو حيواناً، صغيراً أو كبيراً، فقيراً أو غنياً، وسيظل الإسلام ظاهراً وباقياً محفوظاً بحفظ الله وسنعيث في تلك المملكة طالما تمسكنا بتعاليمه وقواعده فهو مصدر عزتنا وكرامتنا قديماً وحديثاً ومستقبلاً، والمرأة هي الكيان التي تقوم به تلك المملكة ولو خرجت عن هذا الكيان وعن دورها فيه لتحطمت تلك المملكة وانهارت.

وختامًا؛ فالإسلام هو نصير المرأة أمًّا وأختًا وابنة، ومنقذها ومحررها ومخرجها من الطغيان والذل، وجعلها تخرِّج الأجيال والأبطال، فوراء كل عظيم امرأة، فلا خداع ولا مداهنة ولا فلسفات فاسدة، ولكنه تاريخ يمتد عبر العصور، وحضارة تثبت جدارتها وإنسانيتها، وقدرتها على الابتعاث من جديد، عرف من عرف، وجهل من جهل.
والله غالب على أمره، ولو كره المرجفون.

=====

الولاء والبراء بين العلم والحال في نازلة الزمان

عبدالعزیز الجلیل 23/8/1423

08/11/2001

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله - صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً - أما بعد:

فالمقصود من عنوان هذه المقالة: التفريق بين من يعلم حقيقة التوحيد ، ومقوماته ، وأنواعه ونواقضه مجرد علم نظري مع ضعف في تطبيقه والتحرك به ، وبين من يجمع مع العلم العمل والتطبيق ، وظهور آثار التوحيد في حاله وأعماله ومواقفه .
ويدخل هذا تحت ما سماه الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - بالقوة العلمية والقوة العملية، حيث ذكر أن الناس مع هاتين القوتين أربعة أقسام : 01 فمن الناس من تكون له القوة العلمية الكاشفة عن الطريق ، ومنازلها، وأعلامها، وعوارضها ومعاثرها ، وتكون هذه القوة أغلب القوتين عليه ، ويكون ضعيفاً في القوة العملية ، يبصر الحقائق ، ولا يعمل بموجبها ، ويرى المتالف والمخاوف والمعاطب ولا يتوقاها ، فهو فقيه ما لم يحضر العمل ، فإذا حضر العمل شارك الجهال في التخلف ، وفارقهم في العلم ، وهذا هو الغالب على أكثر النفوس المشتغلة بالعلم ، والمعصوم من عصمه الله ولا قوة إلا بالله .

02 ومن الناس من تكون له القوة العملية الإرادية وتكون أغلب القوتين عليه ، وتقتضي هذه القوة السير ، والسلوك ، والزهد في الدنيا ، والرغبة في الآخرة ، والجِد ، والتشمير في العمل ، ويكون أعمى البصر عند ورود الشبهات في العقائد والانحرافات في الأعمال والأقوال والمقامات ، كما كان الأول ضعيف العقل عند ورود الشهوات ، فدأء هذا من جهله، وداء الأول من فساد إرادته وضعف عقله ، وهذا حال أكثر أرباب الفقر والتصوف السالكين على غير طريق العلم.

03 ومن كانت له هاتان القوتان استقام له سيره إلى الله ، ورجي له النفوذ ، وقوي على رد القواطع والموانع - بحول الله وقوته - ، فإن القواطع كثيرة شأنها شديد لا يخلص من حباتها إلا الواحد بعد الواحد ، ولولا القواطع والآفات لكانت الطريق معمورة بالسالكين ، ولو شاء الله لأزالها وذهب بها ، ولكن الله يفعل ما يريد ، والوقت - كما قيل - سيف فإن قطعه وإلا قطعك .

04 فإذا كان السير ضعيفاً ، والهمة ضعيفة ، والعلم بالطريق ضعيفاً ، والقواطع الخارجة والداخلة كثيرة شديدة ، فإنه جهد البلاء ، ودرك الشقاء ، وشماتة الأعداء ، إلا أن يتداركه الله برحمة منه من حيث لا يحتسب ، فيأخذ بيده ويخلصه من أيدي القواطع ، والله ولي التوفيق طريق الهجرتين (335 ، 336) طبعة الشؤون الدينية القطرية.

وقد زاد - رحمه الله تعالى - هذا المعنى وضوحاً عندما تحدث عن التوكل ، وحقيقته ، والفرق بين مجرد العلم به وبين التحرك به عملاً وحالاً ، حيث قال : " فكثير من الناس يعرف التوكل وحقيقته وتفصيله ، فيظن أنه متوكل ، وليس من أهل التوكل ، فحال التوكل : أمر آخر من وراء العلم به ، وهذا كعرفة المحبة والعلم بها وأسبابها ودواعيها ، وحال المحب العاشق وراء ذلك ، وكعرفة علم الخوف ، وحال الخائف وراء ذلك ، وهو شبيه بمعرفة المريض ماهية الصحة وحقيقتها وحاله بخلافها .

فهذا الباب يكثر اشتباه دعاوى فيه بالحقائق ، والعوارض بالمطالب ، والآفات القاطعة بالأسباب الموصلة ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم " مدارج السالكين 12/125 هـ .

وحري بهذا الكلام أن تعقد عليه الخناصر، وتعض به النواجذ ، وأن يهتم به المرثون مع أنفسهم ومن تحت أيديهم ، فلقد كان من مضي من العلماء الصالحين الربانيين يخافون على أنفسهم من الضعف العملي ، أو ضعف الحال مقابل ما عندهم من العلم الكثير ، وكانوا لا يركنون إلى شهرتهم العلمية ، بل كانوا يكرهون أن يتضخم علمهم ويشتهروا به بين الناس وليس في قلوبهم وأحوالهم ما يكافئ ذلك من الأعمال الصالحة ، والأحوال الشريفة ، والتي هي مقتضى الفهم والعلم .

ولنا أن نتساءل ونفكر ، أيهما أسعد حالاً ومنزلة عند الله - عز وجل - رجل أوتي من العلم ما يتمكن به من حشد الذصوص الدالة على فضل قيام الليل والأسباب المعينة على ذلك ثم هو لا يقوم الليل ، وأخو لا يعلم من ذلك إلا أن قيام الليل مستحب وأجره عظيم فاجتهد ليلة بين يدي ربه - تعالى - ساجداً وقائماً ، يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ؟ فالمرء لا يكون قائماً الليل بمجرد علمه بفضل ذلك وأحكامه ، ولا يكون ورعاً بمجرد علمه بالورع، وللا يكون صابراً بمجرد علمه بالصبر وتعريفاته وأنواعه ، ولا يكون متوكلاً بمجرد علمه بالتوكلي وأقسلمه ، وفرق بين علم الحب وحال الحب ، فكثيراً ما يشتبه على العبد علم الشيء بحاله ووجوده ، وفرق بين المريض العارف بالصحة والاعتدال ، وهو مثخن مريض، وبين الصحيح السليم ، وإن لم يحسن وصف الصحة والعبارة عنها ، وكذلك فرق بين وصف الخوف والعلم به وبين حاله ووجوده ، وإياك أن تظن أن مجرد العلم بهذا الشأن قد صرت من أهله هيهات، مما أظهر الفرق بين العلم بوجوده الغني وهو فقير وبين الغني بالفعل انظر زاد المهاجر ص 26 ، طريق الهجرتين ص 196 بتصرف .

وبعد هذه المقدمة التوضيحية لمصطلح العلم والحال أدخل في صلب الموضوع الذي بات يؤرق كل مسلم صادق ، ويشغل بال كل موحد لله - عز وجل - ، وذلك في هذه الأيام العصيبة التي نزلت فيها بأمة الإسلام ، نازلة عظيمة ، وداهية دهياء أجمعت فيها أمم الكفر وتحالفت فيما بينها تحالفاً لم يسبق له نظير في التاريخ ، فإن أقصى ما كنا نسمعه من تحالف على المسلمين فيما مضى من تاريخهم أن يتحالف الذصاري مع بعضهم أو الوثنيون مع بعضهم، أما في نازلة اليوم فلاقد تحالفت

الذصارى بشتى طوائفهم مع اليهود والعلمانيين والوثنيين والبوذيين والشيوعيين الملاحدة ، وكلهم يريد شفاء غيظه من الإسلام والمسلمين ، ووجهوا جيوشهم ، وأساطيلهم ، وطائراتهم ، وأسلحتهم المتطورة إلى دولة أفغانستان المسلمة ، وكل ذنبها أنها تحكم بالإسلام وترفض التبعية لشرق أو لغرب ، وتعلن ولاءها لله - عز وجل - ولدينه وللمسلمين ، كما تعلن براءتها من الكفر والكافرين ، وإن مما يقض المجتمع ويثير الأشجان أن يغيب كثير من دعاة المسلمين وعلمائهم عن هذا الحدث الذي تمتحن فيه العقيدة وبخاصة الأصل الأصيل لكلمة التوحيد ألا وهو " الولاء والبراء ، والذي هو واضح في هذا الصراع غاية الوضوح وجلي أشد الجلاء . وأن المسلم ليحتار ويتساءل : أين ما كنا نتعلمه من ديننا وعقيدتنا من كلمة التوحيد إنما تقوم على الولاء والبراء ، الولاء لله - عز وجل - وعبادته وحده ومحبته ما يحبه ومن يحبه والبراء من الشرك وأهله ومن كل ما يبغضه - سبحانه - ومن يبغضه ، وإعلان العداوة ، له وهذه هي وصية الله - تعالى - لهذه الأمة " قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده" [الممتحنة : 4]. إي والله إنه لسؤال محير : أين دروس المساجد ؟

وأين محاضرات أهل العلم ، وأشرطتهم المسجلة ، وبيانهم للناس فيها عقيدة التوحيد القائمة على الولاء والبراء ؟ أين الاعتزاز بدعوة المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأئمة الدعوة من بعده ، والذين كان جل كلامهم ورسلهم في شرح هذه العقيدة ولوازمها والتحذير مما يخالفها وينقضها ؟ أين نحن ، وأين علمائنا من بيان هذا الحق الأصيل للناس؟! أين هم عن ذلك والأمة تمر في ساعات عصيبة تحتاج من يبعث فيها عقيدة الولاء والبراء ، وبناء المواقف في ضوءها ؟

وهنا أعود إلى عنوان هذه المقالة بعد أن تبين لنا معناها ، وأقول : إن هناك فرق بين تناول التوحيد كعلم مجرد وبين أخذه علماً وحالاً وسلوكاً ، إن المواقف المتخاذلة اليوم أمام أمريكا الكافرة وحلفائها ، وعدم الصدع والجهر بعداوتها والبراءة منها ومن يتولاها لهو أكبر دليل على أن التوحيد عند الكثير منا بقي في حدود العلم المجرد ، أما أخذه علماً وحالاً وعملاً فإنه - ويا للأسف - أصبح مغيباً

عن الأمة ، ومغيباً عن المواقف والممارسات . إن هذا الدين يرفض اختزال المعارف الباردة في الأذهان المجردة . إن العلم في هذا الدين يقتضي العمل ، ويتحول في قلب المسلم إلى حركة وأحوال ومواقف ، إذ لا قيمة للمعرفة المجردة التي لا تتحول لتوها إلى حركة ومواقف . نعم ، لا قيمة للدراسات الإسلامية في شتى مناهجها ومعاهدها ، ولا قيمة لاكتظاظ الأدمغة بمضمونات هذه المعارف إن لم يصحبها عمل ومواقف . إن العلم المجرد حجة على صاحبه إذا لم يقتضِ عنده العمل . إن العلم بالدين لا بد أن يزاول في الحياة ، ويطبق في المجتمع ، ويعيش في الواقع ، وإلا فما قيمة الدروس المكثفة عن الولاء والبراء وأنواعه ، وما يضاده من الشرك وما ينقضه من النواقض ، ثم لما جاءت المواقف التي نحتاج فيها إلى تطبيق ما تعلمناه من مشائخنا فإذا بالسكوت ، بل والتشنيع على من ترجم ما تعلمه إلى سلوك وحال مع أعداء الله - عز وجل - فأعلن براءته وصرح بما تعلمه من علمائه ومشائخه من أن تولي الكفار ومناصرتهم على المسلمين ردة وناقض من نواقض الإسلام . إن شأن التوحيد شأن عظيم من أجله أرسلت الرسل وأنزلت الكتب ، وقام سوق الجهاد وسوق الجنة والنار ، ومن أجل الولاء والبراء - الذي هو أس التوحيد وركنه الركين - هاجر المسلمون السابقون الأولون من ديارهم ، وضحووا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، وفاصلوا آباءهم وأبناءهم وإخوانهم وعشائرهم الذين ليسوا على دينهم متمثلين في ذلك قوله تعالى : "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون ، قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسلاها ومسلكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين" [التوبة : 23 ، 24] .

إذن ، فمسألة الولاء والبراء ليست مسألة ذهنية نظرية تدرس لمجرد الدراسة والثقافة ، ولكنها مسألة خطيرة متى ما استقرت في قلب المؤمن الصادق فإنها تجعل منه رجل عقيدة باطنياً وظاهراً قلباً وقالباً يتحرك بعقيدته يوالي من يواليها ، ويعادي من يعاديها ، ويهاجر ويجاهد في سبيل الله من أجلها ؛ إنه لا قيمة للمعرفة

التي لا تتحول إلى عمل وحركة ومواقف ، ولا قيمة للدراسات الإسلامية والبحوث العقديّة ، واكتظاظ أرفف المكتبات والأدمغة بها إن لم تزاوّل هذه العلوم والدراسات في الحياة ، وتطبق في المجتمعات ، وتحدد في ضوءها العلاقات، وتتمثل في حركة و مواقف يواجه بها الباطل وأهله .

والمقصود : بيان أن شأن الولاء والبراء شأن عظيم ، وأنه ليس علماً مجرداً ، بل يجمع إلى ذلك المقصود عمل القلب وبراءته من الشرك وأهله ، وإعلان ذلك ، وإظهاره باللسان ، وترجمة ذلك إلى عمل وجهاد وسلوك . أما أن يبقى رهين الكتب والأدمغة فإن هذا مما لا يتفق مع طبيعة هذا الدين الذي هو جد كله ؛ لأنه قول القلب وعمله ، وقول اللسان وعمل الجوارح، ولما كانت عقيدة الولاء والبراء هي صلب كلمة التوحيد ، وأنها تستلزم أقوالاً وأعمالاً ومواقف وبذلاً وتضحيات اهتم بها السلف اهتماماً عظيماً ، وعلموها لأولادهم ، وتواصوا بها ، وهاجروا ، وجاهدوا من أجلها ، وعادوا، ووالوا على أساسها . يقول الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - : "قاله الله إخواني : تمسكوا بأصل دينكم أوله وآخره أسه ورأسه، وهو شهادة أن لا إله إلا الله ، واعرفوا معناها وأحبوا أهلها ، واجعلوهم إخوانكم ، ولو كانوا بعيدين ، واكفروا بالطواغيت ، عادوهم ، وأبغضوا من أحبهم أو جادل عنهم أو لم يكفرهم ، أو قال : ما عليّ منهم ، أو قال ما كلني الله بهم ، فقد كذب على الله وافترى، بل كلفه الله بهم وفرض عليه الكفر بهم ، والبراءة منهم ولو كانوا إخوانه وأولاده ، فإله الله تمسكوا بأصل دينكم لعلمكم تلقون ربكم لا تشركون به شيئاً" الدرر السنية 2/119.

وقال في موطن آخر : "إن الواجب على الرجل أن يعلم عياله وأهل بيته الحب في الله والبغض في الله ، والموالاتة في الله ، والمعادات فيه قبل تعليم الوضوء والصلاة ؛ لأنه لا صحة لإسلام المرء إلا بصحة صلاته ولا صحة لإسلامه - أيضاً - إلا بصحة الموالاتة والمعادات في الله" الرسائل الشخصية ص 323. ولما تواجه المسلمون في تاريخهم الطويل مع أعدائهم الكافرين بشتى مللهم برز دور العلماء في وقتهم ، وهم يحرضون على نصرته المسلمين وإعانتهم على الكافرين ويحذرون من تولي الكافرين ، ومناصرتهم بأي نوع من أنواع النصرة ، ويفتون

بأن من ظَاهَرَ الكافرين على المسلمين فهو مرتد خارج عن ملة الإسلام . فهذا الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - قال عن بابك الخرمي عندما خرج على المسلمين وحاربهم وهو بأرض المشركين : " خرج إلينا يحاربنا وهو مقيم بأرض الشرك ، أي شيء حكمه ؟ إن كان هكذا فحكمه حكم الارتداد" (الفروع 6/163).

وعندما هجم التتار على أراضي الإسلام في بلاد الشام وغيرها أفتى شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - بردة من قفز إلى معسكر التتار من بعض المنتسبين إلى الإسلام (الفتاوى 28/530) .

وعندما هجمت جيوش المشركين على أراضي نجد لقتال أهل التوحيد ، وأعانهم بعض المنتسبين إلى الإسلام ، وذلك بين عامي 1223 - 1226 أفتى علماء نجد بردة من أعانهم ، وألف الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ كتاب (الدلائل) في إثبات كفر هؤلاء .

وفي أوائل القرن الرابع عشر أعانت بعض قبائل الجزائر الفرنسيين ضد المسلمين ، فأفتى فقيه المغرب أبو الحسن التسولي بكفرهم . (أجوبة التسولي على مسائل الأمير عبد القادر الجزائري ص 210) .

وفي منتصف القرن الرابع عشر اعتدى الفرنسيون والبريطانيون على المسلمين في مصر وغيرها فأفتى الشيخ أحمد شاکر بكفر من أعان هؤلاء بأي إعانة (كلمة حق : ص 126 وما بعدها) وعندما استولى اليهود على فلسطين في منتصف القرن الرابع عشر الهجري، وأعانهم بعض المنتسبين إلى الإسلام أفنت لجنة الفتوى بالأزهر برئاسة الشيخ عبد المجيد سليم عام 1366هـ بكفر من أعانهم ، وفي عصونا الحاضر ، وعندما نزلت نازلة الزمان اليوم ، وتحالفت قوى الكفر على حرب دولة أفغانستان المسلمة بقيادة طاغوت العصور أمريكا ، ومن حالفها من النصارى والشيوعيين والوثنيين والمنتسبين إلى الإسلام من الزنادقة والمنافقين لم تعدم الأمة من قائل للحق وصادع به من علمائها الربانيين في بلاد الإسلام عرضاً وطولاً" حيث أفتوا جميعهم بأن من أعان أمريكا وحلفاءها من الكفرة والمنافقين على حرب أفغانستان المسلمة فإنه بذلك يخرج من دائرة الإسلام ويحكم بردته ، ودعموا فتاويهم بالأدلة من الكتاب والسنة وأقوال السلف في تفسير بعض الآيات

التي تنهى عن تولي الكافرين كما في قوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين" [المائدة : 51] ومن هؤلاء العلماء علماء المغرب ، ومفتي باكستان (نظام الدين شامزي) وعلماء اليمن وغيرهم من علماء البلدان الإسلامية، ومن بلاد الحرمين الشيخ حمود العقلا ، والشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك ، والشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان، والشيخ سلمان العودة ، والشيخ سفر الحوالي ، وغيرهم من العلماء وطلبة العلم - حفظ الله الجميع ورعاهم - .

وفي الوقت الذي فرحنا فيه بهذه الفتاوى التي صدعت بالحق وقالته في وقته الذي يجب أن يقال فيه فإنه في الوقت نفسه قد أحرزنا غياب بعض العلماء عن هذه النازلة التي تنتظر فيها الأمة قول علمائها والصدع بالحق فيها ، مع أن هذه النازلة من الوضوح بحيث لا يرد على العالم فيها لبس ولا شبهة حتى يقال : إن هناك تردد وتوقف يبرر به السكوت والإحجام ، ويزداد الحزن والألم حينما نسمع من بعض العلماء أو طلبة العلم ، من يتأول بعض النصوص وينزلها في غير مكانها من دون تخريج ، ولا تفريح ، ولا تحقيق لمناطاتها ، حيث آل به الأمر إلى فتوى خطيرة مفادها: أن أمريكا الكافرة وحلفاءها ؛ إنما جاءوا لإقامة العدل ومحاربة الإرهاب والظلم فيجوز مساعدتها على ذلك .. !!! سبحانك هذا بهتان عظيم . ومتى عرفت أمريكا العدل وتاريخها كله ظلم وعدوان ، وهل جاءت لإقامة العدل أم لتعلنها حرباً صليبية على لسان شيطانها الأكبر (بوش) .

إننا ننصح علماءنا هؤلاء بأن يتابعوا الأخبار ليطلعوا على الأطفال والنساء والشيوخ المسلمين الذين مزقت أجسادهم صواريخ كروز والقنابل الانشطارية ، ثم يقوموا الله ويسألوا أنفسهم هل هذا هو العدل الذي جاءت أمريكا لإقامته ، وهل هؤلاء الأبرياء هم الإرهابيون الذين زعمت أمريكا أنها تحاربهم ؟ يا علماءنا هؤلاء اتقوا الله في أنفسكم ، فلا تظلموها وتعرضوها لسخط الله - تعالى - فإن هذا الموقف منكم له ما بعده في الدنيا والآخرة وستكتب شهادتكم وتسالون . واتقوا الله في أمتكم ، فلا تكتموا عنها الحق ولا تلبسوا الحق بالباطل وأنتم تعلمون أولاً تعلمون .

ويا لبيتكم سكتكم إذ لم تقدرُوا على قول الحق فهو أخف أثماً من قول الباطل . وإننا نناشدكم ونقول : ارحموا شباب الصحوة ، وأشفقوا عليهم من المواقف المخذلة والفتاوى المتسرعة ، فإن الشباب المسلم إن لم يجدوا فيكم من يلتفتوا عليه ، ويسمعهم الحق ويصدع به فإنهم سيذهبون إلى بعضهم ويجتهدون لأنفسهم ؛ مما قد يكون فيه فتنة وفساد . وحينئذ ستلومونهم وتشنعون عليهم ، مع أنكم من بين الأسباب التي قد تدفعهم إلى التسرع وعدم الانضباط؛ وذلك بعدم إسماعهم ما يجب عليكم قوله في هذه النازلة العظيمة ، أو إسماعكم لهم أقوالاً غريبة تجرح شعور كل مسلم يحب المؤمنين ، ويعادي الكافرين .

وأخيراً ، أقول لكل عالم لم يصدع بكلمة الحق في هذه النازلة ، ولكل مسلم متردد تحت تأثير ما يسمع من الشبهات ، أقول : إن ما يحصل على أرض أفغانستان المسلمة من الوضوح والجلء ، بحيث لا يدع عذراً لعالم أن يسكت عن قول الحق ، فضلاً عن أن يخذل أو يعوق ، ولا يدع مجالاً لمتردد أن يتردد .

إن ما يحصل هناك إنما هو حرب صليبية على الإسلام والمسلمين ، حرب تميز الناس فيها إلى فئتين متقابلتين : فئة مسلمة تحكم بالإسلام في أفغانستان ، ولا ترضى بغيره بديلاً ، وفئة أخرى كافرة تقودها أمريكا الكافرة الصليبية مع أحلافها من النصارى واليهود والشيوعيين والبوذيين والمنافقين ، فمع أي الفئتين يضع المسلم نفسه ، وفي أي الخندقين يجب أن يكون ، أفي خندق الكفر الحاقد على الإسلام وأهله أم في خندق الإسلام وأهله ؟ أفي ذلك غموض واشتباه ؟ إنه والله لا غموض فيه ولا لبس . وإن الأمر جدٌ خطير ، وامتحان للتوحيد في قلب المؤمن القائم على عبادة الله وحده والكفر بما سواه والموالاتة والمعاداة فيه .

وأخيراً : أطرح سؤالاً صريحاً لكل مخذل أو متردد ألا وهو : ما تقولون في جهاد الأفغان ضد الروس في العقود الماضية ؟ وأجزم بأن الجواب عندهم : إنه جهاد إسلامي بين المجاهدين المسلمين ، وبين الروس الكفرة الملحدين ، ولا أظن عندهم جواباً غيره لأن علماء بلد الحرمين قد أفتوا بذلك وحرصوا على الجهاد بالمال والنفس آنذاك ومنهم الشيخ ابن باز - رحمه الله تعالى - وحينئذ نقول : فما الذي تغير في هذه الحرب الجديدة بين الأفغان وأمريكا الكافرة . إنه لم يتغير إلا وجه

الكافر ، بل إن الكافر الروسي الذي حاربه المسلمون في الحرب الأولى هو الآن متحالف مع أمريكا وحلفائها في ضرب المسلمين في أفغانستان ، فلماذا تغيرت المواقف ؟ إن الواجب بالأمس هو الواجب اليوم ، هذا إن كنا ننطلق من عقيدة الولاء والبراء التي لا تتغير بتغير وجوه الكافرين . أما إن كنا ننطلق من الألاعيب السياسية وأهواء الحكام وتلبيس الإعلام فلنراجع إيماننا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

=====

يبُّ أنا أم زماني غريبٌ؟!

د.عبد المعطي الدالاتي 3/12/1424

25/01/2004

غريبٌ أنا ! أم زماني غريبٌ؟!
وحيرَ فكري السؤالُ العجيبُ!
غريبٌ ! وكيفَ وكلُّ شعاعٍ
سرى في السماء لعيني قريبٌ؟!
غريبٌ! وكيفَ وكلُّ جمالٍ
بهذا الوجودِ لقلبي حبيبٌ؟!
وكيفَ أكون غريباً وحولي
حبورٌ ونورٌ ولحنٌ وطيبٌ؟!
وعندي رجاءٌ .. وفوقي سماءٌ
تظلُّ، وشعرٌ ، وفكرٌ خصيبٌ؟!
وكيفَ أكون غريباً وشمسي
أقامت بطول المدى لا تغيبٌ؟!
وكلُّ البرايا معي ساجداتٌ
لرَبِّي نلبي .. له نستجيبُ
فذرّاتُ هذا الوجودِ تلبي
وأسمعُها لو تشفُّ الغيوبُ!

تسبِّحُ سرّاً بغير ذنوب!
أسبِّحُ جهراً وكلِّي ذنوب!!
غريبٌ أنا! أم زمني غريبٌ؟!
يحيرني ذا السؤال العجيب!
غريبٌ! وكيف وهذي سبيلي
وغيري هوى، ضيعةُ الدروب؟!
وكيف ودربي ابتداءُ الرسول
يقود القلوب، فتحيا القلوب؟!
أنا إن سجدت أناجي إلهي
فؤادي يطيبُ ، وروحي تذوبُ
أعيش بظلِّ النجوى سعيداً
فأدعو ، وأدعو ، وربِّي يُجيبُ
وربي قريبٌ ، قريبٌ ، قريبٌ
فكيف يُقال: بأني غريبٌ؟!

=====

الأستاذ الكبير... الزمان

جلعود الجلعود 25/11/1425

06/01/2005

تحيا ... وعقلك يحضى من تجاربه
ونورُ فكرك مزدانٌ به الفلقُ
تحيا ... وتعرف في الأيام خافيتها
ويبصر الغيب منك القلب والحدق
تحيا ... تعايش أحوالاً متنوعة
تتلو لها آية في لفظها الطَّبَّق
فكنت تحمد في الأشياء ظاهرها
واليوم جاءك من أعماقها الأرقُ

وصرت تضحك مما كنت تبغضه
وقد يجيبك مما تشتهي الزهق
تحيا ... وسيفك ينبو في مضاربه
وحظك اليوم من دنياك مخترق
ورب مكثر ضرب حز مفصلها
وصار من حظه الإسعاد والعبق
تحيا ... وقلبك ملتاغ تبعثره
مصائب العيش والأشجان والحرق
وكان يعجبك الأعمار إذ زعموا
فقلت بعد بأن الزعم مخترق
فأكثر الناس زيف في حقيقته
دوى لهم صوت إرعاد وما برقوا
في الناس خير وأبطال وتعرفهم
وأغلب الناس في أخلاقه نرق
ولا يساوي جنيها بعض من نجد
وبعضهم لا يساوي قدره الورق
تحيا ... تغوص المحيطات التي ملئت
أسرار دنيا... وقد يودي بك الغرق
تحيا وتبصر إخواناً تمزقهم
يد العدو ويفري فيهم القلق
يُشجيك أن تبصر الإخوان في كلف
وبينهم حلت الأحقاد والفرق
أمنت أشياء كان الخوف صاحبها
وحل في ساحتني ما تأمن الفرق
وأنورت ليلة أرخت معاطفها
وعاث في وجه شمس البائن الغسق

تحيا ... تغيّر مفهوم الحياة فما
تبقى على فهمك الماضي وتخلق
وسوف تلقى أحياء وتعشقم
لكن سيذهب معشوق ومن عشقوا
تحيا ... يضافيك من تهوى مماتهم
وقد يلاقيك من أحبابك العقق
وكنت تسمع إطراءً وتحسبه
صدقاً... وما ثم إلا المين والملق
تحيا ... وفي عينك الإشراق مؤتلق
وسوف يبدع في تلوينه الشفق
هذي حروفي ... وفي أصدائها حكّم
سطرّتها بدمي والشاهد الغسق
تغير الفكر عندي بعدما وهنت
ساقى وبان على أشباهي الرهق
أخي.. أتبعي خلاص النصح من عمري
اعمل لأخراك... ثم الأنس والألق

=====

قيمة الزمن

أحمد فريد

الإسكندرية

غير محدد

محامد و أدعية طباعة الخطبة بدون محامد وأدعية

ملخص الخطبة

- 1- إقسام الله بالزمان لشرفه. 2- الزمن فرصة للتزود بعمل الآخرة. 3- الأعمار مسؤول عنها يوم القيامة. 4- ندم المفرطين يوم القيامة وتمنيهم العود للدنيا. 5-

الوقت نعمة شكرها طاعة الله وكفرانها معصية الله. 6- صور من حرص السلف على أوقاتهم.

الخطبة الأولى

عباد الله:

الوقت والعمور والأيام والليل والنهار والدقائق واللحظات رأس مال العبد، وهو نعمة من أعظم نعم الله عز وجل على العباد.

تمنن الله عز وجل على العباد بنعمه فقال عز وجل: الله الذي خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار [إبراهيم:32-34].

وأقسم الله عز وجل بالزمان فقد أقسم بالعصر، وبالليل والنهار، وبالفجر والضحى لبيان أهمية الزمان فقال عز وجل: والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر [العصر].

وقال تعالى: والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى [الليل:1-2].

وقال تعالى: والضحى والليل إذا سجى [الضحى:1-2].

وقال تعالى: والفجر وليال عشر [الفجر:1-2].

وقيمة الزمن تكمن في أن الله عز وجل جعله فرصة للإيمان، والعمل الصالح، وهما سبب السعادة في الدنيا والآخرة.

قال الله تعالى: وهو الذي جعل الليل والنهار خلفا لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا [الفرقان:62].

قال بعض السلف: من فاته طاعة الله بالليل كان له من أول النهار مستعتب، ومن فاته طاعة الله بالنهار كان له من أول الليل مستعتب.

ودلت السنة كذلك على أهمية الزمن وخطره قال النبي : ((لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه))(1).
فيسأل العبد يوم القيامة سؤالين عن الزمن، عن عمره فيما أفناه عامة، وعن شبابه فيما أبلاه خاصة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله : ((نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ))(2).

والمغبون هو الذي باع شيئاً بأقل من ثمنه، أو اشترى شيئاً بأكثر من ثمنه، فالصحة والوقت نعمتان عظيمتان، أكثر الناس لا يستفيد منهما ويضيعهما ثم يندم عليهما في وقت لا ينفع فيه الندم، والموفق إلى بذلهما في طاعة الله عز وجل قليل، فكل نفس من أنفاس العمر جوهرة ثمينة، تستطيع أن تشتري بها كنزاً لا يفنى أبد الآباد، فتضييعه وخسارته، أو اشتراء صاحب به يجلب هلاكه لا يسمح به إلا أقل الناس عقلاً، وأكثرهم حمقاً.

قال النبي : ((من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له بها نخلة في الجنة))(3).

قال بعض السلف: بلغنا أن نخل الجنة ساقها من ذهب، وسعفها من حلل، وثمارها أبيض من اللبن، وألين من الزبد، وأحلى من العسل والشهد.

وقال : ((اقرأوا القرآن فإنكم تؤجرون عليه، أما إنني لا أقول: ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف))(4).

وقال : ((من قرأ قل هو الله أحد حتى يختمها عشر مرات بنى له قصر في الجنة))(5).

فخطر الأوقات والأنفاس أن العبد إذا تاجر فيها مع الله عز وجل ربح على الله عز وجل أعظم الأرباح.

قال الحسن البصري: نعمت الدار الدنيا كانت للمؤمن وذلك لأنه عمل فيها قليلاً وأخذ منها زاده إلى الجنة، وبدست الدار الدنيا كانت للكافر والمنافق، وذلك لأنه أضاع فيها ليلاليه، وأخذ منها زاده إلى النار.

وخطر الأوقات والأنفاس كذلك مع كونها رأس مال العبد وفرصة الأعمال الصالحة، أن عدد الأنفاس التي قدرها الله عز وجل لنا غيب فلا يدري متى تذهب أنفاسه حياته.

يا من بدنياه انشغل وغره طول الأمل الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل قال الحسن: المبادرة المبادرة إنما هي الأنفاس، لو حبست انقطعت عنكم أعمالكم التي تتقربون بها إلى الله عز وجل، لو حبست انقطعت عنكم ثم بكى على عدد ذنوبه، ثم قرأ: إنما نعدّ لهم عدا آخر العدد خروج نفسك، آخر العدد فراق أهلك، آخر العدد دخولك في قبرك.

فإنه عز وجل قدر لنا عددا محددًا من الأنفاس فكلما تنفس العبد نفسا سجل عليه، حتى يصل العبد إلى آخر العدد المقدر له، عند ذلك يكون خروج النفس، وفراق الأهل، ودخول القبر، وينتقل العبد من دار العمل ولا حساب إلى دار الحساب ولا عمل، فمن كان يمشي على ظاهر الأرض بالطاعة والمعصية، يصير محبوسا في باطنها مرتها بعمله.

وإنما يدرك العبد خطر الوقت والعمر إذا فقد هذه النعمة فعند ذلك يتمنى أن يرجع إلى الدنيا لا من أجل أن يجمع حطامها وشهواتها، بل من أجل أن يجتهد في طاعة الله عز وجل، وتتجدد له هذه الأمنية وهذا الطلب كلما عاين أمرا من أمور الآخرة. قال تعالى: حتى إذا جاء أحد هم الموت قال رب أرجعون لعلني أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون [المؤمنون:99]. وقال تعالى: وأنفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون [المنافقون:10-11].

وقال تعالى: ولو ترى إذا المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرونا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون [السجدة:12].

وقال تعالى: ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين [الأنعام:27].

وقال تعالى: وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير [فاطر:37].

وقال تعالى: قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل [غافر:11].

فالعمر والوقت نعمة من الله عز وجل، فمن شكرها بطاعة الله عز وجل وأنفقها في سبيل الله تقول له الملائكة يوم القيامة: ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون [النحل:32]، وتقول له في الجنة: كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية [الحاقة:24].

ومن كفر هذه النعمة وبذلها في معصية الله عز وجل تقول له الزبانية: ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين [غافر:75-76].

فينبغي على العبد أن يعرف خطر الأوقات واللحظات فأهل الجنة لا يتحسرون على شيء، إلا على ساعة مرت عليهم لم يذكروا الله عز وجل فيها.

وقال بعضهم ك هب أن المسيء قد عُفي عنه أليس قد فاتته ثواب المحسنين كم من المسلمين عباد الله من يضيع الساعات في غير الطاعات، بل في معصية رب الأرض والسموات، كم من أناس يضيعون أعمارهم في الجلوس على المقاهي ومجالس اللغو واللهو يفرحون برؤية الذاهبات والغاديات، كم من أناس يضيعون أوقاتهم أمام لوحة النرد أو الشطرنج وإن سألتهم قالوا: نقتل الوقت، نقول لهم: أنتم تقتلون أنفسكم أو تتحرون انتحارا بطيئاً، لأن الوقت هو عمر الإنسان، ولأنه من أعظم نعم الله عز وجل على العباد، هل الوقت عدوا أو نقمة يتخلصون منه بقتله، إنهم يضيعون فرصة عمرهم، وفرصة العمل بطاعة ربهم، وكل يوم يمضي من أعمارهم لا يعود إليهم أبداً، وإنما يمضي بما فيه من خير أو شر.

كان السلف رضي الله عنهم أحرص الناس على أوقاتهم.

قال رجل لعامر بن عبد قيس: قف أكلمك فقال: أوقف الشمس.

وكان بعضهم إذا جلس الناس عنده فأطالوا الجلوس يقول: أما تريدون أن تقوموا، إن ملك الشمس يجرها لا يفتر.

كانوا يبخلون بأوقاتهم وأنفاسهم أن تتفق في غير طاعة الله عز وجل، وكانوا
أحرص على أوقاتهم من حرصكم على دنائركم ودراهمكم.

مات ابن لأبي يوسف تلميذ أبي حنيفة فوكل أحد جيرانه في غسله ودفنه لئلا يفوته
درس من دروس شيخه أبي حنيفة.

كان ثابت البناني يستوحش لفقد التعبد بعد موته فيقول: يا رب إن أذنت لأحد أن
يصلى في قبره فأذن لي.

وكان يزيد الرقاشي يبكي ويقول: يا يزيد من يبكي بعدك لك، من يترضى ربك
عنك.

ودخلوا على الجنيد عند الموت وهو يصلي قال: الآن تطوى صحيفتي.

وقيل لأبي بكر النهشلي وهو في الموت: إشرب قليلا من الماء قال: حتى تغرب
الشمس.

أين وصفك من هذه الأوصاف، أين شجرة الزيتون من شجر الصفصاف.

لقد قام القوم وقعدت، وجدوا في الجد وهزلت، ما بيننا وبين القوم إلا كما بين
اليقظة والنوم.

لا تعرضن بذكرنا في ذكرهم ليس السليم إذا مشى كالمقعد

يا ديار الأحباب أين السكان، يا منازل العارفين أين القطان، يا أطلال الوجد أين
البنيان، أما كن تعبد هم باكية، ومواطن خلواتهم لفقد هم شاكية، زال التعب وبقي
الأجر، ذهب ليل النصب وطلع الفجر، وإنما ينطبق علينا عباد الله قول القائل:

يا من إذا تشبه بالصالحين فهو عنهم متباعد، وإذا تشبه بالمذنبين فحالهم
واحد يا من يسمع ما يلين الجوامد وطرفه جامد، وقلبه أقسى من الجلامد، إلى متى
تدفع التقوى عن قلبك وهل ينفع الطرق في حديد بارد.

الخطبة الثانية

لم ترد .

- (1) رواه الترمذي (9/253) عارضة (صفة القيامة وقال : حسن صحيح ، وحسنه الألباني بشواهد في الصحيحة .
- (2) رواه البخاري (11/233) الرقاق : باب ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة والترمذي ، (2304 شاكر) الزهد : باب الصحة والفراغ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس .
- (3) رواه ابن حبان (2335 موارد) ، والترمذي (3531 شاكر) الدعوات والحاكم (1/501 ، 502) وقال الترمذي : حسن صحيح ، وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني .
- (4) رواه الخطيب في التاريخ (1/285) ، والديلمي (1/1/13) وقال الألباني : وهذا إسناد جيد رجاله رجال الصحيح غير ابن الجنيد ترجمه الخطيب وقال : وهو شيخ صدوق ، ووثقه غيره وروى الترمذي نحوه - الصحيحة 660 .
- (5) رواه أحمد (5/437) ، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (589) .

وقفه أمام بوابة الزمن

عادل بن أحمد باناعمة

جدة

محمد الفاتح

محامد و أدعية طباعة الخطبة بدون محامد وأدعية

ملخص الخطبة

- 1- ضرورة المحاسبة. 2- الإنسان يحاسب يوم القيامة على الصغير والكبير. 3- عظة وعبرة في انصرام الأيام ومرور السنين. 4- التفاؤل بمستقبل مشرق للإسلام.

الخطبة الأولى

وهكذا في لمح البصر يطوى تاريخ طويل طالما عشنا فيه آلاماً وآمالاً، وطالما كانت لنا فيه ذكريات وطموحات، وطالما جننا فيه وذهبنا، وعملنا وتركنا، وفعلنا ولم نفعل.

إننا نقف الآن على مفترق الطرق، ننظر هنا فنرى عاماً كاملاً قد شد رحاله وطوى صفحته وتهيأ للرحيل ... الرحيل الذي لا عودة بعده.

وننظر هناك فنرى عاماً جديداً، جاء محملاً بحوادثه، ووقائعُه محجوبة بحجاب الغيب، مستورة بستار القدر ... ثم ما تلبث أن تتكشف شيئاً فشيئاً.

ماذا حدث في العام الماضي؟ وماذا سيحدث في العام الجديد؟

كم من فقير مسلم – في عامنا الماضي – هام على وجهه؟!

كم من مشرد كان له بيت فصار بلا مسكن ولا مأوى؟!

كم من بريء مسكين قتلته رصاصات الغدر والكفر؟!

كم من حرة عفيفة هنك سترها كافر عتل غليظ؟!

كم من بلد استبيحت حرمة وسلبت أراضيه؟!

كم من أرض أحرقت ظلماً لا لشيء إلا لأن أهلها يقولون: ربنا الله؟!

كم وكم من الصور المؤلمة حملها عامنا الذي سيرتحل في حقييته؟

أيها العام قد طويت جناحاً ... وتهيأت للرحيل البعيد

سوف تمضي وقد تركت قروحاً.....داميات بقلبي المجهود

أنا مازلت أنشد الشعر لكن.....نغم الحزن لم يفارق قصيدي

هكذا كان .. وانطوى عام كامل من عمر أمة الإسلام.

لست أنكر أنه كانت فيه نقاط مضيئة مشرقة، ولكنها كادت تضيع في وسط ركام الأحزان والآلام.

ولئن انقضى هذا العام أو كاد، فهذه دعوة للمسلمين أن يفكروا في حال الإسلام والمسلمين .

دعوة إلى أن يحققوا في الواقع قوله تعالى: **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ [الحجرات:10]**.

دعوة إلى أن يعوا قول المصطفى صلى الله عليه وسلم: ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر)).

نعم ... إن الإسلام اليوم لم يعد يشغل حيزاً ولو صغيراً من أذهان كثير من المسلمين ..

وإلا فأخبرني يا أخي ...

كم مرة فكرت في حال المسلمين فاغتمت ففاضت عيناك؟

كم مرة احترق قلبك وأنت تقرأ ما حل بالمسلمين؟

كم مرة رفعت يديك في ضراعة وخشوع تدعو لألئك المساكين المستضعفين؟

بلى أخبرني ... كم مرة حرصت على متابعة حال إخوانك المسلمين؟ ما أكبر الفضيحة ! وما أعظم المأساة!

نحن مدعوون إلى أن نتخذ من هذه اللحظة التاريخية منطلقاً نحو وعي أكبر بقضايا أمتنا، وتفاعل أفضل مع مشاكلها وبداية لنمط جديد من التفكير يكون للإسلام ولأمة الإسلام حظ كبير منه غير مبخوس ولا منقوص.

وكما ينبغي أن تكون بداية العام بداية لعهد جديد مع أمتك، فيجب أن تكون بداية لعهد جديد مع نفسك. نعم لا بد من وقفة محاسبة وتأمل.

قال الحسن البصري: "لا ترى المؤمن إلا يلوم نفسه: ما أردت بأكلاتي؟ ما أردت بحديث نفسي؟ وإن الفاجر ليمضي قدماً ما يعاتب نفسه".

إنها إذاً المحاسبة التي قال عنها عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا، فإنه أهون عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر)، فهل تزيينا للعرض الأكبر بمحاسبة أنفسنا؟

وانظر إلى قول المولى عز وجل: لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ [الأحزاب:8]. فإذا سئل الصادقون عن صدقهم وحوسبوا عليه فما الظن بالكافرين؟

وانظر إلى قوله تعالى: فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين [الأعراف:6]. يا لله حتى المرسلون يسألون.

إن الله عز وجل يحاسب الإنسان على كل صغيرة وكبيرة، يدون عليه كل شيء حتى إذا جاء يوم القيامة نشرت الدواوين وكشفت المخبات، ولا تسئل يوم ذلك عن حال الغافلين الذين لم يحاسبوا أنفسهم في الدنيا، لا تسئل عن حالهم حين تجبههم صحائف أعمالهم ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً [الكهف:49].

نعم كل شيء مكشوف، كل شيء مسجل وقد أحصاه الله ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة [المجادلة:7].

كل شيء يسأل عنه الإنسان، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة من النعيم أن يقال له: ألم نصح لك جسمك؟ ونروك من الماء البارد)) [الترمذي].

وحكي عن الإمام أحمد أنه كان في سكرات الموت يئن فسمع أن الأنبياء يكتب فسكت حتى فاضت روحه رحمه الله.

هكذا إذن يحاسب الإنسان يوم القيامة على كل صغيرة وكبيرة من أمره، على أقواله وأفعاله ونياته، وتقام عليه يومذاك الشهود وأي شيء أعظم من أن يشهد بعضك على بعضك، روى الإمام مسلم [2969]. عن أنس بن مالك قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال: ((هل تدرون مم أضحك؟ قال: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: من مخاطبة العبد ربه يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟ قال: يقول: بلى، قال: فيقول: فإني لا أجزى على نفسي إلا شاهداً مني، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً وبالكرام الكاتبين شهوداً قال: فيختم على فيه فيقال لأركانها: انطقي، قال: فتتطق بأعماله، قال: ثم يخلى بينه وبين الكلام قال: فيقول بعداً لكنّ وسحقاً، فعنكن كنت أناضل)).

مثل وقوفك يوم الحشر عرياناً.....مستوحشاً قلق الأحشاء حيراناً
اقرأ كتابك يا عبدي على مهل.....فهل ترى فيه حرفاً غير ما كانا

لما قرأت ولم تتكر قراءته.....اقرار من عرف الأشياء عرفاناً
نادى الجليل خذوه يا ملائكتي.....امضوا بعبد عصي للنار عطشاناً
فتوهم نفسك وأنت بين يدي ربك، في يدك صحيفة مخبرة بعملك لا تغادر بآية
كتمتها ولا مخبأة أسرتها، وأنت تقرأ ما فيها بلسان كليل، وقلب منكسر، فكم من
بلية قد كنت نسيتها ذكرها، وكم من سيئة قد كنت أخفيتها قد أظهرها وأبداها، وكم
من عمل ظننت أنه سلم لك وخلص فرده عليك في ذلك الموقف وأحبطه بعد أن
كان أملك فيه عظيماً، فياحسرة قلبك، ويا أسفك على ما فرطت فيه من طاعة ربك.
يا إخوتاه ... هل من محاسب نفسه في دنيا ليخفف على نفسه في أخراه؟
وحين أقف أنا مع نفسي وتقف أنت مع نفسك وتمحص أيامك السالفات في عامك
الماضي فتتظر ما كان من حسن فتثبت عليه وما كان من سيء فتجتنبه، حين نفعل
ذلك نكون قد خطونا الخطوة الصحيحة للإصلاح، وأخذنا بيد أنفسنا للخير والفلاح.
فماذا يا ترى أودعنا في عامنا الماضي؟
هل أودعنا فيه صلاة وصياماً وذكرأ ودعوة وبكاء وخشية وتوبة وصبراً على
المكاره وقياماً بأمر الله؟ أم أودعنا فيه لعباً ولهواً وقضاء للشهوات واغتراراً بمتاع
الدنيا الفاني؟
هل رأنا الله نتهدد في ظلمات الأسحار ونحني أصلابنا على القرآن الكريم، ونبلل
الأرض بالدمع في خشوع؟ أم رأنا ساهرين على مشاهدة الحرام وسماع الحرام، لا
هين عما أمرنا الله به، مقبلين على ما نهانا عنه؟
أسئلة كثيرة يجب أن نجيب عنها بصدق وصراحة وإن كانت الصراحة مرة في
بعض الأحيان.

الخطبة الثانية

أما بعد:

أيها الأخ ألا ترى أن انقضاء العام بهذه السرعة العجيبة مؤذن بانقضاء عمرك كله
ورحيلك إلى الدار الآخرة؟ أليس عمرك بضعة سنوات كلما انقضت سنة دنوت إلى
قبرك؟

كل يوم يمر يأخذ بعضي ... يورث القلب حسرة ثم يمضي
أفلا تذكرت واعتبرت بدنو الأجل وقرب الرحيل! كم ودعت في عامك الماضي
من حبيب؟ وكم فارقت من غال؟ وكم حملت من جنازة إلى قبرها، ونفس تزجي
لأمر ربها؟

أما كان لك في ذلك موعظة؟ أما تخشى اليوم الذي تكون فيه محمولاً لا حاملاً،
ومغسولاً لا غاسلاً، ومدفوناً لا دافناً؟ وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه
تحييد [ق:19].

إنه الموت الذي ينتهي إليه كل حي، والذي لا يدفعه عن نفسه ولا عن غيره أحد،
الموت الذي يفرق بين الأحبة ويمضي في طريقه لا يتوقف ولا يلتفت ولا يستجيب
لصرخة ملهوف ولا لحسرة مفارق ولا لرغبة راغب ولا لخوف خائف.

سبيل الخلق كلهم فناء... فما أحد يدوم له بقاء

يقربنا الصباح إلى المنايا... ويدنينا إليهن المساء

أتأمل أن تعيش وأي غصن... على الأيام طال له النماء

يا أخوتاه... بلغنا أن زاهداً كان كثير النصح والوصية لأصحابه، فقال له أصحابه
يوماً: لو أوجزت لنا معنك في جملة تكون لنا شعاراً! فقال: نعم، فقام وكتب على
الجدار بخط كبير: لا تمضوا في طريق اليأس ففي الكون آمل، ولا تتجهوا نحو
الظلمات ففي الكون شمس!

إنه شعار جميل نضعه نصب أعيننا ونحن نودع ذلك العام المحمل بالجراح.

إنها دعوة للتفاؤل والإيجابية والبذل والعمل، وعدم الاكتفاء بالبكاء والنحيب وتعداد
المصائب .

لسنا يا أخي في مناخة نعدد فيها المصائب ونبكي ثم لا يكون شيء، لا إنما نحن
في لحظة اعتبار وادكار، نتخذ من عرض هذه الآلام طريقاً إلى الآمال، ونجعل
ذكر هذه الجراح سلماً للفلاح.

ولقد علمنا رسولنا صلى الله عليه وسلم التفاؤل والأمل حتى في أحلك اللحظات،
أوليس هو الذي كان يبشر أصحابه بفتح بلاد كسرى وقيصر واليمن وهم
محاصرون يوم الأحزاب في المدينة؟

وكيف لا نتفاعل ونرجو الخير ونحن نرى كثيراً من المبشرات تلمع خلال الظلام وتؤذن إن شاء الله بفجر جديد.

هذا الجيل المبارك من شباب الصحوة الذي يملأ المساجد.

هذه العاطفة الدينية القوية لدى الشعوب الإسلامية.

هذا الجهاد الحي المؤمن في أنحاء كثيرة من أرض الإسلام.

هذا التداعي والهبوط لكثير من القوى الكافرة.

كل هذه وأمثالها مبشرات على الطريق.

المهم ما هو دورك أنت؟

ابداً بنفسك فأصلحها، ثم بأهلك، ثم بإخوانك، ثم بمن حولك، ثم ارفع يديك إلى السماء وقل يا رب.

"حتى إذا وجدت تلك القلوب التي لا تطمع إلا فيما عند الله ولا تنتظر ثواباً في الدنيا تنزل عليها نصر الله".

آه ما أكثر الجراح ولكن...أمتي أمة الثبات العنيد

لم تزعزع يقيننا الصرصر القر.....ولم تتثنا صلاب السدود

لم يزل في دمائنا ألف سعد.....ينتلظى وألف قطز جليد

إن مضى عامنا ببؤس.....فإننا نلمح الخير ملء عام جديد

=====

بوابة الزمن

فيصل بن عبد الرحمن الشدي

الخرج

24/12/1422

جامع العز بن عبد السلام

محامد و أدعية طباعة الخطبة بدون محامد وأدعية

ملخص الخطبة

1- سرعة انقضاء الأيام والليالي. 2- حقيقة الدنيا. 3- وقفة محاسبة مع نهاية العام. 4- نماذج من محاسبة السلف لأنفسهم. 5- الوصية بفتح باب المحاسبة مع النفس في نهاية العام.

الخطبة الأولى

أما بعد: فوا عجبًا لتلك البوابة، ما أعظمها، ما أوسعها، ما أكبرها، اتسعت لملايين البشر على مر التاريخ، كلُّ يدخل منها ويمضي، دخل منها آدم وموسى وعيسى ومحمد والأنبياء كلهم عليهم الصلاة والسلام، دخل منها الأغنياء والفقراء، والكبراء والحقراء، والرجال والنساء، اتسعت لملايين الأحداث، أممٌ تباد ودولٌ تشاد، حروبٌ طاحنة ونوازل ساخنة، عجبًا لها من بوابة، لم تضق يومًا بالموتى ولا بالمواليد، ولا بالأفراح ولا بالأتراح، عجبًا لها من بوابة قد أشرعت أبوابها يوم أن حط آدم قدمه على الأرض، وستغلق بإذن ربها يوم أن يأذن الله بخراب الدنيا وزوال العالم.

نعم يا رعاكم الله، إنها بوابة الزمن، تلج من بوابتها السنين تلو السنين، وها هو العام الثاني والعشرون بعد الأربعمئة والألف للهجرة قد أزف رحيله وقرب تحويله، ها هو يطوي بساطه ويقوض خيامه ويشدُّ رحاله، وكل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها، يا لله! العام الثاني والعشرون قطعناه من أعمارنا، أين ليله؟! أين نهاره؟! أين يومه؟! أين شهره؟! أين صيفه؟! أين شتاؤه؟! أين أفراحه؟! أين أحزانه؟! أين أنفاسه؟! أين لحظاته؟! إي وربي، إنها دوامة الزمن لا تقف لأحد، لا تنتظر أحدا، لا تحابي أحدا.

إخواني، إن الزمان وتقلباته أنصح المؤدبين، وإن الدهر بقوارعه أفصح المتكلمين، من حاسب نفسه في الدنيا خف في القيامة حسابه، وحضر عند السؤال جوابه، وحسن في الآخرة منقلبه ومآبه، ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته، وطالت في عرصات القيامة وقفاته، وقادته إلى الخزي والمقت سيئاته.

ما كان شقاء الأشقياء — وربي — إلا أنهم كانوا لا يرجون حسابا، فوافتهم المنية وهم في غمرة ساهون، يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرُّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا

يَعْرُتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ [لقمان:33]، اَعْلَمُوا أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ [الحديد:20]، يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ [غافر:39].

سبحان الله! ألم يأن لأهل الغفلة أن يدركوا حقيقة هذه الدار؟! أما علموا أن حياتها عناء ونعيمها ابتلاء، جديدها يبلى وملكها يفنى، ودّها ينقطع وخيرها ينتزع؟! انظر إليها: ولادة وطفولة، وشباب وشيخوخة، ثم المشيب والهرم، ثم ينتهي شريط الحياة، ولكأنها غمضة عين أو ومضة برق، سرابٌ خادع، وبريق لامع، لكنها سيف قاطع، كم أذاقت بؤساً، وكم جرعت غصصاً، وكم أحزنت من فرح وأبكت من مرح، وكدرت من صفو وشابت من غير. خداعة مكاراة، ساخرة غرارة، كم هرم فيها من صغير، وذل فيها من عزيز، وافتقر فيها من غني، أحوالها متبدلة، وشؤونها متغيرة، لا ترى فيها إلا راحلاً إثر راحل، أيام معدودة وأنفاس محدودة، وآجال مضروبة وأعمال محسوبة.

روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ النبي بمنكبي فقال: ((كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل))، وروى الترمذي وغيره أن النبي قال: ((ما لي وللدنيا؟! ما أنا في هذه الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها)).

يروى ابن حجر في الإصابة أن ضرار بن ضمرة قدم يوماً على معاوية فقال له: صف لي علي بن أبي طالب، فكان مما قال فيه: فإنه — والله — كان بعيد المدى شديد القوى، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس بالليل وظلمته، كان — والله — غزير الدمعة طويل الفكرة، يقلب كفه ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشيب، أشهد بالله أني رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه وهو قائم في محرابه قابضاً لحيته، يتململ تملل المريض، ويبيكي بكاء الحزين، وهو يقول: (يا دنيا، يا دنيا، أبي تعرضت، أم لي تشوفت؟! هيهات هيهات، غري غيري، قد طلقتك ثلاثاً، لا رجعة لي فيك، فعمرك قصير، وعيشك حقير، وخطرك كبير، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق)، قال: فذرفت دموع معاوية وهو ينشفها بكمه، وقد اختنق القوم بالبكاء.

إننا لنفرح بالأيام نقطعها... وكل يومٍ منها يديني من الأجل
النفس تغترّ بالدنيا وقد علمت... أن السلامة منها ترك ما فيها
فلا الإقامة تنجي النفس من تلفٍ... ولا الفرار من الأحداث ينجيها
وكل نفس لها دورٌ يصبحها... من المنية يوماً أو يمسيها
أيها المسلمون، إن هذه الجمعة هي آخر جمعة في هذا العام، وإن سير الزمن
الحديث يباعد من الدنيا ويقرب من الآخرة. كان بعض السلف إذا غربت الشمس
من كل يوم جلس عند باب داره يبكي، فيسأل عن سبب بكائه فيقول: قطعت يوماً
من حياتي إلى الدار الآخرة، ولا أدري أهى خطوات إلى الجنة أم أنها خطوات إلى
النار. فكم من خطوات مشيهاها، ومراحل قطعناها، وأوقات صرفناها.

هلموا – يا عباد الله – لنحاسب أنفسنا، دعونا نتساءل عن عامنا: كيف أمضيناه؟!
و عن وقتنا: كيف قضيناها؟! ثم لننظر في كتاب أعمالنا وكيف طويناها، وذنبتين ما
قدمناه، فإن كان خيراً حمدنا الله وشكرناه، وإن كان شراً تبنا إلى الله واستغفرناه،
كفى تجرؤاً على حدود الله، كفى اقترافاً لمعاصي الله، كفى قسوة للقلوب وتفريطاً
في جنب علام الغيوب، كفى ضياعاً للصلاة.

أتى عليك المحرم ومن بعده صفر، وشهر إثر شهر، وأنت تنام عن الفجر
والعصر، لم تعرف روضة المسجد لك مكاناً، فأنت دائماً في صلاتك تقضي،
وبسرعة منها تمضي، مال حالك لا يتغير؟! زدت في دنياك وتقدمت، ونقصت في
آخرتك وتأخرت. إلى متى وأنت تطلق لسانك يفري في أعراض الناس، ينهش
لحومهم، غيبة ونميمة كذبا وافتراء؟! إلى متى وأنت ترى بعينيك ما حرم الله؟! أما
تخشى أن تحترق هاتان العينان في نار الله؟!

وأنتم يا رعاة البيوت، يا أمناء البيوت، جلبتم آلات اللهو في بيوتكم، ونشأتم عليها
صغاركم ونساءكم، وجعلتم الأطباق الفضائية تاج عز فوق رؤوسكم، وعمن لا
يصلي من أبناءكم ويفجر ويعصي غضضتم طرفكم، كفى استحيوا من الله حق
الحياء.

وأنتم يا من تنتسبون للدعوة والاستقامة، مضى عام كامل وأمتكم كثيرٌ من أبناءها
يغرق في أحوال الشهوات والشبهات، ماذا قدمتم لدينكم؟! ثلاثمائة وستون يوماً كم

كلمة فيها ألقيت؟! كم شريطاً وزعت؟! وكم كتيباً نشرت؟! وكم عاصياً نصحت؟!
وكم مرة وعظت؟! كم اهتدى على يديك؟! ماذا قدمت لدينك؟! ماذا قدمت لأمتك؟!
إخواني، إنا نودع هذا العام وأمتنا مثخنة بجراحاتها متلمظة بمآسيها، كم من
مسلمين في هذا العام ماتوا جوعاً، كم من مسلمين هذا العام شردوا من بيوتهم فلا
مسكن ولا مأوى، كم من بريء مسكين قتلته رصاصات الغدر والكفر، كم من حرة
عفيفة هتك سترها كافر عتل غليظ، كم من بلدٍ استبيحت حرمة وسلبت أراضيها،
كم من أرضٍ أحرقت ظلماً لا لشيء إلا أن أهلها يقولون: ربنا الله، كم وكم من
الصور المؤلمة التي سيحملها عامنا وسيرحل بها في حقيقته.

أيها العام قد طويت جناحاً.....وتهيأت للرحيل البعيد
سوف تمضي وقد تركت قروحاً.....داميات بقلبي المجهود
أنا ما زلت أنشد الشعر لكن.....نغمة الحزن لم تفارق قصيدي

نعم، سل نفسك: كم مرة فكرت في حال المسلمين فاغتمت ففاضت عيناك؟! وكم
مرة احترق قلبك وأنت تقرأ ما حل بالمسلمين؟! وكم مرة رفعت يدك في ضراعة
وخشوع تدعو لإخوانك المساكين المستضعفين؟! وأراك يوم أن أصابك صداع في
رأسك دعوت الله وتضرعت، أراك يوم أن جرح ابنك ومرض سألت الله
وتضرعت. فأين هذا التضرع والبكاء لإخوانك في الإسلام في بلاد شتى؟! لم
يصبهم صداع في رأسهم كلا، لم يصبهم صداع لكن شويت رؤوسهم بالنار بقنابل
وصواريخ تصب عليهم في الليل والنهار، ولم يجرح أبناءهم أو يمرضوا كلا، بل
تقطع أوصال أبنائهم أمام أعينهم، نعم ماذا قدمت لهم؟!

أن — والله — أن ترجع النفس وتتوب، وتتجه لخالفها وتتوب، وتُوبوا إلى الله
جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [النور: 31].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

أما بعد: رضوان ربي على صحابة نبيه، ورحمات ربي على تباع صحابته، لكم
وكم خلوا بأنفسهم وحاسبوها، وعاتبوها وأنبأها، فهذا أنس بن مالك يقول: سمعت

عمر بن الخطاب لما دخل بستاناً من البساتين وما عنده أحد وقف مع نفسه يناديها قائلاً لها: (عمر أمير المؤمنين!! بخـ بخـ والله يا ابن الخطاب لتتقين الله أو ليعذبنك)، وبكى يزيد الرقاشي عند موته فقيل له: لم تبكي؟ قال: أبكي على قيام الليل وصيام النهار، ثم أجهش بالبكاء وهو يردد: من يصلي لك يا يزيد؟! من يصوم لك؟! من يتوب عنك من الذنوب؟!!

ونُقل عن ابن الصمة أنه جلس يوماً ليحاسب نفسه فعدَّ عمره فإذا هو ابن ستين سنة، فحسب أيامها فإذا هي واحدٌ وعشرون ألفاً وخمسمائة يوم، فصرخ وقال: يا ويلي، ألقى الملك بواحدٍ وعشرين ألف ذنب؟! فكيف وفي كل يوم عشرة آلاف ذنب؟! ثم خرَّ فإذا هو ميت. رحمهم الله؛ خافوا فأدلجوا، وزهدوا في الدنيا، وللآخرة قدموا.

أخي يا رعاك الله، أخلُ بنفسك عند ختام هذا العام، وسلها وخاطبها: بأي شيء هذا العام أودعت؟! استعرض أوراق عامك بأي شيء كتبت؟! وعلى ماذا سطرت؟! فإنها — والله — مدونة عليك، يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ [المجادلة:6].

قف مع النفس التي طالما للعصيان تجرأت، وللمحارم اعتدت، وللطغيان أسرفت، وللقبيح أكثرت، وقل:

يا نفس توبي فإن الموت قد حانا...واعصي الهوى فالهوى مازال فتانا

أما ترين المنايا كيف تلقطنا...لقطاً فتلق أحرانا بأولانا

في كل يوم لنا ميتٌ نشيعه...نرى بمصرعه آثار موتانا

أين الملوك وأبناء الملوك ومن...كانت تخر له الأذقان إذعانا

خلوا مدائن كان العز مفرشها...واستقرشوا حفراً غيراً وقيعانا

عجباً — والله — ممن يوقن بالموت ثم يذساه، ويتحقق الضرر ثم يغشاه، ويخشى الناس والله أحق أن يخشاه، يطول عمره ويزداد ذنبه، يبيض شعره ويسود قلبه، قلوب مريضة عز شفاؤها، وعيون تكحلت بالحرام فقل بكاءها، وجوارح غرقت في الشهوات فحق عزائها.

=====

قيمة الزمن في القرآن الكريم

لفضيلة الدكتور عودة عبد عودة عبد الله

تمهيد:

الزمن هو مادة هذه الحياة، والروح التي تجري في عروقها، فما الحياة في حقيقتها إلا زمن يمر ويمضي، ومن أدرك الزمن على حقيقته، فقد أدرك هذه الحياة على حقيقتها، وبانت له معالم الطريق الذي ينبغي سلوكه. وما الزمن إلا حياة الأمم، إذا حافظت عليه دبّت الحيوية في شرايينها، وإذا أهملته أمست هامة خادمة لا روح فيها ولا حياة.

والناظر في أحوال المسلمين اليوم يمتلكه الحزن الشديد لما يرى من تضييع الأوقات في سفساف الأمور ومحقراتها بما لا يؤدي إلى نفع عام أو خاص، ولو اتبع المسلمون هدي قرآنهم وهدى نبيهم لاحتلوا موقع القيادة والريادة الذي كانت أممتنا تتبوأه في عصورها الزاهية، ولو فعلوا ذلك لما وصلت إليه حالهم إلى ما آلت إليه الآن من التراجع والذل والخضوع، حتى صاروا في ذيل القافلة، وقد كانوا منها في مأخذ الزمام، وهانت عليهم نفوسهم، فاحتلت أوطانهم، واستمرعوا العيش في الحضيض. وما وصل الغربيون إلى القمة في العلوم التقنية والإنسانية إلا بمحافظتهم على الزمن والإفادة من ساعاته ودقائقه اليسيرة في كل أحوالهم.

ومن هنا يأتي هذا البحث لبيان قيمة الزمن، والتبنيه إلى مكانته، انطلاقاً من النصوص القرآنية الغنية بالتوجيهات التي تبين قيمة الزمن وتتوه بشرفه وفضله. وذلك في محاولة للخروج من حالة الركود والتثاقل إلى حالة الحركة والفاعلية، وهذا لا يتأتى إلا من خلال الوعي التام بقيمة الزمن في الحياة الإنسانية.

المبحث الأول : مفهوم الزمن وأهميته

أولاً: مفهوم الزمن

الزمن في اللغة: اسم لقليل الوقت وكثيره. يقال: زمان وزمن، والجمع أزمان وأزمنة. ويقال: أزم الشيء أي طال عليه الزمن، وأزم بالمكان أقام به زماناً. ويقولون: لقيته ذات الزمين؛ فيراد بذلك تراخي المدة. والزمن والزمان لفظتان تحملان نفس المعنى، ولا فارق بينهما فهما تنتمي إلى مادة لغوية واحدة.

أما مفهوم الزمن في اصطلاح علماء المسلمين فهو مرتبط بمعناه اللغوي، فهو يعني: ساعات الليل والنهار، ويشمل ذلك الطويل من المدة والقصير منها . وبذلك عرفه الزركشي إذ يقول: "إن الزمان الحقيقي هو مرور الليل والنهار، أو مقدار حركة الفلك . ولا يخفى ما بين هذا المعنى والمعنى اللغوي من ارتباط وثيق . وبالنظر في القرآن الكريم، فإننا نجد أنه لم يستخدم مصطلح "الزمن" وإنما وردت فيه ألفاظ دالة على الزمن، ومن ذلك:

- الوقت. قال تعالى: { قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ } (1) { إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ } (2)

- الحين. قال تعالى: { أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ } (3)

(1) سورة الحجر الآية 37

(2) سورة الحجر الآية 38

(3) سورة هود الآية 5

- الدهر. قال تعالى: { هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا } (1)

أما في السنة النبوية، فإننا نجد هذا المصطلح قد ورد في أكثر من موضع، ومن ذلك:

- قوله صلى الله عليه وسلم: « إذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المؤمن تكذب » (2)

- وقوله صلى الله عليه وسلم: « يتقارب الزمان وينقص العمل، ويلقى الشح، ويكثر الهرج، قالوا: وما الهرج؟ قال: القتل، القتل » (3)

هذا إضافة إلى ورود المفردات الزمنية الأخرى كالدهر

(1) سورة الإنسان الآية 1

(2) رواه مسلم. انظر: مسلم: صحيح مسلم، كتاب الرؤيا، حديث رقم 2263، ج 4، ص 1415 .

(3) رواه البخاري. انظر: الصحيح مع الفتح، كتاب الأدب، باب رقم 39، حديث رقم 6037، ج 12، ص 72 .
والوقت ، ونحوها.

ولا بد من الإشارة هنا إلى وجود ارتباط وثيق بين مفهوم الزمن وبين دلالاته الفلسفية، ولذلك فإن قواميس اللغة، وكتب التاريخ والتفسير عندما تتحدث عن مفهوم الزمن، تتخذ مسارا فلسفيا مقصودا، بحيث يصعب بالتالي إدراك المعنى الأصلي للزمن بعيدا عن المذاهب الفلسفية. ونظرا لهذا الارتباط، فإني سأعرج - باختصار - على مفهوم الزمن في الفلسفة . فأفلاطون - على سبيل المثال - يرى أن الزمن حادث ومخلوق (1) . ويدل على أن هذا هو مذهبه في الزمن، قول أرسطو : إن الأقدمين جميعا ما عدا أفلاطون اعتقدوا أن الزمان قديم، أما هو، فقد جعله حادثا، إذ قال: إنه وجد مع السماء، وإن السماء حادثا (2) .
أما أرسطو فهو يرى أن الزمن فعل واحد، وشيء متصل، بسبب اتصال الحركة، وقد تصوره متصلا وعد الوقفات فيه وهما ؛

(1) العاتي، إبراهيم: الزمان في الفكر الإسلامي، ص 76. مترجم عن كتاب "طيماس" لأفلاطون .

(2) انظر: أكرم، يوسف تاريخ الفلسفة اليونانية، ص 87 .
لأن الحركة والزمان لا بداية لهما ولا نهاية (1) .

وإذا ما انتقلنا إلى الفلسفة الإسلامية، نجد أن بعض الفلاسفة المسلمين قد تأثروا بالفلسفة اليونانية، بينما حافظ الآخرون على هويتهم الإسلامية. فأبو العلاء المعري من الفريق الأول، يقول بأن الزمن أزلي أبدي، أي لا بداية لوجوده ولا نهاية، ونجد ذلك ماثلا في أشعاره، فهو يقول:

نزول كما زال أجدادنا ... ويبقى الزمان على ما نرى
نهار يضيء وليل يجيء ... ونجم يغور ونجم يرى (2)

بينما رفض الفريق الثاني من الفلاسفة المسلمين الانجرار وراء هذه الأقاويل، ووافقوا جمهور المسلمين في القول بحدوث الزمن ومخلوقيته، كما هو الأمر عند الغزالي والكندي وغيرهما (3) .

وعند إلقاء نظرة على أقوال الفلاسفة بشكل عام يتضح أن نظرتهم إلى الزمن هي نظرة عقلية تجريدية، خاضعة إلى نجاح العقل وفشله، وإلى إبداعه وتقصيره، مما جعلهم يدخلون في متهات عديدة، ويضطربون في أقوالهم على غير هدى، فيصيبون حيناً ويخطئون أحياناً.

(1) انظر: الألويسي، حسام الدين: "الزمن في الفكر الديني والفلسفي القديم" مجلة عالم الفكر، ص 476.

(2) المعري، أبو العلاء: اللزوميات، ص 79 .

(3) انظر: الغزالي: تهافت الفلاسفة، ص 56 . الطباع، عمر: الكندي فيلسوف العرب والإسلام، ص 193 .

ثانياً: قيمة الزمن

الزمن هو أنفس وأثمن ما يملك الإنسان، فهو الوعاء الحقيقي لكل عمل وإنتاج، وبقدر إفادة الإنسان من هذه النعمة التي أنعم الله بها عليه، بقدر ما يعود ذلك عليه وعلى مجتمعه بالنعمة والخير، سواء أكان ذلك في الدنيا أم في الآخرة ؛ ولذلك ينبغي على الإنسان أن يعرف شرف زمنه، وقدر وقته، فلا يضيع منه لحظة في غير قربة وطاعة، ويقدم الأفضل فالأفضل من القول والعمل. وما عمر الإنسان في حقيقته إلا مجموعة من الأيام، وكل يوم يمضي من هذه الأيام، وكل لحظة تمر لا يمكن استعادتها أو تعويضها. وفي ذلك يقول الحسن البصري رحمه الله: "يا ابن آدم، إنما أنت أيام، كلما ذهب يوم ذهب بعضك" (1) . ويقول: "ما من يوم ينشق فجره، إلا وينادي: يا ابن آدم، أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد، فتزود مني، فإني إذا مضيت لا أعود إلى يوم القيامة" (2) . وما أجمل قول الشاعر:

دقات قلب المرء قائمة له ... إن الحياة دقائق وثواني (3)

(1) انظر الخبر في: الأصفهاني: حلية الأولياء ج 2، ص 148 .

(2) انظر: المرجع السابق، ج 2، ص 147 .

(3) البيت لأحمد شوقي، قاله في رثاء مصطفى كامل. انظر: شوقي، أحمد:

الموسوعة الشريفة، ج 5، ص 356 .

ومع أن الزمن على هذه الدرجة من الأهمية، إلا أنه ينقضي بسرعة، ويسهل ضياعه، فهو يمر مر السحاب، ويجري جري الرياح، سواء أكان زمن مسرة وفرح، أم زمن اكتئاب وترح، وإن كانت أيام السورور تمر أسرع، وأيام الهموم تسير ببطء وتثاقل، لا في الحقيقة ولكن في شعور صاحبها. وفي ذلك يقول الشاعر:

والوقت أنفس ما عنيت بحفظه ... وأراه أسهل ما عليك يضيع

يقول ابن القيم في الحديث عن منزلة الغيرة: "ومنها (1) الغيرة على وقت فات، فإن الوقت أبي الجانب، بطيء الرجوع، فالوقت أعز شيء على العابد، يغار عليه أن ينقضي بدون ذلك (2) ، فإذا فاته الوقت لا يمكن استدراكه البتة؛ لأن الوقت الثاني قد استحق واجبه الخاص... فالوقت منقض بذاته، منصرف بنفسه، فمن غفل عن نفسه تصرمت أوقاته، وعظم فواته، واشتدت حسراته، فكيف حاله إذا علم عند تحقق الفوت مقدار ما أضاع، فطلب الرجعى، فحيل بينه وبين الاسترجاع، وطلب تناول الفائت، وكيف يرد الأمس في اليوم الجديد (3) .

(1) أي من درجات الغيرة .

(2) أي بدون عبادة .

(3) ابن القيم: مدارج السالكين، ج 2، ص 840، 841 .

وقد كان السلف الأصالح، ومن سار على نهجهم من الخلف، أحرص الناس على كسب الزمن، والإفادة منه في الخير، فقد كانوا ينافسون الزمان، يسابقون الساعات، ويبادرون اللحظات، حرصاً منهم على الزمن، وعلى ألا يذهب منهم هدراً. والأمثلة على ذلك كثيرة جداً، نذكر فيما يلي بعضها منها:

نقل عن عامر بن عبد قيس أن رجلا قال له: كلمني، فقال له: أمسك الشمس (1) . يعني أوقف لي الشمس واحبسها عن المسير حتى أكلمك، فإن الزمن دائب المضي، لا يعود بعد مروره، ففسلرته لا يمكن استدراكها؛ لأن لكل زمن ما يملأه من العمل. وكان الواحد منهم يحفظ كل لحظة من زمنه حتى في حال النزاع. نقل في ذلك عن ثابت البناني أنه قال: ذهبت ألقت أبي، فقال: يا بني دعني، فإني في وردي السادس (2) . كما يروي الفقيه أبو الحسن الولوالجي، أنه دخل على أبي الريحان البيروني، وقد حشرج نفسه، وضاق به صدره، فقال لي في تلك الحال: كيف قلت لي يوما حساب الجدات الفاسدات فقلت له إشفاقا عليه: أفي هذه

(1) انظر الخبر في: ابن الجوزي: صيد الخاطر، ص 18 .

(2) انظر الخبر في: أبو نعيم الأصفهاني: حلية الأولياء، ج 2، ص 322 .

الحالة؟ قال لي: يا هذا أودع الدنيا وأنا عالم بهذه المسألة، ألا يكون خيرا من أن أخليها وأنا جاهل بها فأعدت ذلك عليه، فدفظ، وعلمني ما وعد، وخرجت من عنده، وبينما أنا في الطريق سمعت الصراخ عليه (1) .

ولقد كان أمثال هؤلاء يحسنون المحافظة على كل لحظة من وقتهم، حتى أن أحدهم كان يستحي من سواد الليل وظلمته، إذا مرت عليه ليال وأيام لم يقيم فيها لله ركعتين. وفي ذلك يقول الفضيل بن عياض رحمه الله: "أدركت أقواما يستحون من الله في سواد الليل من طول الهجعة، إنما هو على الجنب فإذا تحرك قال: ليس هذا لك، قومي خذي حظك من الآخرة" (2) .

وهاهو الإمام ابن الجوزي - رحمه الله - يصف لنا حال الناس كيف يضيعون أزمانهم في الزيارات والحديث الذي لا طائل من ورائه، ويبين لنا كيف كان يصنع إذا زاره بعض البطالين لئلا يذهب الزمان فارغا دون فائدة ترجى، فيقول رحمه الله:

"لقد رأيت خلقا كثيرا يجرون معي فيما قد اعتاده الناس من كثرة الزيارة، ويسمون ذلك التردد خدمة، ويطيلون الجلوس، ويجرون فيه أحاديث الناس وما لا يعني، ويتخلله غيبة. وهذا شيء

(1) انظر القصة في: الحموي، ياقوت: معجم الأديباء، ج 5، ص (123، 124) .

(2) ابن الجوزي: صفة الصفوة، ج 2، ص 241 .

يفعله في زماننا كثير من الناس، وربما طلبه المزور وتشوق إليه، واستوحش من الوحدة، وخصوصا في أيام التهاني والأعياد، فنراهم يمشي بعضهم إلى بعض، ولا يقتصرون على الهناء والسلام، بل يمزجون ذلك بما ذكرته من تضييع الزمان. فلما رأيت أن الزمان أشرف شيء، والواجب انتهازه بفعل الخير، كرهت ذلك وبقيت معهم بين أمرين: إن أنكرت عليهم، وقعت وحشة لموضع قطع المؤلف، وإن تقبلته منهم، ضاع الزمان، فصرت أدافع اللقاء جهدي، فإذا غلبت قصرت في الكلام لأتعجل الفراق، ثم أعددت أعمالا لا تمنع من المحادثة لأوقات لقائهم، لئلا يمضي الزمان فارغا. فجعلت من المستعد للقائهم قطع الكاغد (1) ، وبري الأقلام، وحزم الدفاتر، فإن هذه الأشياء لا بد منها، ولا تحتاج إلى فكر وحضور قلب، فأرصدتها لأوقات زيارتهم، لئلا يضيع شيء من وقتي. (2) وإذا علمنا أن ذلك مبلغ حرصه على الزمن، والإفادة من كل جزء منه في القراءة والتصنيف، لم نستغرب قوله: "وإني أخبر عن حالي، ما أشبع من مطالعة الكتب، وإذا رأيت كتابا لم أره فكأنني وقعت على كنز.. ولو قلت: إني قد طالعت عشرين ألف مجلد

(1) الكاغد: هو القرطاس أو الورق. انظر: الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ج 1، ص 333 .

(2) ابن الجوزي: صيد الخاطر، ص 184، 185 .

كان أكثر، وأنا بعد في الطلب، فاستفدت بالنظر فيها من ملاحظة سير القوم، وقدر همهم، وحفظهم، وعباداتهم، وغرائب علومهم، ما لا يعرفه من لم يطالع، فصرت أستزري ما الناس فيه، وأحتقر هم الطلاب، والله الحمد (1) .

وهناك من الخلف من سار على نهج السلف القويم وأدرك قيمة الزمن الذي يعيشه. فهذا هو الإمام حسن البنا - رحمه الله - يدرك قيمة الزمن، ويستغرب من أناس يضيعون أوقاتهم دونما فائدة ترجى، وفي ذلك يقول:

"ليس يعلم أحد إلا الله كم من الليالي كنا نقضيها نستعرض حال الأمة وما وصلت إليه في مختلف مظاهر حياتها، ونحلل العلل والأدواء، ونفكر في العلاج وحسم الداء، ويفيض بنا التأثر لما وصلنا إليه إلى حد البكاء. وكم كنا نعجب إذ نرى أنفسنا في مثل هذه المشغلة النفسانية العنيفة والخليون هاجعون يتسكعون بين المقاهي ويترددون على أندية الفساد والإتلاف. فإذا سألت أحدهم عما يحمله على هذه الجاسة الفارغة المملة، قال لك: أقتل الوقت، وما درى هذا المسكين أن من يقتل وقته إنما يقتل نفسه، فإنما الوقت هو الحياة " (2) .

(1) المرجع السابق، ص 337، 338 .

(2) البناء، حسن: مجموعة الرسائل، ص 169 .

إلى غير ذلك من النماذج الرائعة التي يظهر فيها حرص القوم على كل لحظة من لحظات الزمن. ولا غرابة في ذلك، فإنهم ذاقوا طعم القرآن وحلاوته، فحرصوا على وقتهم. فحري بنا أن نقندي بتلك الكوكبة، ونسير على خطاهم، ونعدهم قدوة لأبناء هذا العصور، الذين شغلى الكثير منهم باللهو والترف عن جلائل الأمور، والذين ضيعوا كثيرا من أوقاتهم فيما لا يعود عليهم وعلى مجتمعاتهم بالفائدة والخير.

ثالثا: عناية القرآن الكريم بالزمن

عني القرآن الكريم بالزمن عناية فائقة، وجاءت عنايته بالزمن من وجوه، أهمها:

1 - اعتبار الزمن من النعم العظيمة

يقول الله سبحانه في معرض الامتتان، وبيان عظيم فضله على الإنسان: { وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } (1) فالليل والنهار نعمة جليلة أنعم الله تعالى بها على الإنسان، وهي

(1) سورة النحل الآية 12

نعمة ذات أثر حاسم في حياة هذا المخلوق البشري، ولا يمكن لنا أن نتصور في هذه الأرض حياة للإنسان لو كانت الدنيا نهارا بلا ليل، أو ليلا بلا نهار.

ويقول سبحانه في موضع آخر، في سياق تعداد نعمه على الإنسان: { وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ } (1) { وَأَتَاكُم مِّنْ كُلِّ مَآ سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ } (2) .

فالليل والنهار مسخران "وفق حاجة الإنسان وتركيبه، وما يناسب نشاطه وراحته. ولو كان نهار دائم أو ليل دائم لفسد جهاز هذا الإنسان ؛ فضلا عن فساد ما حوله كله، وتعذر حياته ونشاطه، وإنتاجه" (3) .

2 - اعتباره من الآيات الدالة على وجود الله.

ومما يدل على أهمية الزمن في القرآن، وعناية القرآن الكريم به، أن الله سبحانه وتعالى جعل الليل والنهار وتعاقبهما واختلافهما في الطول والقصر من الآيات الدالة على وجوده، فقال في ذلك: { وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ لِّمَن يَفْحَوْذَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّمَن يَبْتَغُوا فَضْلًا مِّنْ رَبِّكُم وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَلَّنَاهُ تَفْصِيلًا } (4) فالليل والنهار آيتان دالتان على وجود

(1) سورة إبراهيم الآية 33

(2) سورة إبراهيم الآية 34

(3) قطب، سيد : في ظلال القرآن، ج 4، ص 2108 .

(4) سورة الإسراء الآية 12

الصانع، وعظيم القدرة؛ لأنه لا بد لكل متغير من مغير. وهو سبحانه لم يجعل الليل والنهار على هذه الصورة- بحيث يخلف أحدهما الآخر- عبثا، وإنما جعلهما كذلك لمن أراد أن يتذكر أي "لينظر في اختلافهما الناظر، فيعلم أن لا بد لانتقالهما من حال إلى حال، وتغيرهما من ناقل ومغير" (1) كما يلاحظ في الآية الكريمة تخصيص الليل والنهار بأنهما آيتان دون غيرهما من الوحدات الزمنية. وفي ذلك لطيفة قرآنية نلمح من خلالها الإشارة إلى أن الليل والنهار هما بمثابة المحور الذي تشد إليه وتقاس بالنسبة له كل الوحدات الزمنية، سواء تلك التي تقل عنه ابتداء من الثانية، أو تلك التي تزيد عنه إلى ما شاء الله تعالى من السنين والقرون، فما الثانية

إلا جزء من الليل والنهار، والسنة إلا مجموعة من الأيام، والقرن إلا مجموعة من السنين (2) .

3 - الإشارات القرآنية إلى قيمة الزمن

وفي القرآن الكريم إشارات لطيفة إلى قيمة الزمن وأهميته في حياة الإنسان، وحض على الاستفادة منه بعيدا عن الغفلة

(1) انظر: الزمخشري: الكشاف، ج 3، ص 282 .

(2) انظر: باجودة، حسن: تأملات في سورة الإسراء، ص 84 .

والتسوية، وما كلمات "استبقوا" و"سارعوا" ونحوها إلا تأكيد لهذه المعاني.

قال تعالى: { وَلِكُلِّ وِجْهَةً هُوَ مُوَلِّيُّهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (1) وأصل السبق: هو التقدم في السير. والمراد منه هنا المعنى المجازي، وهو الحرص على مصادفة الخير والإكثار منه، خشية هادم اللذات، وفجأة الفوات (2) .

وقال تعالى: { وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ } (3) والمسارعة: هي المبادرة أي الحرص والمنافسة في عمل الطاعات التي هي سبب المغفرة ودخول الجنة، حتى لكان كل واحد من الناس يسرع ليصل قبل غيره (4) .

وفي لفظتي "استبقوا" و"سارعوا" ما يشير إلى قيمة الزمن ؛ فالعمر قصير، ولا يكفي المؤمن -إذا أراد الدرجات العلى- أن يفعل الخيرات وهو متراخ في ذلك، بل لا بد من الاستباق في الخير والمسارعة إلى المغفرة، بمعنى: أن يستغل كل لحظة من وقته للسير في

(1) سورة البقرة الآية 148

(2) انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 2، ص 43 .

(3) سورة آل عمران الآية 133

(4) انظر: ابن عطية: المحرر الوجيز، ج 1، ص 507. ابن عاشور: التحرير والتنوير، 4، ص 88 .

الطريق الموصلة إلى جنة عرضها السماوات والأرض، وكأنه في صراع حقيقي مع الزمن.

4 - الدعوة إلى استثمار الزمن في الخير

من منهج القرآن الكريم في العناية بالزمن، الدعوة إلى الحرص عليه، والعمل على استثماره والإفادة منه، وتسخيره دائماً في الخير، ويبرز القرآن الكريم هذه القضية في صور عديدة ومناسبات شتى.

فحينما يبين أن نهاية هذه الحياة إنما هو الموت سواء طال أم قصرت، فإنه يوجه نحو استثمار هذه الحياة في الخير؛ لأنها ليست نهاية المطاف، وإنما بعدها حياة أخرى هي خير وأبقى، يقول سبحانه: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ } (1) { وَأَنْفَقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ وَأَكُنُ مِنَ الصَّالِحِينَ } (2) .

وللتدليل على قصر هذه الحياة الدنيا وأهمية استثمارها والإفادة منها، يصورها القرآن الكريم بالنبات الذي يخضر بنزول الغيث، ثم ما يلبث بعد وجيزة من الزمن أن يصفر ويموت. يقول تعالى: { اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرَامُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ } (3) .

(1) سورة المنافقون الآية 9

(2) سورة المنافقون الآية 10

(3) سورة الحديد الآية 20

لذا يذبه القرآن على ضرورة استثمار هذا الوقت القصير في عمل الخير الذي لن يفيد الإنسان غيره، ولن يبقى معه في قبره سواه، فضلا عن سؤاله وحسابه عن تضييع هذا الوقت، و«ما صنعه فيه» (1) .

ويعرض القرآن الكريم لنا نماذج لهؤلاء الذين يستغلون وقتهم على أتم وجه ليكون لنا الاقتداء بهم، { الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } (2) فهم يستغرقون كل زمانهم في ذكر الله عز وجل والتفكير في خلقه. نستنتج مما سبق أن القرآن الكريم نوه بشرف الزمن وفضله، وفي هذا ما يدعونا إلى ضرورة تقدره بقدره؛ لأن ذلك يساعد على الفلاح وبهم للنجاح، وعلى العكس تماما، فإن إغفال الزمن وعدم إعطائه الأهمية اللازمة، فيه تقريط بهذه النعمة، وتحقيق لتعاسة الإنسان.

(1) انظر: غنايم، محمد "منهج الإسلام في العناية بالزمن"، مجلة الجندي المسلم، ص 17 .

(2) سورة آل عمران الآية 191

المبحث الثاني: القسم بالزمن في القرآن الكريم

مما يدل على عظيم أهمية الزمن في القرآن الكريم، قسم الله سبحانه وتعالى به، فهو سبحانه قد أقسم بعدة أمور في كتابه

الكريم، ولا شك أن الله لا يقسم بشيء إلا إذا كان هذا الشيء عظيما، فقد أقسم سبحانه بنفسه، وبالقرآن (1)، ونحو ذلك من الأمور العظيمة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم.

وأقسم القرآن بالزمن سواء بذاته أو بأجزائه، وفي ذلك تنبيه على أنه آية كبرى من آيات الله، وتنبيه على عظم نفعه ووجوب استغلاله، والإفادة من كل أجزائه .

ففي القسم بالزمن قال الله تعالى: { وَالْعَصْرِ } (2) { إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ } (3)، كما أقسم سبحانه بأجزاء الزمان وهي: الفجر، والصبح، والضحى، والشفق، والنهار، والليل، والليالي العشر، ويوم القيامة، والعمر، على ما سألناه بعد قليل إن شاء الله.

وفي القسم بهذه الوحدات الزمنية تنبيه على الاعتبار بها في الاستدلال على حكمة نظام الله في هذا الكون وبديع قدرته (4) .

(1) قال تعالى: {ق والقرءان المجيد} سورة ق، الآية 1 .

(2) سورة العصر الآية 1

(3) سورة العصر الآية 2

(4) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 30، ص 387 .

ولهذا سلك طائفة من العلماء طريق الاستدلال بالزمن على الصانع، وهو كما يقول

ابن القيم : "استدلال صحيح قد نبه عليه القرآن في غير موضع (1) .

ومما يدل على ذلك إلقاء نظرة على السور القرآنية التي أقسم الله فيها بالزمن

ووحداته، عندها سنجد أنها سور مكية، والسور المكية -كما نعلم- تركز على

العقيدة بشكل خاص، ومن ذلك الاستدلال على وجود الخالق، ومن هنا جاء القسم

بالزمن في السور المكية من أجل لفت الأنظار إليه باعتباره دليلاً واضحاً، وبرهاناً

قاطعاً، على وجود الخالق، وعلى بديع حكمته سبحانه في هذا الكون.

وأستعرض فيما يلي المواضع إلى أقسم فيها سبحانه بالزمن وأجزائه في القرآن

الكريم :

(1) ابن القيم: التبيان في أقسام القرآن، ص 40 .

أولاً: القسم بالعصر

أقسم سبحانه وتعالى بالعصر في السورة التي سميت باسمه، فقال: { وَالْعَصْرِ } (

1) { إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ } (2) { إِيَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا

بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ } (3) هذه السورة وبالرغم من قلة عدد كلماتها، إلا أنها

تمثل منهاجاً كاملاً

(1) سورة العصر الآية 1

(2) سورة العصر الآية 2

(3) سورة العصر الآية 3

للحياة البشرية كما يريد الإسلام.

واختلف المفسرون في معنى " العصر " المقسم به في السورة على أقوال :
الأول: أنه الدهر أو الزمن، قال الراغب : " والعصر والعصر: الدهر، والجمع: العصور " ، ومثل على أن العصر معناه الدهر بسورة العصر (1) . وقال ابن كثير : "العصر: الزمان الذي يقع فيه حركات بني آدم من خير وشر" (2) .
الثاني: أنه أقسم بزمان الرسول صلى الله عليه وسلم، أو بزمان الرسالة، فيكون المقسم به هو العصر الذي فيه هذا الرسول أو هذه الرسالة لشرفه.
الثالث: أن المراد به صلاة العصر أو وقتها، أقسم سبحانه بها لفضلها، وقيل: هي المرادة بالصلاة الوسطى في قوله تعالى: { حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ } (3) .

الرابع: أن العصر هو أحد طرفي النهار.
والراجع مما سبق - كما يبدو لي - أن يكون المراد بالعصر

(1) الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، ص 569 .

(2) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج 4، ص 582.

(3) سورة البقرة الآية 238

هو الزمن كله، وصرح ابن القيم بأن ذلك هو قول المفسرين (1) . وهذا المعنى معروف في شعر العرب، ومنه قول العجاج :

والعصر قبل هذه العصور ... مجرسات غرة الغرير (2)

ثم إن لفظ (العصر) عام، وليس هناك ما يخص ما شمله هذا الاسم من المعاني، فإذا قلت بأنه الزمن ؛ فذلك يشمل صلاة العصر ووقتها، وعصر الرسول والرسالة، وطرفي النهار، فيكون القسم به على عمومه داخل فيه هذه الأمور، فالأولى إذا حمل اللفظ على عمومه.

وعلى هذا يكون سر قسمه سبحانه بالعصر أو الزمن، نابع من العبرة والآية في هذا الزمن، والمتمثلة في مرور الليل والنهار، وتعاقبهما، على هذا الترتيب الدقيق،

والنظام المحكم، واعتدلهما تارة، وأخذ أحدهما من صاحبه تارة أخرى، واختلافهما في الضوء والظلام، والحر والبرد، وانتشار الحيوان وسكونه، ثم إن انقسام الزمن إلى القرون والسنين والأشهر والأيام والساعات ودونها، آية من آيات الله تعالى، وبرهان من براهين قدرته وحكمته (3) .

(1) ابن القيم: التبيان في أقسام القرآن، ص 114 .

(2) العجاج: ديوان العجاج، ص 223. مجرسات: مجربات. انظر: تحقيق عزة حسن لديوان العجاج، ص 223 .

(3) انظر: ابن القيم: التبيان في أقسام القرآن، ص 114، 115 .

ثانيا: القسم بالفجر

كما أقسم سبحانه بالفجر في السورة التي سميت باسمه كذلك،

فقال: { وَالْفَجْرِ } (1) { وَلَيَالٍ عَشْرٍ } (2) والفجر في اللغة: هو شق الشيء شقا واسعا، ومنه قيل للصبح فجر لكونه فجر الليل (3) واختلف في تحديد المراد بالفجر هنا :

- فقيل: هو الصبح أو الفجر المعروف. وسمي فجرا لكونه وقت انفجار الظلمة عن النهار من كل يوم.

- وقيل: أريد به فجر مخصوص، وهو فجر يوم النحر. وهو أفضل الأيام عند الله كما جاء في الحديث: « أفضل الأيام عند الله يوم النحر » (4) ، أو فجر ذي الحجة؛ لأن الله قرن الأيام به فقال: { وَلَيَالٍ عَشْرٍ } (5) .

- وقيل: عنى بالفجر العيون التي تنفجر منها المياه، وفيها حياة الخلق. وهذا القول مبني على أصل المعنى اللغوي، وهو ضعيف؛ إذ لا دليل عليه.

والذي أراه راجحا من هذه الأقوال هو المعنى الأول؟ أي أن

(1) سورة الفجر الآية 1

(2) سورة الفجر الآية 2

(3) الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، ص 562 .

(4) رواه البيهقي. انظر: البيهقي: سنن البيهقي الكبرى، حديث رقم 994، ج 5، ص 237 .

(5) سورة الفجر الآية 2

الفجر هو الصبح المعروف لدينا، وهذا المعنى أولى بالاعتبار؛ لأنه يشمل فجر يوم النحر، وفجر ذي الحجة، وصلاة الفجر، فالأولى حمل اللفظ على عمومه لعدم وجود مخصص.

يدل على ذلك تعريف (الفجر) ففي ذلك -كما يقول ابن القيم -: "ما يدل على شهرته وأنه الفجر الذي يعرفه كل واحد ولا يجله" (1) .
وأما السر في القسم بالفجر فهو ما يحصل في انقضاء الليل، وظهور الضوء، وانتشار الناس وسائر الحيوانات من الطير والوحوش في طلب الأرزاق، من مشاكلة نشور الموتى من قبورهم، وفي ذلك عبرة لمن تأمل (2) .

(1) ابن القيم: التبيان في أقسام القرآن، ص 54 .

(2) انظر: الرازي: التفسير الكبير، ج 11، ص 148 .

ثالثاً: القسم بالصبح

أقسم الله سبحانه بالصبح في موضعين، الأول هو قوله تعالى: { وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ } (1) ، والثاني قوله: { وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ } (2) .
ويلحظ فيهما أن القسم بالصبح جاء مقيداً بحال إسفاره

(1) سورة المدثر الآية 34

(2) سورة التكوير الآية 18

وحال تنفسه. فما المراد بهذين القيدتين وما سر التقييد بهما؟

قال ابن فارس: "السين والفاء والراء أصل واحد يدل على الانكشاف والجلاء".
ومن ذلك السفر سمي بذلك؛ لأن الناس ينكشفون عن أماكنهم، أو لأنه يسفر عن وجوه المسافرين وأخلاقهم، فيظهر ما كان خافياً منها. ومنه قوله تعالى: { وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ } (1) بمعنى أضاء وانكشف الظلام (2) .

أما التنفس فهو في الحقيقة خروج النفس من الحيوان والإنسان، ولكنه استعير هنا لظهور الضياء من خلال الظلام، على تشبيه خروج الضياء بخروج النفس، على طريق الاستعارة المصوحة. أو لأنه إذا بدا الصباح أقبل معه نسيم فجعل ذلك كالتنفس له على طريق الاستعارة المكنية؛ بتشبيه الصبح بذئ نفس، مع تشبيه النسيم بالأنفاس (3).

وأما الحكمة من القسم بالصبح فهي ما أشرت إليه آذا في "القسم بالفجر" من مشابهة خروج الضوء من الظلام، بالنشور بعد الموت.

(1) سورة المدثر الآية 34

(2) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، مادة (سفر)، ج 3، ص 82.

(3) الزمخشري: الكشاف، ج 4، ص 697. ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 30، ص 154.

رابعاً: القسم بالضحى

يقال في اللغة: الضحو والضحو والضحية، وتعني: ارتفاع

النهار. ويطلق الضحى ويراد به الوقت من طلوع الشمس إلى أن يرتفع النهار وتبيض الشمس (1).

وأقسم سبحانه وتعالى به فقال: { وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا } (2) وقال: { وَالضُّحَى } (3) ، ولأهل التفسير في المراد بالضحى في قوله: ({ وَالضُّحَى } (4)) (5) وجهان (6) :

الأول: أن المراد به وقت الضحى، والذي يمتد من طلوع الشمس إلى ارتفاع النهار كما أشرت سابقاً.

الثاني: أنه يعني النهار كله. واحتج أصحاب هذا الوجه بأن الضحى جعل في مقابلة الليل كله.

والصحيح هو المعنى الأول، وهو ما يراه الأكثرون على ما ذكره النيسابوري في "غرائب القرآن" (7).

أما القول بأنه يعني النهار كله، فغير وجيه. والاحتجاج على

(1) ابن منظور: لسان العرب، مادة (ضحا)، ج 14، ص 474، 475 .

(2) سورة الشمس الآية 1

(3) سورة الضحى الآية 1

(4) سورة الضحى الآية 1

(5) انظرهما في: الطبري: جامع البيان، ج 30، ص 273. الرازي: التفسير الكبير، ج 11، ص 190 .

(6) انظرهما في الطبري: جامع البيان، ج 30، ص 273، الرازي: التفسير الكبير، ج 11، ص 190 .

(7) انظر: النيسابوري: غرائب القرآن، ج 6، ص 514 .

ذلك بأنه جعل في مقابلة الليل كله لا يصح، وذلك لأنه إنما جعل في مقابلة الليل في حال سجوه ؛ أي في حال استقرار الظلام وسكون الليل والناس فيه، ولا ريب أن سجو الليل هو جزء من الليل لا كله، فهو بمنزلة الضحى من النهار. ويمكن الاستئناس في ذلك بوقت صلاة الضحى، فإن وقتها لا يكون بعد الزوال، مما يؤكد ضعف القول بأن الضحى يمتد ليشمل النهار كله.

أما قوله: { وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا } (1) ، فمن المفسرين من قال بأن ضحاها هو ضوءها. وقال بعضهم: حرها. وقال آخرون: النهار كله .

والذي أراه راجحاً أن يكون المقسم به هو وقت الضحى كذلك. أما القول بأن المراد به النهار كله، فقد بينت ضعفه. وأما القول بأن "ضحاها" يعني: ضوءها أو حرها، فهما أمران متلازمان، فمتى اشتد حرها، فقد اشتد ضوءها وبالعكس. وهذان المعنيان موجودان في وقت الضحى، حيث ضوء الشمس وحرها، فيكون ما ذهب إليه هو الأولى.

أما مناسبة القسم بالضحى في هذا السياق، فيظهر فيها رونقا

(1) سورة الشمس الآية 1

في الأسلوب وجلالة في المعنى؛ لأن في ذلك مطابقة بين نور الضحى ونور الوحي، فنور الضحى جاء بعد ظلام الليل، ونور الوحي جاء بعد احتباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قال أعداؤه: قلى محمدا ربه، فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل، على ضوء الوحي ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه، ثم إن فالق ظلمة الليل بضوء النهار، هو الذي فلق ظلمة الجهل والشرك بنور الوحي والنبوة (1) .

(1) انظر: ابن القيم، التبيان في أقسام القرآن، ص 100 .

خامسا: القسم بالشفق

قال سبحانه في القسم بالشفق: { فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ } (1) ، ويلحظ هنا أن القسم جاء بصورة مختلفة، حيث سبقه حرف (لا). فكيف يكون المعنى على هذا النظم؟ قيل: إن لا في السياق الزائدة (2) . والصحيح هو الوقوف ضد القول بزيادة أي حرف في كتاب الله سبحانه وتعالى؛ لأن ذلك مغل باعجاز هذا الكتاب، وباب للطعن فيه جملة وتفصيلا.

وقيل بأنها نافية. والذين قالوا ذلك، ذهب بعضهم إلى أنها

(1) سورة الانشقاق الآية 16

(2) انظر: الكلبي: التسهيل في علوم التنزيل، ج 4، ص 163. المحلى والسيوطي: تفسير الجلالين، ص 589.

نافية لكلام محذوف؟ كأنه قال: ليس الأمر كذلك، ثم قال: أقسم (1) . وذهب بعضهم إلى أنها نافية للقسم نفسه، وذلك على أن المطلوب أجل وأوضح من أن نحاول إثباته بالقسم (2) .

وقيل: إن (لا) أصلها لام الابتداء، وأشبع فتحتها (3) .

والقول الآخر هو الذي رجحه الدكتور فضل عباس (4) ، وهو ما اختاره وأرجحه، وذلك:

- 1 - لأن هذه قراءة سبعية. كما في قراءة ابن كثير لقوله تعالى: { لَأُقَسِّمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ } (5) فقد قرأها بغير ألف: {لأقسم بيوم القيامة} (6) .
- 2 - ثم إنه في كلام العرب ما يشهد لإشباع لام الابتداء. ومن ذلك قول عنتره :
ينباع من ذفري غضوب جصرة ... زيافة مثل الفنيق المكدم

(1) انظر: ابن فارس: الصحابي في فقه اللغة، ص 170 الشنقيطي: أضواء البيان، 8، ص 634 .

(2) الرازي: التفسير الكبير، ج 15، ص 720 .

(3) الشنقيطي: أضواء البيان، ج 8، ص 634 .

(4) عباس، فضل: لطائف المنان، ص 244 .

(5) سورة القيامة الآية 1

(6) انظر: ابن خالويه: الحجة في القراءات السبع، ص 356 .

قوله: ينباع، من نبع ينبع، ثم أشبعت الفتحة فصارت ألفا.

والشفق: هو الحمرة التي تكون في الأفق وقت الغروب. قال الراغب: " الشفق

اختلاط ضوء النهار بسواد الليل عند غروب الشمس " (1) .

والقول بأن الشفق يعني الحمرة، هو قول عامة الفقهاء، وبزواله يخرج وقت

المغرب، ويدخل وقت العشاء. إلا ما روي عن أبي حنيفة -رحمه الله- في إحدى

الروايتين أنه البياض، وروى أسد بن عمرو أنه رجع عنه (2) وأصل الشفق في

اللاغة أنه يدل على رقة في الشيء. ومنه الشفق على الإنسان بمعنى رقة القلب

عليه. والشفق من الثياب: الرقيق والرديء منها (3) .

أما تسمية الحمرة شققا فلأن الضوء يأخذ في الرقة والضعف عند مغيب الشمس

إلى أن يستولي سواد الليل على الآفاق كلها (4) .

(1) الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، ص 458 .

(2) الزمخشري: الكشاف، ج 4، ص 714 .

(3) ابن منظور: لسان العرب، مادة (شفق)، ج 10، ص 180 الزمخشري:
الكشاف، ج 4، ص 714 .

(4) الرازي: التفسير الكبير، ج 11، ص 101 البرسومي: روح البيان، ج 10 ،
ص 380 .

وأما حكمة القسم به فهي: أن في ذكر الشفق إيماء إلى أنه يشبه حالة انتهاء الدنيا؛
لأن غروب الشمس مثل الموت (1) .

(1) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 30، ص 226 .

سادسا: القسم بالنهار

وأقسم سبحانه بالنهار في موضعين من كتابه الكريم، الأول في سورة الشمس ؛
فقال: { وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى } (1) والثاني في سورة الليل فقال: { وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى }
(2) .

قوله: "تجلى" بمعنى ظهر وبان، نقول: تجلى الشيء بمعنى انكشف، ومنه الجلي:
وهو الواضح (3) .

والضمير المؤنث في قوله: "جلاها" ظاهره أنه عائد على الشمس، بمعنى أن
الشمس تظهر وتتجلي إذا انبسط النهار. وعليه، فإن إسناد "جلي" إلى ضمير النهار
من قبيل إسناد الفعل إلى زمانه، وذلك لأن ظهور الشمس يقع زمن انبساط النهار،
وليس الانبساط هو المجلي لها (4) .

وقيل بأن الضمير المؤنث يعود على الأرض. وقيل: على

(1) سورة الشمس الآية 3

(2) سورة الليل الآية 2

(3) رضا، أحمد: معجم متن اللغة، مادة (جلي)، ص 562 .

(4) انظر: الألوسي: روح المعاني، ج 30، ص 141 .

الدنيا. وقيل: يعود على الظلمة (1) .

والقول بأنه عائد على الشمس هو الأولى بالاعتبار وذلك لأن سياق الآيات في السورة: { وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا } (2) { وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا } (3) { وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا } (4) .

ويلحظ في كلا الموضعين اللذين أقسم الله فيهما بالنهار، أن القسم بالنهار جاء مقرونا بحال التجلي وذلك كما قال ابن عاشور: "إدماجاً للمنة في القسم" (5) فالله سبحانه أقسم بالنهار في زمن تجليته حيث ينكشف ما كان مستورا بظلمة الليل، فيتحرك الناس لمعاشهم، وتخرج الطيور من أوكارها، والهوام من مكانها (6) . وهناك ملاحظة أخرى حري بنا أن نقف عندها، وهي: أن القسم بالنهار في سورة الليل، جاء بعد القسم بالليل: { وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى } (7) { وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى } (8) ، بينما في سورة الشمس جاء القسم

(1) انظر: المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة. الطباطبائي: الميزان في تفسير

القرآن، ج 20، ص 296 .

(2) سورة الشمس الآية 1

(3) سورة الشمس الآية 2

(4) سورة الشمس الآية 3

(5) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 30، ص 367.

(6) انظر: الرازي: التفسير الكبير، ج 11، ص 188. الصاوي: حاشية الصاوي

على الجلايين، ج 4، ص 323 .

(7) سورة الليل الآية 1

(8) سورة الليل الآية 2

بالنهار أولاً: { وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا } (1) { وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا } (2) ، فما الحكمة من ذلك؟

يستحيل بأي حال أن يأتي حرف واحد في هذا الكتاب المعجز في غير موقعه اللائق به، وإنه ليلمس في هذا التقديم والتأخير لطيفة، هي من بدائع هذا القرآن العظيم، وهي: أن سورة الليل نزلت قبل سورة الشمس بمدة، حيث كان الكفر

مخيما على الناس إلا القليل منهم، وكان الإسلام قد أخذ في التجلي، فناسب تلك الحالة، تمثيلها بحالة الليل حين يعقبه ظهور النهار (3) .
كما يلاحظ في هذا الموضع، أن القسم بالليل في وقت غشيانه، جيء فيه بصيغة المضارع ؛ وذلك لأنه يغشى شيئا فشيئا. أما النهار، فإنه جيء فيه بصيغة الماضي وذلك لأنه إذا طلعت الشمس ظهر وتجلي مرة واحدة (4) .

(1) سورة الشمس الآية 3

(2) سورة الشمس الآية 4

(3) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 35، ص 367 .

(4) ابن القيم: التبيان في أقسام القرآن ص 81 .

سابعاً: القسم بالليل

أما الليل، فقد أقسم الله تعالى به في عدة مواضع، وكان القسم به مقرونا بعدة أحوال، وذلك على النحو الآتي:

1 - القسم بالليل في حالة إدباره. قال تعالى: { وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ } (1)

(1) سورة المدثر الآية 33

والدبر والدبر في اللغة نقيض القبل، ودبر كل شيء عقبه ومؤخره (1) .، وعليه، فإن إدبار الليل يكون مقابل إقباله، وقوله: "إذ أدبر" يعني أن الليل انقلب راجعا من حيث جاء، فأنكشف ظلامه، وزال الجهل والريب والشك بانكشافه (2) .

2 - القسم به في حال العسعة. قال تعالى: { وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ } (3) .

قوله: { عَسَسَ } (4) بمعنى: أقبل وأدبر، وذلك في مبدأ الليل ومنتهاه، فهو من الأضداد. والعسعة والعساس: رقة الظلام، وذلك في طرفي الليل (5) . وقال بعضهم: إنه ليس من الأضداد، ولكن يوجد بينهما قدر مشترك (6) ويمكن الاستئناس باقتران عسعة الليل مع تنفس الصباح، { وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ } (7) { وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ } (8) في ترجيح أن يكون المراد بالعسعة هنا انصرام الليل؛

لأنه مقرن بإقبال النهار من غير فصل، وهذا أعظم في الدلالة والعبرة، فالآية في انصرام هذا ومجيء الآخر عقبيه

-
- (1) ابن منظور: لسان العرب، مادة (دبر)، ج 4، ص 268 .
 - (2) البقاعي: نظم الدرر، ج 8، ص 234 .
 - (3) سورة التكوير الآية 17
 - (4) سورة التكوير الآية 17
 - (5) الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، ص 566. السمين الحلبي: عمدة الحفاظ، ج 3، ص 72 .
 - (6) المرجع السابق، ج 3، ص 73 .
 - (7) سورة التكوير الآية 17
 - (8) سورة التكوير الآية 18
- بغير فصل أبلغ، فذكر سبحانه حالة ضعف هذا وإدباره، وحالة قوة هذا وتنفسه (1) .
- 3 - القسم بالليل وما وسق، قال تعالى: { وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ } (2) . والوسق: هو جمع الأشياء المتفرقة، مصدر وسقت الشيء أي جمعته وحملته (3) . وعلى هذا يكون المعنى: أي ما جمع الليل مما كان منتشرا في النهار من ناس وحيوان، فإنها تأوي في الليل إلى ماؤها، حيث جعل الله طلب السكون والراحة في وقت الليل جبلة فيها، وهذا من بدیع التكوين، فلذلك أقسم الله به (4) . وقيل: ما وسقه الليل: النجوم؛ لأنها تظهر بالليل. قال ابن عاشور: " وهذا المعنى أنسب، بعطف القمر عليه" (5) .
- والذي أراه أن الله سبحانه أقسم بجميع ما ضمه الليل وأواه، ويشمل ذلك الإنسان والحيوان، كما يشمل النجوم والظلام. إذ أن القسم بمطلق الجمع، والليل يجمع كل هذه الأشياء.

-
- (1) انظر: ابن القيم: التبيان في أقسام القرآن، ص 155 .

(2) سورة الانشقاق الآية 17

(3) السمين الحلبي: عمدة الحفاظ ج 4، ص 31 .

(4) انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 30، ص 227 .

(5) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 30، ص 227 .

4 - القسم بالليل في حال سريانه قال تعالى: { وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرٍ } (1) .

بعد أن أقسم سبحانه بالليلي العشر على وجه الخصوص. بقوله: { وَالْفَجْرِ } (2) {

وَأَيَّالٍ عَشْرٍ } (3) أتبع ذلك بالقسم بالليل على وجه العموم، فقال: { وَالشَّفْعِ

وَالْوَتْرِ } (4) { وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرٍ } (5) .

ومعنى يسري: يمضي سائرا في الظلام. وأصل السرى في اللغة: السير في الليل

(6) . فشبهه تقضي الليل في ظلامه بسير السائر في الظلام. وقرأها بعض القراء

(يسري) بإثبات الياء، بينما قرأها آخرون بالحذف (7) .

قال الفراء: "وحذفها أحب إلي لمشاكلتها رؤوس الآيات؛ ولأن العرب قد تحذف

الياء وتكتفي بكسر ما قبلها (8) .

5 - القسم به في حال الغشيان. قال تعالى: { وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا } (9) وقال:

{ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى } (10) .

(1) سورة الفجر الآية 4

(2) سورة الفجر الآية 1

(3) سورة الفجر الآية 2

(4) سورة الفجر الآية 3

(5) سورة الفجر الآية 4

(6) ابن منظور: لسان العرب، مادة (سرا)، ج 14، ص 381.

(7) انظر: ابن زنجلة، عبد الرحمن: حجة القراءات، ج 3، ص 260 .

(8) الفراء: معاني القرآن ج 3، ص 260 .

(9) سورة الشمس الآية 4

(10) سورة الليل الآية 1

والغشاوة: هي ما يغطي به الشيء (1) . والضمير في قوله: { وَالشَّمْسُ -
وَضُحَاهَا } (2) { وَالْقَمَرَ إِذَا تَلَّاهَا } (3) { وَالنَّهَارَ إِذَا جَلَّاهَا } (4) { وَاللَّيْلَ إِذَا
يَغْشَاهَا } (5) .

فالضماير كلها عائدة على الشمس. وحقيقة الأمر أن إسناد الغشي إلى الليل مجاز
عقلي، من إسناد الفعل إلى زمنه؛ لأن الليل لا يغطي الشمس على الحقيقة، ولكن
في زمن الغشي تكون الشمس محجوبة عنا بنصف الكرة الأرضية (6) .

أما قوله: { وَاللَّيْلَ إِذَا يَغْشَى } (7) فهو عام، وعدم ذكر المفعول إنما هو للتعميم (8)
فيكون المعنى: يغشى الليل الأفق وجميع ما بين السماوات والأرض فيذهب
ضوء النهار.

وأقسم سبحانه بالليل لكونه جليلا عظيما يسكن الخلق فيه عن الحركة، ويغشاهم
النوم الذي فيه راحة الأبدان (9) .

6 - القسم بالليل إذا سجي. قال تعالى: { وَاللَّيْلَ إِذَا سَجَى } (10) وقوله: "سجي"
أي سكن، نقول: سجي البحر سجوا بمعنى:

(1) الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، ص 607.

(2) سورة الشمس الآية 1

(3) سورة الشمس الآية 2

(4) سورة الشمس الآية 3

(5) سورة الشمس الآية 4

(6) انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 30، ص 368 .

(7) سورة الليل الآية 1

(8) انظر: البرسوي: روح البيان، ج 10، ص 447 .

(9) الصاوي: حاشية الصاوي، ج 4، ص 323 .

(10) سورة الضحى الآية 2

سكنت أمواجه، ومنه استعير قولنا: تسجية الميت، أي تغطيته بالثوب (1) . قال الفراء : "والليل إذا سجي: إذا أظلم وركد في طوله، كما تقول: بحر ساج وليل ساج، إذا ركد وسكن وأظلم" (2) .

وأشار الرازي - رحمه الله- إلى أن معنى "سجي" لدى أهل اللغة يدور حول ثلاثة معانٍ متقاربة هي: "سكن، وأظلم، وغطى" (3) . ومن خلال النظر في الآيات السابقة يتضح أن القسم بأحوال الليل جاء مقرونا بالقسم بأحوال النهار، وذلك على النحو الآتي:

- إِدْبَارِ اللَّيْلِ جَاءَ مَقْرُونًا بِإِسْفَارِ الصُّبْحِ { وَاللَّيْلُ إِذْ أَدْبَرَ } (4) { وَالصُّبْحُ إِذَا أَسْفَرَ } (5) .

- وَعَسْعَسَةُ اللَّيْلِ مَقْرُونَةٌ بِتَنْفَسِ الصُّبْحِ { وَاللَّيْلُ إِذَا عَسْعَسَ } (6) { وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ } (7) .

- وَسُرْيَانِ اللَّيْلِ جَاءَ مَقْرُونًا بِالْفَجْرِ { وَالْفَجْرُ } (8) { وَلَيْالٍ عَشْرٍ } (9) { وَالشَّفَعِ وَالْوَتْرِ } (10) { وَاللَّيْلُ إِذَا يَسَرَ } (11) .

- وَغُشْيَانِ اللَّيْلِ جَاءَ مَقْرُونًا بِتَجْلِيِ النَّهَارِ { وَالنَّهَارُ إِذَا جَاءَهَا } (12) { وَاللَّيْلُ إِذَا يَعْشَاهَا } (13) .

(1) الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، ص 399.

(2) الفراء: معاني القرآن، ج 2، ص 273 .

(3) الرازي: التفسير الكبير، ج 11، ص 190 .

(4) سورة المدثر الآية 33

(5) سورة المدثر الآية 34

(6) سورة التكوير الآية 17

(7) سورة التكوير الآية 18

(8) سورة الفجر الآية 1

(9) سورة الفجر الآية 2

(10) سورة الفجر الآية 3

(11) سورة الفجر الآية 4

(12) سورة الشمس الآية 3

(13) سورة الشمس الآية 4

{ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى } (1) { وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى } (2) .

- وسجو الليل جاء مقرونا بالضحي { وَالضُّحَى } (3) { وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى } (4) .
- أما قوله: { وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ } (5) فقد جاء مقرونا بقوله: { وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ } (6) . واتساق القمر هو اجتماعه واستواؤه وذلك في ليلة أربع عشرة (7) . ومعلوم أن هذا هو وقت ضوء القمر الذي ينيو الليل، والنور والضياء الحاصل باتساق القمر حال من أحوال النهار . ويستنتج من ذلك أنه سبحانه قابل في القسم بين الليل والنهار للدلالة على المبدأ والمعاد، فما أشبه انبثاق ضوء النهار بعد ظلمة الليل بالبعث بعد الموت . فبينما الليل ساكن قد هدأت فيه الحركات، وسكنت الأصوات، وصار الناس إخوان الأموات، إذ أقبل النهار، فارتفعت الأصوات، حتى كأنهم قاموا أحياء بعد أن كانوا أمواتا.

(1) سورة الليل الآية 1

(2) سورة الليل الآية 2

(3) سورة الضحى الآية 1

(4) سورة الضحى الآية 2

(5) سورة الانشقاق الآية 17

(6) سورة الانشقاق الآية 18

(7) انظر: الزمخشري، الكشاف، ج 4، ص 714 .

ثامنا: القسم بالليالي العشر

ورد القسم بالليالي العشر في القرآن الكريم مقرونا بالفجر، قال تعالى: { وَالْفَجْرِ }

(1) { وَلَيَالٍ عَشْرٍ } (2) فما المقصود بهذه الليالي؟ اختلف في تحديد المراد بها،

والراجح في ذلك - وهو ما عليه جمهور المفسرين - كما يقول صديق حسن خان (

3) : أن المراد بالليالي العشر هو عشر ذي الحجة. وهذا مروى عن ابن عباس

وابن الزبير ومجاهد وغير واحد من السلف والخلف. وهو الذي صححه ابن كثير (4) .

ويدل على هذا ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « إن العشر عشر الأضحى » (5) . ويسانده ما ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس مرفوعا : « ما العمل في أيام أفضل منها في هذه العشر " قالوا: ولا الجهاد؟ قال: ولا الجهاد، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء » (6) .

(1) سورة الفجر الآية 1

(2) سورة الفجر الآية 2

(3) خان، صديق: فتح البيان، ج 5، ص 214 .

(4) انظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج 4، ص 535 .

(5) رواه أحمد، ورواه الحاكم وصححه. انظر: ابن حنبل: المسند، ج 3، ص 327. الحاكم النيسابوري: المستدرک على الصحيحين، ج 2، ص 522. وقال عنه الهيثمي: "رواه البزار وأحمد ورجالهما رجال الصحيح غير عياش بن عقبة وهو ثقة". انظر: الهيثمي: مجمع الزوائد، ج 7، ص 137 .

(6) رواه البخاري. انظر: الصحيح مع الفتح، ج 3، ص 135، كتاب العيدين ، باب رقم 11 ، حديث رقم 969 . .

وقيل: المراد بذلك العشر الأول من محرم. وقيل: العشر الأواخر من رمضان (1) .

وكل ذلك ضعيف؛ لأنه مخالف لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالأولى ما أشرت إليه؛ لأنه قول الذي لا ينطق عن الهوى.

ويلحظ أنه سبحانه قال: "وليل" بالتنكير، وذلك لبيان فضيلتها على غيرها، ولو عرفت لم تستقل بمعنى الفضيلة الذي في التنكير، ففي التنكير تعظيم لها، فإن التنكير يكون للتعظيم (2) .

وهذه الأيام هي الأيام المعلومات التي حثنا الله على ذكره فيها، فقال: { لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ } (3) فتخصيص الحث على الذكر بهذه الأيام يشير إلى أفضليتها على غيرها.

(1) انظر: الماوردي: النكت والعيون، ج 4، ص 265 الخازن: لباب التأويل، ج 6، ص 418 .

(2) انظر: المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة. ابن القيم: الدتبيان في أقسام القرآن، ص 54 .

(3) سورة الحج الآية 28

تاسعا: القسم بيوم القيامة

قال سبحانه في القسم بيوم القيامة: { لَأُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ } (1) .

(1) سورة القيامة الآية 1

وقد تقدم الكلام عن صيغة لا أقسم (1) .

والقيام في اللغة نقيض الجلوس (2) . وسمي اليوم الآخر بيوم القيامة؛ لأن الخلق يقومون فيه لرب العالمين قومه واحدة حتى يفصل في أمرهم (3) .

كما أقسم سبحانه بهذا اليوم في قوله: { وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ } (4) { وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ } (5) وسمي هذا اليوم باليوم الموعود؛ لأن الله وعدهم بوقوعه في الحياة الدنيا لمجازاة كل فريق على عمله (6) .

أما سر القسم بيوم القيامة فللتنبيه على عظمته وهوله، وباعتبار ما يجري فيه من عدل الله، وإفاضة فضله، وما يحضره من الملائكة والنفوس المباركة (7) .

(1) انظر ص 240 من هذا البحث.

(2) انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (قوم)، ج 12، ص 496 .

(3) انظر: المرجع السابق، ج 12، ص 556. السجستاني: غريب القرآن، ص 296 .

(4) سورة البروج الآية 1

(5) سورة البروج الآية 2

(6) انظر: أضواء البيان، ج 9، ص 130. ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 30، ص 238.

(7) انظر: ابن عطية: المحرر الوجيز، ج 5، ص 451. ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 29، ص 338 .

عاشرا: القسم بالعمر

العمر: هو اسم لمدة عمارة البدن بالحياة، والتعمير: إعطاء العمر بالفعل أو بالقول على سبيل الدعاء (1) . قال تعالى: { وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } (2) .
وأقسم سبحانه بالعمر فقال: { لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ } (3) قال الزجاج : "قال النحويون : ارتفع لعمرك بالابتداء، والخبر محذوف. المعنى: لعمرك قسمي، أو لعمرك ما أقسم به، وحذف الخبر لأن في الكلام دليلا عليه" (4) .
والقسم بالعمر هنا قسم بعمر مخصوص، هو عمر النبي صلى الله عليه وسلم. قال ابن القيم : "أكثر المفسرين من السلف والخلف -بلى لا يعرف عن السلف فيه نزاع- أن هذا قسم من الله بحياة رسول صلى الله عليه وسلم" (5) .
ولم يقسم سبحانه في كتابه بغير حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهذه مزية لم تعرف لغيره، وفي هذا ما يدل على فضل حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعزتها على الله.

(1) انظر: الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، ص 586. السمين الحلبي:

عمدة الحفاظ ج 3، ص 122 .

(2) سورة فاطر الآية 11

(3) سورة الحجر الآية 72

(4) الزجاج : معاني القرآن ، ج 3 ، ص 184 .

(5) ابن القيم: التبيان في أقسام القرآن، ص 547 .

المبحث الثالث: الأزمان الفاضلة في القرآن الكريم

اختص سبحانه بعض الأزمنة بأن جعلها مواسم للطاعات، وأياما مباركة للقربات، وحث الناس على اغتنام أجرها، فهي لطلب الرضى، وإجابة الدعوات، ومضاعفة الحسنات، حيث يفتح الله فيها أبواب الرحمة، فالموفق من تزود لآخرته، وأقبل على ربه راجيا مغفرته.

وهذا هو مدلول قول المصطفى صلى الله عليه وسلم: « لربكم في أيام دهركم نفحات، فتعرضوا لها، لعل أحدكم أن يصيبه منها نفحة، لا يشقى بعدها أبدا » (1)

وهذا هو مفهوم التفاضل في الأوقات؛ لأن الأزمان في حقيقتها متجانسة ومتشابهة، وتفضل بعضها على بعض إنما هو على معنى أن الطاعة في البعض أفضل، والثواب عليها أكثر.

ومن هنا، فقد ميز الله يوم الجمعة على غيره من أيام الأسبوع، وشهر رمضان على غيره من شهور السنة، وليلة القدر على غيرها من الليالي، وميز بعض ساعات الليل والنهار على غيرها.

(1) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وقال عنه: "رواه الطبراني في الأوسط والكبير بنحوه، وفيه من لم أعرفهم، ومن عرفتهم، وثقوا". وذكره بلفظ آخر عن أنس بن مالك، وقال فيه: "رواه الطبراني ورجال إسناده رجال الصحيح، غير عيسى بن موسى بن إياس بن البكير، وهو ثقة". انظر: الهيثمي: مجمع الزوائد، كتاب الزهد، باب التعرض لنفحات رحمة الله، ج 10، ص 231.

وكما ميز الله بعض الأزمان، فإنه ميز كذلك بعض الأماكن والبلدان على غيرها، كالبلد الحرام، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى وما حوله.

وهو سبحانه العليم بالحكمة التي لأجلها فضل زمن على زمن، وفضل مكان على مكان، فهي أمور ثابتة من الله، ولا يبطلها إلا إبطال من الله، كما أبطل تقديس السبت بالجمعة، فليس للناس أن يغيروا ما جعله الله تعالى من الفضل لأزمنة أو أمكنة أو ناس.

وأستعرض فيما يلي الأزمان الفاضلة في القرآن الكريم:

أولاً: الأزمان المقسم بها

وهي الأزمان التي أشرت إليها في المبحث السابق، ولا شك أنها أزمان فاضلة،
بدليل قسم الله سبحانه وتعالى بها.

ثانياً: الأشهر الحرم

قال تعالى: { إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ } (1)

فالأشهر الحرم إذا هي أربعة أشهر كما هو صريح النص القرآني "منها أربعة حرم
"، ولكن أي أربعة هي من شهور السنة؟ هذا ما حدده رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيما وصلنا من

(1) سورة التوبة الآية 36

سنته الشريفة حيث قال: « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات
والأرض، السنة اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم، ثلاث متواليات: ذو القعدة، وذو
الحجة، والمحرم، ورجب مضر (2) .

قال عبد الغني النابلسي: "وقد أجمع المسلمون على أن الأشهر الحرم هي الأربعة
المذكورة في هذا الحديث" (3) .

وسميت هذه الأشهر حرما لتعظيم انتهاك المحارم فيها، فالمعصية فيها أشد عقابا،
وبالمقابل، فإن الطاعة فيها تكون أكثر ثوابا .

أما القول بأنها سميت كذلك لتحريم القتال فيها (4) ، مصداقا لقوله تعالى: { فَإِذَا
انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ } (5) فهذا منسوخ؛ لأن
تحريم القتال فيها إنما كان في

(1) رواه البخاري. انظر: الصحيح مع الفتح، كتاب التفسير، باب رقم 8، ج 9،
ص 221 .

(2) (1) الذي بين جمادى وشعبان «

(3) النابلسي، عبد الغني: فضائل الشهور والأيام، ص 68 .

(4) انظرو: المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة. حجازي، محمد: التفسير

الواضح، ج 10، ص 49 .

(5) سورة التوبة الآية 5

أول الإسلام، إلا أن يقاتل المسلمون، ثم أذن الله تعالى في قتال المشركين في جميع الأوقات، فقال: { وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً } (1) وبقيت حرمة الأشهر الحرم في تضعيف الأجور والأوزار فيهن، فقد خص الله تعالى هذه الأشهر بزيادة المنع فيهن عن الظلم (2) . ولذلك، فقد غلظ الإمام الشافعي -رحمه الله- في دية من قتل خطأ في الأشهر الحرم (3) .

وعلى ذلك، فإن قوله: { فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ } (4) عائد على الأربعة الحرم، وليس على الاثني عشر شهراً؛ لأنه أقرب مذكور؛ ولأن هذا هو مدلول الضمير (فيهن) في اللغة العربية.

وفي اختصاص الأشهر الحرم بالذكر هنا تشريف لها. وفي خصها بالذم عن الظلم، مع أنه مذموم عنه في كل زمان، مزيد من التشريف (5) . وجاء ذكر الأشهر الحرم في القرآن الكريم بصيغة المفرد الدال على الجنس فقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ } (6) وقال: { جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهُدْيَ وَالْقَلَائِدَ } (7) .

(1) سورة التوبة الآية 36

(2) البيهقي: فضائل الأوقات، ص 86 .

(3) انظر: الشافعي: الأم، ج 6، ص 47 كفاية الأخيار، ص 604 .

(4) سورة التوبة الآية 36

(5) الرازي: التفسير الكبير، ج 6، ص 41 القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج

1، ص 135 .

(6) سورة المائدة الآية 2

(7) سورة المائدة الآية 97

فالمراد بالشهر الحرام في هاتين الآيتين، الأشهر الحرم الأربعة، إلا أنه عبر عنها بلفظ الواحد؛ لأنه ذهب بها مذهب الجنس (1) . ووردت آيتان يبين سبب نزولهما أنهما تدلان على أحد هذه الأشهر الأربعة، وهما:
قوله تعالى: { الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ } (2) .
فهي جاءت لتدل على شهو ذي القعدة الذي منع المسلمون فيه من دخول مكة، ولكنهم عادوا في العام المقبل، وفي نفس هذا الشهر (3) .
وقوله تعالى: { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ } (4) ، وهذه نزلت حين قتل أحد المسلمين رجلا من المشركين في شهر رجب (5) .
وهاتان الآيتان وإن جاءتا للدلالة على شهر معين من الأشهر

(1) الرازي: التفسير الكبير، ج 4، 40 القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج 6، ص 325.

(2) سورة البقرة الآية 194

(3) الواحدي: أسباب النزول، ص 43 . الزمخشري: الكشاف، ج 1، ص 119 .

(4) سورة البقرة الآية 217

(5) الواحدي: أسباب النزول، ص (51، 52) . ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج 1، ص 271 .

الحرم، نزلت فيه الآية، إلا أن مدلولهما ينسحب على باقي الأشهر الحرم الأخرى.
ثالثا: شهر رمضان

لم يرد في القرآن الكريم تصويح باسم أي شهو من شهور السنة، سوى شهو رمضان؛ وذلك في سورة البقرة في قوله تعالى: { شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ } (1) .

وهذا الشهر تميز على غيره باختصاصه بعبادة جليلة، عبادة الصوم. ولعل من الحكم في ذلك هي أن هذا الشهر قد شرفه الله بنزول القرآن، وفيه فاضت على

البشرية هداية الرحمن، ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء برسالة هي خاتمة الرسالات.

وأصل (رمضان) في اللغة مأخوذ من الرمض، ويعني: شدة وقع الشمس، يقال: أرمضه ورمض، أي أحرقتَه الرمضاء، وهي شدة حر الشمس . ومنه سمي رمضان "لأنه يرمض الذنوب أي يحرقها بالأعمال الصالحة" (2) .

(1) سورة البقرة الآية 185

(2) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج 2، ص 291 .

وفضل هذا الشهر عظيم، وثوابه جسيم، يدل على ذلك معنى الاشتقاق من كونه محرقا للذنوب، كما يدل عليه ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحاديث كثيرة في فضل هذا الشهر العظيم، ومن ذلك:

قوله صلى الله عليه وسلم: « إذا دخل رمضان فتحت أبواب السماء، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين » (1) . وقوله في حديث آخر: « من قامه إيمانا واحتسابا، غفر له ما تقدم من ذنبه » (2) .

وفي هذا الشهر العشر الأواخر، حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم: « إذا دخل العشر شد منزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله » (3) . وغيرها من الأحاديث الدالة على عظمة هذا الشهر.

فإذا كان هذا الشهر بهذه العظمة، والأجر فيه يضاعف إلى هذه الدرجة، أفلا نستثمره على الوجه الأكمل؟ وهلا حرصنا على كل ثانية منه لكي لا تضيع سدى؟

(1) رواه البخاري. انظر: الصحيح مع الفتح، كتاب الصوم، باب رقم 5 حديث رقم 1899، ج 4، ص 605 .

(2) رواه البخاري. انظر: الصحيح مع الفتح، كتاب صلاة التراويح، باب رقم 1، حديث رقم 2008، ج 4، ص 778 .

(3) رواه البخاري. انظر: الصحيح مع الفتح، كتاب فضل ليلة القدر، باب رقم 8، حديث رقم 2024، ج 4 ص 802.

رابعاً: ليلة القدر

أما ليلة القدر، فهي جزء من شهر رمضان الفضيل، ومع ذلك فقد خصها الله سبحانه بالذكر، مما يدل على أهميتها وعظمتها، كيف لا وهي ليلة الاتصال المطلق بين الأرض والملا الأعلى، وهي الليلة التي نزل فيها القرآن الكريم، وهو الكتاب الذي لم تشهد الأرض مثله، في عظمته، وفي تأثيره على حياة البشرية.

يقول سبحانه عن هذه الليلة في سورة من السور القصار: { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ } (1) { وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ } (2) { لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ } (3) { تَنْزِيلُ الْمَائِكَةِ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ } (4) { سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ } (5) .

وهي ذات الليلة التي جاء ذكرها في سورة الدخان: { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ } (6) { فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ } (7) ، وإنما سميت بـ "ليلة القدر" لعظمتها وشرفها وقدرها، من قولهم: لفلان قدر، أي منزلة وشرف. وقيل: لأن للطاعات فيها قدراً عظيماً، وثواباً جزيلاً. أو لأن الله تعالى يقدر فيها ما يشاء من أمره إلى مثلها من السنة القابلة، من أمر الموت والأجل والرزق وغيره. أو لأنه أنزل فيها كتاباً ذا قدر على رسول ذي قدر، على

(1) سورة القدر الآية 1

(2) سورة القدر الآية 2

(3) سورة القدر الآية 3

(4) سورة القدر الآية 4

(5) سورة القدر الآية 5

(6) سورة الدخان الآية 3

(7) سورة الدخان الآية 4

أمة ذات قدر. وغير ذلك من الأقوال .

وهي معاني متقاربة يشملها جميعاً المعنى الأول، فهي جميعاً دالة على قدر هذه الليلة، وفضلها، وعظيم منزلتها.

وهذه الليلة من العظمة بحيث تفوق حقيقتها حدود الإدراك البشري، وهي خير من آلاف اللحظات الزمنية في حياة البشر، فكم من آلاف الشهور، بل وآلاف السنين قد انقضت دون أن تترك في الحياة بعض ما تركته هذه الليلة المباركة السعيدة، من آثار وتحولات (1) .

ولهذا فلا غرابة أن الرسول صلى الله عليه وسلم يحتثنا على تحريها في الفترة الزمنية التي تقع فيها فيقول لنا: « تحروا ليلة القدر، في العشر الأواخر من رمضان » (2) .

ولا غرابة في أنه صلى الله عليه وسلم يحتثنا على قيام هذه الليلة مبينا عظيم أجرها، فيقول: « من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا، غفر له ما تقدم من ذنبه » (3) .

(1) انظر: قطب، سيد : في ظلال القرآن، ج 6، ص 3945 .

(2) رواه البخاري. انظر: الصحيح مع الفتح، كتاب فضل ليلة القدر، باب رقم 3، حد رقم 2020، ص 790 .

(3) رواه البخاري. انظر: الصحيح مع الفتح، كتاب الصوم، باب رقم 6، حديث رقم 1901، ج 4، ص 608 .

وبعد ذلك، فهل هناك أفضل من هذه الليلة؟ وهل أعظم من هذا الأجر؟ فلنحرص على هذه الليلة، التي لا تأتي إلا مرة في العام.

خامسا: أيام التشريق

ذكر الله سبحانه فضل أيام التشريق في سورة البقرة، فقال: { وَانكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ } (1) والأيام المعدودات، هي أيام التشريق، كما روي عن ابن عباس، وعكرمة، وعطاء بن أبي رباح، ومجاهد، وغيرهم (2) .

قال القرطبي : "ولا خلاف بين العلماء أن الأيام المعدودات في هذه الآية هي أيام منى، وهي أيام التشريق" (3) .

كما يدل على أن الأيام المعدودات هي أيام التشريق، تظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتي يصف فيها أيام التشريق بأنها أيام ذكر الله عز وجل،

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: « أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله » (4) . وإطلاق الرسول للذكر من غير تقييده بشيء جاء مساويا لإطلاق الله اسم الذكر { وَاذْكُرُوا اللَّهَ } (5) ، مما يعد دليلا واضحا على أن الرسول عنى بذلك ذات

(1) سورة البقرة الآية 203

(2) انظر: الطبري: جامع البيان، ج 2، ص 302، 303، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج 1، ص 232.

(3) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ج 3 ص 1 .

(4) رواه مسلم. انظر: صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب رقم 23، حديث رقم 1141، ص 658 .

(5) سورة البقرة الآية 203

الذكر الذي أشار إليه الله في كتابه الكريم، وعينه في الأيام المعدودات.

ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم: « الحج عرفة، فمن جاء قبل صلاة الفجر من ليلة جمع، فقد تم حجه، أيام منى ثلاثة أيام، فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه، ومن تأخر فلا إثم عليه » (1) . قال ابن رجب الحنبلي : "وهذا صريح لي أنها أيام التشريق" (2) .

أما بالنسبة لتحديد هذه الأيام، فهناك قولان رئيسان (3) :

الأول: أنها أربعة أيام، يوم النحر وثلاثة بعده. وهذا مروى عن ابن عباس وغيره.

الثاني: أنها ثلاثة أيام بعد يوم النحر، وليس يوم النحر منها.

وعزا ابن رجب هذا القول إلى ابن عمر وأكثر العلماء. وقال عنه بأنه: "هو القول الأظهر (4) .

وهذا ما أراه راجحا، وذلك كما قال القرطبي : "لإجماع الناس أنه لا ينفر أحد يوم النفر، وهو ثاني يوم النحر. ولو كان يوم النحر في المعدودات، لساغ أن ينفر من شاء متعجلا يوم النفر؛ لأنه قد

(1) رواه أحمد عن عبد الرحمن بن يعمر. انظر: ابن حنبل: مسند أحمد، ج 4: ص 310 .

(2) ابن رجب الحنبلي: لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، ص 301 .

(3) انظرهما في: المرجع السابق، نفس الصفحة. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج 3، ص 1 .

(4) ابن رجب الحنبلي: لطائف المعارف، ص 301 .
أخذ يومين من المعدودات" (1) .

فالله سبحانه وتعالى لما طلب منا أن نذكره في تلك الأيام على وجه الخصوص، يدلنا ذلك على عظيم فضل هذه الأيام، وأن الأجر فيها مضاعف، والثواب أعظم، فلنحرص على ذكر الله في مثل هذه الأزمان التي عينها الله لنا. وفي وصفه لهذه الأيام بأنها (معدودات) ما يشير إلى قلة عددها، وفي هذا ما يدفع المسلم إلى الحرص على الإفادة من هذه الأيام، والتوجه إلى الله فيها.

(1) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج 3، ص 1 .

سادسا: يوم الجمعة

أما يوم الجمعة، الذي هو يوم عظيم عند المسلمين، تقام فيه هذه الصلاة الجامعة، التي تمثل مؤتمرا أسبوعيا، يتناول هموم المسلمين وقضاياهم اليومية، ومواظبة تذكر بالله سبحانه وتعالى، فقد بين القرآن الكريم مكانة هذا اليوم وفضله، فنزلت سورة الجمعة توضح أهمية هذا اليوم من أيام الأسبوع. قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } (1) وأصل الجمع في اللغة: ضم الشيء بتقريب بعضه من بعض. نقول: استجمع السيل، بمعنى: اجتمع من كل موضع، وتجمع

(1) سورة الجمعة الآية 9

القوم: اجتمعوا من هنا وهنا (1) . ومنه (الجمعة)، سميت بذلك لاجتماع الناس إلى الصلاة (2) .

ويلحظ في الآية السابقة التأكيد على ضرورة أداء صلاة الجمعة في وقتها دون تأخير، حتى لو أدى ذلك إلى ترك الأعمال فور سماع نداءها.

كما يلحظ هذا التشديد على أداء صلاة الجمعة في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما في قوله عليه الصلاة والسلام: « لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات، أو ليختمن الله على قلوبهم، ثم ليكونن من الغافلين » (3) .

وفي التأكيد على الالتزام بهذه الصلاة إشارة إلى أهميتها وفضلها، وفي ذلك ما يدل على أهمية وفضل اليوم الذي تقع فيه.

وفضل هذا اليوم لا يقف عند هذا الحد، بل يصدق فيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا تطلع الشمس ولا تغرب على يوم أفضل من يوم الجمعة » (4) .

(1) ابن منظور: لسان العرب، مادة (جمع)، ج 8، ص 53 .

(2) الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، ص 202 الهمزة الحظي: عمدة الحفاظ ج 1، ص 337 .

(3) رواه مسلم. انظر: صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب رقم 12، حديث رقم 865، ج 2، ص 495 .

(4) رواه ابن حبان. انظر: صحيح ابن حبان مع تقريب الإحسان، كتاب الصلاة، باب رقم 30، حديث رقم 2770، ج 7، ص 5. وللتوفيق بين هذا الحديث ومثله من الأحاديث الدالة على أن يوم الجمعة هو أفضل الأيام، وبين ما جاء عن يوم عرفة أنه أفضل الأيام، مثل قوله صلى الله عليه وسلم: " ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو، ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء؟ (رواه مسلم: صحيح مسلم، كتاب الحج، باب رقم 79، حديث رقم 1348، ج 2، ص 802) للتوفيق بين ذلك، قال الزرقاني: "الأصح أن يوم عرفة أفضل أيام السنة، ويوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع". انظر: الزرقاني: شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، ج 1، ص 318 .

وفي هذا اليوم ساعة عظيمة، يستجاب فيها الدعاء؟ كما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن في الجمعة لساعة، لا يوافقها مسلم قائم يصلي، يسأل الله، إلا أعطاه إياه » (1) . وفي هذا اليوم حدثت أمور عظيمة، أخبر بوقوعها الذي لا ينطق عن الهوى، فقال: « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق الله آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة » (2) .

وفي الإخبار عن وقوع الأمور العظام فيه، واختصاصها به دون سائر الأيام، حض على الاستكثار من الطاعات فيه، وزجر عن موقعة المعاصي (3) .

(1) رواه مسلم. انظر: صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب رقم 4، حديث رقم 852، ج 2، ص 489 .

(2) رواه مسلم. انظر: صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب رقم 5، حديث رقم 854، ج 2، ص 490 .

(3) انظر: الباجي: المنتقى شرح موطأ الإمام مالك، ج 1، ص 201 .

إلى غير ذلك من الخصائص والفضائل العديدة لهذا اليوم، التي ألفت فيها الكتب والمصنفات .

سابعاً: وقت السحر

ومن الأزمان التي أشار القرآن الكريم إلى فضلها وقت السحر . ووقت السحر هو الوقت الذي يسبق طلوع الفجر. ومنه السحور وهو اسم الطعام الذي يؤكل في وقت السحر (1) .

يقول سبحانه واصفا حال عباده المتقين الموعودين بالجنات، مادحا فيهم صفة الاستغفار في هذا الوقت: { الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ } (2) ويقول عنهم في موضع آخر: { وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ } (3) ، وذكر القرآن الكريم أن هذا الوقت هو الذي نجى الله فيه آل لوط، قال تعالى: { الْآلِ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ } (4) .

أما الحكمة من تخصيص وقت الأسحار بالاستغفار، فهي أن هذا الوقت هو وقت غفلة الناس عن التعرض للنفحات الرحمانية، ذلك

(1) الرازي: التفسير الكبير، ج 3، ص 167.

(2) سورة آل عمران الآية 17

(3) سورة الذاريات الآية 18

(4) سورة القمر الآية 34

أن وقت السحر هو أطيب أوقات النوم، وعند ذلك تكون العبادة أشق، والنية خالصة، والرغبة في التوجه إلى الله وافرة، فيكون الدعاء في هذا الوقت أقرب للإجابة، والذكر والاستغفار أعظم ثوابا .

ويكون سبحانه في هذا الوقت من الليل قريبا من عباده، كما دل عليه الحديث الصحيح: « إذا مضى شطو الليل، أو ثلثاه، ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا، فيقول: هل من سائل يعطى، هل من داع يستجاب له، هل من مستغفر يغفر له، حتى ينفجر الصبح » (1) .

فالاستغفار في هذه الفترة الزمنية الفاضلة منة من الله سبحانه وتعالى، لا يفقهها إلا من ذاقها، وشعر بها في خلجات نفسه، فالتقت روحه مع خالق السماوات والأرض.

"والاستغفار بالأسحار بعد هذا كله يلقي ظلالة رفاة ندية عميقة، ولفظة (الأسحار) بذاتها ترسم ظلال هذه الفترة من الليل قبيل الفجر، الفترة التي يصفو فيها الجو ويرق ويسكن، وتترقرق فيها خواطر النفس وخواجها الحبيسة، فإذا انضمت إليها صورة الاستغفار، ألقت تلك الظلال المنسابة في عالم النفس وفي ضمير الوجود سواء، وتلاقت روح الإنسان وروح الكون في الاتجاه لبارئ

(1) رواه مسلم. انظر: صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب رقم

24، حديث رقم 758، ج 1، ص 439 .

الكون وبارئ الإنسان " (1) .

(1) قطب، سيد: في ظلال القرآن، ج 1، ص 376 .

الخاتمة:

بعد هذه الجولة مع " قيمة الزمن في القرآن الكريم "، فإنه يجدر بنا أن نسجل أهم النتائج التي تم التوصل إليها:

1 - الزمن ذو قيمة عظيمة، فهو أثمن وأنفس ما يملك الإنسان؛ لأن أعز شيء لدى الإنسان وهو عمره وحياته، ما هو في الحقيقة إلا زمن.

2 - عني القرآن الكريم بالزمن، فعده من النعم العظيمة، وعده من الآيات الدالة على وجود الله، كما أشار القرآن الكريم إلى قيمة الزمن، وحث على استثماره في الخير.

3 - أقسم القرآن الكريم بالزمن وبمفرداته، ففي القسم بالزمن أقسم بالعصر، وفي القسم بمفرداته أقسم بالفجر والصبح والضحى والشفق والليل والنهار والليالي العشر ويوم القيامة والعمر. وقسم القرآن بالزمن يدل على أهميته وعظمته.

4 - اختص سبحانه بعض الأزمنة بالفضل، وهي إضافة إلى الأزمان المقسم بها: الأشهر الحرم وشهر رمضان وليلة القدر وأيام التشريق ويوم الجمعة ووقت السحر. وتخصيص هذه الأزمنة بالفضل حري به أن يشجع المسلم على الاستفادة منها في الخير، واستثمارها في العمل الصالح.

حديث شريف

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار » (1)

رواه الإمام مسلم

(1) صحيح مسلم الإيمان (153) ، مسند أحمد (2/350).

خط الزمن ...

الكاتب د. عوض بن عودة

Friday, 01 April 2005

إن ممارسة خط الزمن هي من ممارسات البرمجة اللغوية العصبية، و التي تعتمد على الذاكرة وطريقة تخزين المعلومات فيها. فأصحاب ممارسة الخط الزمني (تاد جيمس و وايت وود سمول وغيرهم) يزعمون أن التسلسل الزمني هو العنصر الرئيس في شخصية الإنسان، و عن طريقه يمكن معرفة وفهم شخصية الإنسان. فذكريات وقرارات وتجارب وأقدار الإنسان الجيدة والسيئة السابقة والآنية والمستقبلية تُجمع في هذا التسلسل الزمني طوال الوقت، وتحدد كيفية تعلقها بالحياة (كتاب خط الزمن و أساس الشخصية لتاد جيمس و وايت وود سمول). وهذا التقرير السابق الذكر يعني أن خط الزمن تجري عليه الأقدار وهو مصدر ومخزن الأحداث .

وهذه الممارسة تقوم على مبادئ التنجيم و المفهوم الإغريقي القديم عند أرسطو و غيره في أن الإنسان يخزن تجارب حياته على شكل خطوط محددة. و أيضا، يزعم أصحاب هذه الممارسة أنه يوجد في هذا الكون نجوما لكل شخص خاصة به، و من خلال التأمل و التخيل أو التنبؤ في بعض الأحيان يتولد إحساس عميق في معرفة الشخص (ذاته (من أين أنا) من خلال هذا الخط الزمني الخاص به على اعتبار أن هناك نقطة ما في حياة هذا الشخص متعلقة بهذا الكون توصله لما يبحث عنه. فأصحاب هذه الممارسة في الغرب يزعمون أن لديهم إرادة حرة مطلقة لمضادة القدر التي تمكّنهم من تغيير طرق حياتهم باختيار منهم. ولذلك، فأصحاب هذه الممارسة يحاولون استخراج الخط الزمني للشخص، و من ثم يتم تغيير اتجاه أو مكان الخط الزمني المراد لخلق المستقبل وإعادة زرع الأمنيات والأحلام أو إزالة عواطف وأفكار غير مرغوبة .

فالخط الزمني ببساطة عبارة عن عملية لجمع المعلومات المطلوبة لبرمجتها ومحاولة معرفة الاختلاف في تخزين الذكريات الماضية والتصورات المستقبلية اللاواعية. وبعد جمع هذه المعلومات كما الحال في التنويم المغناطيسي يتم غرس ما يُراد غرسه عن طريق الأدوات الأخرى للبرمجة. ومن خلال هذا الخط الزمني

يخاطب الشخص و يُؤثر عليه و يُطلب منه الإجابة على بعض الأسئلة الموجهة لإستخلاص ما في ذاكرته وجمع المعلومات عن شخصيته و عواطفه و أفكاره السلبية والإيجابية حول الأحداث السابقة وأمنيته المستقبلية من خلال تخيل خط أو منحنى وهمي على الأرض أو الجدار أو من خلال عملية التخيل الذهني. و كل هذا قائم على ما يُسمى بقوانين (العقل الباطن) من جذب وضبط وتحكم وتتبؤ وغيرها. و بعض ممارسي هذه الطريقة في الغرب يُدخل معها تكامليا شيئا من أمور الطاقة الروحية .

ولذلك، فلا أرى أن هناك فرق في مضمون الفعل بين من يستخدم الطرق و الخط في الأرض أو قراءة الفنجان أو قراءة الكف و من يستخدم الخط الزمني فقد جاء التحذير و الوعيد في الطرق الزاعمة معرفة الغيب بالحدس والتخمين و غيرها كما صح عنه صلى الله عليه و سلم أنه قال: (العيافة والطيرة والطرق من الجبت) (رياض الصالحين 535). و أيضا: (العيافة زجر الطير، والطرق الخط يخط في الأرض) (صحيح أبي داود 3307). فجميعهم يشتركون في الزعم بمعرفة الأمور و الاستدلال على ما يجري من الحوادث و الحالات بمقدمات يُستدل بها أو ظنون حدسية و تخمينات أو أسئلة بجوابها للتأثير على الناس. و ليس هناك علاقة بما يُسمى (العقل الباطن) وقضية تقدير وتدبير الحياة و معرفة الأمور غير الظاهرة و الغيبية، وغير ذلك من الأمور (المسببات كما يظن أصحابها) التي تستعمل لمعرفة الغيب و المغيبات و الأحوال و الأحداث والإخبار عما يحدث أو لشفاء الأمراض. كل ذلك يدخل في حكم أمور الكهانة المحظورة؛ لأن القلوب يجب أن تتعلق بالله خالقها و مدبرها الذي يملك الضرر والذفع والخير والشر وبيده الخير و هو على كل شيء قدير .

الدعاة والبعد الزمني الغائب

بقلم : عبد الله المسلم

حين خرج النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى الطائف ليبحث عن مجال أنسب وأخصب للدعوة، وفعل معه أهل الطائف ما فعلوا، وصف هذه الحال بقوله:

(فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم عليّ ثم قال: يا محمد! فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً) (1).

لقد قال هذه المقالة عقب هذا الحدث وأثاره لما نزل بعد مائة، ولم يقلها وهو في جلسة تفكير هادئة.

والأمر نفسه نجده في سيرة نوح (عليه السلام) حين لبث يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، وحين دعا ربه على قومه قال: ((وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاكِهًا كَفَّارًا)) [نوح: 27]، إذ كان (عليه السلام) يؤمل بذريتهم وأولادهم، فلما يئس من هذه الذرية دعا ربه عليهم.

إن هذين الموقفين ليعطيان المسلم دلالة على البعد الزمني في تفكير الأنبياء (عليهم السلام) وتخطيطهم للدعوة، وهو بُعد تعاني الأمة اليوم من فقدته كثيراً، إنه مرض ورثه بعض الدعاة والخيريين من عقلية المجتمعات الإسلامية التي لا تفكر إلا فيما تزرعه اليوم وتحصده في الغد وتأكله في اليوم الثالث.

ولقد كان من نتائج غياب البعد الزمني في تفكير الدعاة:

1- الابتعاد عن الأعمال المنتجة العميقة الأثر التي تحتاج إلى وقت وجهد للقيام بها، ولا تظهر آثارها في الزمن القريب، والعناية أكثر بالأعمال سريعة الأثر وقريبة النتائج، وهي مهما علا شأنها لا يسوّغ أن تكون - بحال - هي الميدان الوحيد الذي يفكر فيه الدعاة.

2- غياب الرؤية البعيدة والنظر الاستراتيجي العميق للواقع، وعدم دراسة المتغيرات التي تحكمه واتجاهاتها، مما يوقع المجتمعات الإسلامية أمام المفاجآت، ويحرمها من التوقع المسبق للمشكلات، ومن ثم الإعداد لها ومواجهتها، وذلك واجب ينبغي أن يقوم بأعبائه الدعاة إلى الله (عز وجل).

3- التسرع في التقويم، والحكم على كثير من الجهود الدعوية التي ربما لاتظهر آثارها في الزمن القريب المنظور، وترتب على ذلك اعتبار الابتلاءات التي تصيب الدعوة دلائل فشل وإخفاق، وافترض ثبات الأوضاع القائمة بكل متغيراتها وظروفها.

إننا اليوم بحاجة ماسة إلى إعادة النظر في طريقة تفكيرنا، وإعطاء الأمور ما تستحقه من الوقت مما يؤمل معه أن تنتقل الدعوة إلى مواقع ومساحات كانت قد حرمت منها، وأن تتسع النظرة ويبعد الأفق.

إننا حين نتأمل شاباً مستجمع القوى والنشاط، يملك قدرات وخبرات، وحيوية وفتوة، ندرك أن عقدين من الزمان كانت على الأقل – هي فترة بنائه – توافر عليها عوامل ومؤثرات عدة لا يمكن أن ينفرد عامل منها في مسؤولية عن جانب واحد من جوانب شخصيته، فهل نحن نفكر اليوم ولو على الأقل على مدى عقدين من الزمان؟ فليت الذين عمرهم في الصحوة ربما يقصر عن هذه الفترة يدركون أن عمر الأجيال والمجتمعات لا يقارن بعمر الأفراد، فكيف، والأمر كذلك، نطالب المجتمعات بنضج في وقت ربما لا ينتظر فيه نضج فرد من الأفراد؟ وواقع المجتمعات الإسلامية اليوم لم يكن نتاج قفزة هائلة إنما هو نتاج عوامل عدة أثرت وساهمت مجتمعة في صياغته، يضاف إلى ذلك عشرات من السنين، فكيف يراد إصلاح هذا الواقع في سنوات عدة؟

الهوامش :

(1) رواه البخاري، ح/3231، مسلم، ح/1795.

=====

تأملات في أسباب غياب البعد الزمني وآثاره

منصور طه الحاج آدم

استطاع النبي صلى الله عليه وسلم أن يحوّل مجتمعاً كاملاً من جاهلية وشر وفرقة وشتات ودماء وتارات إلى مجتمع رشيد بقيم الحق معافيّ يمثل قدوة في العالمين في فترة لا تتعدى ثلاثاً وعشرين سنة، وقد بدأ العد التصاعدي للدعوة النبوية ببزوغها والإيدان بها، وبدأ العد التنازلي لدعوة الكفر التي غدت تفقد كل يوم

أرضاً وضيعةً من ضيعاتها، بينما كانت الجاهلية تسعى جاهدة لتطويق الدعوة وإماتها في مهدها بشتى السبل والطرق؛ لمعرفتها ما يترتب من تحولات قادمة تحسب لها الحسابات عبر رصدها لتحركات النبي صلى الله عليه وسلم وجماعته، ولكنها أخفت وخاب مسعاها؛ لأن الدعوة منصوره بالله، ثم لأن النبي صلى الله عليه وسلم عمل بالأسباب الواجبة المقتضية لتحقيق تمكينها في الأرض.

ولأهل الباطل عداوات شديدة ورصد كبير لأهل الحق ودعائه، ولا يفتؤون يبذلون ما في وسعهم لضرب الدعوة وأهلها؛ مما يوجب عليهم ذلك نظراً بصيراً وتحركاً محكماً ينطلق من تقييم صحيح وسليم، وتعرف على مآلات الخير والشر ودرجات كل منهما، وكما يقال: "ليس العاقل من يعرف الخير من الشر، ولكن العاقل من يعرف خير الخيرين وشر الشريرين" كما يوجب عليهم الإفادة من الزمن لتحقيق المفاجأة وتغيير موازين القوى؛ فإن عامل المفاجأة وتغيير الموازين في الصراع يستند إلى قدرة الجماعة على بذل طاقاتها مع اختزال للجهد والزمن بأقصى ما يمكن لتحقيق التفوق على الخصم؛ فإن صراع الجماعات والأمم صراع على أرضية الزمن، وكيفية كسبه وتحقيق أعظم إنجاز بأقل جهد وزمن، وهذا ما نلاحظه في دعوة النبوة: عظمة الإنجاز مع قلة الزمن.

وأمام أهل الحق جبهات ثلاث مفتوحة علمياً وعسكرياً وسياسياً من قبل التيارات الآتية:

1 - التيارات الكفرية والشركية.

2 - تيارات النفاق من العلمانيين والشيوعيين وغيرهم الذين يتلونون بكل لون، ويدفعون كل راية حسب مقتضى الحال، ويكشفون عورات المسلمين.

3 - الفرق والجماعات الضالة الحديثة والقديمة في أصولها.

وتستخدم هذه التيارات هيئات متخصصة لدراسة ورصد القوى الإسلامية، وتعد خطأً ومناهج فكرية وسياسية وعسكرية لضربها وقطع الطريق أمام العودة الإسلامية الرشيدة للأمة؛ ومما تستخدمه من وسائل محاربة:

1- إفراغ محتوى دعوات الإصلاح بتحويل مناهجها ومقاصدها عبر الإسقاطات الفكرية المختصة.

- 2- التشويش الفكري والعقدي، والتشكيك في عقائد الإسلام ومنهجه.
- 3- إدخال الجماعات الإسلامية في معارك استنزافية فكرية وسياسية وعسكرية.
- 4- بث وتوسيع الخلافات الداخلية والاستفادة من وضعية التشرذم الداخلي.
- 5- إيجاد الشرعية لضربها وإنهائها، والتحرش بها عبر وصمها بالألقاب الآتية:
الأصولية، الإرهاب، المتاجرين بالدين، أصحاب العاهات العقلية والنفسية.
- 6 - إضعاف السند والالتفاف الشعبي حول الدعوة - أو استخدام سياسة الاستفراء بالجماعات باستثمار أخطائها.

وفي مقابل هذه العداوات المرصودة وبكل شراسة ضد جماعات الدعوة الإسلامية نجد تشرذم البيت الإسلامي وانشغاله بقضايا بيئية، بينما الواقع المعاش لأمة الإسلام يلقي بأحمال وتبعات ثقيلة على دعاة الحق، وإنه لينوء بها من ينوء إلا ذوي العزائم وكبار النفوس المتوكلين على ربهم.

المطلوب:

1 - مرجعية علمية وعملية واحدة، أو معالجة أحوال النخبة:
من الاهتمامات الكبرى الضرورية في الدعوة المعاصرة تشكيل المرجعية العلمية والعملية الواحدة بمعالجة أحوال النخبة من علماء وطلبة علم ليمثلوا حالة الوحدة في المرجعية العلمية وضبط منهجية العمل الدعوي ومقاربتها في إصلاح الواقع في تصوره ومطالبه، وفقه التعامل والإنزال فيه، ومعالجته معالجة منهجية بعيداً عن الفوضى والارتجال العلمي والعملية التي يعاني منها الواقع الإسلامي المعاصر الذي أدى إلى ظهور تيارات مغالية أو مجافية، وبدون أفكار نشاز زادت من أزمة البيت الإسلامي؛ حيث انطلقت من رد فعل أزمة الواقع واتساع مطالبه وفقدان المرجعية الموجهة والضابطة علماً وعملاً. إن توحيد أو مقارنة المرجعية العلمية القائدة هي نقطة أولى لرأب الصدع وتوحيد الجهود.

2 - مراجعات منهجية في العلم والعمل:
مما يؤدي إلى سلامة مسلك الدعوة في أقوالها وأفعالها تحريراً منهاجها على قواعد وضوابط وأصول أهل السنة والجماعة: العلمية والعملية، ثم يتبع ذلك مراجعات منهجية في جانب العلم والتصور والفهم؛ لتلايديد عن الوسط ويصاب بعاديات

البدع والانحراف؛ فإن الأصول ربما تكون سليمة ولكن تعتري العلة بعض الجوانب أو بعض المسائل التي توجب فتنة للاختلاف والشقاق فيها، وقد تكون تلك من الآثار التي عبر عنها ابن تيمية - رحمه الله تعالى - نتيجة المعصية، وهي: خفاء الحق عند أقوام أو أحوال ومواطن فيضيّقوا ما وسع الشارع، أو يتوسطوا فيما ضيق فيه من الحرام، ولاشتباه الحق بالباطل تقع الفتن (1).

فلا بد إذاً من تنقية المنهج العلمي وتصحيح المسلك العملي ومراجعته ليكون على مشروعية صحيحة، كما أنه يجب أن نستوعب قواعد السياسة الشرعية وأصولها في النظر إلى الوضع القائم وتقييمه، وفي ضبط مسلك الدعوة في الواقع المحيط بمختلف مكوناته العضوية والعلمية والفكرية دوراً وموقفاً نتوخى في ذلك كله جلب كل صلاح مستطاع ودرء كل فساد مقدور عليه، ولنؤمن طريق الدعوة من المعارك الاستنزافية التي يكيد بها الخصماء، والتي تفقد فيها كثيراً من القدرات والطاقات، وتهدم فيها المكتسبات.

3 - تجديد خطاب الدعوة المعاصرة وإصلاحه:

الذي يتابع خطاب النبوة في عصر الدعوة الأول يرى تنوعه وتطوره بحسب المراحل التي تمر بها الجماعة والمطالب التي تقتضيها المرحلة؛ فالخطاب في مكة غير الخطاب الموجه في المدينة، والخطاب في المدينة ممتد عن الخطاب الموجه في مكة تفصيلاً وتوضيحاً وإضافة (2).

وواقع المعاصر أشد حاجة إلى هذا التنوع والمرحلية في الخطاب لتلبية حاجات المرحلة ومطالب الواقع في الأعيان والأحداث والأحوال تنوعاً ينتظم تحت دائرة كلية واحدة يقتضي بعضها بعضاً وتتصافر فيها المفاهيم في مسلك واحد ولتحقيق غاية واحدة وهي تحقيق العبودية لله. إن تجديد أساليب الخطاب المعاصرة وإصلاحها لتعالج قضايا الأمة وفق منظور شرعي واستراتيجية عملية ناضجة ضرورة لتحقيق التغيير الإسلامي المنشود، وإن أشد ما يعاني منه الواقع الدعوي المعاصر ذلك الخطاب الذي يعرض صورة منحرفة أو جزئية ناقصة أو سطحية تنطلق من رأي هذا أو ذلك، أو فهم هذا أو ذلك مقدماً على الحق كما أن الخطاب الذي اقتصر على مرحلة أو جزئية معينة وثباته حولها عامل من عوامل الشلل

الدعوي، وهو ما يفسر موت كثير من الأنشطة الدعوية المعاصرة وتجاوز الزمن لها.

4 - بناء الكفاءات والقدرات:

إن مراعاة البعد الزمني للدعوة تتطلب الإعداد الضروري الذي يؤهل للوصول إلى المستقبل المُستشرف، وكل مرحلة وطور لها متطلباتها ووسائلها التي ينبغي الإعداد لها، وكل مرحلة تؤدي إلى الأخرى في تتابع وانتظام ثابت؛ فالذي يجب أن يرافق الاستشراف المستقبلي إعداد وتطوير الوسائل والإمكانات والقدرات التي تشكل ذلك المستقبل المتطور وتصوغه.

إن كثيراً من الفروض العامة غائبة لغياب المؤهلين الذين يقومون بها مما أقعد الأمة عن ممارسة دورها الحضاري، وهذا لا يُعفي العاجزين عن أدائها، بل يُلزمهم أمراً آخر وهو تهيئة القادرين عليها ودفعهم لإتقانها(3)؛ فإن الأفراد قد جُلبت فيهم خُلقاً مختلفُ القدرات والإمكانات الذاتية التي يُسروا لها (فكل ميسر لما خلق له) فإما أن تموت فيهم، وإما أن تحيا فيهم فيكون لها دورها في حياتهم وفي حياة أمتهم؛ فلذلك لا بد من العناية بالتنشئة السليمة لناشئة الإسلام التي تُخرج فيهم كوامن القدرات والطاقات، وتسعى إلى بنائها وتطويرها، وتدفع بكل واحد إلى ما هيئ له بوفور القدرة عليه ليحوز العلوم والآداب التي تناسب ما هو ناهض به، وإن تأهل لغيره أُعين عليه.

إن الدعوة الإسلامية المعاصرة تفتقر إلى كثير من القدرات والمؤهلات والبناء الداخلي المؤسس، مما يؤدي إلى ثغرات وعوامل ضعف فيها في المرحلة الراهنة، وتلك القدرات هي أهم ما تفتقر إليه القيادات الدعوية الرشيدة التي تملك قدرة التأثير وزمام المبادرة في القيادة والإصلاح والتربية. ومما يؤخذ على الجماعات الإسلامية المعاصرة عند ما تخوض المعترك السياسي أو المعترك العسكري أنها تضعف أو تشل قدرتها في التربية والإصلاح، وتتناقص عضويتها الصفوية، وتتحول إلى تيارات شعبية عامة، مما ينحرف بمسارها وتتحول أهدافها وتفقد هويتها.

وأخيراً:

هل يعي دعاة الحق ويتفهمون تحديات الواقع وينهضون قياماً بالواجب وإصلاحاً في الأرض؟ إن القيادات والدعاة الربانيين هم أدلاءً الخير وقادة الإصلاح، تلو بهم راية الحق وتبطل بهم رايات الباطل، والأرض الإسلامية عموماً خصبة تنبت ما يزرع فيها نباتاً صالحاً، وقد توارت كثير من رايات الباطل إما زوالاً وإما كيداً خفياً من وراء الشعارات الإسلامية. وإن كانت الأرض مهياً لقبول ما يزرع فيها فثمة تحدٍّ يتمثل في فقدان دعاة الحق؛ وهي حال قد تدفع بالتيار العام للانحراف وراء دعوات خبيثة أو إمامات ضعيفة ناقصة تؤدي إلى فتنة داخلية؛ فإن ما يلحظ أن كثيراً من التيارات المتغربة التي تلبس لبوس الإسلام وأخرى باطنية خبيثة لها مبادراتها وطروحاتها وأفكارها تعالج بها كثيراً من قضايا الواقع وتنتج كمّاً هائلاً من الفكر مما يلقي بثقله على أصحاب الحق من الواجبات العظيمة التي تنوء دونها الجبال.

إن تعقدُ الواقع وامتداداته الداخلية والخارجية تستوجب من أهل الدعوة أن يكونوا في مستوى المطالب والمقاصد فهماً وهمة وإصلاحاً وعملاً وتضحية وتخطيطاً وتنظيماً للجهود والطاقات؛ فإن إصلاح الأمة إنما يتم بجهد وحركة علمية ناضجة ونشطة تجدد ما اندرس من معالم النبوة وآثارها، وتبعث مناهج السلف وأصولهم وهدبهم علماً وعملاً وممارسة وسلوكاً. ومن الله وحده العون وعليه التكلان.

(1) يراجع الفتاوي، 14/ 147.

(2) يراجع الفتاوي، 15/159، والموافقات 2/62.

(3) الموافقات، 1/121.

=====

البعد الزمني الغائب

المحتويات

توطئة

مظاهر لغياب البعد الزمني في تفكيرنا

في حياتنا الاجتماعية

وفي مشاريعنا الشخصية

في علاج المشكلات

في المشروعات الإصلاحية

العوامل التي أدت إلى غياب البعد الزمني

العامل الأول: العجلة من طبيعة الإنسان

العامل الثاني: ضغط الواقع

العامل الثالث: التربية

لما ذا نحتاج إلى البعد الزمني؟

نصوص القرآن الكريم

نصوص السيرة النبوية

سير الأنبياء

هكذا سنة الله في المجتمعات

البعد الزمني يتيح لنا التعامل مع متغيرات عدة

الواقع المعاصر لم يكن وليد لحظة

آثار غياب البعد الزمني

أولاً: الابتعاد عن الأعمال المنتجة العميقة الأثر

ثانياً: غياب الرؤية البعيدة والنظر العميق للواقع

ثالثاً: غياب الأولويات

رابعاً: الاتجاه لأعمال غير منتجة

خامساً: التسرع في التقييم

توطئة

الحمد لله نعمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن

سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا

إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله،

أما بعد:

في صحراء مكة، التي كانت تفتح بالحر الشديد، كان هناك شابٌ لا يزال دون العشرين من عمره، آمن بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم واستجاب لها، وحينها لاقى ما لاقاه إخوانه من التعذيب والأذى الذي بلغ حداً لا يطاق، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم شاكياً له من سيده الذي كان يتقنن في تعذيبه وإيذائه، يروي لنا القصة صاحبها رضي الله عنه وهو خباب بن الأرت، حيث جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، فقال له: ألا تدعو الله لنا؟ ألا تستنصر لنا؟ قال: فقعد النبي صلى الله عليه وسلم وهو محمرّ وجهه ثم قال: "لقد كان من كان قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض ثم يوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنتين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، ما يصدّه ذلك عن دينه، والله ليتمنّى الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون" (أخرجه البخاري رقم (6943)).

فالنبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث يخاطب هذا الشاب الذي ربما كان الاستعجال لديه شعوراً نفسياً، فهو لم يكن طائشاً أو متهوراً رضي الله عنه، وإنما جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يطلب منه أن يدعو ربه أن ينصرهم ويكشف عنهم الضر، ولعل النبي صلى الله عليه وسلم لمس من نفس خباب رضي الله عنه استبطاء النصر، ولمس منه قدراً من الاستعجال، فوجه له هذا الخطاب، ولو عرفنا ما لقيه خباب لشعرنا أنه معذور في هذا الموقف، فإنه حين أسلم كان قيناً للعاص بن وائل، وكان العاص جباراً متسلطاً، فكان يعذبه أشد العذاب، حتى إن كتب السيرة تروي لنا أنه كان يشعل الجمر فيرميه على ظهره حتى لا يطفئ الجمر إلا ودك ظهره رضي الله عنه، وكان لا يزال شاباً يانعاً (رواه أبو نعيم في الحلية" 143-1/144"، وابن سعد في الطبقات "3/165").

دخل على عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته فقال له عمر: "اجلس فما أحق بهذا المجلس منك إلا عمار"، وذلك لأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه تأخر إسلامه فكان يعتقد أن ما لقيه خباب أقل مما لقيه عمار رضي الله عنهم جميعاً،

فكشف له خباب رضي الله عنه ظهره فأراه آثار التعذيب التي لا زالت باقيةً على جسده إلى وقت خلافة عمر رضي الله عنه (رواه ابن ماجه "153").
وحين مرَّ عليُّ رضي الله عنه بقبر خباب، بكى وقال: رحم الله خباباً أسلم راغباً وهاجر طائعاً وعاش مجاهداً وابتليَ في جسمه أحوالاً ولن يضيع الله أجره (الإصابة "1/416").

إن من يتأمل ذلك الموقف الذي كان يعيشه خباب بن الأرت رضي الله عنه يدرك أن هناك ثمة مبرر حين يأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويطلب منه أن يسأل الله النصر وهذا الأمر ليس فيه- فيما يبدو لنا - استعجال، لكن النبي صلى الله عليه وسلم وهو أعلم بنفس صاحبه أراد أن يربي عنده هذا المعنى.

إننا حين نريد الحديث عن الاستعجال فإنه قد يطول بنا الحديث، لكننا سنتناول جانباً من جوانب الاستعجال، ألا وهو غياب البعد الزمني.

وغياب البعد الزمني مشكلة في التفكير قبل أن تكون في المواقف والعمل؛ فالمواقف والعمل نتيجة لقرار وتصور يرسمه الإنسان.

إننا نعاني من فقدان هذا البعد في تفكيرنا حيث إننا أسرى اللحظة الحاضرة، ننظر دائماً إلى ما تحت قدمينا، ولا ننظر النظرة البعيدة، وتظهر آثار هذه النظرة ونتائجها في أقوالنا، ومواقفنا، وأعمالنا.

إنك لو أردت أن تزرع بقلّة من البقول فسوف تنتظر ثمرتها عن قريب، لكنك حين تزرع شجرة زيتون فلا يمكن أن تنتظر ثمرتها قريباً، لأنك تعرف أنها تحتاج إلى مدة زمنية حتى تكبر ثم تثمر، وهكذا سنة الله في الحياة.

إذا كان هذا الأمر في عالمنا المادي القريب فما بالك بما هو أبعد؟

مظاهر لغياب البعد الزمني في تفكيرنا

يغيب البعد الزمني في تفكيرنا ومن مظاهر ذلك:

في حياتنا الاجتماعية

لو قابلت إنساناً تتمنى أن تكرمه، فدعوته إلى منزلك ثم قال لك: لا أستطيع اليوم، ليكن بعد غد، أو قال: لا أستطيع أن آتيك إلا بعد أسبوع أو أسبوعين، فإنك ستستبطن الموعده، فكيف إذا قال لك: لا أستطيع أن آتيك إلا بعد شهر أو شهرين.

وفي مشاريعنا الشخصية

في مشاريعنا الشخصية كثيراً ما نخطط ونتطلع إلى مدى زمني محدود قريب، قد يحتاج الإنسان إلى أن يفكر إلى ما بعد عشر سنوات أو عشرين سنة - إن أحياء الله عز وجل - فيرسم له صورة وهدفاً يريد أن يصل إلىه، ويبدأ الآن وأمامه هذه المدة، لكن هذا الأمر يغيب كثيراً عما نخطه لأنفسنا.

في علاج المشكلات

كلانا نعاني من مشكلات في أنفسنا، فقد أعاني من مشكلة تتمثل في سيطرة عادة سيئة عليّ - أياً كانت هذه العادة -، أو هب أني إنسان سريع الغضب، أو لا أجد التعامل مع الآخرين أو أني قليل الصبر أو عجل أو كسول، أي صفة سيئة أعاني منها، ثم اكتشفت هذه المشكلة في نفسي، فكيف أعالجها؟

إن القضية ليست قضية معرفية وليست مجرد أن أعرف أن هذا السلوك غير صحيح حتى أتجنبه، وإنما أحتاج إلى جهد حتى أعود وأروض نفسي على أن أتجاوز هذه السلبيات.

بالأمس القريب (البارحة) كانت تحدثني فتاة تعاني من مشكلة مع والدتها، تقول: إنها تسئ التعامل مع والدتها، حيث تتفعل وتسئ لوالدتها ثم تتضايق كثيراً حتى إنها تستيقظ في الليل ثم تبكي عند والدتها وتعتذر منها، وتلح عليها بالسؤال أنها إذا سألت يوم القيامة هل كانت ابنتها بارّة بها أم عاقّة؟ فماذا تجيب؟ لكنها لا تلبث أن تعود إلى ما كانت عليه.

وكانت تقول: إنني لا يمكن أن أُغير ما أنا عليه أبداً!! فحاولت إقناعها فعجزت.

فقلت لها: أليس لك رغبة في التغيير؟

قالت: ليس عندي رغبة في التغيير.

قلت: لماذا اتصلت عليّ إذن، وما هو السبب، فترددت قليلاً.

فقلت لها: دعيني أجيب عنك، إنك تعتقدين أنني قد أساعدك على حل هذه المشكلة فإذا اتصلت تعرضين عليّ وتحدثين عن قضية خاصة في حياتك الشخصية وتستشيريني فيها، وأنت تؤملين أن تجدي مني حلاً يمكن أن يساعدك على تجاوز هذه المشكلة.

أليس هذا هو دافع الاتصال؟

قالت: نعم.

قلت: إذاً هناك شعور ورغبة في التغيير.

قالت: إنني حاولت لسنوات طويلة ولم أتخلص من هذه العادة.

فسألت سؤالاً - وأتمنى أن يكون هذا السؤال قاعدة لنا في التعامل مع مشكلاتنا-

هل الإنسان خرج من بطن أمه بهذه السلوكيات أم أنه اكتسبها؟

فأجابت: لا شك أنه اكتسبها، ولكن قد يكون وراثته.

قلت: ما يتعلق بوراثة السلوك جزء كبير منها نتاج تربية أكثر من أن تكون قضية

وراثية فحسب، فليست القضية متعلقة بالجينات وأن هذا السلوك صار جزءاً من دم

الإنسان، ولكن هب أنني ولدت مثلاً من أب يتصف بصفة من الصفات، فتربيت في

أحضانها وعشت في هذا الجو، فمن الطبيعي أن أرث هذه الصفة، وإنما ورثتها

تربية وتأثراً وليس بالضرورة أنني ورثتها يوم أن ولدت.

فالسلوك الذي نملكه أمر اكتسبناه، وما دمنا اكتسبناه وتعودنا عليه فيمكننا منطقياً أن

نتعود على خلافه، لكننا نريد أن نحل مشكلاتنا في وقت قصير لا يمكن أن تحل

فيه.

في المشروعات الإصلاحية

حينما نفكر في مشروعات إصلاحية على مستوى مجتمعاتنا إلى أي مدى تقف

نظرتنا؟!!

إننا دوماً ندور في إطار محدود وقريب، لا نفكر في مشروعات على مدى عشر

سنين أو عشرين سنة، فضلاً عن أن نفكر فيما بعد جيلنا، إننا إذا كنا نعرف سنة

الله في المجتمعات، وكيف تتغير، فالمفترض أن تكون مشروعاتنا الإصلاحية تهيئ

للجيل اللاحق.

إننا نريد أن تصلح هذه المجتمعات التي نعيش فيها ما بين عشية وضحاها؛ ولهذا

يسيطر علينا دوماً الخطاب العاطفي والحماسي، وهو الذي يستهويننا كثيراً ونطرب

لسماعه، وهو الذي نشعر أنه يسهم في إصلاح مجتمعاتنا.

إن الخطاب العاطفي المتزن مطلوب ولا بد منه، وقد يحل مشكلات معينة؛ لكن لا يمكن أن يغير في المجتمعات، فمشروع إعادة بناء الأمة لا يكفي فيه خطاب يطالب الناس بالتوبة والرجوع إلى الله، وإن كان مطلوباً ولا بد منه ويسد ثغرة. ومن خلاله وحده لا يمكن أن نغير قيم الناس وطريقة تفكيرهم، ولا يمكن أن نواجه التيار الوافد الذي يهاجم الناس، ولا يمكن أن نربي الناس تربية متكاملة. فالبعد الزمني نفقده كثيراً في تفكيرنا، وفي حياتنا الاجتماعية، ومشاريعنا الشخصية وكذا الإصلاحية التي نسعى إليها في مجتمعاتنا.

العوامل التي أدت إلى غياب البعد الزمني هذه الطريقة في التفكير تولدت من خلال عوامل عدة لن أستطرد فيها - لأن ما بعدها من نقاط أولى بالحديث - لكنني أشير إليها باختصار شديد. العامل الأول: العجلة من طبيعة الإنسان

أن من طبيعة الإنسان العجلة كما جاء في كلام الله عز وجل (خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ) [الأنبياء:37]. والله تعالى هو الذي خلق الخلق وهو أعلم بهم، لكن هذا لا يعني الاستسلام وعدم التخلص من العجلة؛ فقول الله عز وجل: (إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً) [المعارج:19] لا يعني الإقرار لأن نتصف بالهلع.

العامل الثاني: ضغط الواقع لواقع السيئ يشكل ضغطاً قوياً، فالإنسان الذي يحمل الغيرة في قلبه ويريد التغيير، يتضايق من هذا الواقع وما يراه فيه، وكل يوم يجد أمامه متغيرات وأوضاع سيئة جديدة، فلا يطيق ولا يصبر.

ويزيد من حدة ذلك الخطاب العاطفي السائد، فيبحث الإنسان حينئذ عن حلول قريبة، فإذا حدثته عن مشاريع لها بعدٌ زمني يراها الجيل الذي بعده، فلن يستوعب هذا الكلام بل لا يتلاءم مع الشعور الذي يحترق في داخله.

العامل الثالث: التربية إن طريقة التربية التي تعودنا عليها وطريقة تفكيرنا هي التي غرست عندنا هذا النمط من النظرة القريبة المتعجلة، فتفكيرنا دائماً بسيط محدود، والعمق في تفكيرنا

غائب سواء على مستوى العمق في الأفكار أو على مستوى العمق في المدى الزمني، ولأجل ذلك ولدَّ عندنا هذه النظرة.

يستحيل أن يتخلص الإنسان من العجلة نهائياً، لكن المؤمل من الناس الذين يتطلعون للإصلاح في المجتمعات أن يعيدوا النظر في مدى تلاؤم نظرتهم للمدى الزمني مع الواقع، وهل هم يعطون مشروعاتهم الإصلاحية المدى الزمني الذي يتلاءم معها أم لا؟!!

لما ذا نحتاج إلى البعد الزمني؟

حين نطالب بأن يأخذ البعد الزمني مداه المناسب في تفكيرنا فإن الذي يدفعنا لذلك أمور عدة، منها:

نصوص القرآن الكريم

يقول الله تبارك وتعالى في سورة الأنبياء: (وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ) [الأنبياء:36] يخبر الله في هذه الآية عن الكفار أنهم كانوا إذا لقوا النبي صلى الله عليه وسلم استهزءوا به وسخروا منه.

ثم يقول الله عز وجل في الآية التي تليها: (خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ) [الأنبياء:37].

فكأن الإنسان يتساءل ما دام أن الكفار يستهزئون بالنبي صلى الله عليه وسلم ويسخرون به فلماذا لم يعذبوا؟ ولماذا لم ينزل عليهم العذاب؟

وقال تعالى: (أَلَمْ غَلِبَتِ الرُّومُ. فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ. فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ. بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) [الروم:1-5].

فكأن اللحظة قريبة، فاليوم ينتصر الفرس على الروم، وسيغلب الروم فيما بعد، ثم هذه أمارة بنصر المسلمين.

ثم يقول الله عز وجل (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ. يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ) [الروم:6،7]

نصوص السيرة النبوية

وفي سيرة النبي صلى الله عليه وسلم نلمس هذا واضحاً، بل يبدو في الموطن التي تبعث على اليأس، لقد لقي صلى الله عليه وسلم وهو في مكة من العذاب ما لا يطاق؛ حتى ذهب يبحث عن موطن لدعوته، فرحل إلى الطائف، وحين رحل إلى الطائف لقي الصدود والإعراض من أهل الطائف ولم يستجيبوا له - وكان يوم الطائف من أشد ما لقي صلى الله عليه وسلم، كما أجاب بذلك عائشة حين سألته. فخرج مهموماً ولم يستفق إلا وهو بقرن الثعالب - مكان بين مكة والطائف - فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن الله قد سمع ما قال قومك لك، وهذا ملك الجبال فمره بما شئت، فقال: لو شئت لأطبقت عليهم الأخشبين - جبلين في مكة - فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا، لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله عز وجل" (أخرجه البخاري "3231" ومسلم "1795").

إن نظرة النبي صلى الله عليه وسلم لم تقف متفائلة مع هذا الجيل فحسب؛ بل إنه ينتظر أن يخرج من أصلاب هؤلاء من يعبد الله عز وجل، وبعبارة أخرى كان النبي صلى الله عليه وسلم ينتظر الجيل القادم، مع أنه في موقف يبعث على اليأس. وفي هجرته صلى الله عليه وسلم - وأخبارها لا تخفى - وكيف خرج صلى الله عليه وسلم واختفى في الغار، فجعل المشركون جائزة عظيمة لمن يأتي بالنبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه حياً أو ميتاً، فلحقه سراقه بن مالك ثم كان ما كان بينه والنبي صلى الله عليه وسلم من حوار حتى قال له النبي صلى الله عليه وسلم: كيف بك إذا لبست سوارى كسرى؟ (الإصابة "2/19"، الاستيعاب "2/120").

وفي غزوة الأحزاب وكان المسلمون محاصرين لا يستطيع أحدهم أن يذهب لقضاء حاجته منفرداً من الخوف، يعدهم صلى الله عليه وسلم بقصور الشام وفارس واليمن؛ عن البراء بن عازب قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق قال وعرض لنا صخرة في مكان من الخندق لا تأخذ فيها المعاول، قال: فشكوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم هبط إلى الصخرة فأخذ المعول فقال: "بسم الله" فضرب ضربة فكسر ثلث الحجر وقال: "الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا" ثم قال: "بسم الله" وضرب أخرى فكسر ثلث الحجر فقال: "الله أكبر، أعطيت

مفاتيح فارس، والله إني لأبصر المدائن وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا" ثم قال: "بسم الله" وضرب ضربة أخرى فقلع بقية الحجر فقال: "الله أكبر، أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا" (رواه أحمد " 18219")

وجاء عدي بن حاتم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "هل تعلم مكان الحيرة؟" قال قلت: قد سمعت بها ولم آتها، قال: "لتوشكن الطعينة أن تخرج منها بغير جوار حتى تطوف" (رواه أحمد 18888).

سير الأنبياء

يقول الله عز وجل مخبراً عن النصر وتنزله على رسله: (حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ) [يوسف: 110].

ولنقرأ شيئاً من العبر في قصص الأنبياء.

حين دعا نوح عليه السلام على قومه قال في دعائه: (وَلَا يَلِدُوا إِلًا فَاغْرِبًا كَفَّارًا) [نوح: 27]، لقد كان يؤمل في أولادهم أن يستجيبوا، فكان نظره يتجاوز جيله الذي يعيش فيه، ولم يدع على قومه إلا حين علم أن الأمل قد انقطع من أولادهم.

وفي قصة موسى عليه السلام يقول الله تعالى: (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَتَّبِعُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ) [القصص: 4-6].

هنا يتحدث القرآن عن بطش فرعون وعلوه ثم يقول الله عز وجل: (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) [القصص: 5]

فيولد موسى، وينشأ في بيت فرعون ويشب، ثم يخرج إلى مدين ويبقى فيها يرعى الغنم عشر حجج أو ثمان، حتى يبلغ بعد ذلك أشده، ثم يأتيه الوحي، ويعود بعد ذلك إلى فرعون، وكل هذا إتماماً لهذا الوعد.

(وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) [القصص: 5].

ويبدأ تقدير الله من هنا منذ أن ولد موسى عليه السلام وهو طفل رضيع إلى أن ذهب وتربى هناك وبقي يرعى الغنم، وفرعون لا يزال يبطش ويتجبر ويذبح الأبناء حتى مضى جيل بعد ذلك ثم أتى موسى، وأتم الله عز وجل لبني إسرائيل ما وعدهم .

ويوسف عليه السلام رأى رؤياً وهو لا يزال صغيراً (إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ) [يوسف: 4، 5].

ثم طال الوقت وكاد به إخوانه، ورموه في الجب، وذهب إلى بيت العزيز، وبقي فيه وقتاً، ثم سجن، ثم بقي على خزائن الأرض سبعاً وسبعاً، ثم جاءه بعد ذلك يعقوب وأهله وخرروا له سجداً فقال: (يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهُ رَبِّي حَقًّا) [يوسف: 100].

وتبقى هذه الأمور في عمر الزمن أمراً محدوداً لا يساوي شيئاً.

هكذا سنة الله في المجتمعات

لو رأيت رجلاً مكتمل الرجولة، يمتلئ حيوية ونشاطاً، فأنت تعرف أنه كان يوماً من الأيام رضيعاً لا يستطيع أن يأكل الطعام بنفسه، ولا يستطيع أن يقوم أو يعبر عما في نفسه، لا يعرف لغة إلا البكاء، فينمو وينمو من خلال وقت طويل وزمن؛ حتى يصبح كما تراه أمامك رجلاً جلدًا قوياً.

إذا كان هذا في عمر الأفراد فكيف في عمر المجتمعات؟

عمر الأفراد لا يقاس بعمر المجتمعات أبداً، وإذا كنت ترى التغير في عمر الفرد فما تراه في المجتمع يحتاج إلى أضعاف ذلك الوقت بكثير.

لكننا حين نريد أن نغير في المجتمعات، فإننا في الواقع لا نتعامل معها بأعمار الأفراد فضلاً عن أعمار المجتمعات.

البعد الزمني يتيح لنا التعامل مع متغيرات عدة

إن طول المدى الزمني يتيح لنا أن نتعامل مع متغيرات عديدة لا تتيحها لنا النظرة القريبة، فحينما نريد أن نقيم مشروعاً دعوياً، سنجد أنه يحتاج إلى جهود إصلاحية

ومشاريع إعلامية متميزة، ويحتاج إلى مدارس متميزة وعلماء، فإذا كنا سنعمل على مدى زمني بعيد فبإمكاننا حينئذ أن تدخل كل هذه المتغيرات.

حين نحتاج إلى إعلام إسلامي ولانملك مختصين يمكن أن نوجه عدداً من الخريجين فيتخصصوا تخصصات إعلامية، وبعد سنوات سنملك عدداً يمكن أن يُدربوا غيرهم، وهكذا في سائر التخصصات.

المؤسسة التجارية التي تستهدف تحقيق ربح، وحضور في السوق التجاري، لا يمكن أن تربح بين يوم وليلة، فهذه المؤسسة وإن كانت تملك عاملين لهم ولاء خاص للمؤسسة؛ لكن ضعف المهارة في التسويق وضعف الخبرة الإدارية سيؤثر على إنتاجهم، وسيؤثر على موقع هذه الشركة في ظل هذا السوق الذي هو تسود فيه حمى التنافس.

فإذا كان صاحب الشركة يفكر على مدى بعيد فإنه سيدرب هؤلاء كل على حسب حاجته فمن كان يحتاج إلى لغة أعطي دورات في اللغة، ومن كان يحتاج أن يتدرب على الحاسب الآلي دُرّب عليه، أو مهارات علاقات عامة أو تسويق أو استقطاب أفراد عملاء، إنه حين يفكر على مدى عشر سنوات أو أكثر فإنه سيستطيع أن يوجد طاقات، وتكون أمامه متغيرات عديدة يستطيع أن يتحرك من خلالها، خلافاً لما لو كان ينظر إلى اللحظة الحاضرة.

الواقع المعاصر لم يكن وليد لحظة

إن الواقع الذي نعيشه اليوم وهو واقع غير مرضٍ، ويحتاج إلى إصلاح وتغيير، ليس هو نتاج حدث عابر أو عامل واحد.

إنك لو سألت طائفة من الناس: ما سبب تخلف المسلمين؟ فسوف تجد إجابات متعددة، وكل إجابة لها ما يؤيدها من الواقع، لقد اجتمع هذا العامل والثاني والثالث مع العامل الزمني فأدى إلى تخلف المسلمين، فالتغيير إنما حصل من خلال عوامل وأثر تراكمي، ومن خلال فترة زمنية طويلة.

وحين نريد إصلاح هذا التغيير الذي تم خلال عقود متطاولة، ونتاج عوامل عدة، فلا يمكن أن يتحقق ذلك في فترة محدودة، وليس حتماً أن نعطي مشروع الإصلاح

المدى الزمني الذي استغرقه مشروع الفساد والتغيير، ولكن على الأقل أن يتناسب معه.

فالمفاهيم والقيم المنحرفة السائدة لدى المسلمين لم تأت مرة واحدة، ولم تكن نتاج فيلم شاهدته الناس فغير حياتهم، أو موقفا رأوه في السوق والشارع. دعوني أضرب لكم مثالا:

من القيم السائدة اليوم في مجتمعات المسلمين بين الشباب المراهقين والفتيات المراهقات أن الشاب أو الفتاة حينما يصل إلى مرحلة المراهقة لا بد أن يخوض تجربة يسميها "تجربة الحب" مع طرف آخر، وتبدأ هذه القصة ثم تمتد على علاقات عاطفية، وفي النهاية تكون هي نواة مشروع الزواج.

شعور الإنسان بالحب في قلبه أمر لا يلام عليه، لكن الملامة أن تصبح مشروعاً من مشاريع الإنسان حينما يصل إلى هذه السن، فيظن أنه لا بد أن يحب فتاةً ثم يبني علاقة معها، وقطعاً سيقعون في أمور محرمة لما يحصل بينهم خلوة وغيرها. هذا السلوك اليوم أصبح سلوكاً طبيعياً عند الشباب والفتيات لا يشعرون تجاه بأي تأنيب للضمير.

هذه القيم السائدة في أوساط شباب وفتيات المسلمين لم تنشأ من خلال قراءة لرواية أو رؤية فيلم، بل من خلال أثر تراكمي طويل، بمجموعة أفلام يشاهدها في الإعلام، أو روايات وقصص يقرأها، أو أحاديث لزملائه وزميلاته، فلما اجتمعت هذه الأمور ولدت هذا التأثير التراكمي الذي استقر وشكل هذه القيمة.

فهل يمكن أن تتغير هذه القيم من خلال جمع مجموعة من الشباب وإخبارهم أن هذا السلوك خطأ ويجب تركه؟

فإذا كنا نريد أن نصلح ونغير، فلا يشترط أن نعطي نفس المدى الزمني ونفس الزخم والمؤثرات، لكن على الأقل نحتاج إلى تنويع وسائل التأثير ونحتاج إلى مدى زمني يتناسب مع زخم هذه العوامل التي أدت إلى هذا الواقع.

آثار غياب البعد الزمني

حينما يغيب البعد الزمني في تفكيرنا، ولا ننظر إلا إلى اللحظة القريبة فإننا سنجني نتائج مرة وسيئة، نلاحظها اليوم في الأنشطة الدعوية والمشروعات الإصلاحية القائمة في الأمة.

أولاً: الابتعاد عن الأعمال المنتجة العميقة الأثر

وذلك بالابتعاد والانصراف عن الأعمال تلك التي تحتاج إلى وقت وجهد في القيام بها، ولا تظهر آثارها في الزمن القريب، والاتجاه للاعتناء بالأعمال سريعة الأثر وقريبة النتائج.

فلو قيّمت المشاريع الدعوية القائمة اليوم، لوجدت أن المشاريع التي تستهوي الشباب والناس عامة هي غالباً المشاريع التي يظهر أثرها قريباً.

فحينما تذهب إلى شباب يجلسون على الشاطئ أو على الأرصفة وتتاصحهم ويستجيب لك واحد أو اثنان، أو حينما تذهب إلى مجموعة من الجاليات غير المسلمة وتدعوهم ويسلم واحد أو اثنان...، أو حينما تتحدث مع الناس حديثاً وعظيماً مؤثراً ويستجيب لك الناس، هذه الأعمال - التي يكون أثرها سريعاً - هي التي تستهويننا كثيراً وتلقى رواجاً.

وذنن لا نعترض عليها بل لا بد منها، وغيابها غير صحيح، لكننا نعترض على غياب المشروعات البعيدة الأثر في الأمة .

الأمة اليوم تحتاج إلى عمل إعلامي يتناسب مع الزخم الذي تواجهه.

المنتج الإعلامي - الدعوي - لا يزال محدوداً وضعيفاً وهشاً رغم العمر الطويل للصحة الإسلامية، ومصدر ذلك ليس غياب الداعية الغيور، ولكن طريقة التفكير التي تريد العمل القريب الذي تلمس آثاره قريباً، والعمل الإعلامي يحتاج إلى أوقات ومتخصصين وخبرات لا تتاح في الزمن القريب.

مثال آخر: حين تصلي في أحد المساجد في رمضان يغلب أن تجد من يقف عند الأبواب لجمع التبرعات للمشاريع الدعوية، وهذه ظاهرة جيدة وصحية، لكن إلى متى يقتصر تمويل مشاريعنا الدعوية والإصلاحية على تبرعات الناس؟ لماذا لا يكون هناك تفكير في مشروعات استثمارية قوية تخدم الدعوة؟ وهذا لا شك أنه لا

يمكن أن يتم بين يوم وليلة، لأنه يحتاج إلى تدريب أناس متخصصين، وبذل جهود كبيرة، ووقت يطول على المتعجلين.

أين نحن من المشاريع الاجتماعية التي تستهدف تغييراً وإصلاحاً اجتماعياً؟ بل أين نحن من المشروعات التربوية حيث نعاني اليوم من مستوى تعليم ضعيف متخلف، وكذا نعاني من تربية هشة، وضعف في بناء الأسرة؟ إن ذلك كله لا يمكن أن يتم في زمن يتفق مع مدى تفكيرنا.

ثانياً: غياب الرؤية البعيدة والنظر العميق للواقع

من نتائج غياب البعد الزمني فقد الرؤية البعيدة، وغياب النظر العميق للواقع، وعدم دراسة المتغيرات التي تحكمه، وهذا يجعلنا دائماً نقع أمام مفاجآت ولا نتنبأ بالمشكلات التي تحصل في مجتمعاتنا، فضلاً عن أن نفكر في الإعداد لها ومواجهتها بطريقة صحيحة.

حينما تدرس ظاهرة السفور، فهل ترى أنها بدأت حين أُلقت النسوة المتمردات على شرع الله حجابهن في ميدان التحرير؟ أم أنه تلك الخطوة كانت تتويجاً لتغيير بدأ ينخر في المجتمع منذ عقود؟

إن هناك تغييرات هائلة تحصل في داخل المجتمع لا نبصرها بنظرتنا القاصرة، وإنما نصطدم أمام المفاجأة فحسب.

كاتب ينشر مقالاً يتهم فيه على الحجاب، يولد لدينا ردة فعل جامحة، لكن أين نحن من التأثير والتغير البطيء، ولماذا لا نلتفت إليه؟

وحتى حينما نحل مشكلة من المشكلات، فإننا ننسبها إلى عوامل قريبة ومحدودة، وننسى الخلفية والأرضية التي هيأت لها.

وحين ننقل إلى مستوى أعلى من ذلك فإنه يغيب كثيراً عن حديثنا أن ندرس العوامل التي تؤثر في المجتمع، وحركة التغيير فيه.

ومن باب أولى لا يمكن أن نتنبأ بما سيحصل في المستقبل.

ثالثاً: غياب الأولويات

ثمة مشكلة في رعاية الأولويات في حياتنا، فالأمور الملحة تفرض نفسها علينا، فالطالب يشغله البحث حين يقترب موعد تسليمه، ويقل أن يبذل جهداً في وقت مبكر في مادة تصعب عليه.

وصاحب العمل التجاري يقدم الأمور المستعجلة، ويتناسى الأمور البعيدة وإن كانت أعظم أثراً، فيقدم إنجاز الصفقات العاجلة والعقود لأنها هي التي تلح عليه، أما تدريب العاملين والارتقاء بهم فلا تأخذ إلا حيزاً محدوداً من اهتمامه، مع أنه قد يكون أكثر أولوية من إنجاز هذه الصفقة أو هذا المشروع.

وقل مثل ذلك في شأن الدعاة والمصلحين، فكثيراً ما تشغلهم الأعمال الطارئة العاجلة عن الأعمال الأكثر تأثيراً.

فعند غياب الأولويات تصبح الأولوية للأعمال السريعة، خصوصاً أن الأعمال البنائية والإصلاحية لا تظهر آثارها قريباً، ولا تشكل ضغطاً مباشراً على صاحبها بخلاف الحدث الذي يزعجنا ونراه في لحظتنا، ولأجل ذلك تختلط عندنا معايير الأولويات.

رابعاً: الاتجاه لأعمال غير منتجة

لو أن إنساناً يطهو طعاماً يحتاج إلى ساعة كاملة، واستعجل إخراجه قبل أن وان نضجه، فلن يهنأ بأكله ناضجاً، وقد لا يستطيع أن يعيده إلى قدره. وهكذا الأعمال المتسرفة لا تحقق لصاحبها النتيجة، ولو عاد إلى الطريق الصحيح فسيرى أن تسرعه أفسد عليه الكثير.

حين يكتشف الأب لدى ولده مشكلة ما وهذه المشكلة ليست نتاج لحظة حاضرة بل هي نتاج عوامل عديدة، فإن العقوبة القاسية التي يسلكها لحظتها قد لا تقف ثمرتها عند فشله في حل المشكلة، بل قد تتجاوز ذلك إلى تزيد المشكلة تعقيداً.

ومن أوضح الأمثلة على ذلك اتجاه بعض الشباب الغيورين إلى أعمال العنف، إنه لا يطبق الواقع الذي يراه، فيقول: كيف نصبر والأمة تحكم بالباطل؟ كيف نصبر والمسلمون يهانون ويذلون؟

لا بد أن نغير هذا الواقع، والحل أن نحمل السلاح وسينصرنا الله عز وجل.

ولا شك أن الله ينصر عباده ولكن بأخذ أسباب النصر ومنها عدم الاستعجال كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه (ولكنكم تستعجلون).
وهاهي أعمال العنف تجني على الأمة آثاراً وخيمة، بل لا تقف عند ذلك فتؤخر كثيراً من مشروعات الإصلاح وبرامج التغيير.
خامساً: التسرع في التقييم

حينما تكون نظرتنا قريبة، وأفقنا الزمني محدود، فإن هذا بلا شك سيؤثر على تقويمنا للأعمال، وسنقول: هذه الأعمال غير منتجة، وهذه الأعمال آثارها محدودة، نظراً لأننا نبحث عن الآثار القريبة التي تتناسب مع طريقة تفكيرنا المحدود، أما حينما ننظر إلى مدى زمني أبعد فسوف نقيس هذه الأعمال ونقيمها بمعيار آخر.
هذه خواطر عاجلة خلاصتها أننا نعاني من غياب البعد الزمني في التفكير، وأدنا دائماً ننظر إلى اللحظة الحاضرة ولا ننظر إلى المدى البعيد، وهذا يوقعنا في أخطاء كثيرة، ويفوت علينا فرصاً عديدة وهو مصداق ما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ولكنكم تستعجلون) وهو خطاب ليس خاصاً لخباب رضي الله عنه بل للأمة كلها أجمع.

لا أريد أن أطيل عليكم وأثقل عليكم فأكتفي بهذا القدر وأسأل الله تبارك وتعالى أن يكون هذا اللقاء لقاءً طيباً ومباركاً وأن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال إنه سميع مجيب وصلى الله وسلم على نبينا محمد والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

البعرة تدل على البعير.. والأثر يدل على المسير

الكاتب: الشيخ أ.د. عبد الله قادري الأهدل

ما يقوم به الشيعة في العراق اليوم، ما هو إلا بعرة بغير هائج يعد العدة لاستئصال أهل السنة في البلدان الإسلامية المجاورة للعراق بعد سيطرتها عليه، وبخاصة دول الخليج الفارسي!!!!" الذي تثار نائرة زعماء إيران إذا سمي فندق في إحدى الدول العربية الخليجية باسم "فندق الخليج العربي!" هذا الخليج الذي يطمح الشيعة إلى سيطرتهم عليه ورفع راية الحضارة الفارسية عليه وعلى كل شعوبه.

فما يجري في العراق من قبل الشيعة ليس هو ناتجا عن شيعة العراق وحدها، بل هو مخطط شامل من كل البلدان المجاورة وغير المجاورة للعراق بتنسيق وتعاون

كامل بين جماعة هذه الطائفة الحاقدة على أهل السنة، وليس الهدف من مخططهم هذا هو العراق وحده، بل كل الدول العربية الخليجية وغيرها كذلك. تقود هذه الجماعة دولة أرادت وأريد لها أن تتحالف مع بعض الدول المعادية للإسلام والمسلمين من اليهود والصليبيين، مع الإعلان الإعلامي المخادع الذي تظهره الأطراف الثلاثة، من الخصومة، فالقادة الأمريكيون ترتفع أصواتهم بالشكوى من التدخل الإيراني بالأسلحة والرجال، ولكنهم - في نفس الوقت - يقودون جحافل الشيعة من العراق وإيران لقتل أهل السنة في محافظاتهم ومدنهم وقراهم.

وهل سمع أحد في العالم أن رصاصة واحدة أطلقتها الأمريكان في الحدود الشرقية للعراق التي يشكون من تدخل الإيرانيين منها؟! وهل هذا التدخل الإيراني الذي يشكو منه الأمريكان يأتي من الحدود الغربية بدلا من الشرقية؟!، ألا إنها مخطط إيراني أمريكي يهودي، يجب أن يعيه أهل السنة دولا وشعوبا، فما يجري في العراق، ما هو إلا علامة يعبر عنها المثل العربي القائل: "البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير" وأقول لكم يا أهل السنة في المنطقة كلها: {فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله}

الدعاة والبعد الزمني الغائب

حين خرج النبي صلى الله عليه و سلم إلى الطائف لبحث عن مجال أنسب وأخصب للدعوة، وفعل معه أهل الطائف ما فعلوا، وصف صلى الله عليه و سلم هذه الحال بقوله: «فَانطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِ يَ، فَلَمْ أَسْتَقِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ النَّعَالِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنَّ شِدَّتَ أَنْ أُطَبِّقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» ([1]).

لقد قال صلى الله عليه و سلم هذه المقالة عقب هذا الحدث وآثاره لما نزل بعد، ولم يقلها صلى الله عليه و سلم وهو في جلسة تفكير هادئة.

والأمر نفسه نجده في سيرة نوح عليه السلام حين لبث يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، وحين دعا ربه على قومه قال: ((ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً))، إذ كان عليه السلام يؤمل بذريتهم وأولادهم، فلما يأس من هذه الذرية دعا ربه عليهم.

إن هذين الموقفين ليعطينان المسلم دلالة على البعد الزمني في تفكير الأنبياء وتخطيطهم للدعوة، وهو بعد تعاني الأمة اليوم من فقدته كثيراً، إنه مرض ورثه بعض الدعاة والخيرين من عقلية المجتمعات الإسلامية التي لا تفكر إلا في ما تزرعه اليوم وتحصده في الغد وتأكله في اليوم الثالث.

ولقد كان من نتائج غياب البعد الزمني في تفكير الدعاة:

1 - الابتعاد عن الأعمال المنتجة العميقة الأثر والتي تحتاج إلى وقت وجهد في القيام بها، ولا تظهر آثارها في الزمن القريب، والعناية أكثر بالأعمال سريعة الأثر وقريبة النتائج، وهي مهما علا شأنها لا يسوغ أن تكون بحال هي الميدان الوحيد الذي يفكر فيه الدعاة.

2 - غياب الرؤية البعيدة والنظر الاستراتيجي العميق للواقع، وعدم دراسة المتغيرات التي تحكمه واتجاهاتها، مما يوقع المجتمعات الإسلامية أمام المفاجآت، ويحرمها من التنبؤ المسبق بالمشكلات، ومن ثم الإعداد لها ومواجهتها، وذلك واجب ينبغي أن يقوم بأعبائه الدعاة إلى الله عز وجل.

3 - التسرع في التقويم والحكم على كثير من الجهود الدعوية التي ربما لا تظهر آثارها في الزمن القريب المنظور، وترتب على ذلك اعتبار الابتلاءات التي تصيب الدعوة دلائل فشل وإخفاق، وافتراض ثبات الأوضاع القائمة بكل متغيراتها وظروفها.

إننا اليوم بحاجة ماسة إلى إعادة النظر في طريقة تفكيرنا، وإعطاء الأمور وقتها الذي تستحقه مما يؤمل معه أن تنتقل الدعوة إلى مواقع ومساحات كانت قد حرمت منها، وأن تتسع النظرة ويبعد الأفق.

إننا حين نتأمل شاباً مستجمع القوى والنشاط، يملك قدرات وخبرات، وحيوية وفتوة، ندرك أن عقدين من الزمان كانت على الأقل هي فترة بنائه توافر عليها عوامل ومؤثرات عدة لا يمكن أن ينفرد عامل منها في مسؤولية عن جانب واحد من جوانب شخصيته، فهل نحن نفكر اليوم ولو على الأقل على مدى عقدين من الزمان؟ فليت الذين عمرهم في الصحوه ربما يقصر عن هذه الفترة يدركون أن عمر الأجيال والمجتمعات لا يقارن بعمر الأفراد، فكيف حينها نطالب المجتمعات بنضج في وقت لا ينتظر فيه ربما نضج فرد من الأفراد؟

وواقع المجتمعات الإسلامية اليوم لم يكن نتاج قفزة هائلة إنما هو نتاج عوامل عدة أثرت فيه وساهمت مجتمعة في صياغته، يضاف لذلك عشرات من السنين، فكيف يراد إصلاح هذا الواقع في سنوات عدة؟

[1] رواه البخاري (3231) ومسلم (1795)

نهاية الإجازة

الخطبة الأولى

الحمد لله لا تدرکه الأبصر وهو يدرك الأبصار. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له يقدر الليل والنهار.

وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله، النبي المصطفى المختار، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه البررة الأطهار وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتقوا ربكم يا مسلمون، ولتنتظر نفس ما قدمت لخد، واتقوا الله.

هكذا طويت صفحة من صفحات الزمن، وتساقطت ورقات من شجرة العمور، وذبلت زهرات في بستان الحياة.

فبمغيب شمس هذا اليوم تودع الإجازة عشاقها، وتقوض خيامها بعد أن انفرط نظامها وتصرمت أيامها.

مضت الإجازة بخيرها وشرها وحلوها ومرها، مضت أشهر تشكل فصلاً من فصول حياتنا، وكل يوم مضى يديني من الأجل.

مضت الإجازة ومضت معها أيام لم نحسب حسابها، ولم نقدر لها قدرها، واليقين أنها محسوبة من أعمارنا مقربة لآجالنا، وسنسأل عنها أمام ربنا، فالذي لا ينطق عن الهوى قال: "لن تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع" ومنها: "عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه".

مضت الإجازة والناس في استغلالها أصناف شتى، قد علم كل أناس مشربهم، فمنهم من رأى فيها قعوداً عن الجد، وهروباً من الإنتاج والإيجابية، وآخرون جعلوا منها موسماً للتحلل من آداب الإسلام وأحكامه، فملأوها لهواً ولعباً، وغناءً وصخباً بمهرجانات غنائية وحفلات سياحية كانت مفتاحة لباب شرور، ومستتقلاً لكل منكر من القول وزوراً.

وطائفة قد غلت عليهم أنفسهم، وعلت همهم فسموا بها إلى معالي الأمور، فجعلوا من الإجازة ظرفاً لعمل آخر مثير، وانتقلوا فيها من إيجابية إلى إيجابية، جاعلين نصب أعينهم قول الحق: (فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ).

وكل أولئك طويت صفحاتهم اليوم بما تحمل؛ إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

فكم يا ترى في هذه الإجازة من مثاقيل الذر من خير وشر؟!.

وستبقى الصحف مطوية حتى تُنشر يوم الحساب، فماذا يا ترى سيكون الحال يومئذ؟!.

مضت الإجازة وقد شهدت تصارع الهمم، فقوم همتهم في الثريا وآخرون همهم في الثرى.

ودعت الإجازة وفيها شهدت أروقة بيت الله الحرام أسمى وأروع صور التنافس في بلوغ الهمة العالية والغاية النبيلة، تمثل ذلك في ثلثة من شباب المسلمين ممن رفعوا شعار: "لا مستحيل مع العزم والإصرار".

فأثمرت همّتهم حفظاً لكتاب الله تعالى كاملاً، في زمن أشبه ما يكون بالخيال، حتى إن فتى حفظه وأتقنه في سبعة وعشرين يوماً، وفئة شُغلت بحفظ سنة رسول الله صلى الله عليه وسلّم فحفظت الصحيحين في فترة لم تتجاوز الشهرين.

على قدر أهل العزم تأتي العزائم ** وتعظم في عين الصغير صغارها
وتأتي على قدر الكرام المكارم ** وتصغر في عين العظيم العظائم
ولت الإجازة وقد حوت أحداثاً وعبراً.

فتأمل أخي المسلم: كم ودعت فيها من حبيب؟! وكم فارقت من قريب؟!.
مات أقوام وولد آخرون، شفي أناس ومرض أناس، واغتنى قوم وافتقر أقوام،
وربنا كل يوم هو في شأن.

ودحن نودع الإجازة التي تشكل جزءاً من حياتنا، فما أحرانا أن نتحسر على أيام
أضعناها وأوقات تركناها، ذهبنا بما حملت، ولننظر في حال السابقين من أسلافنا:
كيف ينظرون إلى هذه الأوقات، وماذا عملوا فيها?!.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت
شمسه نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي".

وقال أبو سليمان الداراني: "لو لم يبك العاقل فيما بقي من عمره إلا على تفويت ما
مضى فيه في غير الطاعة لكان خليقاً أن يحزنه ذلك إلى الممات".
فكيف بمن يستقبل ما بقي من عمره بمثل ما مضى من جهله.

إذا مر بي يوم ولم أقتبس هدى ** ولم أستفد علماً فما ذاك من عمري
والدنيا ثلاثة أيام: أما أمس فقد ذهب بما فيه، وأما غداً فلعلك لا تدريه، فاليوم لك
فاعمل فيه، وكلما ازداد اغتتماً لزمانه وبالتالي كان أقرب لتلك الغاية وأكثر تحقيقاً
بها.

إن الزمن يساوي عطاء الإنسان وحصاد عمره، يساوي اليد التي ستحمل كتابه،
يمنى تكون أو يسرى.

أؤمل أن أحيا وفي كل ساعة ** وهل أنا إلا مثلهم غير أن لي
تمر بي الموتى يهز نعوشها ** بقايا ليل في الزمان أعيشها
أيها المسلمون:

مضت الإجازة، وفيها عمل أناس ونام آخرون!.

فماذا بقي من عناء العاملين، وماذا بقي من لذة النائمين?!.

مضت الإجازة فكيف قضاها الناس?!.

أما لو نطق الواقع لقال: إن من الناس من قضاها لحاجة نفسه سفرًا ومنتعةً وسياحةً وتنتزهًا، والأعظم شأنًا والأرفع قدرًا فئة من العاملين الغيورين قضوا الإجازة في حمل هم الإسلام وأبناء المسلمين.

تراهم في المراكز الصيفية، وفي المخيمات التربوية، وفي الدورات العلمية، والحلقات القرآنية، يسلفون ولكن بأبناء المسلمين، ليربوهم على آداب الإسلام وقيمه، يبذلون ولكن في سبيل تربية الجيل وصلاحه، يفكرون ولكن بما يخدم المجتمع ويحافظ على أجياله، يقضون أوقاتهم ولكن بتعليم القرآن، وتربية الشباب، والمساهمة في الأعمال الخيرية.

هم الرجال وعيبٌ أن يقال لمن لم يكن مثلهم رجل فلا حرمهم الله أجر العاملين، وعوضهم عن بذلهم جناتٍ ونهرٍ في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدرٍ.

معاشر المسلمين:

ونحن نستقبل في كل عامٍ إجازة ثم نودعها، فما أجدنا أن نقف مع أنفسنا وقفة معاتبة ومحاسبة، فإن كان ما عملنا خيرًا حمدنا الله عليه، وعزمنا على المزيد فيه، وإن كان سوءًا ندمنا عليه، وسارعنا إلى التوبة منه توبةً صادقةً.

لا بد لنا أيها المسلمون من مواقف مع النفس نحاسبها ونعاتبها لنأمن من شرها ونتحكم في قيادها فـ: "الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمان".

أيها المسلمون:

وحيثما تمضي الإجازة تفتح المدارس أبوابها فتفتح معها الآمال والتحديات والمشكلات في كل أسرة، ففي كل بيت حكاية عن الدراسة والمدرسة، ولدى كل أبٍ وكل أمٍ أمل يتجدد في أن يجتاز أبناءهم الدراسة بتفوق، ومع بداية الدراسة يتغير إيقاع الحياة في أكثر البيوت، ويعلن الحادي أن وقت اللعب ولى، وجاء وقت الجد.

مع إشراقة شمس الغد سيتغير وجه الحياة، سترى الشوارع وقد غصت بالحركة، والبيوت وقد رفعت درجة الطوارئ، وسترى حركة غير طبيعية.

في صبيحة الغد تبذل جهود، وتستثمر طاقات، لو أنفق بعضها في سبيل الصلوات لأصبح أبنائنا ممن تعلقت قلوبهم بالمساجد.

إنّ ما نراه من مشاهد تحدث صباح كل يوم دراسي يؤكد لك أنّ الناس عباد الدنيا، النائم يوقظ، والمسافر يقدم، والرغبات تحقق، والخواطر تجبر، كل هذا في سبيل الدراسة! وذلك أمر حسن.

ولكن: أين هذه الاهتمامات في سبيل القيام بحقوق الله وتربية النشء على طاعة الله؟!.

أين هذه الهمة وذلك الحرص مع الأبناء في صلاة الفجر؟!.

لقد أصبحت الدراسة عند البعض مقدّمة على طاعة الله جلّ جلاله، وإذا كانت كذلك واحتلت المرتبة الأولى في اهتمام المسلمين على حساب أعظم العبادات وهي الصلاة فهذا يعني أنّ الدراسة ستكون طاغوتاً يُعبد من دون الله، وهذا أمر لا يرضاه المسلم لنفسه أبداً.

أيها المسلمون:

ومع انتهاء الإجازة وبدء عام دراسي جديد يحلو الكلام إلى فئات ثلاث تشكل أساس العملية التعليمية والتربوية.

أما الفئة الأولى: وهم حماة الثغور ومربو الأجيال، فأرجئ الحديث عنهم وإليهم إلى جمعة قادمة، وأوجه خطابي إلى الشبيبة الناشئة أمل الأمة ورجال المستقبل.

يا معشر الطلاب:

اعلموا أنّ المجد لا ينال بالتمني ولا بالتشهي، ولا يُدرك بالنوم والبطالة، وإنّما يناله أهل الهمم العالية والنفوس الأبية، وما وصلت الأمم المتحضرة إلى ما وصلت إليه بالنوم في الصباح والسهر في الليل على اللهو والضياع.

قل لمن نام وهو يطلب مجداً * * فأتك المجد يا حليف الوسائد

اتقوا الله في حياتكم ودراسكم وأعمالكم فتقوى الله من أسباب تحصيل العلم النافع: (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ).

اطلبوا العلم لوجه الله، وصححوا نيّتكم في الطلب، ومن ابتغى بعلمه وجه الله نال رضا الله وحصل مقصوده: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا نُوفٌ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ

فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ).

يا معشر الطلاب:

احترموا من يقدم لكم العلم، وعاملوهم بالاحترام والمنطق الحسن، مع الإنصات لهم والتأدب معهم وقبول نصحتهم، فالتواضع من أوضح سمات الطالب المميز، ومن لم يحتتمل ذل التعلم ساعة تجرّع مرّ الجهل طول حياته.

أخي الطالب:

ليس من الرجولة والشهامة أن تكون عنصر أذى، وسبب شغب، وعامل استفزاز، بل الرجولة الحقّة أن تحترم من هو أكبر منك سناً وقدرًا، وليس منّا من لا يعرف لكبيرنا حقه.

أخي الطالب:

اليأس والملل من أكبر عوائق الأمل وقواطع العمل، فأقبل على دراستك بروح التفاؤل وبالنظرة الإيجابية، واعمل ليومك وانس المستقبل، فذلك محكوم بما يقدره الله.

أخي الطالب:

اختر من زملائك من استقامت أخلاقه وطابت سريرته، فالجليس له تأثير على جليسه، فجالس من ينفحك في دينك، ويفيدك في سلوكك وأخلاقك ودراستك، ولا تنس أن كل صداقة لغير الله فهي عداوة يوم القيامة، والجليس يعرف بجليسه، والقرين بالمقارن يقتدي.

والله المسئول أن يصلح أقوالك وأفعالك ومقاصدك.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعي وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أقول ما تسمعون، واستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب وخطيئة، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه.

وأشهد ألا إله إلا الله تعظيماً لشأنه.

وأشهد أن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم الداعي إلى رضوانه، صلوات الله وتسليماته عليه، وآله وصحبه وإخوانه. أما بعد:

فذلك حديث وخواطر أبثها إلى رجل خارج المدرسة ببذنه، لكنه فيها بحرصه ومتابعته ومشاعره.

إليك يا ولي الأمر، أذكرك أولاً بقوله صلى الله عليه وسلم: "ما من راعٍ يسترعيه الله رعيه يموت يوم يموت وهو غاشٍ لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة". وبقوله: "إن الله سائل كل راعٍ عما استرعاه؛ حفظ ذلك أم ضيّع؟! حتى يسأل الرجل عن أهل بيته".

إنها الأمانة التي عُرضت على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان، إنه كان ظلوماً جهولاً.

يا معشر الآباء والأولياء:

ليس مهمتكم فقط توفير الكساء والغذاء وجلب حاجات البيت، دون أن تدركوا المهمة الكبرى والمسئولية العظمى؛ وهي رعاية القلوب وإصلاح النفوس.

البيت - أيها الآباء - هو الدائرة الأولى من دوائر تنشئة الولد وصيانة عقله وخلقه ودينه.

فماذا يصنع المدرس؟!.

وماذا تستطيع أن تعمل المدرسة؟!.

بل ماذا ستغني الدوائر التربوية في شأن طالب نشأ في بيت بعيدٍ عن الأجواء الشرعية المنضبطة، وآخر تربي على استتكاف العبادات الشرعية، وثالث نشأ في جوٍ موبوء بالمنكرات، ورابع يذاكر والدش فوق رأسه؟!.

قد يستطيع المدرس أن يقطع خطوات في تربية الطالب وتوجيهه، لكنه جهد غير مضمون الثمرة، لأن تأثير البيت المعاكس يظل دائماً موجهاً لإفساد ما تصلحه المدرسة، وإن من أكبر التناقضات التي يعيشها الطالب والتي تكون سبباً في انحرافه سلوكياً وسقوطه دراسياً هو ذلك التناقض الذي يعيشه بين توجيهات مدرس

صالح ومتابعة إدارة حازمة، وبين بيتٍ موبوء بوسائل الإعلام المخالفة والمصادمة لتوجيهات المدارس التربوية.

فبالله عليكم: كيف نطلب التفوق من طالب يقضي كل يوم أربع أو خمس ساعاتٍ بين أفلامٍ ساقطة وبرامج هدامة؟!.

وماذا نتوقع من طلابٍ مراهق يعكف على مسلسلاتٍ قاعدتها الأساسية مظاهر الحب والغرام والعشق بين الجنسين؟! ثم بعد هذا يتمنى الأب أن يكون ولده في المرتبة السامية العليا من الأخلاق والآداب والسلوك، ويطلب منه التفوق في دراسته، وإن هذا لشيء عجاب.

يا معشر الآباء والأولياء:

المدرسة وحدها ليست معقلاً للتربية وإنما هي مجتمع صغير يمثل المجتمع الكبير، ففيها الصالحون وفيها المفسدون، وليس كل ما يقال في المدرسة حقاً، والأساتذة ليسوا كلهم على درجة جيدة من ناحية التخصص، كما أنهم ليسوا جميعاً من أهل الصلاح والتقوى الذين يُعتمد عليهم في توجيه النشء.

ومن هنا تنشأ مسئوليتك - أيها الأب المسلم - في متابعة ما يتلقاه ولدك في المدرسة، فتقوم ما يحتاج إلى تقويم من الأفكار والتصورات الدخيلة المنحرفة والتي تعيق التربية الفكرية الصحيحة.

وواجبٌ عليك - أيها الأب - أن تكمل ما قد يحصل من نقص في عمليتي التربية والتعليم، فلا يجوز لك أن تهمل ولدك في هذا الجانب، أو أن تشعره أن كل ما يلقي إليه من معلومات في المدرسة هو صحيح يجب اعتقاده فهذه خيانة للأمانة وتهرب من المسؤولية.

يا معشر الأولياء:

كونوا على صلة بمدارس أبنائكم زيارةً واتصالاً لتعرفوا من خلال ذلك سلوك أبنائكم وصدقاتهم، ولتعرفوا مستويات أساتذتهم، ومدى التزامهم بالدين واستقامتهم عليه. ومن العيب والعار أن تجدوا ولي أمر يبحث عن ابنه في الثانوية ليكتشف في النهاية أن ابنه قد رسب في الثانية المتوسطة وأنه ترك الدراسة منذ سنتين!.

يا أيها الآباء:

كم من ابن كانت بداية انحرافه من المدرسة؟!.

وكم من فتاة تعلمت المعاكسات من خلال صديقات السوء في المدرسة؟!
ولذا فإنّ المتابعة الدائمة - بعد حفظ الله - وقاية بإذن الله من الانحراف والزلل.
يا معشر الأولياء:

إنّ من القضايا المهمة التي لا بد أن تكون واضحة في أذهانكم قضية حسن اختيار
المدرسة بأن يكون القائمون عليها من أهل الخير والصلاح، فإن صلاحهم صلاح
لولدك وحماية الولد وسلامة أفكاره أعلى من كل شيء.

وأخيراً - أيها الأب المبارك - أضع أمامك ثلاث قضايا مختصرة.

أولاًها: المدرسة هي التي تشكل عقلية ولدك وتصنع أخلاقه وأفكاره وسلوكه،
فاختر من المدارس أصلحها إدارةً وأساتذةً، ولو بُعدَ مكانها، فلا تستكثر البذل، ولا
تستطل الطريق في سبيل صلاح ولدك وسلامة أفكاره وحسن سلوكه وسريرته.

وثانيها: إنّ للأبناء قدرات ومواهب متفاوتة، فإياك والإلحاح على ولدك في متابعة
دراسته - بعد أن يتحصل على العلم الأساسي الذي لا يستغني عنه أحد - وذلك
لأن إجباره على إكمال الدراسة ربما كان عائقاً له عن تحقيق ميوله ورغباته في
تعلم حرفة أو صناعة ما.

وليست المدرسة هي الطريق الوحيد للتحصيل العلمي، فلا بد من إعطاء الولد
الفرصة للاختيار مع تقديم النصح والإرشاد الأبوي الخالص، والمبني على المعرفة
الصحيحة بقدرات الولد وميوله وإمكاناته العقلية والنفسية.

وثالثها: إنّ ترك البنات يذهبن مع السائق إلى المدرسة ويرجعن معه يُعدُّ صورةً
من صور انعدام الرجولة وفقد الغيرة!.

وكم من المآسي الاجتماعية والمصائب الأخلاقية حدثت بسبب هذا التساهل؟!.

ولا أظنك - يا أخي - ممن يهون عليه عرضه وشرفه في سبيل راحة جسده.

أصلح الله لنا ولك البنات والذريّات، ووقفنا للباقيات الصالحات.

عباد الله:

صلوا وسلموا على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة محمد بن عبد الله، كما أمركم الله بذلك: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا).

=====

من يوقف نزييف الغفلة؟؟

الصفحة 1 لـ 2

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. أمّا بعد ..

يعيش المسلمون في هذا الزمن حالة من الاستضعاف والإذلال، ويمارس هذا الاستضعاف والاستذلال بكل وقاحة، وبدون موارد من حامية الصليب، لإخضاع المسلمين لمخططهم، الذين يريدون من ورائه إزهاق الروح الإسلامية الحقة، والإتيان بروح إسلامية على مواصفاتهم، وخاضعة لمطالبهم .

التفت إلى المسلمين هنا وهناك، في الشرق والغرب، في الشمال والجنوب، لتراهم بين قتيل ومقهور، ومأسور ومستعبد .

أنى التفت إلى الإسلام في بلد تجده كالطير مقصوصاً جناحاه

ففي كشمير دماء وأشلاء، على أيدي الهندوسية الوثنية، وفي أفغانستان قتل ودمار، على يد راعية الصليب وأعوانها، وفي الشيشان بلاد خاوية، وبيوت أشبه ببيوت الأشباح، قد هدها القصف، ودمرها العدوان، وفي الفلبين يُمارس أنواع الاستذلال والقهر للشعوب المسلمة هناك برعاية أمريكية، وفي تركستان الشرقية في بلاد الصين، يصطلي المسلمون هناك بنار الوثنية الحاقدة، ويواجهون أشد أنواع القمع والقهر، والاستبداد وإلغاء الحقوق .

وأخيراً: ما يشهده المسلمون في العراق، من قتل وظلم، ونهب وسلب، ومصادرة للحقوق، وسرقة للخيرات، بأيدي راعية الصليب وحلفائها، نعم يعيش المسلمون هذا ويرونه بأعينهم، ولا يجهلون شيئاً من ذلك، ولكنهم ورغم ما يرون يعيشون في غفلة تامة على كافة الأصعدة والميادين، ولبيت الأمر من الأعداء يتوقف عند هذا الحد، بل إن الأمر يتجاوز ذلك بكثير، فما كانوا يخفونه بالأمس، أصبح ظاهراً

لا يخفى اليوم، وما كان حُلماً في الماضي أصبح واقعاً ملموساً اليوم، فإنَّ أطماعَ أمريكا في المنطقة باتت واضحةً لكلِّ ذي عينٍ، والذي حدثَ في العراقِ أظهرَ الوجهَ الأمريكي على حقيقته، وما تُمارسهُ في العراقِ، أشبهه بعصاةٍ تريدُ نهبَ خيراتِ البلدِ، والاستئثارَ بثرواته، فقد فتحتِ المجالَ للشركاتِ الأمريكية، لإعمارِ العراقِ دونَ غيرِها، وهاهي تأخذُ علماءَ العراقِ لتفقيدهم، لتقويةِ ترسانتها العسكرية، وأعظمُ من ذلكِ كله، تريدُ مسحَ الهويةِ الإسلاميةِ للشعبِ العراقي، وأن تُوجدَ حكومةً علمانيةً لا تُفرقُ بينَ الأديانِ - ولا العقائدَ، وتُدينُ - بالولاءِ المطلقِ - لأمريكا، ولحليفها إسرائيل، والأدهى من ذلكِ أنَّها تفتحُ المجالَ على مصراعيه للحملاتِ التنصيرية، وتمنعُ الحملاتِ الإسلاميةِ من مباشرةِ دعوتها، فقد فتحتِ القواتُ الأمريكيةَ الطريقَ - لأكثرِ من ثمانمائةَ منصرفٍ في الدخولِ للعراقِ لِبثِّ دعوتهم النصرانيةِ الكافرة، بل فتحتِ المجالَ لليهودِ، لتهويدِ الشعبِ العراقي، وبثِّ الصهيونيةِ في أوساطِ العراقيين .

ولن ينتهي دورها في حُدودِ العراقِ فحسب، بل إنَّ مطالبها ستُطالُ دولَ الجوارِ، وستُمارسُ ضغوطها على الدولِ العربيةِ، ولقد أصبحَ سقوطُ النظامِ البعثي ورقةً رابحةً، تُهددُ بها أمريكا كلُّ من يفكرُ عصيانها، أو الوقوفُ في وجهها، ولذا فلا نستبعدُ أبداً أن تتدخلَ أمريكا عسكرياً في حلِ النزاعِ الإسرائيلي الفلسطيني، فإنَّ الحكومةَ الجديدةَ التي رسمتها أمريكا، والتي جعلت من بُنودها ضربَ الجهادِ، ومصادرةَ الأسلحةِ من المجاهدين، فلا نستبعدُ أبداً وقد أملى اللهُ لها، وانتصرت على النظامِ البعثيِّ في العراقِ، أن تخوضَ الحربَ على هؤلاءِ المجاهدين، خاصةً وقد جعلتُ منظمي حماس والجهادِ من المنظماتِ الإرهابيةِ، والذي سوَّغَ خوضَ الحريةِ في أفغانستانِ والعراقِ، سيسوغها في فلسطينِ أيضاً، وما وصولها وسيطرتها على العراقِ - إلاَّ حلقةٌ ستتبعها حلقاتٌ من فرضِ سياساتها، وإملاءِ شُرُوطها ومطالبها، والويلُ لمن يعص الأوامرَ، فإنَّ الصبرَ محتومٌ والنهائيةُ معلومةٌ .

نعم يعيشُ المسلمون هذا ويرونهُ بأمِّ أعينهم، ولا يجهلون شيئاً من ذلك، ويعلمون يقيناً أنَّ التغييرَ الذي طالَ على غيرهم سيُطالُ عليهم، ويُطالُ على بلادهم بلا شك،

ويستمعون التقارير التي تُنشرُ من الإداراتِ التابعةِ لأمريكا بين الحين والآخر، بالضبط على الشعوبِ المسلمة، التي تُفرِّخُ الإرهابَ وتُشجعه، وخاصةً هذا البلدُ المبارك، مأوى العلمِ ومأرزُ الإيمانِ ومصدرُ المجاهدين، وفي أمنيَّاته يعيشُ العلماءُ الصادقون، والدعاةُ المصلحون، والأبطالُ الغيورين، ولذا فستُفرضُ أمريكا مطالبها على هذا البلد، والتي باحت بها أسنتهم وتقاريرهم، فمن مطالبهم، نشرُ التسلمحِ الديني، بإقامةِ الكنائسِ والمعابدِ للأديانِ الأخرى، ومن مطالبهم إعادةُ النظرِ في المناهجِ التعليمية، وإعادةُ صياغتها، وتقليلُ حدةِ العداةِ من الكافرين، وإذابةُ عقيدةِ الولاءِ والبراءِ، وحذفُ ما يتعلقُ بالجهادِ والمجاهدين، وبياركُ هذا المخططِ أفراخِ الاستعمار، من أهلِ العلمنةِ في كلِّ ميادينهم، ومنها اللقاءاتِ والحواراتِ، والمُهاتراتِ الصحفية، فيقولُ قائلهم عليه من الله ما يستحق، يجبُ علينا أن نُعيدَ النظرَ في تفسيرِ النصوصِ المقدسة، حتى لا تولدَ الإرهابُ .

ومن مطالبهم أيضاً، تغريبُ المرأةِ ونزعِ حجابها، وإقحامها في ميادينِ الرجالِ سافرةً، غيرَ محتشمةً، وبياركُ هذا أيضاً، أفراخُ الاستعمارِ مرةً أخرى، ومن مطالبهم الإجهازُ على المؤسساتِ الخيريةِ الدعوية، واعتبارها منظماتِ إرهابية، وتقليصِ نشاطها، ليبقى نشاطاً إغاثياً فحسب، إلى غيرِ ذلك من إزهاقِ الروحِ الإسلاميةِ لهذا البلدِ المبارك، ونحنُ أيُّها الإخوةُ في الله، لا نستغربُ ذلكَ منهم، بل لا نتوقعُ منهم إلا ذلك، كيفَ لا وقد أخبرنا ربُّنا تبارك وتعالى عن ذلك، فقال : ((وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا)) (البقرة: من الآية 217) وأنبأنا سبحانه عن مساعيهم في كلِّ زمانٍ ومكان، فقال : ((وَدُّوا لَوْ

تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً)) (النساء: من الآية 89) ونعلمُ يقيناً أنَّ هذا الكلامُ الذي يخرجُ من أفواههم ما هو إلا بعضُ ما في قلوبهم، وصدقَ اللهُ إذ يقولُ : ((قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ)) (آل عمران: من الآية 118) .

نعم لا نستغربُ ذلكَ ولكن تُصيبنا الدهشةُ ؟، وتعدُّ أسنتنا الحسرة، ما نراه من المسلمين إلا من رحمِ الله من بُرودةِ أعصاب، وموتٍ للقلب، وغفلةٍ تامةٍ في كافةِ الميادينِ والأصعدةِ، وهم يرونَ هذا الكيدَ يحيقُ بهم من كلِّ جانب، يرونَ دينهم

تَطَالُهُ أَيْدِي المجرمين والكافرين، ويرونَ أعراضهم تُنتهكُ هُنَا وَهُنَا، وهم يعيشون لأنفسهم، والمهتّم منهم من يُتابعُ الأخبارَ كلَّ صباحٍ ومساءً ، ثمَّ هو بعدَ ذلك غارقٌ في لهوه وضياعه .

أينَ شبابَ الأمةِ الذين ذابوا تقليداً للشرقِ والغربِ ؟

أينَ شبابَ الأمةِ الذين ضاعوا في عالمِ المخدراتِ والمسكراتِ ؟

أينَ شبابَ الأمةِ الذين لا همَّ لأحدهم إلاّ الصورةُ الفاتنةُ والأغنيةُ الماجنةُ ؟

أينَ شبابَ الأمةِ الذين مُزقتْ طموحاتهم وتطلّعاتهم على مُدرجاتِ الملاعبِ وساحةِ الاستعراضِ ؟

أينَ شبابَ الأمةِ الذين نُحرتْ بطولاتهم وغيرتهمُ على هذا الدينِ؟ على أعتابِ شاشاتِ القنواتِ الفضائيةِ والمحطاتِ الإباحيةِ .

أينَ شبابَ الأمةِ الذين كانوا في السابقِ يحمون البلادَ، يذودونَ عن الدينِ ويرخصون دماءهم ليبقى الدينُ كله لله ؟

إلى هذا الحدِّ صاروا، وإلى هذا المستوى من موتِ القلبِ والغفلةِ وصلوا، لا ننسى أبداً، ولن ينسى المسلمون، ولن ينسى التاريخُ ، ولن يغفرها الزمنُ، تلكَ الجماهيرُ المشجعةُ، والذين زادَ عددهم على خمسين ألفَ مشجعٍ ، وفي المقاهي ما يُضاهي ذلكَ، وتتعالى صيحاتُ المشجعين، وتصفيقُ المشاهدينَ على مباراتهم، بينما يعلقُ في غضونِ ذلكَ سقوطُ بغدادَ في أيدي القواتِ الأمريكيةِ الظالمةِ، ناهيك عن العروضِ التي قامَ بها الشبابُ بعد ذلكَ، من رقصاتٍ في قارعةِ الطرقِ، ورفعِ لأعلامِ النوادي، بينما بغدادُ ترزحُ تحتِ ضيرِ الاستعمارِ الأمريكيِ .

يا لها من مأساةٍ!! ولمأساتنا في حالنا، وما آلَ إليه شبابنا وأبناءُ أمتنا، أشدَّ في نفوسنا من سقوطِ بغدادَ، لأنَّه لو بقيتِ الغيرةُ والتضحيةُ في شبابنا، لقلنا إن سقطتِ بغدادُ فيوشكُ أن تعودَ، ولكن إذا سقطَ الشبابُ فمن سيعيدهم؟؟

ولئن كان أهلُ التاريخِ عابوا على علماءِ أهلِ الأندلسِ يومَ أن هاجمها الصليبيون، أنهم مشتغلون بمسائلٍ فرعيةٍ فقهيةٍ نادرةٍ، عن دفعِ العدوِّ الجاثمِ على أرضهم، فكيفَ ستكونُ شهادةُ التاريخِ على هذه المأساةِ، في سقوطِ بغدادِ مع انشغالِ المسلمين .

من يذُصُرُ هذا الدين إذا تخلى عنه أتباعه؟ عارٌ والله يا أمة الإسلام أن تعيش اليهود وهم أهل دينٍ مُحرفٍ باطلٍ، همهمُ الحربُ والقتالُ، والدفاعُ عن مطالبهم وعقائدهم، ويحبذون الشباب لذلك، ويعيش أحدُهُم ولا همَّ له إلا تقوية إسرائيل، وتحقيق أحلامها، ويبقى أهل الإسلام، أهل الحق، أهل الدين الخالد الحق، مشغولين بتوافه الأمور، عارٌ والله أن يعيش النصارى هم الحرب ويقودون الحرب على المسلمين، وينادي طاغية العصر بأنَّ الحرب صليبية، ويلبس لباس الرهبان، حاثاً النصارى على إقامة الصلوات والدعوات، لكي ينتصروا في حربهم، وأن يبقى المسلمون أهل الحق يلهثون وراء الأغنية والمجلة، والمعاكسات والمباريات، دون إعداد العدة لصدِّ العدو، والذود عن حياض المسلمين .

أيها الإخوة: دَعُونَا نَنقُدْ أَنْفُسَنَا، دَعُونَا مِنَ الْحُكُومَاتِ وَالسِّيَاسَاتِ، ماذا فعلت؟ لا بل نحنُ ماذا فعلنا قبل ذلك؟ ما هو مدى استعدادنا لهذه الهجمة التي ستطال كل بلد مسلم، وخاصةً هذا البلد المبارك؟ ما حجمُ الحدثِ وما حجمُ تفاعلنا معه؟ دَعُونَا من إلقاء اللائمة على فلان وفلان، أو على جهة هنا وهناك، كل إنسانٍ مسئولٍ عن نفسه ماذا فعل، ليقاوم هذا التيار النصراني الجارف؟ إننا بكل صراحةٍ أيها الإخوة، نعيش في غفلة تامة، ونتعامى عن الواقع، ونتشاغل عنه بتوافه الأمور .

يا ويحنا ماذا أصاب رجالنا *** أو ما لنا سعد ولا مقداد
نامت ليالي الغافلين وليلنا *** أرق يذيب قلوبنا وسهاد
سُلت سيوف المعتدين وعربدت *** وسيوفنا ضاقت بالأغامد
أهو القنوط يهد ركن عزيمتي *** وبه ظلم مخاوفي تزداد
يا ليل أمتنا الطويل متى نرى *** فجراً تفرد فوقه الأمجاد
أجدادنا كتبوا مآثر عزها *** فمحا مآثر عزها الأحفاد
ترعى جماها كل سائبة وفي *** تمزيقها يتجمع الأضداد
تصغي لأغنية الهوى فنهارها *** نوم ثقيل والمساء ساد
دعنا نُسافر في دُرُوبِ إياننا *** ولنا من الهمم العظيمة زاد
ميعادنا النصر المبين فإن يكن *** موت فعند الهنا الميعاد
دعنا نمت حتى ننال شهادة *** فالموت في درب الهدى ميلاد

نعم إنه مخطط ماكر من الأعداء يواكبه غفلة من المسلمين ، أما كيف نتصدى لهذا المخطط وكيف ننثر من رؤوسنا غبار الغفلة ، ونزيلي منى على أجسامنا دنثار الخضوع والذل .. فهذا له موضوع قادم بإذن الله في المقالة القادمة بإذن الله ..

لقد قرأنا في المقالة الماضية عن المخطط الماكر والعداء المستميت ، والحديث عن الهجمة الصليبية التي تُحاك خيوطها ، ويُستكمل كيدها ، والتي قد طبقت بعض حلقاتها وهي في طريقها إلى تطبيق الباقي ، وسمعنا على وجه الخصوص مكائد هذه الحملة الصليبية على بلاد الحرمين ، وما هي مساعيهم ومطالبهم . وبيننا أن هذا ليس بغريب على أمة الصليب وحماة الصليب ، لكن الأشد من ذلك كله هو مواكبة هذه الهجمة لغفلة تامة من المسلمين إلا من رحم الله ، وبردة قلب وانعدام الغيرة على هذا الدين أن يطال بأذى ، أو يُمس جنابة بسوء ..

وحتى لا أكون أيها الإخوة ممن يلقي الكلام على عواوله دون إثبات أو دليلي .. دعونا نستعرض حال المسلمين الآن مع هذه الهجمة الشرسة ، وهل أفاق المسلمون فعلاً أو أحسوا بعظم الخطر أم لا ؟ لأبين لكم أن ما دمنا على هذا الحال فسيحقق العدو أحلامه وأهدافه وذلك عبر أمور ..

فمن مظاهر الغفلة عند المسلمين :

لقد هام أكثر المسلمين تطبيقاً لما بثه الأعداء من اليهود والنصارى لتخدير الشعوب المسلمة ، وإشغالها بما لا يدقق لها هدفاً ، أو يجلب لها انتصاراً ، أو يدقق لها رقيماً بين الأمم ، فاشغلوا الأمة بتوافه الأمور ، كإقامة المسابقات والمباريات ، وإغراق السوق بالكم الهائل من المسلسلات والأفلام ، وانتشار القنوات الفضائية بكل ما تحمله من سقوط القيم والمبادئ ، والمتاجرة بالأجساد ، وغير ذلك من صور إلهاء الشعوب المسلمة عن قضاياها المهمة ..

وليس العجيب أيها الإخوة أن يبيت الأعداء لنا ذلك ، لكن الأدهى والأمر أن يطبق هذا كله أكثر المسلمين دون وعي أو انتباه ، ولئن كان الاشتغال بهذه الأمور مقبولاً أو مستساغاً في حين وأن كان لا يستساغ فإنه في هذه الفترة الحرجة التي تمر بها الأمة لا يستساغ أبداً ..

ومن مظاهر الغفلة عند المسلمين : فشو المنكرات والمحرمات في أوساط المسلمين إلا من رحم الله ، والتهاون بالمعاصي ، والتساهل بما حرم الله سبحانه وتعالى ، ومن أعظم المحرمات والمنكرات الشرك ومظاهره ، والكفر بأنواعه ، مما تغص بها بلاد المسلمين إلا من رحم الله منهم .. فأضرحة وقبور ، ومقامات وزيارات بدعية ، واحتفالات صوفية ، إلى التعلق بالكافرين ، ومحبتهم ونصرتهم ، والمسارة في إرضاءهم ، فكيف تتوقع النصر أمة هذا ديدنها ، وتعاملها مع ربها ، ناهيك عن تضييع الصلاة عن وقتها .. انظر لشوارع المسلمين وطرقاتهم إذا نادى المنادي إلى الصلاة لتراها على اكتظاظها وزحامها ولا كأن منادي الصلاة يناديهم ، ولكن انظر إليها مرة أخرى لو أقيمت مباريات أو مسابقات ، أو عرض مسلسل هنا أو هناك ، لتراها عكس ذلك تماماً ، ناهيك عن الذين في بيوتهم ويسمعون النداء بالصلاة ومع ذلك يبقون في بيوتهم ، لا يحركهم النداء إلى الصلاة . ففي كل حي عشرات من الناس الذين لا يشهدون الصلاة مع المسلمين ، كيف سينصرون الله ونحن لم ننتصرو على أنفسنا في أمور يسيرة كهذه ، ناهيك عن الليالي الحمراء ، والتي تدار فيها المحرمات والمسكرات ، والأغاني والقينات ، التي هام في لياليها أكثر شباب المسلمين ، كيف تنتصر الأمة وهي تفجع بحماتها ، بقلبها النابض ، بشبابها الذين هم أولى أن يعيشوا لدينهم ، وينافحوا عن عقيدتهم ، وأن يحموا الديار ، ووالله لو علمت دولة الصليب وهي تهجم على بلاد المسلمين أن ستجد شباباً قاموا بحق الله ، ولم يستسلموا للشيطان ، وعاشوا هم هذا الدين ، والدفاع عن حماه ، فلا والله لن تتجراً أبداً أن تخوض حرباً مع المسلمين ..

ومن طريف ما يذكر .. أن ملك الروم أراد الهجوم على بلاد الأندلس (ردها الله) فأرسل رجلاً لينظر ما هي اهتمامات شباب المسلمين وطموحاتهم هناك ، فلما جاء هذا الرجل وجد فتى يبكي ..

قال : له ما يبكيك ؟

قال : أبكي لأنني لم أصب الهدف ، وكان يتدرب على الرماية ..

فقال له : وما يضررك ؟ ارم مرة أخرى تصيب الهدف ..

قال : ولكن عدو الله لا يمهلني ، فإذا لم أصبه لأول مرة فإنه سيقدر على قتلي ..

فرجع الرجل إلى ملك الروم فقال : لا أرى أن تدخل الآن ..
فمضى زمن ثم عاد الرجل ليرى فتى آخر يبكي .. فسأله : ما يبكيك ؟ وظنه
كسابقه ..

فقال : لقد وعدت صديقتي هاهنا ولم تأتي ، فأنا حزين على تركها لي ..
فقال لملك الروم الآن الآن .. وفعلاً بسطوا نفوذهم على بلاد الأندلس أندلس
الإسلام ..

وهكذا دائماً أيها الإخوة .. فمتى ما استطاع الأعداء إضاعة شباب الأمة ، فقد
استطاعوا ولا شك بسط نفوذهم ، واستيلاءهم على بلاد المسلمين ..

وانظروا مرة أخرى لأسواق المسلمين ، ولأوساط النساء بالذات ، لترى ما يندى
له الجبين ، وتتقطع لأجله الأفئدة ، فمظاهر التبرج والاسفور الذي بدأ يظهر في
مجتمعنا بعد أن لم يكن ، ومظاهر إظهار الزينة ، والخضوع في القول ، إلى
البروز في طرقات المسلمين بلباس ملفت ، بحجة الرياضة ، وتحريك البدن ،
ونحن نعلم يقيناً أن هذا بداية الهاوية ، لأن المرأة هي صمام الأمان في هذه
الأمة ، متى فسدت فسد المجتمع وضاع ، وصدق الصادق المصدوق إذ يقول :
(إياكم والنساء ، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء) .

أين نساء المسلمين اللاتي كن يربين أبناءهن على الجهاد في سبيل الله ، وإرخاص
النفوس لإعلاء كلمة الله ، أين أمثال الخنساء التي قدمت أربعة من أولادها في سبيل
الله في معركة القادسية ، وقبل بدء المعركة قالت لهم : (إنكم أسلمتم طائعين ،
وهاجرتم مختارين ، اصبروا وصلبروا وربطوا واتقوا الله لعلمكم تغفلون ، فإذا
رأيتم الحرب قد شمרת عن ساقها وجللتم ناراً على أرواقها ، فيحموا وطيسها ،
وجالدوا رسيسها تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة) .

فلما كشرت الحرب عن نابها ، تدافعوا إليها وتوقعوا إليها حتى تساقطوا واحداً تلو
الآخر .. فلما أُخبرت بعد المعركة بمقتلهم قالت : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ،
وأرجو من الله أن يجمعني بهم في مستقر الرحمة ..

أين نساء اليوم من أسماء أم عبد الله بن الزبير ، التي قالت لولدها عبد الله بن
الزبير حينما أراد الجهاد ، فلمست صدره ، فوجدت درعاً ، قالت : ما هذا يا عبد

الله ؟ قال : هذا درع يا أماء .. قالت : ما هذا بلباس رجل يريد الشهادة في سبيل
الله !!

نعم بهذه المعاني كن يربين أبنائهن ، فكيف تنصر الأمة ونساؤها ذبن تقليداً للشرق
والغرب ؟ كيف تنصر الأمة ونساؤها بهذه الصورة من لبس ما حرم الله ؟
دعونا نكون صرحاء مع أنفسنا أكثر ، ولست أقول هلك الناس ، ولكن هو واقع
ومن الخطأ تجاهله ، والناصح الذي يضع اليد على الجرح خير من الذي يؤمل
الأمة بآمال ، ويعلقها بخيالات هي منها بعيدة ، إنها سنة في كتاب الله لن تتغير
ولن تتبدل أبدا ..

أيها الإخوة .. ((إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)) إن هذا التسلط
الكافر ، والتهديد المستمر على بلاد المسلمين ، ووجود العدو جاثماً على أراضي
المسلمين ، لن يزيله إلا بالعودة إلى الدين ، العودة إلى الله ، وإني أدعوا بدعوة
عامة إلى كل من يبلغه كلامي ، من حاكم ومحكوم ، ورئيس ومرؤوس ، وصغير
وكبير ، وذكر وأنثى ، أدعوهم ونفسي إلى تجديد التوبة ، وأدعوهم إلى تقوى الله ،
والتعلق بالله ، وترك الذنوب والمعاصي ، فهي السبب في كل ما جرى وسيجري ،
أدعوهم إلى سنة التضرع التي لن تظهر في أوساط الناس مع هذا البلاء المتتابع ..
قال تعالى : ((فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ
الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ
حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ)) .

أدعوهم بتحقيق العبودية لله رب العالمين ، أدعوهم بأن الناصر هو الله وحده ،
وإذا لم نذصر الله فلن يذصرنا أحد ، وستبقى تتخبطنا شياطين الإنس من اليهود
والنصارى ، ويسبوننا في كل جانب .

متى تفيقي يا أمتي ؟

إلى متى هذه الغفلة ؟

إلى متى موت الغيرة وبرودة القلب على أهله ؟

إلى متى ولا هم لأحدنا إلا خاصة نفسه ، ولا عليه بعد ذلك أنصر الدين أم هُزم ما دامت دنياه صحيحة ، وحياته مريحة ، وما علم المسكين أن السنة التي حاقت بهؤلاء ستحيق به إن لم يسارع لنصرة هذا الدين ، ويذود عن حماه ؟

إلى متى يا أمتي وهذا التقم في معاصي الله ، وفي ما يغضب الله جل جلاله ؟
إلى متى هذا الضياع يا شباب الإسلام ؟
إلى متى هذا السفور يا أمة الله ؟

إلى متى ينشغل المسلمون بما يضيع عليهم دينهم ودنياهم ؟
انزعي ثوب الغفلة يا أمتي ، وأوقفي هذا النزيف ، وأزيلي عنك دثار الذل والخنوع ، وتقذعي بثوب الحق ، فإن الأمور ستقدم على أمور مهولة ، وإذنا لنرى والله تعالى أعلم على الأبواب ، وأما الصغرى فقد انتهت منذ زمن وما زلنا في بعضها نسير ..

قال مرعي الحنبلي المتوفى سنة 1730هـ في كتابه أشرط الساعة : وأما العلامات الصغرى فقد انتهت منذ زمن ، ونحن في انتظار كبارها ، فالله المستعان إذا كان رحمه الله يقول ذلك وقد توفي في القرن الحادي عشر ، فكيف بعهدنا هذا الذي نراه والله أعلم يقترب من علامات الساعة الكبرى شيئاً فشيئاً ، فإلى الثبات يا أمة الإسلام ، فإن العلامات الكبرى إذا وقعت فهي كالخرزة انقطع سلكها فتتابع ، فإن المرء لا يدري ربما يفتن في تلك العلامات ، ويضل عن دينه مع ظهور هذه الفتن ، فإن الثابت على دينه ذلك الزمن لقليل .. فقد ثبت عن المسيح الدجال أنه يتبعه كثير ويتأثر بدعوته ويفتن به كثير ، فقد جاء في مسند الإمام أحمد بإسناد صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ينزل الدجال في هذه السبخة بمرقناة (وادي قرب المدينة) فيكون أكثر من يخرج إليه النساء ، حتى أن الرجل يرجع إلى حميمة وإلى أمه وابنته وأخته وعمته فيوثقها رباطاً مخافة أن تخرج إليه) ، وثبت من عظم هذه الفتنة أن الشخص لا يأمن على نفسه ، فقد روى الإمام أحمد وأبو داوود وصححه الحاكم في المستدرک عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من سمع بالدجال فليأمن عنه ، فوالله أن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات) فالذي لم يثبت أمام هذه الفتن

الصغيرة فكيف سيثبت أمام هذه الفتن القادمة العظيمة ، واعلم أن الناجين المنصورين هم الذين جاهدوا وصبروا على طاعة الله ، وصدق الله إذ يقول : ((وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)) .

أما كيف نتصدى لهذا الهجوم الظالم على الإسلام والمسلمين ، فإن أحداً من المسلمين لن تعجزه الطريقة المشروعة لنصرة هذا الدين ، وحماية أرضه ، ولكني أقترح وأذكر ببعض الأمور على سبيل الإجمال ، وذلك بعد تحقيق التوبة العامة والخاصة ، وعلى مستوى الأفراد والشعوب ، واستمداد النصر من الله العلي القدير ، والسعي الحثيث لإقامة دينه ، وتحكيم شرعه في أرضه وتحت سماءه ..
أول هذه الأمور :

بذل الوسع والجهد كل بحسبه لنصرة هذا الدين ، فالإعلامي مطالب أن ينافح عن هذا الدين من خلال منبره الإعلامي ، والطبيب هو الآخر مطالب أن يدافع عن هذا الدين وينصره ما استطاع ، وكذلك المهندس والرياضي والتاجر إلى غير ذلك من أبناء هذه الأمة ، الكل يسعى لنصرة هذا الدين ، إن أمريكا ما خاضت هذه الحروب إلا بعد إعداد تام ، وتأهب مستمر ، وبعد أن بثت أقمارها الصناعية على العالم كله ، وقوت ترسانتها العسكرية ، وبعد أن أوجدت لها أنصاراً هنا وهناك ، وبعد هذا الإعداد الطويل تقدمت لتحقيق أهدافها ، نحن نريد الأمة أن تتحد جهودها ، وتجمع كوادرها ، ويتحد مفكروها وعلمائها لانتشالها من هذا الحضيض ، وإذا لم تتلاقح الأفكار ، وتجمع العقول ، لانتشال هذه الأمة فستبقى مهددة في كل حين .
وحيث .

ثانياً : يجب أن نشارك جميعاً على توعية الأمة ، يجب على العلماء والدعاة والمصلحين والأئمة والخطباء والمربين أن ينشروا الوعي لدي المسلمين ، فيوقظوا في الأمة حسها الديني ، ويحركوا حميتها الإسلامية ، ويوقظوا هذه الأمة من سباتها العميق ، لتقف أمام هذا المارد الذي لا يرحم .

ثالثاً : دعوة للمربين والمصلحين والمعلمين وللآباء خاصة أن يربوا الشباب والناشئة على معالي الأمور ، وعلى الغيرة على هذا الدين ، والذود عن حماه ،

فإن الجيل القادم والله أعلم إن يكن هذا الجيل ، سيعيش أحداثاً عظيمة ، فيجب أن يعد لمثل هذا ..

رابعاً : فضح المنافقين ، ودعاوي المبطلين ، وهتك أستار أفراخ الاستعمار ، وبيان خبثهم ، وأنهم امتداد لأولئك الذين قال الله عنهم : ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ)) فإن هذا نوع من الجهاد عظيم ، جهاد مراغمة الشيطان وحزبه من أعظم الجهاد في سبيل الله ولإعلاء كلمة الله .

خامساً : إقامة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فهي صمام الأمان ، كيف لا وقد أخبر الله سبحانه أن الأمة الصالحة المصلحة لا تهلك ، فقال عز من قائل : ((فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ * وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ)) .

سادساً : دعم قضايا المسلمين ، ورفع الضراء عنهم ، وندرتهم بما نستطيع ، ومن ذلك إعانتهم بالمال ، ودعم أنشطة الخير هنا وهناك ، وتفعيل دور الدعاة ، ودعم نشاطاتهم ليستمر العمل ، ودعم المسلمين في كل مكان وزمان ، وخاصة المجاهدين على الثغور .

سابعاً : استمرار الدعاء والتضرع إلى الله أن يكشف هذه البلوى ، وأن يظهر هذا الدين أهله ، وأن يرد كيد الأعداء في نحورهم ، لنستمر في الدعاء ، ولنؤمل من الكريم الإجابة ، فإن الله لا مكره له .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ،،،

ماذا ستكتب على جدار الزمن !؟

مشعل بن عبد العزيز الفلاحي

هل تذكر حين ولجت هذه الأرض ؟ حين عانق صوتك هذا الفضاء الواسع ؟ أول وهلة تسقط على تراب هذه الأرض هل تعلم أن صواخك ذلك اليوم كان شديداً ؟ تذكر طول تلك الرحلة بين قدومك أمس وليداً صغيراً ، وبين وجودك اليوم رجلاً كبيراً ... ودعني أسألك :

ماذا كتبت على جدار هذا الزمن ؟ أين أثارك التي تحتفل بها اليوم ذكريات جميلة
 على جدار هذا الزمن الطويل ... ؟ عذراً لا أود أن أوجع ظهرك بسياط التأييب ..
 كلا ! وإنما أريد أن أرى أثارك واضحة لأحتفل بها ، وأخطو على أثرها ، وأكتب
 بها شيئاً من ذكريات الأحبة من أمثالك . وجدت هذا العنوان ماذا ستكتب على
 جدار الزمن ؟ وأنا أتصفح النت ، ووجدت بعضاً من الناس كتب تعليقاً عليه :
 يقول الأول : سأكتب لو يعلمون!! وأخو كتب قائلاً : لن تجدونني
 حينها تذكروا أن لي قلباً نبض حباً لكم لكنكم لم تتصفوه ... وثالث كتب : إن خير
 الزاد التقوى ... ورابع خط بقلمه فقال : حتى البكاء كان شحيحاً .. وكتبت أنا
 قائلاً : الحياة فرصة واحدة فإما فلاح الراشدين وإما عثرات النائمين ... الحياة
 فرصة لا تحتل نوماً ثقيلاً ، ولا جلوساً طويلاً ، الحياة صفحة بيضاء فإما تاريخ
 الناجحين وإما نوم الغافلين ! وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها
 الأجساد . ومن علامة كمال العقل علو الهمة ! والراضي بالدون ذنيء . ولم أر
 في عيوب الناس عيباً ... كذقص القادرين على التمام . يقول شيخ الإسلام رحمه
 الله تعالى : العامة تقول : قيمة كل امرئ ما يحسن ، والخاصة تقول : قيمة كل
 امرئ ما يطلب . اهـ وقال ابن الجوزي رحمه الله تعالى : وما تقف همة إلا
 لخصاستها ، وإلا فمتى علت الهمة فلا تقنع بالدون ، وقد عُرِف بالدليل أن الهمة
 مولودة مع الآدمي ، وإنما تقتصر بعض الهمم في بعض الأوقات ، فإذا حُدَّت
 سارت ، ومتى رأيت في نفسك عجزاً فسل المنعم ، أو كسلاً فسل الموفق فلن تتال
 خيراً إلا بطاعته ، فمن الذي أقبل عليه ولم ير كل مراد ؟ ومن الذي أعرض عنه
 فمضى بفائدة ؟ أو حظي بغرض من أغراضه ؟ اهـ يظل العنكبوت من حين يولد
 يندسج لنفسه بيتاً ولا يقبل مذة الأم ، والحية تطلب ما حُفر لها إذ طبعها الظلم ،
 والغراب يتبع الجيف ، والاصقر لا يقع إلا على الحي ، والأسد لا يأكل البايث ،
 والخنفسا تُطرد فتعود . اجتمع عبد الله بن عمر ، وعروة بن الزبير ، ومصعب بن
 الزبير وعبد الملك بن مروان في فناء الكعبة فقال لهم مصعب تمنوا فقالوا : ابدأ
 أنت ، فقال : ولاية العراق ، وتزوج سكينه ، وعائشة بنت طلحة بن عبيد الله فنال
 ذلك وأصدق كل واحدة خمس مئة ألف درهم وجهازها بمثلها . وتمنى عروة بن

الزبير الفقه وأن يُحمل عه الحديث فنال ذلك ، وتمنى عبد الملك الخلافة فناها ،
وتمنى عبد الله بن عمر الجنة وتلك همم القوم ، وآمالهم . ولقد قال الأول :
وقائلة : لم غيرتك الهموم وأمرك ممتل في الأمم
فقلت : نريني على غصتي فإن الهموم بقدر الهمم
قم يا أيها الحبيب واركل كل عثرة في الطريق ، واكتب للناس قول القائل :
ومن يتهيب صعود الجبال يعش أبداً تحت الحفر
قم يا أيها الفاضل إلى الدنيا ، قم فاكتب على صفحاتها قول القائل :
قلت للصقر : وهو في الجو عال اهبط الأرض فالهواء جديب
قال لي الصقر : في جناحي وعزمي وعنان السماء مرعى خصيب
قم يا أيها الصادق إلى هذه الحياة الطويلة واكتب على صفحاتها ذكرياتك الجميلة .
قم إلى الحياة فخلد فيها معاني النضال والحرية الحقيقية ، قم إليها مبتسماً متفائلاً
مقبلاً إقبال الهمام ولا يغرنك ما فات منها فإنها لا زالت سائحة ، وفي العمر بقية ،
وصفحة الحياة لا زالت بيضاء ، والقلم لم يغمد بعد . قم ولا تلتفت إلى كبوات
الماضي فهي سلالم النجاح اليوم ، قم بشرط أن تكون متفائلاً ، راضياً ، هماماً ،
طموحاً . هذه الحياة أحوج ما تحتاج إلى هممة عالية ، وابتسامة صافية ، وتفاؤل
عريض ، وقلب وفي حبيب ، وقبل ذلك وبعده صدق في الإقبال على الله تعالى فما
نيلت الفردوس الأعلى إلا بآمال الفالحين الصادقين . هذه كلمات اجترتها تلك
المقالة على صفحات الشبكة العنكبوتية .. وهي بعض ما أكتبه على جدار الزمن .
والله يتولاك برعايته .

مشعل بن عبد العزيز الفلاحي

Mashal001@hotmail.com

=====
توقفت عجلة الزمن

عطاء

هل من الممكن أن تتقضي دروس يتعلمها الإنسان في دنياه!!

أم أنه في كل يوم يظفر بدرس ليضيفه إلى جعبة التعلم!!..!!

في كل يوم يمضي في حياتنا يمرُّ سريعاً أو بطيئاً تُخطُّ في صفحات العمر
حروفٌ تُحفرُ حفراً
لتكون أثبت وأبقى..

كيف لا وهي دروس وعبر ربّانية يسوقها العليم الخبير..!!
إنّ كل أنواع التعلّم تؤثر في النفوس.. لكنها قد تحتاج إلى تكرار مرةً بعد مرةً كيما
تتأكد المعلومة..

أمّا تلك الدروس الربّانية المتفرّدة, تمثّل أمامك صورة مشاهدة جليّة لاغبش فيها
فلايستطيع القلب أن يلتفت عنها.. أو يتشاغل بسواها, إذإنها, وإن غابت
عادت مرةً أخرى في الذهن.. لتبسّط سلطان الاعتبار وبقوّة.. فترى تلك الدروس هذه
المرّة تمارس طرقاً آخر على الشعور.. تؤكّد فيه المعلومة, لكن بصورة لطيفة..
وفي هذه الصور قينجلى لك فيها لطف ربّاني.. يعاودك مرةً بعد مرةً لتشرق نفسك
بعبرة

عظيمة تخرج بها مختاراً لا مكرهاً..
ويتجلّى أمامك في موضعٍ آخر.. درس تعجز النفس عن استيعابه لولا لطف الله
عزوجل حينما
جعل هذه النفس تضطرب لهول الموقف ثمّ تسكن لمولاها.. وتخرج بعبرة عظيمة
يُطأطىء فيها
العبد رأسه معلناً إذعانه وإخباته لمولاه وسيده..

فترفع رأسك تسترق النظر.. وتقرأ في صفحة الكون حروفاً رسمت.. درساً ربّانياً
محكماً تسير فيه أنت.. فيندطق لسانك ويذلُّ بعبرة عظيمة قد ترسخت في النفس
وضربت أطناب العزة فيها

"ذلك لتعلموا أنّ الله على كل شيء قديرٌ وأنّ الله قد أحاط بكلّ شيءٍ علماً.."
لما يستفرغ أحدنا وسعه للوصول لما خطط ورسم.. ويسير نحو الهدف.. قد يعرض
له ما يجعل
القدم تتعثّر فتسقط.. وتتألم.. لكنه ليس سقوط تقصير.. ولكنه تعثر.. يحصل منه
التعلّم.. ولا بد.

تعذّر يجعلك تتوقف هنيهة لتوقف عجلة الزمن معك .فتحدث للقلب يقظة من سبات .وتحدّق ببصرك لمحل عبرة..لتحيط بك عزة العزيز..فتجري أسبابها بأمر الحكيم العليم ,فتقهرك وتغلبك وتوقفك في محلك عن سيرك..فتالتفت يمنة ويسرة تريد مخرجاً..لعلك تغالب..أو تدافع...وهيهات أن تمكّن!! كل ذلك..لتخرج من هذه العثرة بعبرة.. عبرة تحوط بقلبك ,فتطير به في علو..ليخرّ ساجداً عند العرش..معترفاً بربوبية الرب..مدعناً..أنّ العزيز لا يغالب وأنّ قدرته لا تقهر..فلو أمضى أمراً فلا مانع..ولو عطلّ أمراً فلا مدافع.. فسبحان من ذلت له أعناق العباد اعترافاً بربوبيته وقهره وغلبته..

=====

إنسانية الإنسان بين الديمقراطية والإسلام

د. خادم حسين بخش

يظن كثير من الباحثين أن الإسلام قد أجحف بالإنسان ,فلم يعطه حقوقه ,بل حجر عليه في أمور هو في أمس الحاجة إليها ، وقبل أن ندخل في جزئيات الموضوع يجدر بنا أن نقدم تعريفاً موجزاً لكل من : (إنسانية الإنسان) و (الديمقراطية) و (الإسلام).

إنسانية الإنسان :

يقصد بإنسانية الإنسان منح ابن آدم كل ما يحتاج إليه , لإقامة الحياة الكريمة , من غير إفراط ولا تفريط .

الديمقراطية :

نظام الحكم الذي يكون الشعب فيه رقيباً على أعمال الدولة , بواسطة المجالس النيابية , ولِنواب الشعب سلطة إصدار القوانين .

أو نظام حكم يحكم الشعب فيه نفسه بنفسه بواسطة نوابه .

الإسلام:

هو الاستسلام لله بالتوحيد , والانقياد له بالطاعة , والخلوص من الشرك والبراءة من أهله .

أو إقامة نظام الخلافة الراشدة على منهاج النبوة .

بادئ ذي بدء لا مقارنة بين الإسلام والديمقراطية في كل ما تدعيها ، لأن الديمقراطية نظام بشري ، بينما الإسلام شرعٌ من خلق الإنسان ، ويعلم ما توسوس به نفسه ، وما يحتاج إليه ، وما يضره وما ينفعه ...، ولكن البشرية قد غاب عنها شرع الله لتخلي المسلمين عن تطبيقه في واقع الأرض ، فأصبحت تطلب الهدى في غير منهجه .

ومن هنا اقتضى البحث المقارنة ، وسأوجزها في هذا المقال الحالي في التشريع وسن قوانين.

التشريع :

من رحمة الله بالعقل البشري أنه لم يكلفه بالتشريع وسن القوانين ، لعلمه الشامل عزوجل أن العقل غير قادر على تحقيق مصالح البشر ، فإن ظفر بالمصلحة فيما مضى من الزمن أو فيما هو متلبس به، فإن مصالحتهم في المستقبل محجوبة عنه دون نزاع ، ومن ثمَّ يظل تشريعه قاصراً عن تحقيق مصالح البشر في كل حين وأن .

ومن هذا المنطلق كان التشريع أخص خصائص الألوهية ، لا تتحقق عبودية الإنسان في النظام الإسلامي ما لم يحصر حق التشريع فيمن خلق وأوجد الكائنات .

وحديث عدي بن حاتم رضي الله عنه ومجيئه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يتلو قول الله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) سورة التوبة آية 31 خير شاهد لذلك

قال يا رسول الله : (إننا لسنا نعبدهم) (فقال أليس يجرمون ما أحل الله فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فتحلونه) قال (فقلت بلى ، قال فتلك عبادتهم) الحديث أخرجه ابن جرير في تفسيره ج 10 ص 114 .

فالمشرع بغير ما أنزل الله في ضوء تفسير النبي صلى الله عليه وسلم إليه , نصب نفسه مالكاً من دون الله , لإعطائه ذاته حقاً من حقوق الألوهية, وبهذا الوضع يأخذ في الناس مكان الإله المعبود , ويستخدم أخص خصائصه .

وإن جئت إلى التشريع في النظام الديمقراطي فهو حق من حقوق النواب , الذين انتخبهم الشعب لإدارة الحكم , إذ تُعرّف الديمقراطية بأنها من الشعب إلى الشعب عن طريق الشعب , و كل نظام يعطي حق التشريع لغير الله آفته إنه يقسم شعبه إلى قسمين : سادة يشرعون ويحكمون , وعبيد يقع عليهم تبعّة التشريع والامتثال والتنفيذ ,

ومن هنا تفقد البشرية العدل والمساواة في ذلك النظام , وأبرز صور منافاة العدل والمساواة في النظم الوضعية الحالية وجود الحصانات المتعددة في الدساتير والقوانين .

أضف إلى ذلك أن المقنن البشري مهما حاول التوفيق بين مصالح البشر أجمعين , فإنه محاط بعجزين بشريين لا خلاص له منهما :

1- جهله بعدم الإحاطة بالمستقبل , وما تخفى له أحداث الزمن , لذلك نجد قانون أم الديمقراطيات (بريطانيا) ينص في تشريعه الوضعي المطبق في بعض مستعمراتها السابقة حتى الآن (أن من سرق ثوراً قيمته عشر روبيات يسجن ...) وقد أكل الدهر وشرب على ثور قيمته عشر روبيات , ومن ثم نجد التشريع الوضعي في أغلب الأحيان متخلفاً عن أحداث الزمن , بخلاف شرع الله فإنه وضع الحل قبل وجود الأحداث في صورة تشريعات عامة , .

فملائمة الأحداث ومواكبتها من الشريعة أمر لا يحتاج إلى دليل , وتخلف التقنين الوضعي عن الأحداث أمر لا ينكره أحد .

2- إن المشرع البشري يحتمل نفساً أماراً بالسوء , مركبة من الهوى والميل إلى المحبوب والمُحسِن , ومن ثم تجد التقنين الوضعي يحذف بطائفة على حساب أخرى .

وأغرب ما نشاهد في هذا الباب أن حزب العمال في بريطانيا إن جاء إلى الحكم يشرع قانون تجميد الأجور , وإن كان في المعارضة يؤلب الرأي العام لرفع

الأجور , وما ذاك إلا لأن مقننيه يراعون مصلحته في كل الأحوال, وما يضر خصمه في كل الأحوال .

وأما التشريع الإلهي فإنه منزه عن هذه الملاحظات , فالعدل الإلهي سوى بين البشر , فلم يفضل أحداً على أحد , وإنما حصر معيار التفاضل في التقوى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) سورة الحجرات آية 13 . وتلك قِمة الإنسانية , واقرب لحظات الإنسان إلى ربه (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى...) سورة الإسراء آية 1 .

إزالة شبهة :

قد يقول بعض الناس إن الإسلام بحصر التشريع في يد الخالق قد ضيق الباب على أتباعه , لأن التشريع قد انقطع بوفاة محمد صلى الله عليه وسلم , بينما أحداث البشر ما تزال كل يوم في جديد , فكيف يحل تشريع منقطع غير متجدد مشاكل الحياة المتجددة ؟

ما أسهل الرد على هذه الشبهة , إذا علمنا أن الله أرسل محمداً خاتماً للرسل عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم , وأن دينه خاتم الأديان , فلم ينزل عليه تشريعات جزئية , كما كانت تنزل على الأنبياء والرسل السابقين عليهم السلام , بل أنزل في دينه الأخير تشريعات عامة , وقواعد جامعة , تندرج تحتها الجزئيات التي حدثت أو التي ستحدث في المستقبل .

فمثلاً لو جئت إلى تشريعات الإسلام في اللباس , تجدها تمنع الإسراف والتبذير , وما يؤدي إلى التباهي والتبخر وما يجسد عورة الرجل أو المرأة... فكل لباس خلا من هذه العيوب فيما مضى أو فيما سيأتي فهو لباس إسلامي , سواء كان على شكل قطعة أو قطعتين ... , وسواء كان مرتديه اندونيسيا أو هندياً أو نيجيرياً ... وهكذا الأمر في أغلب تشريعات الإسلام , نجدها عامة , تحتوى الأحداث السابقة واللاحقة , وأما التشريعات الجزئية فهي قليلة جداً .

أضف إلى ذلك أن العلماء من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ومن له إدراك بمرامي التشريع قد يجتمعون لإعطاء حدث ما حكماً شرعياً , كما أعطاهم الشرع أن يقيسوا الأحداث اللاحقة على الأحداث السابقة لإعطاء الحكم للمستجدة منها

بشروط وضوابط معروفة , ولهم أيضاً أن يجتهدوا وأن يراعوا المصالح المرسلة في الأحداث غير المنصوصة في ضوء النصوص الشرعية العامة . وبذلك تظل حلقة التشريع الإسلامي كاملة متواصلة دون انقطاع .

وبهذا المنهج الإسلامي لا نجد شيئاً يندُّ عن شرع الله عزوجل ,فما من حدث سيقع إلا ويجد العلماء والفقهاء له حلاً في ضوء الكتاب أو السنة أو القياس أو الاجتهاد أو المصالح المرسلة , وبذلك يغطي شرع الله كل أحداث الحياة السابقة واللاحقة .
كلمة أخيرة :

ويمكنك الآن أن تدرك أي النظامين يحقق للإنسان إنسانيته , نظام يشرع فيه البشر لبشر مثلهم , لا يخلو من الإجحاف أو غياب المصلحة البشرية في المستقبل , ونظام جاء من عند العليم الخبير , المطلع على احتياجات الإنسان فيما مضى وفيما سيأتي .

فلا يشك عاقل أن مشرعاً غاب عنه أمر المستقبل يقصر تشريعه عن تحقيق متطلبات الإنسان , ومشرع خلق الإنسان ويعلم دخائله , المستقبل عنده كالماضي والحال , فإن تشريعه يحقق للإنسان إنسانيته , من غير أن يتعدى أحد على أحد أو أن يكون له مصلحة في زيد دون بكر .

فالديمقراطية تنتج الشرك في نظر الإسلام , ومن ثم لا يصح وصف الإسلام بالديمقراطية , رغم وجود نقاط الاتفاق في الحقوق والضمانات , فقد تمر الديمقراطية في تحقيق بعض الحقوق الإنسانية بخط الإسلام , بيد أن هذا المرور لا يصوغ صبغ الإسلام بالديمقراطية , للفارق الضخم في البناء والأساس .

كتبه د/ خادم حسين إلهي بخش

المشرف على موقع صوت الحق

أستاذ العقيدة بجامعة الطائف

=====

أيها الجيل لماذا هذا الجمود

فهد بن يحيى العماري

أيها الجيل :

إنه مع إشراقة الشمس المتكررة كل يوم وبزوغ الفجر مع كل صباح ينمو الطفل حتى يصير رجلاً والغرس حتى يصير شجراً والشجر حتى يكتسي ثمرًا والهلال حتى يصير بدرًا وهكذا سنة الله .

كثير من المخلوقات ينمو ويتحرك ، الكل في حركة وسباق ، الزمن يمر مر السحاب والصوت يسعى إلى منتهاه والضوء ينطلق إلى مدهاء.. لكن العجب كل العجب أن ترى ذلك المخلوق الموهوب عقلاً يفكر به ويتأمل وينظر .. وقلباً يحس به ويشعر ويتلمس .. ساكن .. مع أن دوام الحال من المحال .

تتقلب الحقائق وتتغير سنن الفطرة فيقف العقل عن التفكير والقلب عن الإحساس ، جمود ووقوف ، سكون ودعة دون تقدم وتحرك وتيقظ .

نعم تلتقي بإنسان في عهد الطفولة أو ريعان الشباب والفتوة ثم تغيب عنه حقبة من الزمن تكثر أو تقل فتلتقي به مرة أخرى وإذا به نما وشب وترعرع طال جسمه وعرضت مناكبه وتغيرت سيارته ومنزله وملبسه لكن العقل هو العقل والتفكير هو التفكير والحديث هو الحديث وربما الإيمان هو الإيمان .

لم يكتسب خلقاً ولم يزدد علماً وإيماناً ولم يترق في معارج الخير والفضيلة هو هو .. عبادة وعلماً ودعوة وثقافة فلماذا هذا الجمود ؟

مع أن الوقوف يعني الهبوط كما قال ابن القيم رحمه الله : (فالعبد سائر لا واقف : فإما إلى فوق وإما إلى أسفل ، إما إلى أمام وإما إلى وراء .. ليس هناك وقوف البتة ما هي إلا مراحل تطوى إما إلى جنة وإما إلى نار) وإذا بابن الجوزي رحمه الله يقول : (كتبت بأصبعي ألفي مجلد وتاب على يدي مائة ألف وأسلم على يدي عشرون ألف) تذكرة الحفاظ 2/712 .

فيا أيها الجيل المنتظر : لا بد من التحرك والحيوية والنشاط في الطريق إلى الله فكلٌ يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها فأَيُّ الغاديين أنت؟ الحركة ولود والسكون عقيم ، الحركة بداية والسكون نهاية.

فيا من عرف طول الطريق وقلة الزاد وبعد السفر ونفاسة المطلوب وخساسة الدنيا ... حدد الأهداف وارسم الطريق والمبتغى رضا الله والجنة وهكذا حتى تلقى الله .

فالعِبادة باسمها الجامع طريق إلى الجنة والدعوة إلى الله وطلب العلم والجهاد كلها طرق إلى الجنة وكلها طرق لصلاح النفوس وتهذيب القلوب فاسلك الطريق وعليك السؤال إن أردت الوصول واحِدو نفسك إن شئت لسماع شريط (كلانا على خير للدويش) وقراءة كتاب (التنازع والتوازن لموسى بن عقيل) حتى لا تتيه وتتخبط يمينة ويسرة فتمل وتخفق وينقطع بك المسير كما هو حال الكثير ..

إذا أنت ضيعت الزمان بغفلة *** ندمت إذا شاهدت مافي الصحائف فهبوا أيها الشباب إلى تلك المجالات ، كل واحد منا يعمل على قدر استطاعته وتخصسه هاهم العلماء يرحلون كنظام قُطع سلكه وقد قدموا الكثير والكثير وجاء دوركم أيها الجيل ..

الزمن القادم في انتظار . . فمن يمسك بالزمام ؟!

إني رأيت وقوف الماء يفسده *** إن ساح طاب وإن لم يجر لم يطب
والأسد لولا فراق الأرض ما فترست *** والسهم لولا فراق القوس لم يصب
والشمس لو وقفت في الفلك دائمة *** لملها الناس من عجم ومن عرب
غير وسطك تتطلق

البعض من الناس يعيش فترة من الزمن في وسط ما ، وإذا به يقلب أوراقه وصفحات عمره والسنين الطوال التي قضاها داخل المحضن فيجد أنه لم يزد من الخير إلا قليلاً أو ما يزال في نقص مستمر وتقهقر دائم ، عاجز عن فعل الفضائل والتقدم نحو المكارم وربما أصاب شيئاً من المحرمات والكبائر ، أصبح الرضا بالدون سبيله والوقوف عند الواجبات غايته ، رفع شعار العجز والاعتذار ، وحفر حفرة لدفن المواهب والأفكار ، نصب راية مكانك سر وعند البعض المهم النجاح دون النظر إلى التفوق والسمو .

وإذا به بعد تفكير دائم يريد أن يغير حياته ويتقدم لأن دوام الحال من المحال . لكن المحيط الذي يعيش فيه يكون عائقاً عن ذلك : إما لعدم المعين وإما لأنه قد عُرِف عنه الضعف وعدم الجد أو لمعرفة الآخرين بعض أخطائه وعيوبه . فإذا جدَّ وبذل ونصح واقترح وجدَّ من يهزأ به أو لا يتقبل منه أو من يعيره ، حينها كان لزاماً عليه تغيير الوسط والمحيط وكما قيل (غير وسطك تتطلق) .

كلمة رائعة وقاعدة ثابتة وعلاج شرعي نافع وميدان مجرب ونصيحة المرابين ودواء لمن اشتكى من داء السامة والملل والضعف والرجوع إلى الوراء .
فمن العوامل المساعدة على تجديد الحياة والانطلاقة من جديد نحو تربية جادة والارتقاء بالنفس نحو غايات نبيلة وأهداف سامية تغيير الوسط وقد أرشد القرآن والسنة إلى هذا العلاج قال تعالى في قصة بلقيس: {وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين} وفي قصة القاتل مائة نفس أرشده العالم إلى التوبة وأن يغير بلده فإنها بلد سوء ونصه {أخرج من القرية الخبيثة التي أنت فيها إلى القرية الصالحة قرية كذا وكذا} (49) وكذلك كان من دواعي الهجرة إلى أرض الحبشة والمدينة تغيير البيئة والمحيط وإيجاد المعين والناصر بعد الله . لذا كان على المرابين فيما بينهم إحداث تنقلات بين الأفراد الذين يمكثون سنين طويلة في محاضنهم ولا يرى عليهم كثير تغير وصلاح أو عند أحدهم مشكلة داخل المحضن أو أن المحضن ابتداءً غير مناسب له من حيث الفروق الفردية والتربوية إما أقل منه أو أكبر (50) .

وأضع لتلك النقلة شروطاً اجتهادية :

أ- ألا يترتب على تلك النقلة تأثيرات سلبية على الفرد ذاته أو المحضن المنقول إليه .

ب- ألا يتسرب سبب نقله إلى أفراد أحد المحضنين إلا إذا وجدت المصلحة سواء كان الإخبار على مستوى الفرد أو المحضن كله .

ج- أن يوليه المربي الآخر بشيء من الاهتمام ولا يفضلته تفضيلاً واضحاً أمام المتربين السابقين ويقدمه عليهم مباشرة .

د- ألا يُخبر المربي الآخر بكل شيء فعله المنقول أو صفاته السلبية وأخطائه إلا في حدود ضيقة جداً وإذا لزم الأمر .

هـ- ألا يغادر المحضن الأول إلا بعد تهيئة المحضن الثاني المناسب له من حيث الفروق الفردية والتربوية كالعمر والمستوى الدراسي والقدرات .

و- مباشرة الانتقال للمحضن الآخر بعد الأول بحيث ألا يوجد بينهما وقت كبير لئلا يفتر المنقول أو تتنازعه الأهواء والأفكار وشياطين الإنس .

تنبيه : إذا رفض المتربي الانتقال أو إذا انتقل فإنه لن يذهب إلى المحضن الآخر ، حينئذ بقاؤه أولى إلا إذا كان فيه مفسدة متعدية .

ز- أن يكون النقل آخر العلاج .

ح- أن يكون النقل بالتدرج إذا احتيج إليه (أي التدرج) .

ط- تهيئة من يقوم بأعمال المنقول للقيام بعمله حتى لا يتوقف العمل .

وعلى المتربي إذا انتقل ألا يُخرج عيوب وأخطاء المحضن الأول أو المتربي السابق على سبيل التشفي أو النقد أو غير ذلك متأولاً ومبرراً لنفسه بعض الأمور وأن النقل لا يعني قطع العلائق ونسيان الود والأخوة .

وربما المرابي يرفض نقل المتربي والسماح له فيضطرو المتربي حينئذ لاقتعال المشكلات بينه وبين المتربي أو الأفراد ليعترك المحضن فعلى الجميع حينئذ النظر إلى المصالح والمفاسد وإيجاد الحلول والبدائل .

وتارة يكون المرابي هو الذي يحتاج إلى النقل لأي سبب من الأسباب سلباً أو إيجاباً : إما لخطأ صدر منه أفقده شخصيته أو لوجود مشكلة وغيرها فيحتاج النقل إلى حكمة ومعالجة دقيقة حتى لا يفتقد في أي مجال من مجالات الإصلاح ولا ننسى أن الأخطاء تارة تكون في حق الله وتارة في حق الأشخاص وتارة اجتهادية لاتصل إلى محرم وكل له طريقة في العلاج والعقاب ولنزن الأمور بميزان العدل والتعقل ولا يأخذنا الحماس غير المنضبط والعجلة في الأحكام والانتصار لأنفسنا ولنتأمل سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم في معالجة الأخطاء (51) .

برنامج مقترح لطالب العلم المبتدئ :

إن طلب العلم اختلفت طرائق العلماء ومناهجهم فيه وذلك لعدة أسباب :

1- المدينة التي يسكنها الإنسان وتوفر العلماء والدروس فيها .

2- الظروف التي تحيط بالإنسان من حيث الوقت والعمل والحالة الاجتماعية .

3- فهم الإنسان ومداركه وقدرته وجلده في التلقي والقراءة .

وبالنظر إلى من يطلب العلم الشرعي تبين أن بعضهم طلاب علم أقوىاء أذكيااء فصحاء ، حديثهم درر من العلم لا تمل جلوسهم يذكرونك بالعلماء ومنهج العلماء والبعض الآخر يتخبطون على غير منهج يبدأون من وسط الطريق أو من آخره

فضل فهمهم ولم يحصلوا علماً ولم يتقنوا فناً ولم يسترشدوا ويسألوا بم يبدأون ؟ أو أنهم دائماً يسألون كيف نبدأ وبم نبدأ ؟ وكلاماً رأوا طالب علم أو داعية سأله هذا السؤال حتى أصبحوا في حيرة من أمرهم أو قل حماسهم وأصبح شغلهم الشاغل السؤال لا طلب العلم .

فبناء على ذلك فقد وُضع هذا المذهج قريباً من منهج الأولين اجتهاداً بعد استشارة وأخذ للآراء فيه من بعض الدعاة وطلاب العلم سائلاً المولى أن ينفع به وقد قسمته إلى قسمين :

كان السلف رحمهم الله أول ما يبدأون بحفظ كتاب الله مع تجويده فإن لم يتيسر فيكون مواكباً لطلب العلم وللأسف نجد أن بعض الشباب لا يهتم بحفظ كتاب الله ، يمكن سنوات في حياة الالتزام ولم يحفظ ولو جزء يسيراً أو يحدث نفسه بالحفظ ، فكيف يقوم الليل ، وكيف يأمر أبناؤه وإخوانه بالالتحاق بحلق القرآن ، وكيف يؤم المصلين ويكون من الذاكرين ويعظ الناس بكتاب رب العالمين ، فالبدار البدار لحفظ القرآن ولا تكن من المحرومين .

هبوا إليه لحفظه وتأهبوا *** وارجوا رضا الرحمن صباحاً والمساء
الأول : ويندرج تحته عدة علوم .

1- أول ما يجب على الإنسان تعلمه هو : التوحيد لتصحيح إيمانه الذي سيلقى به ربه وينصح المبتدئ بكتاب الأصول الثلاثة وكتاب التوحيد ومسائل الجاهلية للشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - .

2- فقه الأحكام لتصحيح العمل : عمدة الفقه لابن قدامة رحمه الله .

3- الحديث : الأربعين النووية مع زيادة ابن رجب وشرحها جامع العلوم والحكم مع عمدة الأحكام حفظاً وشرحاً .

4- التفسير : تفسير ابن سعدي - رحمه الله - أو الجلالين مع التنبيه لما فيه من الملاحظات .

5- السيرة : الفصول في اختصار سيرة الرسول لابن كثير .

6- النحو والصرف : الأجرومية .

ثانياً : ويندرج تحته عدة علوم .

1- أصول الفقه : الورقات للجويني .

2- المصطلح : البيقونية .

3- الفرائض : الرحبية .

4- علوم القرآن : مقدمة التفسير لشيخ الإسلام .

5- مفردات اللغة : القاموس المحيط .

6- البلاغة : التلخيص للقزويني .

وصايا :

أ- أخلص عملك فإنما الأعمال بالنيات .

ب- احرص على القراءة على شيخ (52) متقن بعد حفظ متن العلم المراد .

ج- استغلال الوقت مع تنظيمه ما بين قراءة وحفظ ومراجعة وراحة دتدرج داخل العلم الواحد فابدأ بالسهل ثم المتوسط ثم العالي .

هـ- لا بد لك من قدر من الذكاء فإن لم يكن فتعلم فروض الأعيان ثم اتجه إلى حقل تفيد الأمة فيه .

و- اجمع بين العلم والعمل ولا تكن فتنة للناس .

ز- لا تقتك فائدة حتى تكتبها فالعلم صيد والكتابة قيده .

ح- لا تطلب على مبتدئ أو مبتدع .

ط- تواضع لمن تأخذ عنه ومن تصاحبه .

ي- عليك بالدعاء إذا استشكل شيء عليك واصحب ذلك بالسؤال .

ك- اسأل من تقرأ عليه ما الكتاب الذي تنتقل إليه بعد ضبط ما أخذت عليه .

ل- إياك والفتيا بغير علم وعود لسانك على قول لا أدري إذا كنت لاتدري .

م- ليكن لك مرجعية في تحصيل العلم والزم يا طالب العلم مبدأ الشورى في شؤون حياتك واحدو نفسك لسماع شريط (فقه الاستشارة للشيخ / ناصر العمر)

كتب للقراءة العامة :

أخي طالب العلم : إن العلم لا يكون بالتلقي فقط بل لا بد من القراءة والعكوف عليها ولا يمكن لطالب العلم أن يكون طالب علم قوي التأصيل والاستدلال والحجة، فصيح اللسان ، متكلماً واعظاً حتى تصبح القراءة شغله الشاغل فلاتكاد

تراه أو يعيش فراغ أو يشعر بملل وسأم بل أصبحت الكتب ضرائر لأهله ومحبيه لأنها أخذت قلبه وعقله عنهم والفضل بيد الله يؤتية من يشاء .
ماتطعمت لذة العيش حتى *** صرت للبيت والكتاب جليساً
ليس شيء عندي أعز من العلم *** فما أبتغي سواه أنيساً
فعود نفسك على ورد يومي من القراءة والاطلاع ولو قلّ شيئاً فشيئاً حتى تصل (والقطرة الدائمة تصبح سيلاً عظيماً) .
وأضع بين يديك كتباً للقراءة العامة جعلتها على مرحلتين اجتهاداً :
الأولى :

- 1- جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر .
 - 2- الأخلاق والسير لابن حزم .
 - 3- حلية طالب العلم لبكر أبو زيد .
 - 4- التبيان في آداب حملة القرآن للنووي .
 - 5 - رسائل عبد الملك القاسم .
 - 6- علو الهمة لمحمد المقدم .
- الثانية :

- 1- غذاء الألباب للسفاريني .
 - 2- تهذيب مدارج السالكين للعزي .
 - 3- معجم المناهي اللفظية لبكر أبو زيد .
- أخيراً :

يا أخوتي ليس لي منكم سوى طلب *** هل يخذل الأخ من في الله آخاه
فلا تخلُ أخاكم من دعائكم *** بظهر غيب وستر الليل أرخاه
جعلنا الله وقراء هذه الكلمات ممن قصد وجه الله فرضي الله عنه وأرضاه وإلى لقاء آخر يسره الله بمنه وكرمه على طريق الدعوة والداعية والمدعو وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه ..

فهد بن يحيى العماري
مكة المكرمة

ص.ب : 20268

ammare1395@maktoob.com

احصل على نسخة من كتاب : فتح آفاق للعمل الجاد ..للشيخ فهد العماري

للقراءة : فتح آفاق للعمل الجاد

للقراءة : دعوة للمصارحة : أسباب ضعف العمل الدعوي

للقراءة : من فنون التعامل : التعامل مع ظاهرة التعلق بالأشخاص

للقراءة : أيها الجيل

الهوامش

(49) رواه البخاري .

(50) نجد أن بعض الشباب ذكي وجاد لا يقبل برامج المحضن لكونها أقل منه فتجده يثير إشكاليات مع المربي لا يوافق عليه أو يكثر تخلفه ومصادماته مع المتربين في بعض الأمور أو لا يقبل بعض التصرفات فيمكن إيجاد برامج مقوية له ولا يفرط به وإذا لم يتوصل لحل مناسب فيمكن نقله إلى محضن مناسب له .

(51) أنصح بقراءة كتاب الأساليب النبوية في التعامل مع أخطاء الناس للمنجد .

(52) نجد بعض الشباب لا يجد لأحد المشائخ درساً في الكتاب الذي يريد أن يقرأه أو تجده لا بد أن يطلب العلم على كبار المشائخ المشهورين وهذا مطلب لكن إن لم يتيسر فالتوقف أو الانتقال إلى فن أو كتاب أعلى ليس حلاً وليقرأ على غير المشهورين أو طلبة العلم المتقنين ولقد قال ابن المبارك رحمه الله " إنما ينقل الأصاغر العلم عن الأكابر" فإن لم يتيسر فيقرأ مع بعض زملائه أو لوحده في الشروح الميسرة أو الاستماع للأشرطة مع تقييد المشكل واختيار أحد المشائخ في تخصصه وسؤاله عن المشكل ولو هاتفياً أو الذهاب إليه إن تيسر .

=====

مع العام الدراسي

الشيخ فيصل الشدي

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وعظيم امتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: اتقوا الله – معاشر المسلمين – في سرِّكم وعلانيتكم، فغداً تبلى السراء، وتكشف الخبايا، والناجون هم الصادقون المتقون، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة:119].

عباد الله، انقضت الإجازة، وطويت فيها صحائف، ورحل فيها عن الدنيا من رحل، وولد فيها من ولد، وأطلَّ على الدنيا خلالها جيل جديد وعمّر من عمر، {وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [فاطر:11].
وإن المتأمل للمسافة التي بين امتحانات الفصل الماضي وبدء الدراسة في هذا الفصل الحالي وإن كانت قصيرة في عمر الزمن إلا أنها طويلة في حساب المكاسب والخسائر.

أجل، لقد غنم فيها قومٌ وخسر آخرون. وعملة الزمن تدور على الجميع، لكنهما لا يستويان، ذاك يطوي صفحات من الحسنات في الصالحات الباقيات، في خطوات تقربه إلى روضات الجنات، وذاك يعبّ فيها من سجلات السيئات في الطالحات الموبقات، في استدراج يدينه من دركات النار عياداً بالله.

وليعُد كل منا بذاكرته إلى الوراء قليلاً، إلى بداية إجازته، وليحاسب نفسه: ماذا جنى؟ ماذا قدم؟ هل تقدم للخير أم تأخر؟ هل ازداد من الصالحات أم قصر؟ تالله، لتسعدن أقوام عندما تذكر أنها حفظت في إجازتها من القرآن جزءاً وقرأت شيئاً كثيراً واستفادت علماً عظيماً ووصلت رحماً وزارت بيته الحرام فأكثرت من طاعاته وصالحاته، وأقوام أخرى لا تذكر من صيفها إلا سهراً وصخباً، ليلها نهار، ونهارها ليل، غارقة في بحر شهوتها، منغمسة في نشوة سكرتها، ثم الحسرة والندامة في الدنيا قبل الآخرة، والآخرة أشد وأنكى.

إخواني في الله، ويوم غدٍ يوم بدء الدراسة، مشهد حافل وملتقى هام، في هذا اليوم تستأنف رحلة العلم، وتبدأ مسيرة الفكر، وتفتح حصون العلم، وتهياً قلاع المعرفة،

يبرق فجر غد والناس أمامه أصناف، والمستقبلون له ألوان، بين محب وكاره، ومتقدم ومحجم، ومتفكر ومتحير، ومتفائل ومتشائم.

كم من محب لهذا اليوم يترقب قدومه بفارغ الشوق، وكم من كاره له يتمنى لو أن بينه وبينه أمداً بعيداً. وإني بهذه المناسبة المهمة أوجه رسائل عدة، عليها تكون نذر خير ورقاع إصلاح ومشاعل هداية تضيء لقائلها وسامعها الطريق، وتهدي جميعنا السبيل:

الرسالة الأولى إلى الطلاب والطالبات: أخي يا رعاك الله، إنه ليتألم الفؤاد ويضيق العقلاء ذرعاً عندما نراك حزين القلب كسير النفس، لمة؟ لأن الدراسة غداً. يا الله ألا ترى أمم الكفر شريقيها وغربيها تفاخر الأمم بصناعاتها وتعلمها وأجيالها؟! وأنت تتبرم كثيراً، وتعطي الدعة والكسل والراحة من وقتك شيئاً كبيراً، قل لي بالله عليك: ماذا تتعلم في مدرستك؟ ألسنت تدرس كتاب الله وتتعلم توحيد خالقك وتتفقه في دينه وتقرأ شيئاً من تفسير خطابه وتسمع لطرف من سنة نبيه وغيرها من المواد والتجربة التي تبصرك في أمر دنياك؟! أنت تكره هذا؟! لكنها الحقيقة يوم تغيرت النيات، وأصبح العلم لينال به الرتب وتستلم به الشهادات ويرتقى به في درجات الوظائف والمرتبات، أصبح العلم هنا ثقيلاً، وإلا أسلافنا طلبوه في حرّ الرمضاء وفي الليلة الظلماء، لحاف بعضهم من أديم السماء، وفراشه الغبراء، ومع ذلك لذته فيه لا توصف، ونهمهم منه لا ينتهي، لمة؟ لأنهم طلبوه لله، نعم لا لغيره، طلبوه ليكشفوا عن وجوههم أقنعة الجهل، ويخلعوا عن أكتافهم أردية الجهالات.

اسمع لأحدهم وهو يصفه، ولكأنه يصف لك ما أحسّه وهو ابن القيم رحمه الله إذ يقول: "العلم هو حياة في القلوب ونور البصائر وشفاء الصدور ورياض العقول ولذة الأرواح وأنس المستوحشين ودليل المتحيرين، به يعرف الله ويعبد ويذكر ويوحّد ويحمد ويمجدّ، به اهتدى إليه السالكون، ومن طريقه وصل إليه الواصلون، ومنه دخل عليه القاصدون، به تعرف الشرائع والأحكام وتميز الحلال والحرام، وبه توصل الأرحام، وبه تعرف مراضى الحبيب، وبمعرفتها ومتابعتها يوصل إليه من قريب، هو الاصحاح في الغربية والمحدث في الخلوة والأنيس في الوحشة والكاشف عن الشبهة، مذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وطلبه قرابة، وبذله

صدقة، ومدارسته تعدل الصيام والقيام، والحاجة إليه أعظم منها إلى الشراب والطعام" انتهى كلامه.

أخي يا رعاك الله، أبعد هذا ترهد في عظيم هذا شأنه وكبير هذا شيء من وزنه؟!
فإن الله، اطلب العلم بإخلاص وتجرد، والله يستدك ويؤيدك، ومن ثم إن كنت تريد فهو عزيز المنال، يلزم أن تحسن فيه المقال، وأن تزين بأخلاق العلم، وأن ترتدي لبوس العلماء، كن صبوراً، ذا خلق رفيع، فلن ينال العلم مستكبر ولا أحمق، ولتعلم بل ليعلم الجميع أن الأمة والأجيال الناشئة إذا لم تقدر معلمها ومربيها فعلى الأمة السلام.

اجعل أمام ناظريك قول حبيبك صلى الله عليه وسلم : ((من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة))، واجعل في سويداء قلبك قول ربك وخالقك: {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمُ اللَّهُ} [البقرة:282]، جد واجتهد، ولا يغرنك كثرة البطالين؛ فإن ابن عطاء الإسكندري يقول: "من لم تكن له بداية محرقة لم تكن له نهاية مشرقة".

الرسالة الثانية إلى المعلمين والمعلمات: إلى رعاة الجيل وأمنة التعليم ورواد العلم وسلّم الرقي، أنتم بيت القصيد ومحط الركب، بين أيديكم عقول الناشئة وعدة المجتمع وأمله، عليكم تعقد الآمال، ولسنوات عدة تحط عندكم الرحال، نبيكم صلى الله عليه وسلم أكبر شأنكم وأعلى مقامكم، ألم يقل فيما صح من سنته: ((إن الله وملائكته ليصلون على معلم الناس الخير حتى النملة في جحرها))؟!
فجملوا عملكم بالإخلاص، فأجر الدنيا آت، وإلا فأجر الآخرة أعلى وأبقى. كم هدى الله بكم من ضال، وكم أنقذ بكم من عمى، وكم بصر بكم من جهل. أنتم مشاعل الهدى ومصابيح الدجى، كلاً ليس هذا خيالاً أو تلاعباً بالأقوال، بل هو الحق — وربى — أقوله.

يُكدر خاطر ويكسر الناظر عندما نراكم تتبرمون من الأجيال وتتضجرون من الناشئة، نسمع هنا وهناك بعض صيحاتكم أن الأجيال تغيرت، الملهيات كثيرة، لكن قولوا لي بربكم: ماذا يدفع تضجركم؟! وماذا يجدي تبرمكم؟! اليأس والقنوط سمة الكفار، { إِنَّهُ لَا يَبْدَأُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ } [يوسف:87]، ابدلوا ما

تستطيعون، وقدموا ما تطيقون، زاحموا الشر الذي ترون، واعلموا أن الله يؤيدكم ويسدّدكم، والحق أبلج، والزبد جفاء.

اجتهدوا في تعليمكم، وضعوا رقابة الله دائماً نصب أعينكم قبل رقابة البشر عليكم، ولا يكن شبح الامتحان همكم الوحيد. تخلقوا بالخلق الحسن، اصبروا وارحموا واعطفوا، فإن من المعلمين من تبقى ذكراه عاطرة في أذهان طلابه، ومنهم من لسان حال طلابه ومقالهم مستريح ومستراح منه. واعلموا أن الدارسين يسمعون بأعينهم أكثر من سماعهم بأذانهم، فالقدوة الحقة في الفعال قبل الأقوال.

وثمة رسالة ثالثة إلى الآباء وأولياء الأمور أقول فيها: معاشر الأولياء، أنتم شركاء للمدرسة في مسؤوليتها، وإننا نشكو من قصر نظر بعض أولياء الأمور، تسألته عن ابنه فيبادرك أن قد أكمل الجوازبَ الفذية والوسائل الحاجية، فقد أمّن له الأدوات المدرسية، بل وبالغ فيها وأسرف وشكّل ولون، حتى إنك لتجد بين يدي الطلاب غرائب الأدوات مما لا حاجة لهم بها، بل وربما كسر قلوب الفقراء الذين لا يجدون ما يوفرون به هذه المتطلبات، وإنني بهذه المناسبة لأدعوك عندما تذهب تشتري حاجيات أبنائك الدراسية أن تنظروا إلى طفل أو ولد في عمود أبنائك، بل ولربما كان يدرس مع أبنائك في مدرسة واحدة، أبنائك قد سعدوا بحقائبهم وأدواتهم، وهو حسير الطرف كسير النظر، فينظر إليهم وهو محروم مما في أيديهم، لمه؟ لفقره وقلة ما بيده، لذا فإن من تمام نعم الله أن قامت جمعية البر الخيرية في هذا البلد بمشروع جميل وعظيم ألا وهو الحقائب المدرسية، توزع على أبناء الفقراء، وفيها ما يحتاجونه من أدواتهم، فلا تحرم نفسك المشاركة في الأجر، فقلّم يكتب به من صدقتك كفى به أجراً كثيراً.

ويأتي السؤال مرة أخرى للأولياء: هل تابعت أبنائك دراستهم؟ هل زرت مدارسهم وسألت عن حالهم؟ إن من الآباء من آخر عهده بالمدرسة تسجيل أبنائه فيها! هل اخترت جاساء ابنك؟ هل عرفت ذهابه وإيابه؟ اصحبه للمسجد ومجامع الخير، علمه مكارم الأخلاق، صوّب خطأه واشكر صوابه، واعلم أن تربيتهم جهاد، وأعظم به من جهاد تؤجر عليه، علّك إذا كنت في قبرك وحيداً فريداً تأتيك أنوار دعواتهم في ظلم الليالي تنير لك قبرك، وتسعدك عند ربك.

وأما الرسالة الرابعة والأخيرة فأفردتها لعظمتها وهي موجهة للجميع طلاباً كانوا أم معلمين أم آباء، أقول فيها: إن الأمة مقبلة على مستقبل مخيف، تتناوشه أطروحات غريبة ومطالب عجيبة، أهل الشرّ فيه أجلبوا بخيلهم ورجلهم على إفساد شباب الأمة بما أوتوا من قوة، ولست أقول هذا تشاؤماً، بل والله إني متفائل، ولكن هذا الطوفان لا بد له من رجال، لذا فعلينا جميعاً أن نتكاتف لنحقق الهدف الأسمى والمطلب الأعلى من التعليم، ألا وهو العمل. فما قيمة العلم بلا عمل!؟

إن رسالة التعليم لا تعني في أهدافها أن يحمل الطلاب على عوانتهم كمّ من المقررات طيلة فصل أو عام ثم يتخفون منها بأداء الامتحان، إن رسالة التعليم لم تبلغ غايتها إذا حفظ الطالب أو الطالبة نصوصاً في أهمية الصلاة وكيفيةها وشروطها وواجباتها وهو لا يصلي إلا قليلاً أو يصليها على غير ما تعلمها، إن رسالة التعليم لن تحقق هدفها إذا كان الطالب يقرأ في المدرسة موضوعاً في مادة المطالعة وغيرها عن الصدق وبعده بهنيهة يكذب على معلمه وزملائه، إن رسالة التعليم لن تحقق غايتها إذا كان الطالب في المدرسة يكتب موضوعاً في التعبير مثلاً عن الوالدين ويحليه ويجمله ثم هو يخرج من المدرسة ليرعد ويزبد على أمه ويعرض عن أمر أبيه. وهذا – والله – فِصام نكدٍ نعانيه في حياتنا، لكن التقصير من الأطراف كلها حاصل، فلا بد من تلافيه، المدرسة والمعلمون يسعون بالتوجيه والتربية بالأسلوب الأمثل، ويكونون قدوة في فعالهم قبل مقالهم، والآباء والأمهات يسعون لأن يكون البيت خالٍ من وسائل الانحراف وفساد الأخلاق، ويسعى للصحبة الصالحة لهم ما استطعنا لذلك سبيلاً، وقبل هذا وبعده دعاء رب العالمين والله يقول: { إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ } [القصص: 56].

=====

المصيف في ميزان الإسلام

أبو عبد الرحمن .. سامح

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد

أيها الأخ المبارك : هذه رسالة كتبتها بمداد الحب وسطرتها وقد سكبت فيها من روعي لعلها تصلى إلى روحك .. كتبتها وأنا أسألك أن تصحبني بعقلك الذي

يمنعك من ارتكاب كل قبيح، بعيداً عن التشنجات والمغالطات والمهاترات التي لا تغني من الحق شيئاً .. أي نعم .. أريد أن أتحدث إليك أنت أخي حديثاً أخصك به، فهل تفتح لي أبواب قلبك الطيب، ونوافذ ذهنك النير، فو الله الذي لا إله غيره إني لأدبك .. إن موضوعي معك هو ما تفكر فيه الآن، وتبحث عن مكان يناسبك ويلأئمك أنت وأسرتك وربما أعددت العدة له .. نعم .. هو النزهة والترفيه عن النفس .. إننا لا نعتب عليك بادئ ذي بدء أن تفكر في هذا الموضوع فالنفس مجبولة على ذلك وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها ولا نعتب عليك أن تأخذ أسرتك وأولادك في نزهة برية أو رحلة خلوية أو غيرها، وإن غير ذلك يعتبر مصادمة للواقع فلا بد من الترويح عن النفس ، ولا بد من التخفيف عنها .. كما قال النبي صلى الله عليه وسلم " .. ساعة وساعة " . [صحيح]

ساعة و ساعة

نعم ساعة و ساعة .. لكن هل يعني ذلك أنها ساعة للطاعة وساعة للمعصية؟! هل المراد ساعة لربك، وساعة لنفسك تفعل فيها ما تشاء وتختار؟! إن هذا المفهوم لا يمكن أن يحتمله كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، أو أن يفهم منه إذ كيف يتصور أن يأمر النبي صلى الله عليه وسلم بمعصية ربه ، والتعدي على حدوده؟! وانتهاك محارمه؟! أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يغضب لنفسه، ولكن إذا انتهكت محارم الله اشتد غضبه ، واحمر وجهه .. فكيف يأذن إذا بالمعصية وهذا منهجه؟ وهذه طريقته؟ سبحانك هذا بهتان عظيم .. إن المفهوم الصحيح لقول النبي صلى الله عليه وسلم " ساعة وساعة " هو ساعة لطاعة الله I، وساعة يلهو بلهو مباح .. يقول الله I : (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) [القصص: 77] ها هو ربك I يأمرك أن تستعمل ما وهبك من المال الجزيل والنعمة الطائلة في طاعة ربك والتقرب إليه بأنواع القربات التي يحصل لك بها الثواب في الدار الآخرة (وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) مما أباح الله فيها من المآكل والمشرب والمسكن والمناكح .. فأبي دين أعظم من هذا؟ وأي

شريعة أكمل من هذه الشريعة؟ التي راعت بين جوانب الحياة كلها وأعطت كل ذي حق حقه .

الحكمة من خلق الليل والنهار

قال I مبيناً الحكمة من خلق الزمن ، وماذا يجب على الإنسان أن يعمل في الليل والنهار (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ لِّمَنْ أَحْسَبُ أَنَّ آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّمَنْ تَبَتَّغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَلَّنَاهُ تَفْصِيلاً) (12) وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً) (13) اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً (14) مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً (15)) [الإسراء 12-15]

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله : يمتن تعالى على خلقه بآياته العظام ، فمنها مخالفته بين الليل والنهار ؛ ليسكنوا في الليل وينتشروا في النهار ؛ للمعاش والصنائع والأعمال والأسفار ؛ وليعلموا عدد الأيام والجمع والشهور والأعوام ؛ ويعرفوا مضى الأجال المضروبة للديون والعبادات ، والمعاملات والإجازات وغير ذلك . أهـ [ابن كثير 3 / 27]

ولهذا قال (لِنَبِّتْغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ) : أي لتسعوا في الأرض فتطلبوا رزقاً من فضل ربكم . (وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ) : أي بمضى الليل والنهار تتمكنوا من حساب الأيام والشهور والأعوام ، فيعطى الأجير حقه ، وتعملوا بالنهار وتسكنوا بالليل . ولو كان الزمن كله نهراً لمل الناس ، وتعبوا ، وما صلحت حياتهم ، ولو كان الزمن كله ليلاً لتعطلت مصالحهم . وقوله (فَحَوَّنَا آيَةَ اللَّيْلِ) أي جعلنا الليل مظلماً فحونا ضوءه . وقوله (وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً) أي جعلنا النهار مضيئاً . (وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَلَّنَاهُ تَفْصِيلاً) أي فصلنا لكم كل ما تحتاجون إليه من أمر معاشكم ومعادكم . فالله I خلق الزمن ليسعى الناس على معاشهم فيقتاتون ما يعيذهم على عبادة الله وطاعته ، فالسعى على المعاش وسيلة للإعانة على العبادة .

فالزمن لطاعة الله .. والزمن لعبادة الله .. والزمن للتقرب إلى الله .. لا لمعصيته ولا لمخالفة شرعه فكلُّ أقوالك وأفعالك ، وحركاتك وسكناتك ، مسجلة عليك بالليل والنهار ، ترى ذلك يوم القيامة فى كتاب منشور ، فإذا مررت بعمل طاعة استبشرت ، وإذا وجدت فيه معصية حزنت وندمت . ولذلك قال I (وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا) [الاسراء:13] .. أى ستجد كتاب أعمالك ملازماً لك لا يفارقك لا فى القبر ولا فى الحشر ، (مَنْشُورًا) أى مفتوحاً يقرؤه كل الناس .. يا فرحتاه إذا كان مملوءاً طاعات وحسنات .. ويا حسوتاه إذا كان مملوءاً سيئات ومعصيات . (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً) [الاسراء:14] محاسباً .

فاعلم وفقك الله : أن الوقت زمن تحصيل الأعمال والأرباح وقد أنب الله الكفار إذ أضاعوا أعمارهم من غير إيمان فقال I : (أَوْلَمْ نَعْمَرِكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ) [فاطر:37] . ولعظم أهمية الوقت كان مما أفرد بالمسألة عند العرض .. يقول النبي صلى الله عليه وسلم : " لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه " [حسنه الألبانى] .

يقول ابن القيم [رحمه الله] : "وقت الإنسان هو عمره في الحقيقة، وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم، ومادة معيشته الضنك في العذاب الأليم، وهو يمر مر السحاب، فمن كان وقته لله وبالله فهو حياته وعمره، وغير ذلك ليس محسوباً من حياته .. فإذا قطع وقته في الغفلة والسهو والأمانى الباطلة وكان خير ما قطعه به النوم والبطالة، فموت هذا خير من حياته " .

ماذا يحدث في المصيف

حبيبى فى الله : إن الإسلام لا يقف فى وجهك حجر عثرة عن التنزه والترفيه إذا كان ذلك وفق الضوابط الشرعية التى تكفل لك ولأسرتك السلامة والعافية فى الدارين .. ولكن إذا صاحب ذلك تفريط وإفراط هنا يأتى التحذير والمنع لا من أجل حرمانك من التمتع .. كلا ؛ بل من أجل المحافظة عليك من أن تحيط بك السيئات من كل جانب فتهلك فتكون من الخاسرين ..

أخى : الآن ونحن مقبلون على الإجازة الصيفية ترى شيئاً عجبياً .. كثيراً من المسلمين ، يجهزون ثياباً جديدة ، وفُرُشاً ، وطعاماً وشراباً ، استعداداً للسفر .. ولكن إلى أين ؟؟؟ .. لعلك تظن أنهم سيسافرون لأداء العمرة والطواف بالكعبة ، والشرب من زمزم ، وزيارة المسجد النبوى .. كلا .. هم لا يفكرون فى ذلك . أو لعلك تظن أنهم سيسافرون لزيارة أقاربهم وصلة أرحامهم .. كلا .. كلا إنهم سيسافرون لقضاء عدة أيام على شاطئٍ من شواطئ البحار المالحة . ويسمونها [المصيف] وهى بالعربية [المصيف] .. ماذا يصنع الناس فى المصيف ؟؟ يستأجرون شقة صغيرة على الشاطئ يسمونها [شاليه] أو [عشة] ليقضوا فيها أسبوعاً أو أسبوعين .. ماذا يصنعون فيها ؟؟ .. ليختموا القرآن تلاوة .. كلا !! .. ليقموا الليل تهجداً وتعبداً مع الدعاء للمسلمين المستضعفين أن ينصرهم الله .. كلا !! .. ليبحثوا عن الأرامل والأيتام ليساعدوهم ويعاونهم وينفقوا عليهم ويدخلوا على قلوبهم الفرحة والبهجة ؟!! .. ليبحثوا عن عصاة المسلمين فيدعونهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ؟!! .. ليس شيئاً من ذلك .. إذاً ماذا يصنعون ؟ .. يذهب الرجل ويصطحب معه زوجته وأبناءه وبناته وقد أعدوا ملابس للسباحة ، فالرجل يلبس تيّاناً [سروال قصير يوارى العورة المغلظة فقط] ويسمونه [مايوه] والمرأة تلبس ذلك أيضاً لكنه أستر قليلاً وتسميه [المايوه الباكينى] وكذلك الأولاد والبنات ، ثم يتجهون فى صبيحة كل يوم بهذا اللباس الفاضح إلى شاطئ البحر لينزلوا فى الماء المالح يلعبون ويسبحون .. وليسوا وحدهم ، بل معهم مئات من الأسر الآخرين من المسلمين والنصارى واليهود لا تستطيع أن تفرق بينهم لا فى منظر ولا فى سلوك . الرجال والنساء والشباب والفتيات ينظر بعضهم إلى عورات بعض .. منظر قبيح تشتمن منه القلوب المؤمنة . لو رأيتهم وهم يتجهون إلى البحر بهذا العرى الفاضح جماعات وفرادى .. رجالاً ونساءً لاستطعت أن تجيب على هذا السؤال المحير .. نحن مسلمون .. فلماذا سلط الله علينا أعداءنا فأذاقونا سوء العذاب .. ودنسوا أعراسنا ووطئوا بأقدامهم أرضنا .. وأذلونا .. وغلبونا .. وقهرونا ؟ .. فكم فى ذلك المكان من علاقات آثمة ، ونظرات خائنة .. وعورات بادية والشياطين تحتوشهم من كل جانب تُزيّن لهم

المنكر ، وتحبب إليهم الفحشاء ، وتؤزهم إلى المعاصي أزرًا . فترى الرجل قد نسي رجولته وترك عرضه عرضة للنظرات الفاجرة واللمسات الآثمة .

أيها المصطفى المسلم : أهذا يرضى الله؟! أهذا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! قل لى بربك : أتحب أن يُعرض هذا يوم القيامة فى ميزان أعمالك؟ أتحب أن تراه مكتوباً فى كتابك؟ أتحب أن يعرض هذا أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة؟ وماذا تقول لربك حينما يقول لك : ألهذا خلقتك؟ وبهذا أمرتُك؟ وأنتِ أيتها المسلمة : ماذا تقولين لربك غداً حين يقول لك : أمرتك بالحجاب فخلعتيه ، أمرتك بستر العورة فأبديتها ، وأمرتك بالطاعة فعصيت ، أغضبتينى لشهوة عاجلة ولذة فانية ..

أيها المصطفى المسلم : هل يمكن لك أن تتبسط مع أولادك وأهلك فى مثل تلك التجمعات؟ هل يمكن لزوجتك أن تأخذ راحتها وأنسها وتتأمل فى ملكوت الله تعالى والناس من حولها .. الأسرة بقرب الأسرة؟! ثم كم من الشباب الذين يترصدون لاصطياد الفتيات فى تلك التجمعات؟ والذين لا همَّ لهم إلا النظر فى عورات الناس؟ وكم من الشباب الذين نراهم فى سيارتهم وقد رفعوا أصوات الموسيقى الصاخبة فهل يمكن أن تعمل شيئاً؟؟ وهل يمكنك أن لا تسمع تلك الأصوات أو لادك وأسرتك؟؟ وكم من المشاهد سترها أنت بنفسك لا تحل لك؟؟ فمن الذى يبيح لك رؤية النساء المتبرجات؟؟ وهل يمكنك فى تلك الأماكن أن تغض طرفك؟؟ وإن غضضته عن تلك فهل يمكن أن تغضه عن الأخرى وغيرها؟؟ وماذا لو جاءك فجأة وأنت مشغول بهذه المحرمات الزائر الأخير؟؟ .. هل تعلم من هو الزائر الأخير؟ إنه يأتي إليك فى أى وقت وعلى أى حال ، كما أنه ليس له قلب يرق بحيث تؤثر فيه كلماتك وبكاؤك، أو ربما صراخك وتوسلاتك، وليس فى مقدوره أن يمهلك مهلة تراجع فيها حساباتك، وتتظرو فى أمرك!! وهو كذلك لا يقبل هدية ولا رشوة ، إنه يريدك أنت .. لا شيء غيرك .. يريدك كلك لا بعضك.. يريد إفناءك والقضاء عليك .. يريد مصرعك وقبض روحك .. وإهلاك نفسك .. وإماتة بدنك .. إنه ملك الموت !! .

فإياك أخي أن تقضي الإجازة في الوقوع في الحرام ، أو في انتهاك حرمان الله أو مشاهدة من عصى الله ، أو الجلوس معه، فإن الله جعل العاصي والساکت في الإثم سواءً فقال I : (فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ) [النساء:140] . وأنصحك بالحذر من السفر إلى الأماكن أو البلاد التي تسهل طريق المعاصي، واعلم أن كثرة رؤية الحرام تهوّن المعاصي في القلب، وإن كنت تأمن على نفسك الفتنة فهل تأمنها أيضاً على من معك من الأبناء والبنات والزوجات !؟

قصة وعبرة

أحدهم أرسل رسالة نشرت في إحدى الجرائد الخليجية بعنوان : [عاقبة إهمال الزوجة والأولاد] : جاء فيها : " أخي الدكتور السلام عليكم ، [إلى أن قال] اشتريت شاليهاً على البحر، في البداية كنت أقضي وقتاً لا بأس به معهم، أولادي الصغار يلعبون حتى يتعبون، ثم ينامون، ومع كثرة الأشغال، أصبحت أقول لهم : اذهبوا مع أمكم وسوف ألقاكم ، وبطبيعة الحال لا ألقاهم . وهكذا مرت الشهور، وأنا أعتقد أنهم على دينهم القديم فيما يفعلونه في الشاليه، عدت قبل فترة من إحدى سفرياتي وصفقاتي على غير ميعاد، وأحببت أن أفاجئهم، لم أجدهم في البيت، سألت خادمة بقيت في المنزل عنهم، فقالت: إنهم في الشاليه، ركبت سيارتي، ووصلت إليهم في الساعة الثانية صباحاً، كان الشوق يملأني، وجدت أبنائي نائمين ولم أجد زوجتي، وعندما أيقظت الخادمة من النوم، وجدتتها مرتبكة، وبقيت طوال الليل أنتظر، أنظر من كل فتحة في المنزل، ومع تباشير الصباح، جاءت تمشي مع رجل غريب، عندما فتحت الباب، وجدتهني، وارتبكت، أجلستها بهدوء، وسألتهما السؤال الذي يملأني: لماذا؟ ما الذي كان ينفصك؟ بدأت في البكاء، وبعد أن هدأت، قالت: أنت السبب ، كنا مستورين، عايشين، سعيدين، ثم أحضرتنا ورمىتنا في هذا المكان، حيث كل واحد ينظر ، كنت محتاجة لك ، ومع الزمن ... وكثرة النظرات ... وكثرة التعليقات ، وأنت تعرف الباقي . وافترقنا .. لكنني بعد أن جلست إلى نفسي، وذهبت إلى ذلك الشاليه مرات عديدة، فهمت ما تقصده، إن أي إنسان يترك زوجته وأبناءه في مثل ذلك المكان، إنما يتركهم لذئاب لا يخافون الله . إن

الكثيرين منا يقولون: إن زوجاتنا وبناتنا لا يمكن أن يفعلن مثل هذا، لكن السؤال : زوجاتنا وبناتنا من؟؟! هؤلاء اللواتي نراهن يمشين بدون ستر، وينظرن ...؟؟!! إن نصيحتي لكل إنسان : لا تترك زوجتك وبناتك عرضة للمخاطر ... وتجنب الانفتاح وقلة الحياء والاختلاط بالطبقة السفهية التي ترمي شباكها بحثاً عن صيد تتسلى به لفترة قبل أن تتخلص منه لكي تبدأ التسلي بصيد آخر . إن النار اليوم تشتعل في قلبي بعد أن خسرت حياتي وزوجتي، وإذا كان من أحد أئمه، فهو نفسي التي كانت راعية، فلم تعرف كيف تحافظ على رعيته ! أ. ه .

ماذا تقول لربك غداً ؟

فاللوم ذهب الشهوات وبقيت الحسرات .. اليوم انقضت الأعمال وبقيت السجلات : سيئات .. شهوات .. حسرات .. ظلمات .. صراخ .. بكاء .. صياح (رَبِّ ارْجِعُونِ ، لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) [المؤمنون: 99 - 100] .. أيها اللاهي .. أيها اللاعب : اسمع إلى القرآن وهو يقول (فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ - يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَّاعًا كَانَهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُؤفِضُونَ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرَاهُمْ ذَلَّةً ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ) [المعارج: 42 - 44]

أيها المصطفى المسلم : أهذا العمل يقربك من الله أم يباعدك عن الله ؟ .. أيتها المصطفاة المسلمة : أنت راضية عما تفعلين ؟ .. يا رب الأسوة : أهذه هي الأمانة التي حملك الله [كلكم راع ومسؤول عن رعيته الإمام راع ومسؤول عن رعيته والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته وكلكم راع ومسؤول عن رعيته] [البخاري ومسلم] .

مسؤول !!! .. سيسألك الله : لماذا ذهبت إلى المصيف؟! فماذا ستجيب؟ وبم ستنتطق؟ لا كذب .. لا خداع .. لا غش .. لا رياء .. فالله يقول (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) [غافر:19] . يا صاحب الشهامة والكرامة : صن زوجتك وبناتك عن عيون الناس .. صن شرفك .. صن عرضك .. صن كرامتك . أيتها الأخت المسلمة : أين حياؤك؟ أين عفتك؟ أين كرامتك؟ أين خوفك من

الله ؟ .. الله .. الذى يعلم السر وأخفى .. الله .. الذى يعلم خلجات الصدور وخفايا النفوس .. الله .. الذى خلقك فسواك فعدلك .. الله .. الذى وهبك الصحة والعافية ولو شاء لأخذهما فجلست مريضة .. طريحة الفراش .. الله .. الذى وهبك الجمال ولو شاء لسلبه فتركك شوهاً تتقزز منك النفوس ، وتتفر عنك القلوب .. الله .. الذى وهبك اللسان والشفيتين ولو شاء لسلب نطقهما .. فظلت بكما لا تتطيقين خرساء لا تتكلمين .

أيتها الأخت المسلمة : توبى إلى الله .. اندمى على ما فعلت والله كريم يقبل توبة التائبين ، ويغفر ذنوب المستغفرين .. ويمحو سيئات النادمين (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَنْتُمْ لَنَا نُورٌ لَنَا وَغَفِرْ لَنَا إِنَّا كُنَّا عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرِينَ) [التحریم:8]

ما البديل ؟

أخي الفاضل : لعلك تقول بلسان حالك أو بلسان مقالك شخصت لنا الداء ولم تشخص لنا الدواء ومنعتنا من التنزه في تلك المنتزهات المختلطة ولم تذكر بديلاً عنها، وهاهنا أنبهك إلى أمر عظيم غفل عنه الكثيرون وغاب عن بال آخرين ألا وهو ذلك الخطأ الفادح والأمر المشدين وهو مطالبة المسلم دائماً بالبديلات في كل شيء منع منه وحرم عليه، مع أن الواجب على المسلم أن يقول سمعنا وأطعنا (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [النور:51] هذا هو الأصل بالمؤمن فيما جاءه عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم من الأوامر والنواهي، المبادرة والسمع والطاعة ولذلك يخاطب الله I عبادة المؤمنين بأجل الأوصاف وأحبها إليهم لاستجاشة قلوبهم : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) [الأنفال:24] ، وهكذا كان الجيل الفريد أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من الاستجابة الحية لأوامر الله ورسوله بدون تردد ولا تلعك فهاهم [لما نزلت آيات الخمر في تحريمه، لم يحتج الأمر إلى أكثر

من مناد في نوادي المدينة : " ألا إن الخمر قد حرمت " فمن كان في يده كأس حطّمها، ومن كان في فمه جرعة مجّها، وشدقت زقاق الخمر وكسرت قنانيه .. وانتهى الأمر كأن لم يكن سكر ولا خمر [..]

قال أنس رضى الله عنه [ما كان لأهل المدينة شراب حيث حرمت الخمر أعجب إليهم من التمر والبسر فإني لأسقي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم عند أبي طلحة مر رجل فقال إن الخمر قد حرمت فما قالوا متى أو حتى ننظر قالوا يا أنس أهرقها ثم قالوا [من القيلولة] عند أم سليم حتى أبردوا واغتسلوا ثم طيبتهم أم سليم ثم راحوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فإذا الخبر كما قال الرجل قال أنس : فما طعموها بعد [صحيح] . إذا لماذا كلما ذكرنا أمراً محرماً أو يؤدي إلى الحرام طالبنا الناس بقولهم : ما هو البديل؟ وكأن القائل يقول إذا لم تحضروا لي بديلاً لن أراجع عمّاً أنا فيه من المخالفة والعصيان وذلك ورب الكعبة لهُم الخسران المبين، قال I : (لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْهُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ) [الرعد:18] ويقول I : (اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّالٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ) [الشورى:47] .

أخى المبارك : هذا أصل يجب أن يتربى المسلمون عليه ينشأ عليه الصغير ويهرم عليه الكبير . ولا بأس أن أذكر لك بعض البدائل التي تحضرني :

1- فالسَّيرُ في المزارع والحقول والنظر إلى الخُضرةِ مما يقوى البصر ويريحُ النفس .

2- والجلوس مع الصالحين وتبادل أطراف الحديث مما يريح الصدر ويسعد النفس .

3- والجلوس للاستماع إلى شريط مؤثر لأحد الدعاة إلى الله مما يريح الصدر ويسعد النفس .

4- والاستماع إلى شريط للقرآن الكريم لمن رزقهم الله الأصوات الشجية والنبرات الندية .. مما يسعد القلب ويريح النفس .

5- وقراءة تاريخ الأمة المسلمة .. والتقلب في أحداثها مما يريح الصدر ويسعدُ النفس .

6- وقراءة قَصَصِ الصالحين ومواقف الزاهدين وبطولات الصحابة والتابعين مما يريح الصدر ويسعد النفس .

7- وتقايب النظر في السماء بالليل والتفكر في قدرة الله مما يريح الصدر ويسعدُ النفس .

8- والذهاب إلى بيت الله الحرام لأداء مناسك العمرة، والبقاء بقرب الرحاب الطاهرة مع ما يتخلل تلك الرحلة المباركة من زيارة إلى المناطق الجميلة مما يريح الصدر ويسعدُ النفس .

9- كم تمر على البعض من المسلمين و أبناء المسلمين إجازة تلو الأخرى دون أن يقرأ شيئاً من القرآن فضلاً عن حفظه، فاحرص على إتقان قراءتك مع صديق أو زميل يعينك على ذلك، واحرص أن تحفظ خلال هذه الإجازة على الأقل كل يوم خمس آيات، ، وسوف ترى خيراً كثيراً بإذن الله .

10- صلة الأرحام : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الرحم معلقة في العرش . تقول : من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله " [متفق عليه] ، فالإجازة فرصة لذلك ، ولصلة الرحم فوائد : فإنها من أسباب الرحمة ودخول الجنة، ولها أثر في زيادة العمر، وبسط الرزق .

شبهة وجوابها

من الناس من يقول : إنني أجد ضغطاً من أسرتي وإلحاحاً .. فأقول لك قال الله I : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ) [التغابن: 14] ، وقال I (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا) [الأحزاب: 36] . واعلم أنك مسؤول أمام الله عن هذه العورات التي أخرجتها من بيوت سائرة فلا تجعلها أمام الناس سافرة .

من الناس من يقول : سأذهب بزوجتي وأولادي إلى المصيف في مكان بعيد عن أعين الناظرين .

أقول : ستجد كثيرين يفكرون مثل هذا التفكير وستلتقون هناك ويقعُ المحذور .
من الناس من يقول : سنتمشى أنا وزوجتى وأولادى على الشاطئ ولن ننزل البحر
ولن نخلع ثيابنا .

أقول : هذا لا يجوز لأمر : أولاً : لن تستطيع أن تغض بصرك عن اللحوم
المكشوفة هنا وهناك فتقع فى زنى العين .. أنت وأسرنتك الكريمة . ثانياً : أنك
سترى معاصى ترتكب ومحارم تنتهك فهل تستطيع أن تأمر بالمعروف وتنهى عن
المنكر .. بالطبع لا .. إذا ستأثم على إقرار المنكر . ثالثاً : ليس المصيف من
الضرورات التى لا بد منها .. فكثير من الأسر المسلمة الطيبة تعيش بلا مصيف
ولا شواطئ وهم فى سعادة غامرة .. وراحة نفسية .. وقرب من الله رابعاً : إن
أرض الله واسعة . وهناك من المباحات الكثير الذى تستطيع أن تروحَ به عن
نفسك كما ذكرت لك آنفاً .

نداء من القلب

يا من تتجهزون الآن للذهاب إلى المصيف لا يليق بمن يركع لله ويسجد لله أن
يذهب هذا المذهب الخبيث . يا من تؤمن بأن الله يراك .. سيراك وأنت على
الشاطئ .. سيراك وأنت بالمايوه .. سيراك وأنت تنظر إلى العورات .. سيراك
وأنت على معصيته . يا من تتمشى الآن على الشاطئ عُرياناً : استح من الله ..
استح من الملكين .. استح من الناس . يا أيتها الأخت المسلمة : أنت درة مصونة
.. وجوهرة مكنونة .. فلا تذهبي إلى الأماكن الآثمة .. فإنك كريمة .. عفيفة ..
مسلمة .. مؤمنة .. راکعة .. ساجدة .. محجبة .. ليس هذا مكانك .. ولا يليق بك
. أيها المسلم الكريم : إذا علمت أن جارك يتجهز للمصيف ، فلا تدخل عليه
بالنصيحة ، ولا تكتمه علماً علمك الله إياه .. هو طيب .. هو يريد الخير .. فإذا
ذكرته تذكر .. وإذا وعظته اعظ .. لأن فى قلبه إيماناً .. وفى صدره إسلاماً .

وختاماً

فهذه وقفات .. من محب مشفق على عرض ينتهك، وكرامة تداس، ودين يكاد أن
يسلب فخذها هنيئاً مريئاً ، سائلاً الله I أن لا أعدم منك دعوة صالحة بظهر الغيب
. أختي : قد بلغت جهدى فى نصحك ، واستثرت فيك كل نخوة .. وحاولت أن

ابعث فيك أى روح .. فإن طويت هذه الصفحة ، وانتهيت من سماع هذا الكلام ،
ولم تقم فيك حياة فلاست بحى ، أسأل الله أن يديى موات قلوبنا . والحمد لله رب
العالمين .

المصدر:

1- مجموعة مقالات مختلفة

2- خطبة للشيخ وحيد عبد السلام بالى بعنوان [المصيف فى ميزان الإسلام]

وجزاكم الله خير الجزاء

[راجعها الشيخ وحيد بالى]

=====

من أجل إنتاجية أفضل أهمية رسم الأهداف

د. عبد الكريم بكار

يعيش العالم المتقدم أزمة حضارة بسبب افنقاده الوجهة أو الهدف الأكبر الذي
يجذب إليه جميع مناشط الحياة، ويمنحها المنطقية والانسجام. أما المسلمون فأزمتهم
الأساسية، هي أزمة حركة في العالم، وأزمة شهود على العصر؛ فهم في أكثر
الأحيان يتأثرون، ولا يؤثرون، ويأخذون من الحياة أكثر مما يعطونها؛ وذلك بسبب
انخفاض إنتاجيتهم، وضعف إدارتهم لإمكاناتهم الشخصية والعامة.

نقرأ آيات الاستخلاف وشروط التمكين في الأرض، وأدبيات النجاح والفلاح، لكن
قليلين منا الذين يسألون أنفسهم عن وظيفتهم الشخصية في تحقيق كل ذلك!

إن الأماني الوردية حول قيادة أمتنا للعالم تداعب أخيلة الكثيرين منا، وتدغدغ
مشاعرهم، لكن لا أحد يسأل عن آليات تحقيق ذلك، ولا عن الإمكانيات المطلوبة
للسير في طريقه!

إنني أعتقد أن هناك حقيقة أساسية غائبة عن أذهان الكثيرين منا، هي أننا لا نستطيع
أن نوجد مجتمعاً أقوى من مجموع أفراده؛ ولذا فإن النهوض بالأمة يقتضي على
نحو ما أن ينهض كل واحد منا على صعيده الشخصي، وما لم نفعل ذلك، فإن الغد
لن يكون أفضل من اليوم.

إن رسم الأهداف نوع من مدِّ النظر في جوف المستقبل، وإن الله — جل وعلا — يحدثنا على أن نتفكر في الآتي، ونعمل له: { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنتظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون } {الحشر: 18}.

إن المسلم الحق لا يكون إلا مستقبلياً، ولكننا بحاجة إلى أن نعتم روح الالتزام نحو الآخرة على مسلكنا العام تجاه كل ما يعنيننا من شؤون وأحوال.

أهمية وجود هدف:

من الأدوات الأساسية في تحسين وضع الفرد أن يكون له هدف يسعى إلى تحقيقه. ونرى أن حيوية وجود هدف واضح في حياتنا تدفع من اعتبارات عديدة، أهمها:

1 - إن كل ما حولنا في تغير دائم، والمعطيات التي تشكل المحيط الحيوي لوجودنا لا تكاد تستقر على حال، وهذا يجعل كل نجاح نحققه معرضاً للزوال؛ ووجود هدف أو أهداف في حياتنا، هو الذي يجعلنا نعرف على وجه التقريب ما العمل الذي سنعمله غداً، كما أنه يساعد على أن نتحسس باستمرار الظروف والأوضاع المحيطة؛ مما يجعلنا في حالة دائمة من اليقظة، وفي حالة من الاقتدار على التكيف المطلوب.

وقد جرت عادة الكثيرين منا أن يسترخوا حين ينجزون عملاً متميزاً؛ مما يضعهم على بداية الطريق إلى أزمة تنتظرهم. ولذا فإن الرجل الناجح، هو الذي يسأل نفسه في فورة نجاحه عن الأعمال التي ينبغي أن يخطط لها، ويقوم بإنجازها؛ فالتخطيط هو الذي يجعل أهمية المرء تأتي قبل الحدث. أما معظم الناس فإنهم لا يفكرون إلا عند وجود أزمة، ولا يتحركون إلا حين تحيط بهم المشكلات من كل جانب، أي يستيقظون بعد وقوع الحدث، وبعد فوات الأوان!

2 - إن وعي كثيرين منا بـ (الزمن) ضعيف، ولذا فإن استخدامنا له في حل مشكلاتنا محدود. وحين يجتمع الناس برجل متفوق فإنهم يضعون بين يديه كل مشكلاتهم، ويطلبون لها حلاً عاجلاً متجاهلين عنصر (الزمن) في تكوينها وتراكمها، وطريقة الخلاص منها. ووجود هدف في حياة الواحد منا يجعل وعيه بالزمن أعظم، ويجعله يستخدمه في تغيير أوضاعه. إذا سأل كل واحد منا نفسه:

ماذا بإمكانه أن يفعل تجاه جهله بعلم من العلوم - مثلاً - أو قضية من القضايا؟ فإنه يجد أنه في الوقت الحاضر لا يستطيع أن يفعل أي شيء يذكر تجاه ذلك. أما إذا سأل نفسه: ماذا يمكن أن يفعل تجاهه خلال خمس سنين؟ فإنه سيجد أنه يستطيع أن يفعل الكثير؛ وذلك بسبب وجود خطة، واستهداف للمعالجة، وهما دائماً يقومان على عنصر الزمن. إنني أعتقد أن كثيراً من الخلل المنهجي في تصور أحوالنا، وحل أزمتنا، يعود إلى ضيق مساحة الرؤية، ومساحة الفعل معاً، وذلك كله بسبب فقد النظر البعيد المدى.

3 - إن كثيراً من الناس يظهرون ارتباكاً عظيماً في التعامل مع (اللحظة الحاضرة) وذلك بسبب أنهم لم يفكروا فيها قبل حضورها، فنتحول فرص الإنجاز والعتاء إلى فراغ قاتل ومفسد؛ وهذا يجعلنا نقول: إننا لا نستطيع أن نسيطر على الحاضر، ونضبط إيقاعه، ونستغل إمكاناته، إلا من خلال مجموعة من الآمال والأهداف والطموحات، وبهذا تكون وظيفة الهدف في حياتنا هي استثمار اللحظة الماثلة على أفضل وجه ممكن.

إنني أتجراً وأقول: إن ملامح خلاص جيلنا، والجيل القادم — على الأقل — من وهن التخلف والانكسار قد تبلورت في أمرين: المزيد من الالتزام بالمنهج الرباني، والمزيد من التفوق، ولا نستطيع أن نجعل هذين الأمرين حقيقة واقعة في حياتنا من غير تحديد أهداف واضحة.

سمات مطلوبة في الهدف:

1 - المشروعية:

إن مجمل أهداف المرء في الحياة، يعادل على نحو تام (استراتيجية) العمل لديه، ولذا فإن الذين لا يأبهون لشرعية الأهداف التي يسعون إلى تحقيقها يحيون حياة مضطربة ممزقة، تختلط فيها عوامل البناء مع عوامل الهدم، وينسخ بعضها بعضها الآخر. إن الهدف غير المشروع، قد يساعد على تحقيق بعض النمو في جانب من جوانب الحياة، لكنه يحط من التوازن العام للشخصية، ويفجر في داخلها صراعات مبهمة وعنيفة. وليس المقصود بشرعية الهدف أن يكون محدوداً في (المباحات) فدسب، وإنما المقصود أن يكون مندمجاً على نحو ما في الهدف

الأسمى والأكبر الذي يحيا المسلم من أجله على هذه الأرض، ألا وهو الفوز برضوان الله - تبارك وتعالى - وهذا يعني أن الأهداف المرحلية والجزئية للواحد منا يجب ألا تتنافر معه في وضعيتها أو مفرزاتها أو نتائج تفاعلها. ولعل من علامات الانسجام بينها وبين الهدف الأكبر — شعور المرء أنه يحيا (حياة طيبة) وهي لا تولد من رحم الرخاء المادي، ولا من رحم التمتع بالجاه أو الاستحواذ على أكبر كمية من الأشياء، وإنما تولد من ماهية التوازن والانسجام بين المطالب الروحية والمادية للفرد، ومن التألق الذي يشعر به من يؤدي واجباته. الهدف المشروع عامل كبير في إيجاد التطابق بين رموزنا وخبراتنا، وهو إلى ذلك مولد لما نحتاجه من حماسة للمضي في الطريق إلى نهايته.

2 - الملاءمة:

لكل منا طاقاته وموارده المحدودة، وله ظروفه الخاصة، وله إلى جانب ذلك تطلعات وتشفؤفات؛ ومن الواضح اليوم أن الحضارة الحديثة أوجدت لدى الناس طموحات فوق ما هو متوفر من إمكانيات لتلبيتها، وهذا يؤدي بكثير من الناس إلى أن يسلكوا طرقاً غير مشروعة لتلبيتها، أو يؤدي بهم إلى الشعور بالعجز والانحسار.

والهدف الملائم، هو ذلك الهدف الذي يتحدى ولا يعجز. ومعنى التحدي دائماً: طلب تفجير طاقات كامنة أو استخدام موارد مهمة، لكنها جميعاً ممكنة. حين يكون الهدف سهلاً فإنه لا يؤدي إلى حشد إمكانياتنا الذاتية، ولا إلى تشغيل أجهزتنا النفسية والعقلية، كما لو أننا طلبنا من شخص أن يقرأ في كل يوم ربع ساعة، أو يستغفر عشر مرات.

في المقابل فإن الهدف الكبير جداً يصد صاحبه عن العمل له، وفي هذا السياق نرى كثيراً من أهل الخير، يشعرون بالإحباط، ويشكون دائماً من سوء الأحوال، وتدهور الأوضاع، وهذا نابع من وجود هدف كبير لديهم هو (الصلاح العام) لكن ليس لديهم أهداف صغيرة، أو مرحلية تصب فيه. إن كل هدف صغير يقطع جزءاً من الهدف الكبير، ويؤدي إلى قطع خطوة في الطريق الطويل؛ وعدم وجود أهداف صغيرة، يجعل الهدف النهائي يبدو دائماً كبيراً وبعيداً، وهذا يسبب آلاماً نفسية

مبرحة، ويجعل المرء يظهر دائماً بمظهر الحائر العاجز. إنه لا يأتي بالأمل إلا العمل، وقليل دائم خير من كثير منقطع.

3 - المرونة:

إن أنشطة جميع البشر، تخضع لعدد من النظم المفتوحة، ومن ثم فإن النتائج التي نتطلع إلى الحصول عليها، تظل في دائرة التوقع والتخمين. حين يرسم الإنسان هدفاً، فإنه يرسمه على أساس من التقييم للعوامل الموجودة خارج طبيعة عمله، وخارج إرادته، وهذه العوامل كثيراً ما يتم تقييمها على نحو خاطئ، كما أنها عرضة للتغير، بالإضافة إلى أن إمكانياتنا التي سوف نستخدمها في ذلك هي الأخرى متغيرة؛ ولهذا كله فإن الهدف يجب أن يكون (مرناً)، أي: له حدود دنيا، وله حدود عليا؛ وذلك كأن يخطط أحدنا لأن يقرأ في اليوم ما بين ساعتين إلى أربع ساعات، أو يزور ثلاثة من الإخوة إلى خمسة وهكذا.. هذه المرونة تخفف من ضغط الأهداف علينا؛ فالناس يشعرون حيال كثير من أهدافهم أنها التزامات أكثر منها واجبات، والالتزام بحاجة دائماً إلى درجة من الحرية، وسيكون من الضار بنا تحول الأهداف إلى قيود صارمة، وحوازز منيعة في وجه تلبية رغبات شخصية كثيرة.

4 - الوضوح:

هذه السمة من السمات المهمة للهدف الجيد، حيث لا تكاد تخلو حياة أي إنسان من الرغبة في تحقيق بعض الأمور، لكن الملاحظ أن قلة قليلة من الناس، تملك أهدافاً واضحة ومحددة، ولذا فمن السهل أن يتهم الإنسان نفسه أو غيره بأنه لم يتقدم باتجاه أهدافه خطوة واحدة خلال عشرين سنة، مع أنك لا تراه خلال تلك المدة إلا منهمكاً ومتابعاً بما يعتقد أنه هدف يستحق العناء!

إنه يمكن القول بسهولة: إن كل هدف ليس معه معيار لقياسه وللكشف عما أنجز منه، وما بقي؛ ليس بهدف. ولذا فإن من يملك أهدافاً واضحة يحدثك دائماً عن إنجازاته، وعن العقبات التي تواجهه. أما من لا يملك أهدافاً واضحة، فتجده مضطرباً، فتارة يحدثك أنه حقق الكثير الكثير، وتارة يحدثك عن خيبته وإخفاقه؛ إنه كمن يضرب في بيداء، تعتسه السبل، وتشتتته مفارق الطرق! نجد هذا بصورة

أوضح لدى الجماعات؛ فالجماعة التي لا تملك أهدافاً واضحة محددة، تظل مشتتة الرأي في حجم ما أنجزته، ولا يكاد خمسة من أبنائها يتفقون في تقويمهم لذلك! لا يكفي أن يكون الهدف واضحاً، بل لا بد من تحديد توقيت لإنجازه، فالزمان ليس ملكاً لنا إلى ما لا نهاية، وطاقتنا قابلة للنفاد. ثم إن القيمة الحقيقية للأهداف، لا تتبلور إلا من خلال الوقت الذي يستغرقه الوصول إليها، والجهد والتكاليف التي نحتاجها. ولهذا كله فالبديل عن وضوح الهدف، ووضوح تكاليفه المتنوعة، ليس سوى العبث والهدر والاستسلام للأمانى الخادعة!

إن من أسباب ضبابية أهدافنا أننا لا نبذل جهداً كافياً في رسمها وتحديدها، وهذا لا يؤدي إلى انعدام إمكانية قياسها فحسب، وإنما يؤدي أيضاً إلى إدراكها بطريقة مبتذلة أو رتيبة، مما يفقدها القدرة على توليد الطاقة المطلوبة لإنجازها.

سنعمل الكثير من أجل أهدافنا إذا أدركنا أنه عن طريقها تتم الصياغة النهائية لوجودنا.

ولله الأمر من قبل ومن بعد.

وَاصْنِ الْفُلْكَ ...

طلال نيكرو – لبنان

قبل أن يفور التتور إصنع الفلك ... قبل أن يأتي الطوفان إصنع الفلك ... إصنع الفلك الذي يُنجيك وأهلك .. إصنع الفلك الذي يُنجيك ومجتمعك .. إصنع الفلك الذي يُنجيك ويُنجي أمتك .. إصنع الفلك قبل أن يأتي الطوفان .

قبل أن يأتي طوفان المادة والغرائز والشهوات إصنع الفلك بأعين الله ووحيه فإن لم تكن ترى الله رغم كل آياته الواضحات البيّنات كفلق الصبح ، فإعلم أن الله يراك .. إعلم أن الله يراك في كل كبيرة وفي كل صغيرة . وإذا كنت تستحي من فعل بعض الأمور أمام الناس فالله أولى أن تستحي منه . وتذكر أن عيون الخلق تصحو وتنام ولكن .. ولكن عيون الخالق أبداً لا تنام . وإذا كانت فلك نوح ذات ألواح ودُسر فلتكن فلكك ذات صلاح وتقوى .. صلاح نفس وتقوى الله. وصلاح النفس يبدأ بمعرفة ما لها وما عليها فإذا عرفت ما لك فلا تتعدى وإذا عرفت ما عليك

فَالزَّم . أما تقوى الله فسبيله واضح " ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ " الزمن ساعة فاجعلها طاعة . وتعظيم شعائر ليس بحاجة لدليل بل يكفي أن تتذكر أن خليفة عن الله في أرضه . واجبك إعمار الأرض ، وليس بالبنيان فقط تعمّر الأرض ، بل بطاعة الله تعمّر الأرض وتعمّر النفوس الطيبة الزكية .

يقول لك ربك كما قال من قبل لنبيه نوح " وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ " إنك مطالبٌ أيها الإنسان بصناعة الفلك الذي يُنجيك من الطوفان ، ولذلك إستعد وأعد قبل أن يفور التتور لأنه عندئذ لا ينفع مالٌ ولا بنون . ما فائدة المال والبنون إذا فار التتور ولم تكن قد صنعت الفلك بعد ..؟! والله مال الدنيا وجميع أبنائك وأبناء أبنائك لا يعصمونك من أمر الله . فلماذا تتأخر عن صناعة الفلك التي تُنجيك من عذاب أليم ..؟! البعض يقول أن التتور قد فار وأن ما نشهده اليوم هو من أشرط الساعة . لا نريد الخوض في هذا الموضوع لأن كل الذي يهمنا هنا هو أن نقول لأنفسنا أولاً ولك ثانياً ولجميع بني البشر أن الطوفان قادم لا محالة وما هذا الذي نشهده من فلتان أخلاقي وإجتماعي إلا إرهابات لذلك الطوفان الذي سوف لا يُبقي ولا يذر . فإما أن تصنع الفلك الذي ينجيك وأهلك أو فانتظر الطوفان ..! وللذين يتذرعون بأنهم لا يعرفون كيفية صناعة الفلك نقول لهم " فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ " .

إن صناعة الفلك أهون بكثير مما نعتقد لأنه كما سبق وقلنا أنه ذات صلاح وتقوى فإذا ما إستطعت إصلاح نفسك ، فإنه من السهل جداً عليك أن تعلم أن واجبك عدم الإكتفاء بصلاحك ، لأن صلاحك لنفسك وإصلاحك يعود بالخير على الآخرين ، والله يحب المصلحين أكثر من محبته للصالحين، فكيف إذ ما إجتمع فيك الصلاح والإصلاح ..؟! عليك المبادرة بالإصلاح لتتقي الله. وتقوى الله لا تكون إلا بإتباع النهج الكافي والوافي الذي رسمه للناس أجمعين وذلك من خلال تعظيمك لشعائر الله التي إن دلت فإنما تدل على طاعتك وخضوعك لأوامر الله " ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ " . لذلك نرى أنه من السهولة على من يدفع المال ليشتري الثياب الشتوية التي تقيه البرد والصقيع أن يشتري مرضاة الله وذلك بإرتدائه لباساً لا يُكلفه كثيراً إنه لباس التقوى الذي هو أفضل لباس يحرص عليه

الإنسان العاقل في الدنيا والآخرة .. الإنسان الذي يعلم أن هذه الدنيا هي مزرعة الآخرة " يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ " أفلا تعقلون ..؟

وبعد ذلك هل ترى صعوبة أيها الإنسان في صناعة الفلك ..؟ صناعة الفلك ليست بحاجة إلا عزيمة وإصرار ولكنها قبل كل شيء هي بحاجة لقناعة .. قناعة تامة بأن من لم يركب الفلك سيهلكه الطوفان . ولنا في سيرة من قبلنا دروس وعبر وإن ما حصل للآخرين قد يُصيبنا إن لم نتبع سُبُل إصلاح النفس وتزكيتها بمرضاة الله وتقواه ، فإننا إن لم نعي خطورة الذي يحدث من حولنا من فلتان أخلاقي وإجتماعي ، فإننا بكل تأكيد سنضيع في الطوفان وما هذا الذي نراه على شاشاتنا التلفزيونية وفي شوارعنا وحتى أنه بدأ يتسلل إلى بيوت الكثير منا من حيث لا ندري لخير دليل على ما نقول ، لذلك فإن اليقظة مطلوبة منا اليوم أكثر من أي وقت مضى فأعدائنا يتربصون لنا في كل منحنى وفي كل منعطف لأنهم وكما حدثنا الله عنه مقائلًا " وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آتِبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ " إن أعداء ثقافتنا وعقيدتنا يتربصون لنا إن كنا لا نعلم ، ولا يُريدون لنا الخير أبدًا . وما مزاعمهم بأنهم جاؤوا لتحريرنا من بطش حكامنا إلا حديث أباطيل، لأن حكامنا موجودون بدعمهم لهم !!..

إن الحاجة مطلوبة اليوم وأكثر من أي وقت مضى إلى إتباع النهج الذي إرتضاه الله لعباده المؤمنين الذين سينجون من هذا الطوفان الذي بدأت ملامحه تظهر والذي لن يوقفه سوى رضى الله على عباده . ولكن هل من عاقلٍ يعتقد أن الله يرضى عن من يبارزه بالمعاصي ..؟ أو عن الذي يهجر كتابه أو يتخلى عن آياته ..؟ إن الله رحمن رحيم يريد ، ولكنه في نفس الوقت شديد العقاب . إن الله يُريد من الناس أن يفقهوا مصالحهم الدنيوية شريطة أن لا ينسوا مصالحهم الأخروية . لذلك نقول للذين يؤمنون بالله وباليوم الآخر أن التور لم يفر بعد لذلك سارعوا إلى صنع الفلك " وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ "

إن النوم لا يوقف عقارب الزمن ولكن النائمين وحدهم هم الذين لا يشعرون بالزمن . أما الذين يظنون أن القطار قد فاتهم وأنه لم يعد يجدوا الوقت الكافي لصناعة الفلك ، نقول لهم أن هذا تصور خاطئ ولا يجوز للإنسان أن يتصوره لأنه " إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ " يجب أن يكونوا على ثقة تامة أنه " لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ " فالله سبحانه لم يخلق الناس ليعذبهم بل ليرحمهم وليدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار .حتى أن بعض الذين يستكثرون ذنوبهم نقول لهم أن اله يقول لهم " وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاكُنْهَا لِلَّذِينَ لَا يُتَّقُونَ ... فلا تقنطوا من رحمة الله وسارعوا لصناعة الفلك ..الفلك ذات الصلاح والتقوى

وتلك الأيام نداولها بين الناس

محمد بن شاکر الشریف

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، أما بعد :

فإن جمهرة الناس ينظرون إلى قوى البغي والعدوان الممثلة اليوم في أمريكا وحلفائها على أنها قوى شريرة تمتلك المال والعتاد لإهلاك الحرث والنسل ، وأن لا أحد على مستوى الأفراد أو الجماعات أو الدول قادر على أن يوقف إرهاب تلك القوة التي تمتلك إمكانيات لم يسبق لها مثل في تاريخ البشرية .

وينقسم الناس إزاء ذلك إلى فئات متعددة ؛ فمنهم الذي يبادر ويسارع في استرضاء أمريكا بتنفيذ سياساتها وإعطائها ما تريد ؛ على أمل أن تتفادى الانتقام الأمريكي أو الضربة القاتلة ، { فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ } (المائدة : 52) ، ويجلس فريق آخر يائساً يائساً حزيناً كئيباً لا يرى في الخلاص من هذا المأزق أملاً ، فيجلس ينتظر متى يحين دوره كما تبقى

الشيء تنتظره سكين الجزار ، ويبقى فريق ثالث يؤمنون بالله واليوم الآخر إيماناً حقيقياً وصادقاً ، يؤمنون بما وعد الله ورسوله ، ويعلمون السنن التي يجريها الله تعالى في خلقه ، فهم يعملون بها ويتصرفون من خلالها ، ويغالبن قدره بقدر

حتى يأتي نصر الله الذي وعد عباده المتقين : { فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَّ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ
مِّنْ عِنْدِهِ } (المائدة : 52) .

إن علو أمريكا وحلفائها من قوى الشر والطغيان ؛ إنما هو دورة من دورات الزمن
، وإن الزمن لن يقف عند هذا الحد ، وإن التاريخ لن ينتهي بهذا المشهد بل ستمر
دورات ودورات تحقيقاً لقول الله تعالى : { وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدُوبُهَا بَيْنَ النَّاسِ } (آل
عمران : 140) .

من كان يظن عندما جهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى توحيد الله
العلي الكبير ، ونبذ الشرك وعبادة ما سوى الله تعالى ؛ بين ظهراني مشركي مكة
وساداتها ، واشتداد أذى صنديد كفار قريش لمن آمن من المسلمين !؟

من كان يظن أن بلال بن رباح ذلك العبد الأسود الحبشي الذي لا قيمة له في نظر
المشركين ، والذي كان يُعذَّب في وقت الظهر في بطحاء مكة الملتهبة ، من كان
يظن أنه سيرقى يوماً ما على ظهر الكعبة في وجود أشرف قريش وساداتها وهم
ينظرون إليه ولا يملكون إلا النظر ، وهو يردد بصوته الجهوري الندي وهو آمن
ما يكون : الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله
!؟ ...

هذه صورة وقعت في الماضي وغيرها كثير لم يكن أحد يتخيل حدوثها في ظل
موازن القوى المختلفة بين الفريقين ، ففريق قوي مسيطر يملك كل شيء ، وفريق
آخر ضعيف مستعبد لا يملك شيئاً ، ومع ذلك فقد حدث الذي حدث ، وسيحدث من
مثله ما شاء الله أن يكون ، يدرك ذلك المتقون المؤمنون ، كما قال الرسول صلى
الله عليه وسلم لأصحابه في مكة قبل الفتح ، عندما قال له بعضهم من شدة ما
يلاقي من الأذى ولا يجد ما يكف به ذلك : ألا تستنصر لنا ، ألا تدعو الله لنا ؟

فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : « والله ! لئتمن هذا الأمر ، حتى يسير
الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله ، أو الذئب على غنمه ،
ولكنكم تستعجلون » [1] .

فهذا الصحابي لما رأى من شدة التباين في موازين القوى بين معسكر الإيمان
الضعيف مادياً في ذلك الزمان ، وبين معسكر الكفر القوي مادياً ، ورأى من خلال

المقاييس والحسابات المادية والتصورات العقلية أنه ليس بإمكان المسلمين النصر على العدو ، ورأى أن ذلك لا يمكن حدوثه إلا من خلال عقوبة إلهية ؛ طلب من الرسول صلى الله عليه وسلم الدعاء والاستنصار ، وكان موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من هذا التصور الذي قد يدفع بعض الناس إلى الإحباط وفقدان الأمل ؛ يتمثل في أمرين :

الأول : التبشير بالنصر والتمكين ؛ وبغلبة الحق وأهله ، واندحار الباطل وجنده :
« والله لیتمن هذا الأمر » .

الثاني : دعوته لهم بعدم الاستعجال ، حيث ينبغي عليهم الصبر والتحمل والعمل والجد والاجتهاد والجهاد : « ولكنكم تستعجلون » .

وهذا ما ينبغي علينا فعله اليوم إزاء تكبير الأعداء وطغيانهم ؛ أن نبشر قومنا بأن النصر حليفهم وإن طال الزمان ، وأن على الباغي تدور الدوائر ، وأن ندعوهم إلى الإيمان الصادق والعمل الصالح ، والجد والاجتهاد والجهاد ، { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ } (الأنفال : 60) ، والرسول صلى الله عليه وسلم في موقفه هذا ينطلق من السنة القدرية المكنونة في قوله تعالى : { وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ } (آل عمران : 140) ؛ أي أن النصر والغلبة في الحروب تكون تارة للمؤمنين على الكافرين ، وتارة للكافرين على المؤمنين ، وكل ذلك يجري بأسبابه التي قدرها الله تعالى في إطار المشيئة الربانية التي تحوي حكماً عديدة من وراء علو الكافرين أحياناً وتسلطهم على المسلمين .

* أسباب إدالة الكافرين على المسلمين :

تجتمع أسباب إدالة الكافرين على المسلمين - أي غلبة الكافرين للمسلمين - في كلمة واحدة ؛ وهي : (معصية المسلمين ربهم) ، فمتى عصى المسلمون ربهم ، وانتشرت بينهم المعاصي بغير نكير منهم ، أو بنكير ليس فيه تغيير ؛ عاقب الله المسلمين بذلك ، وأظهر عليهم الكافرين جزاء ما فعلوا ، وقد تبين من النصوص الشرعية أن المؤمنين منصورون غالبون قاهرون لعدوهم مهما كانت قوة العدو وعدده وعدته ، ومهما اختلفت موازين القوى لصالح الكفار ؛ إذا كان المؤمنون صادقين عاملين بما يجب عليهم ، تاركين لما نهوا عنه ، قد أخذوا من أسباب القوة

ما كان في طاقاتهم ووسعهم ، ولم يقصروا في امتلاك القوة التي يمكنهم امتلاكها ، وقد قال الله تعالى مبيناً ذلك : { كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ } (المجادلة : 21) ، وقال سبحانه : { وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ } (الصفات : 173) ، وقال تعالى : { إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ } (غافر : 51) ، والآيات في ذلك كثيرة .

وكان عمر - رضي الله عنه - يحذر جيوشه المنطلقة للقتال في سبيل الله من الوقوع في المعاصي ، ويقول لهم : « إن أهم أمركم عندي الصلاة » [2] ، ويبين ابن رواحة - رضي الله عنه - أن المسلمين لا ينتصرون على عدوهم بعدد أو عدة ، وإنما ينتصرون بطاعة المسلمين لله ، ومعصية الكافرين لله ، ويقول عندما استشاره زيد في لقاء الروم بعد أن جمعوا جموعاً كثيرة : « لسنا نقاتلهم بعدد ولا عدة ، والرأيُ المسير إليهم » [3] .

وقد كانت الجيوش الإسلامية التي يبلغ تعدادها ما بين ثلاثة إلى خمسة آلاف تقاتل الجيوش الكافرة التي تربو على مائتين وخمسين ألفاً ، ثم يكون النصو حليف المسلمين ، { كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ } (البقرة : 249) ، ثم يعقب الله على ذلك بقوله : { وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ } ، والصبر هنا ، وفي مثله من المواضع ، ليس هو الصبر الذي يفهمه كثير من الناس اليوم بمعنى الإذعان للواقع والاستكانة للظلمة المتجبرين ، فإن من كان هذا حاله فإن الله لا يكون معه ، وإنما الصبر المراد هنا هو حبس النفس عن الجزع عند ملاقات العدو ، والثبات على الحق ، وعدم التخلي عنه أو التحايل عليه ، وتحمل المشاق في الدعوة إلى الله والعمل الصالح رجاء ما عند الله من المثوبة [4] ، وقد بين أهل العلم أن النصر والظفر قرين الطاعة .

قال الزجاج : « ومعنى نداولها : أي نجعل الدولة في وقت للكفار على المؤمنين إذا عصى المؤمنون ، فأما إذا أطاعوا فهم منصورون » [5] .

وقال القرطبي : « { وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ } (آل عمران : 140) ؛ قيل هذا في الحرب تكون مرة للمؤمنين لينصو الله دينه ، ومرة للكافرين إذا عصى

المؤمنون ؛ لئبئليهم وليمحص ذنوبهم ، فأما إذا لم يعصوا فإن حزب الله هم الغالبون « [6] .

ومن هنا يتبين أن الجيش المقاتل في سبيل الله عليه أن يحرص على الطاعات والبعد عن الوقوع في المعاصي ؛ مثل أو أكثر مما يحرص على امتلاك السلاح المتقدم ، فإن السلاح المتقدم بيد العاصي الخوار الجبان أقل غنى من السلاح العادي بيد الطائع القانت لربه ، { وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا } (الأنفال : 17) .

* الحكمة من إدالة الكافرين على المسلمين :

ولله سبحانه وتعالى في ذلك حكم عظيمة ، ظهر أكثرها فيما ورد من الآيات التي عالجت غزوة أحد ، والتي ظهر فيها الكفار على المسلمين بسبب معصيتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا بسبب ضعفهم أو قتلهم ، قال الله تعالى : { أَوَلَمْ أَصَابَكُمْ مِصْيَبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ } (آل عمران : 165) ، وقال سبحانه : { وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّنْ بَعْدَ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ } (آل عمران : 152) ، فبين أن ما لحق بهم كان لمعصيتهم بعد ما لاحت بشائر النصر ، وقد

ذكر ابن القيم - رحمه الله - ما فهمه من الحكم المتعلقة بمداولة الأيام بين الناس في كتابه (زاد المعاد) ، نذكرها مختصرة مع زيادات قليلة تناسب المقام ، فمن الحكم والغايات المحمودة في ذلك : تعريف المسلمين سوء عاقبة المعصية والفسل والتنازع ، وأن هذا أشد عليهم من أسلحة أعدائهم . ومنها : أن النصو لو كان للمسلمين في كل مرة دخل معهم الصادقون وغيرهم ولم يتميز المؤمن حقاً من غيره .

ومنها : أنه لو انتصرو عليهم دائماً وكانوا على مو الزمان مقهورين لم يحصل المقصود من البعثة والرسالة ، وهو إظهار الحق وإقامة الحجة على الناس .

ومنها : فضح المنافقين وإظهارهم للناس حتى يحذروهم ، وحتى يستقيم الصف بخلوهم منهم ، وذلك أن المنافقين عند هزيمة المسلمين يظهرون ما كانوا يكتمون ويصرحون بما كانوا يلوحون ، ومن هنا يدرك المسلمون أن لهم عدواً من أنفسهم

يعيش معهم وبين ظهرانيهم لا يفارقهم ، فيستعدون لهم ويحذرون منهم ، وهذا من سنة الله تعالى أنه لا يترك المؤمنين مختلطين بالمنافقين من غير أن يُقدَّر امتحاناً أو بلاء تتميز به الصفوف ، قال الله تعالى : { مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ } (آل عمران : 179) .

ومنها : استخراج عبودية أوليائه وحزبه في الضراء كما هي في السراء ، وفيما يكرهون كما فيما يحبون ، فإن المسلم إذا ثبت على الطاعة والعبودية في السراء والضراء وفيما يحب وفيما يكره ؛ كانت عبوديته حقة ، وليس كمن يعبد الله على حرف واحد من السراء والنعمة والعافية . ومنها : أن الله لو نصر المؤمنين في كل موقف وكل موقعة فلربما طغت نفوس أكثر الناس ، وبغوا في الأرض ، ووقع في نفوسهم أن النصر من عندهم وليس من عند الله . ومنها : أنه إذا امتحنهم بالهزيمة ذلوا وانكسروا وخضعوا وابتهلوا إلى الله وتضرعوا ، فيستوجبون بذلك من الله النصر والعز . ومنها : أن بلوغ الدرجات العالية في الجنة لا تتال إلا بالأعمال العظيمة ، ومن الناس من لا تبلغ أعمالهم تلك المنازل فيقيض الله لهم من أسباب الابتلاء والامتحان ما يرفع به درجاتهم . ومنها : أن الله يبلغ بعضاً من عباده درجة الشهادة التي هي من أعلى مراتب الأولياء ، ولا تتال هذه الشهادة إلا بتقدير الأسباب المفضية إليها . ومنها : أن الله سبحانه إذا أراد أن يهلك أعداءه ويمحقهم ؛ قيض لهم الأسباب التي يستوجبون بها الهلاك والمحق ، ومن أعظمها بعد كفرهم بغيبهم وطغيانهم ومبالغتهم في أذى أوليائه ، ومحاربتهم وقتالهم والتسلط عليهم ، فيكون ذلك سبباً في تعجيل العذاب في الدنيا للكفار وهلاكهم ، كما قال تعالى في بيان الحكمة من غلبة الكفار : { وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ } (آل عمران : 141) ، قال ابن كثير - رحمه الله - : « وقوله { وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ } ؛ أي فإنهم إذا ظفروا بغوا وبطروا ، فيكون ذلك سبب دمارهم وهلاكهم ومحقهم وفنائهم » [7] . ومنها : تنقية المؤمنين وتخليصهم من الذنوب وآفات النفوس التي قلما يذفك منها الناس ، كما قال تعالى : { وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا } .. إلى غير ذلك من الحكم والغايات المحمودة [8] .

* وسائل دفع غلبة الكافرين :

من أول هذه الوسائل : الإيمان الصادق والاعتقاد السليم ، الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ؛ إيماناً لا تخالطه شائبة ، إيماناً مبرئاً من البدع والقصور ، إيماناً يبعث على العمل الذي تتحقق به المنجزات . ومنها : الحرص على الطاعة والبعد عن المعصية ، فإن هذا أولى ما توجه إليه الهمم بعد الإيمان ؛ بحيث يكون الغالب على جماعة المسلمين الطاعة ، وتكون المعصية منغمرة في جنب ذلك ليس لها ظهور ولا فشو ، فقد قيل للرسول صلى الله عليه وسلم : « أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم ! إذا كثُر الخبث » [9] ، ولذلك فإن من أهم ما يستحق العناية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، يقوم بذلك الأفراد والهيئات والدول ، فإن طاعة الله تعالى من أهم ما يجلب للمؤمنين نصرة ، وللكافرين الهزيمة والخذلان ؛ ومنها : إعداد العدة المستطاعة لمنازلة العدو ؛ إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، والإسلام لم يطلب منا أن نعد العدة الكاملة القادرة على مواجهة الكفار ، ولكن طلب منا أن نبذل جهدنا واستطاعتنا ، فقال تعالى : { وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ } (الأنفال : 60) ، وذلك أن النصر من عند الله وليس من عند أنفسنا وليس من سلاحنا . ومنها : ترك الوهن والضعف والتخاذل الذي يقضي على كل همّة ، ويجلب الذل والهزيمة في ميادين الجهاد ، وترك الحزن الذي يستحكم في النفوس فيحيلها إلى نفوس هامة قابضة ليس لها قدرة على المواجهة ، قال تعالى بعد هزيمة المسلمين في أحد مسلماً لهم ومحرضاً لهم على الثبات : { وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } (آل عمران : 139) . ومنها : اليقين بأن تسلط الكفار على المسلمين لن يدوم ، وإنما هذا ابتلاء من الله ، وأن الأيام يداولها الله بين الناس ، وأن على المسلمين أن يأخذوا بأسباب التغيير التي تغير الأوضاع التي بها تمكن الكفار منهم ، قال الله تعالى : { إِنْ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ } (الرعد : 11) . ومنها : اليقين بما وعد الله عباده المؤمنين ، ومن ثم العمل على تحقيق الوعد ، قال الله تعالى : { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا } (النور : 55) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقتها ومغاربتها ، وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها » [10] .

وقال : « ليلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر ، إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل ، عزاً يعز الله به الإسلام ، وذلاً يذل الله به الكفر » [11] .

نسأل الله من فضله أن يجعل ذلك قريباً ، وأن يوفقنا للعمل بالأسباب التي تجعل الدولة للمسلمين على الكافرين .

(1) رواه البخاري ، كتاب المناقب ، رقم 3343 .

(2) أخرجه مالك في الموطأ ، 1/6 .

(3) سير أعلام النبلاء 1/240 .

(4) انظر تفسير ابن جرير الطبري ، 2/624 ، 10/38 .

(5) زاد المسير في علم التفسير ، لابن الجوزي ، 1/466 .

(6) تفسير القرطبي ، 4 / 218 .

(7) انظر : زاد المعاد ، لابن قيم الجوزية ، ففيه المزيد من الحكم في هذا الباب .

(8) تفسير ابن كثير ، 1/440 .

(9) أخرجه البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، رقم 3097 ، و مسلم كتاب الفتن

وأشراط الساعة ، رقم 5128 .

(10) أخرجه مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، حديث رقم 5144 .

(11) أخرجه أحمد ، مسند الشاميين ، حديث رقم 16344 .

=====

لكل شيء إذا ما تم نقصانُ

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب - (ج 4 / ص 487)

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان
هي الأمور كما شاهدتها دول من سره زمن ساعته أزمان
وهذه الدار لا تبقي على أحد ولا يدوم على حال لها شان

يمزق الدهر حتماً كل سابغة إذا نبت مشرفيات وخرصان
وينتضي كل سيف للفناء ولو كان ابن ذي يزن والغمد غمدان
أين الملوك ذوو التيجان من يمن وأين منهم أكاليل وتيجان
وأين ما شاده شداد في إرم وأين ما ساسه في الفرس ساسان
وأين ما حازه قارون من ذهب وأين عاد وشداد وقحطان
أتى على الكل أمر لا مرد له حتى قضوا فكأن القوم ما كانوا
وصار ما كان من ملك ومن ملك كما حكى عن خيال الطيف وسنان
دار الزمان على دارا وقاتله وأم كسرى فما آواه إيوان
كأنما الصعب لم يسهل له سبب يوماً ولا ملك الدنيا سليمان
فجائع الدهر أنواع متنوعة وللزمان مسرات وأحزان
وللحوادث سلوان يسهلها وما لما حل بالإسلام سلوان
دهى الجزيرة أمر لا عزاء له هوى له أحد وانهد ثهلان
أصابها العين في الإسلام فامتحننت حتى خلت منه أقطار وبلدان
فاسأل بلنسية ما شأن مرسية وأين شاطبة أم أين جيان
وأين قرطبة دار العلوم، فكم من عالم قد سما فيها له شان
وأين حمص وما تحويه من نزه ونهرها العذب فياض وملآن
قواعد كن أركان البلاد فما عسى البقاء إذا لم تبق أركان
تبكي الحنيفة البيضاء من أسف كما بكى لفراق الإلف هيمان
على ديار من الإسلام خالية قد أقفرت ولها بالكفر عمران
حيث المساجد قد صارت كنائس ما فيهن إلا نواقيس وصلبان
حتى المحاريب تبكي وهي جامدة حتى المنابر ترثي وهي عيدان
يا غافلاً وله في الدهر موعظة إن كنت في سنة فالدهر يقظان
وماشياً مرحاً يلهيه موطنه أبعد حمص تغر المرء أوطان
تلك المصيبة أنست ما تقدمها وما لها مع طول الدهر نسيان
يا راكبين عتاق الخيل ضامرة كأنها في مجال السبق عقبان
وحاملين سيوف الهند مرهفة كأنها في ظلام النقع نيران

وراعتين وراء البحر في دعة لهم بأوطانهم عز وسلطان
أعندكم نبأ من أهل أندلس فقد سرى بحديث القوم ركبان
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم قتلى وأسرى فما يهتز إنسان
ماذا التقاطع في الإسلام بينكم وأنتم يا عباد الله إخوان
ألا نفوس أبيات لها همم أما على الخير أنصار وأعوان
يا من لذلة قوم بعد عزهم أحال حالهم كفر وطغيان
بالأمس كانوا ملوكاً في منازلهم واليوم هم في بلاد الكفر عبدان
فلو تراهم حيارى لا دليل لهم عليهم من ثياب الذل ألوان
ولو رأيت بكاهم عند بيعهم لهالك الأمر واستهوتك أحزان
يا رب أم وطفل حيل بينهما كما تفرق أرواح وأبدان
وظفلة مثل حسن الشمس إذ طلعت كأنما هي ياقوت ومرجان
يقودها العلج للمكروه مكرهة والعين باكية والقلب حيران
لمثل هذا يذوب القلب من كمد إن كان في القلب إسلام وإيمان

انتهت القصيدة الفريدة، ويوجد بأيدي الناس زيادات فيها ذكر غرناطة وبسطة
وغيرهما مما أخذ من البلاد بعد موت صالح بن شريف، وما اعتمده منها نقلته
من خط من يوثق به على ما كتبت، ومن له أدنى ذوق علم أن ما يزيدون فيها من
الأبيات ليست تقاربها في البلاغة، وغالب ظني أن تلك الزيادة لما أخذت غرناطة
وجميع بلاد الأندلس إذ كان أهلها يستنهضون همم الملوك بالمشرق والمغرب،
فكأن بعضهم لما أعجبت قصيدة صالح بن شريف زاد فيها تلك الزيادات، وقد بينت
ذلك في " أزهار الرياض " (1) فليراجع. (1) أزهار الرياض 1: 47.

تراجم شعراء موقع أدب - (ج 49 / ص 268)

العصر الأندلسي << أبو البقاء الرندي >> لكل شيء إذا ماتم (رثاء الأندلس)

لكل شيء إذا ماتم (رثاء الأندلس) رقم القصيدة : 719

لكل شيء إذا ما تم نقصانُ
فلا يُغرُّ بطيب العيش إنسانُ
هي الأمور كما شاهدتها دُولُ

مَنْ سَرَّهَ زَمَنٌ سَاعَتَهُ أَرْزَمَانُ
وهذه الدار لا تُبقي على أحد
ولا يدوم على حالٍ لها شان
يُمزق الدهر حتماً كل سابعه
إذا نبت مشرفياتٌ وخرصانُ
وينتضي كل سيف للفناء ولو
كان ابن ذِي يَزَنٍ والغمد غمدان
أين الملوك ذوو التيجان من يمنٍ
وأين منهم أكاليلٌ وتيجانُ؟
وأين ما شاده شدادٌ في إرمٍ
وأين ما ساسه في الفرس ساسانُ؟
وأين ما حازه قارون من ذهب
وأين عادٌ وشدادٌ وقحطانُ؟
أتى على الكل أمر لا مرد له
حتى قَضَوْا فكأن القوم ما كانوا
وصار ما كان من مُلكٍ ومن ملك
كما حكى عن خيال الطيفِ وسنانُ
دارَ الزَمَانُ على (دارا) وقائله
وأمَّ كسرى فما آواه إيوانُ
كأنما الصَّعب لم يسهُل له سببُ
يوماً ولا ملكَ الدنيا سليمانُ
فجائعُ الدهر أنواعٌ مُنوعة
وللزمان مسرّاتٌ وأحزانُ
وللحوادث سُلوَانٌ يسهلها
وما لما حلَّ بالإسلام سُلوَانُ
دهى الجزيرة أمرٌ لا عزاء له

هوى له أحدٌ وانهدَّ ثهلانُ
أصابها العينُ في الإسلامِ فارتزأتُ
حتى خَلتُ منه أقطارُ وبلدانُ
فاسألُ (بلنسيةً) ما شأنُ (مُرسيةً)
وأينَ (شاطبةً) أمْ أينَ (جَيَّانُ)
وأينَ (قُرطبةً) دارُ العلومِ فكم
من عالمٍ قد سما فيها له شأنُ
وأينَ (حمصُ) وما تحويه من نزهٍ
ونهرها العذبُ فياضٌ وملآنُ
قواعدٌ كنَّ أركانَ البلادِ فما
عسى البقاءُ إذا لم تبقَ أركانُ
تبكي الحنيفةَ البيضاءً من !؛ أسفٍ
كما بكى لفراقِ الإلفِ هيمانُ
على ديارٍ من الإسلامِ خالية
قد أقفرتُ ولها بالكفرِ عُمرانُ
حيث المساجدُ قد صارت كنائسَ ما
فيهنَّ إلا نواقيسٌ وصلبانُ
حتى المحاريبُ تبكي وهي جامدةٌ
حتى المنابرُ ترثي وهي عيدانُ
يا غافلاً وله في الدهرِ موعظةٌ
إن كنتَ في سِنَةٍ فالدهرُ يقظانُ
وماشياً مرحاً يلهيهِ موطنهُ
أبعد حمصٍ تغرُّ المرءَ أوطانُ ؟
تلك المصيبةُ أنستَ ما تقدمها
وما لها مع طولِ الدهرِ نسيانُ
يا راكبينَ عتاقِ الخيلِ ضامرةً

كأنها في مجال السبقِ عقبانُ
وحاملين سيوفَ الهندِ مرهفةً
كأنها في ظلامِ النقعِ نيرانُ
وراتعين وراء البحرِ في دعةٍ
لهم بأوطانهم عزٌّ وسلطانُ
أعندكم نبأ من أهل أندلسٍ
فقد سرى بحديثِ القومِ رُكبانُ ؟
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم
قتلى وأسرى فما يهتز إنسان ؟
ماذا التقاطع في الإسلامِ بينكم
وأنتم يا عبادَ الله إخوانُ ؟
ألا نفوسٌ أبّاتٌ لها هممٌ
أما على الخيرِ أنصارٌ وأعوانُ
يا من لذلةِ قومٍ بعدَ عزِّهم
أحال حالهم جورٌ وطُغيانُ
بالأمس كانوا ملوكًا في منازلهم
واليومَ هم في بلادِ الكفرِ عبْدانُ
فلو تراهم حيارى لا دليل لهم
عليهم من ثيابِ الذلِ ألوانُ
ولو رأيتَ بكاهم عندَ بيعهم
لهالك الأمرُ واستهوتك أحزانُ
يا ربَّ أمٍّ وطفلٍ حيلَ بينهما
كما تفرقَ أرواحٌ وأبدانُ
وظفلةٌ مثل حسنِ الشمسِ إذ طلعت
كأنما هي ياقوتٌ ومرجانُ
يقودها العُلجُ للمكروهِ مكرهَةً

والعينُ باكيةٌ والقلبُ حيرانُ
لمثل هذا يزوبُ القلبُ من كمد
إن كان في القلبِ إسلامٌ وإيمانُ

=====

إن المستقبل للإسلام

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد :
فاقد كتب الله عزوجل لهذا الدين العظيم دين الإسلام الرفعة والسناء والمجد
والريادة ، فهو الدين الذي ارتضاه ملك الملوك الرب العظيم للبشرية دينا ، وهو
الملة السمحاء التي فرق بها عزوجل بين الناس فمنهم مؤمن ومنهم كافر ، وهو
الدين الذي لا يقبل الله عزوجل ممن لا يؤمن به عملا ولاقربة مهما بلغت حجمها
ذلك لأن أجل مايتقرب به العباد إلى الباري عزوجل هو تحقيق العبودية له جل
وعلا من خلال الإيمان الكامل والتسليم المطلق لهذا الدين والخضوع لجميع
أحكامه " إن الدين عند الله الإسلام " ، " ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه
وهو في الآخرة من الخاسرين".

إن ماشهده التاريخ منذ بزوغ فجر هذا الدين العظيم من مؤامرات للقضاء عليه أمر
لم يتعرض له أي دين آخر وأي ملة أخرى ويكفي لمعرفة مدى مايتعرض له
الإسلام من مكر كبار النظر فيما يتعرض له ديننا في هذا الزمن من محاولات
الاجتثاث والإقصاء والتشويه والإبعاد ومع ذلك نرى هذا الدين لايزداد إلا انتشارا
وقبولا عند الناس والمعادلة تقول كلما ازداد الكيد لهذا الدين كلما ازداد عدد
المقبلين عليه وكيف لا يكون كذلك وهو دين الفطرة ، كيف لا يكون كذلك وهو الدين
الذي فيه الحلول الناجعة لجميع مشكلات البشرية وعلها .

هذا الدين العظيم جميع المنحرفين يكيدون له ، اليهود يكيدون له الكيد تلو الكيد ،
النصارى يكيدون له ، الوثنيون يكيدون له ، المنافقون يكيدون له ، الشهبانيون
والزنادقة والملاحدة والمبتدعة يكيدون له ومع ذلك فجميع هذه النحل على اختلاف
مشاربها تكيد كيدا نهايته إلى الخسران والبوار :

أيطفيء نور الله نفخة فاجر **** تعالى الذي بالكبرياء تفردا

وقول الله أجل وأبلغ " يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون * * هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون" ، ويقول جل وعلا : " إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون " ، " إنهم يكيدون كيدا وأكد كيدا فمهل الكافرين أمهلهم رويدا " .

إن من حكم الله عزوجل على عمله بالفشل ضائع وعمله ضائع ومخططاته منكوسة وإن ظهرت جعجعته في عالم الناس لفترة من الزمن أو لحظات من الوقت ذلك لأن الله عزوجل لا يصلح عمل المفسدين " إن الله لا يصلح عمل المفسدين " ، وإن محاربة الإسلام أعظم فساد يمارس على وجه الأرض وهو فساد تكفل الله عزوجل بإبطاله ورد كيد منفذيه إلى نحورهم لأن الدين دينه الذي ارتضاه للبشرية دينا .

لقد جاءت البشائر النبوية بنصرة هذا الدين وظهوره على الدين كله ، ومثل هذه البشائر تشيع الأمل في النفوس وتزرع بذور التفاؤل في الأرواح التي يؤلمها ما حل بالمسلمين من المصائب والنكبات ، وهي بشائر أيضا تثبت اليقين في القلوب وتستحث الهمم من أجل مزيد من العمل للدين ومن ذلك ما رواه الإمام مسلم في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقتها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها " ، فياله من ملك عظيم وعز كريم ينتظر هذه الأمة المبشرة بالرفعة والسناء والتمكين في الأرض كما في الحديث الصحيح : " بشو هذه الأمة بالسناء والدين والرفعة والنصر والتمكين في الأرض " صحيح الجامع .

إننا مع مانشاهده كمسلمين من مكو كبار لهذا الدين إلا أن ذلك المكو يجب أن لا ينسينا حقيقة إيمانية وقاعدة ربانية تخبرنا بأن هذا الدين لا يزال في زيادة ولا يمكن أن يرجعه أعدائه إلى نقص وبوار فقد صح عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ولا يزال الإسلام يزيد ، وينقص الشرك وأهله ، حتى تسير المرأتان لاتخشيان إلا جورا ، والذي نفسي بيده لاتذهب الأيام والليالي حتى يبلغ هذا الدين مبلغ هذا النجم " قال عنه العلامة الألباني في صحيح الجامع حديث صحيح .

هذا الدين بنيان شامخ وصوح عظيم قائم لاتهزه الرياح ولا تزعه العواتي ، منصور بعون الله عزوجل بثلة من أوليائه ممن يغرسهم الله عزوجل ليستعملهم في طاعته والمنافحة عن دينه ففي الحديث الذي حسنه العلامة الألباني رحمه الله يقول عليه الصلاة والسلام : " لا يزال الله يغرس في هذا الين غرسا يستعملهم فيه بطاعته إلى يوم القيامة" ، وفي الحديث الآخر في صحيح مسلم : " لن يبرح هذا الين قائما ، يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة " .

إن مثل هذه المبشرات لا بد أن تصنع في نفوسنا الأمل الذي يحركه العمل وليس مهما أن نرى بأنفسنا ثمرة نصر الإسلام أو تمكينه بل المهم هو أن نعمل من أجل الإسلام وأن نسأل أنفسنا دائما : ماذا قدمنا للدين ؟ كيف ننصر ديننا؟ ماهي المجالات التي نستطيع القيام بها وهي تخدم ديننا؟ فالإسلام محتاج إلى جهود أتباعه وإلى طاقاتهم فمجالات الخير واسعة ومتعدده ولكنها محتاجة فقط إلى من يعلق الجرس ، وهذا ما يوجب علينا أن نطلق من حيز جلد الذات والبكاء على الأطلال إلى حيز العمل والعمل والعمل.

ماجد الجهني

=====

{ فاعتبروا يا أولي الأبصار }

أ.د. عبدالكريم بكار

هذه آية جلييلة الشأن في الكتاب العزيز سرت مسرى المثل ، وذاعت على الألسنة والأقلام ؛ لأنها تعني وجوب الاستفادة من تراكم الخبرات البشرية ، وأخذ العظة والعبرة من أحوال الأمم السابقة ، والمعاصرة ، وتوفيراً للجهد ، واختصاراً للطريق ، وفراراً من عذاب الله تعالى ...

وقد قص الله تعالى علينا في سورة الحشر قصة جلاء بني النضير من المدينة إلى خيبر والشام مبيناً وقوع ما ليس في الحساب ، فقال تباركت أسماؤه : { هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي

قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ {
[الحشر : 2] .

لقد كان خروج بني النضير في تلك الصورة المهينة الذليلة حدثاً بعيداً عن أذهان
بني النضير وأذهان المسلمين لأن الأسباب المادية التي أخذ بها القوم كانت على
درجة من الإتقان والإحكام تحول دون تصور ما وقع ..
ولكن العزيز الجبار الذي لا راداً لأمره ، ولا معقب لحكمه أتاهم من حيث لم
يحتسبوا أتاهم من الداخل ، فألقى في قلوبهم الرعب ، فخارت عزائمهم ، وأدركوا
أن قوتهم ما عادت تغني عنهم شيئاً .
وما أشبه الليلة بالبارحة !!

فهذه هي النظرية الشيوعية تنهار اليوم في أسرع مما كان يدور في خلد البشر ،
وهذه هي مئات الألوف من الكتب والمجلدات التي سطرت في فلسفة النظرية
وترويجها وتكييف البشر معها تغدو رماداً تسفوه رياح التغيير العاتية في وجوه
السدنة والكهنة والمرترقة والأذئاب وأشباه الأذئاب ..
لقد كان سقوط النظرية الشيوعية أمراً لا مفر منه ، ولكن المذهل هو انهيار البناء
الذي أنفق فيه ثلاثة أرباع القرن من الزمن مع ملايين الأنفس وما لا يحصى من
الآلام والعذابات وصنوف المعاناة الإنسانية في أسرع من لمح البصر .
قد كانت أفكار (كارل ماركس) رد فعل لحرمان طويل ومعاناة شخصية قاسية .
والناموس العام لردود الأفعال البعد عن الموضوعية وفقدان الاتزان . وقد قبل
أفكار (كارل ماركس) في البداية صنفان من البشر :

صنف طحنه الظلم والحرمان ، وتقلب دهنراً في التعاسة ، وطرق كل باب للخروج
من نفق الظلمات الذي ولد فيه فإذا بنظرية تعده بجنة على الأرض تتسيه طعم كل
ما مضى من العناء والبلاء ، فهبَّ إلى اعتناقها والترويج لها على أنها الحل
الأخير والمخرج الوحيد .

والصنف الآخر - وهم الكثرة من الأشياع - وجد في السلطات المطلقة التي
تركزها النظرية في قبضة الحزب الشيوعي والدولة الماركسية ما يلبي من خلاله
كل طموحاته الشخصية من الجاه والمال والتسلط ، وما يتفرع عن ذلك من شهوات

وملذات ومصالح ..

ولم يمض وقت طويل حتى أدرك الذين كانوا يطمون بالفردوس أن الخبر غير الخبر وأن المحصول غير المأمول ..

ولكن إدراك الشعوب كثيراً ما يأتي متأخراً بعد فوات الأوان ..

فقد ركزت الحكومات البلشفية المتعاقبة على صناعة السلاح دون باقي الصناعات حتى تتمكن من كسر شوكة أي معارضة محتملة للثورة على حين أذنها لم توفر لشعوبها أحذية جيدة تنتعلها ..

وجمعت إلى ذلك تجنيد عشرات الألوف من المخبرين السويين الذين يحصون أنفاس الشعوب ويعدون نبضات قلوبهم .

ولجأت الشعوب إلى سلاحها الماضي وحيلتها الأخيرة ، فشرعت في المقاومة السلبية ، وأدارت ظهرها لخطط التنمية المتعاقبة التي كانت تضعها الحكومات الشيوعية . ومن البدهي أن الحكومة تخطط وأن الشعب ينفذ فإذا لم ينفذ الشعب كانت الخطط حبراً على ورق أو صرخة في واد ، وهذا ما جرى لقد كان كل عام يمر يعنى مزيداً من الفروق المعيشية والحضارية بين أتباع الشيوعية وأتباع الرأسمالية ، وحين انهار جدار (برلين) أدرك الألمان الشرقيون - الذين كانوا يُدُلُّون بأنفسهم على أشياعهم من أبناء أوربا الشرقية- الفجوة الضخمة التي تفصلهم عن الألمان الغربيين ، فالدخل عند الغربيين عشرة أضعاف الدخل عند الشرقيين ، والهواتف عشرة أضعاف وأعداد السيارات مضاعفة وهكذا على هذه اللازمة ..

وفي اعتقادي أن الأحزاب الشيوعية انهارت بهذه الصورة ؛ لأنها عجزت عن بناء حضارة مناسبة للعصر تغني شعوبها عن تكفف الآخرين وتوجد الثقة بالأسس النظرية التي قامت عليها ، وأسباب أخرى من هذا القبيل لا نقصد هنا إلى تعدادها .

هل من معتبر ؟

كانت الأحزاب الشيوعية والحكومات التابعة لها بحاجة إلى نوعين من المراجعة : الأولى : مراجعة أصول النظرية وقواعدها الأساسية والتي أثبتت السنين أنها خيالية ومتناقضة .

الثاني : قياس آراء النظرية من خلال الواقع الذي أفرزته التجربة الطويلة ، لمعرفة مكامن الخلل ومواضع الداء في النظرية والتطبيق . ومع أن (برجنيف) كان يقول : إذا لم نستطع كشف الأخطاء قتلنا ، فإن سدنة الأحزاب الشيوعية بدءاً بقائل هذه الحكمة لم يستطيعوا الكشف عن أي خطأ ذي شأن فضلاً عن القدرة على الإصلاح . وكان الشغل الشاغل هو التبرير والدفاع والثناء بالجملة على الوضع القائم .

وفى عالمنا الإسلامي اليوم الكثير الكثير من الأخطاء وأصناف القصور على المستويات كافة . ووجود الأخطاء أمر طبيعي ؛ ذلك لأن حركة الزمن تدع الكثير من الجديد بالياً ، وتوجب استمرار الاجتهاد والتكيف بين المبدأ والمصلحة ، وبين الوسائل والغايات ، وبين الأساليب والأهداف . وخلال عمليات التكيف هذه تحصل مفارقات تحسب للأمة تارة وعليها تارة أخرى .

والأمة الحية اليقظة لا تكف أبداً عن عمليات المراجعة وقياس أداء المناهج والأساليب والأصول ، كما لا تمل من بحث المعوقات وطرح الحلول لها . وإذا كان الآخرون يحتاجون إلى نوعين من المراجعة فإننا بحمد الله نسير في طريق لاحبة رسمها الأصفياء الأولون من رسل الله وأوليائه ، ومن ثم فإننا بحاجة إلى نوع واحد منها ، وهو التأكد من موافقة خطانا لروح الشريعة الغراء ونصوصها ومدى توفر الشروط النفسية والاجتماعية التي يجب توفرها في حياة خير أمة أخرجت للناس .

وتتشخص هذه المراجعة في المفردات التالية :

1 - امتلاك الشجاعة الكافية للاعتراف بالأخطاء وأنواع التقصير في مسيرتنا الحياتية .

2 - التفريق الدقيق بين الأمراض وأعراضها حتى لا نعالج مظاهر المرض وأعراضه ونترك حقيقته ، فيكون العلاج مؤقتاً .

3- البحث في البنى التحتية لتلك الأخطاء للوقوف على عللها الأولى وأسبابها الحقيقية اهتداء بقوله تعالى : { قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ } [العنكبوت : 20]

- 4- التغيير في برامجنا وأساليبنا بما يتناسب مع نتائج تلك المراجعات .
- 5- وضع صمام الأمان الذي يحول دون تكرار الوقوع في تلك الأخطاء .
- 6- غرس روح تحمل المسؤولية في أفراد الأمة والتربية على الشجاعة الأدبية
 الباعثة على محاصرة الخطأ والنقد البناء ، وتنمية روح المبادرة الفردية لديهم .
 وإذا فعلنا هذا فإننا نكون قد ضمنا استمرار الثقة بأصولنا الاعتقادية والفكرية ،
 وأوينا إلى ركن شديد يعصمنا من الأعاصير العاتية والانهيارات المدمرة .
 وليس هذا على وارثة تراث الأنبياء والمكلفة بتبليغ الكلمة الأخيرة بعزيم .
 والله الأمر من قبل ومن بعد .

=====

أين الخلل وما العمل

(مجموعة مقالات)

عقلية البعد الواحد

أرسل الموضوع إلى صديق

الحمد لله والصلاة على رسول الله ومن والاه وبعد :

المفترض أن تكون الأمة التي جعلها الله خير أمة أخرجت للناس من المفترض أن تكون هذه الأمة هي الأمة القائدة للعالم والشاهدة عليه فنحن أمة الشهود وأمة الخيرية وأمة التمكين في الأرض ومع ذلك فإن كل هذه الافتراضات ليس منها شيء على أرض الواقع فالأمة الإسلامية على مختلف أقطارها هي في العالم الثالث وبعض منها في المؤخرة منه و بالإطلاع على بعض الإحصائيات يتوضح هذا فعالم الأرقام عالم يكشف يكشف الحقيقة التي يحاول الكثير إخفاءها (... بعض البلدان تصل نسبة الأمية إلى 90 % مثل اليمن ومالي و 60% في المغرب وبنغلادش والسودان و 30% في البحرين و أندونيسيا والجزائر بينما نسبة الأمية في أوروبا 3% فقط ..) د البكار نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي (متوسط دخل الفرد في الصومال /190/ دولار وفي باكستان /370/ دولار وفي النيجر /310/ دولار بينما دخل الفرد في فرنسا / 16800 / دولار وفي اليابان /

15030 /دولار وفي الولايات المتحدة/ 13800 / دولار والفرق بين باكستان مثلا
والولايات المتحدة حوالي /36/

ضعفا .) المرجع السابق

هذه الأرقام وغيرها توضح لنا وبشكل صريح واقع الأمة وأين هي بين دول العالم
لكن السؤال لماذا ونحن أمة الشهود وأمة الخيرية وأمة التمكين؟؟؟
لماذا الأمية ونحن أمة اقرأ وأمة العلم؟؟

لماذا ونحن أمة موعودة بالغنى فقد وعدنا رسول الله بذلك عندما قال (ستفتح
عليكم كنوز كسرى) فلماذا هذا الدخل المتدني للفرد المسلم؟؟

لعل هناك أسباب عديدة مترابطة ومتواكبة هي التي جعلت الأمة الإسلامية في هذا
الوضع المزري الذي لا يسر صديقا ولا أقول لا يفرح عدوا بل إن أعداء الأمة هم
أول الفرحين بهذا الوضع

ولعلنا من خلال هذه المقالات يوفقنا الله إلى إدراك بعض مكامن الخلل ونعمل على
تلافيها بعون الله تعالى نحاول من خلال هذه المقالات على تسليط الضوء على
بعض الجوانب المختلفة

أول خلل أصيبت به الأمة هو

1- عقلية البعد الواحد * :

ومعنى عقلية البعد الواحد باختصار " هو أن المسلمين يرجعون مشكلة معينة أو
حادثة معينة إلى سبب واحد وغالبا ما يكون هو الأخير دون النظر إلى الأسباب
المتراكبة والمتواكبة والمتضافرة التي أدت إلى هذا الحدث أو ذلك ونتيجة لذلك
تكون النظرة الدارسة لذلك الحدث قاصرة وسطحية والمعالجة جزئية ومحدودة "

إن الإسلام طلب منا أن لا نكون بعقلية البعد الواحد وإنما طلب منا التفكير والتدبر
والمشاورة فما حقيقة الشورى في وجه من وجوهها إلا أنها دراسة للمشكلة من
جميع الجوانب وفي كل الاتجاهات

وإن ختم الآيات القرآنية بقوله تعالى أفلا يتدبرون أفلا يتفكرون لتعطي للإنسان
الأفق الواسع في دراسة ظاهرة أو حادثة معينة

ولما جاء رجل إلى النبي عليه السلام يشكو له الفقر لم تكن نظرة النبي نظرة بعد واحد " أنه إنسان يحتاج مبلغا من المال وانتهى الأمر " إنما قال له اشتر قدمي ثم غب عني خمسة عشر يوما أي أنه حاول علاج لمشكلة بأبعاده حيث إن النبي عليه السلام قرر لنا في هذا الحديث ثلاثا من العوامل المهمة لحل مشكلة الفقر وهي

- اليد العاملة

- أدوات الإنتاج (القدوم)

- الزمن **

- وأضاف في حديث آخر لندفس القصة والموضوع (الاسواق التصريفية) في حديث

" لأن يأخذ أحدكم حزمة حطب قبيبعها في الاسوق خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه "

وبهذه الطريق للتفكير أبعدنا النبي عليه السلام عن عقلية البعد الواحد.

ومن المؤسف حقا أن كثيرا من الحوادث التاريخية الكبيرة التي وقعت في تاريخنا الإسلامي تعزى إلى سبب واحد ومن هذه الأمثلة سقوط بغداد في أيدي المغول فسقوطها لم يكن لضعف الحالة العسكرية فقط إنما كان هناك عوامل كثيرة ومتضافرة هي التي أدت إلى سقوط بغداد منها:

أن المسلمين كانوا منهزمين داخليا قبل أن ينهزموا عسكريا , كان هناك أكثر من خلافة

وكان الفحش الأخلاقي والزنا متفشيا بشكل غير طبيعي وكان الضرائب على أشدها وكان الوضع العقائدي الذي هو الالتجاء إلى الله في الأزمات على أسوء حال ولقد اختصر أحد الشعراء هذا الوضع العقائدي بقوله :

يا خائفا من التتر *** لذ بقبر أبي عمر

فبدلا من أن يلوذ بالله ويلجأ إلى السلاح هاهو يقول لذ بقبر لا ينفع

وإذا سألنا مثلاً ما هو الحل لخروج الأمة من هذا المأزق الحضاري لوجدنا كثيراً من الناس يقولون بطرف لسانهم نحتاج إلى صلاح الدين دون التفكير أن خروج مثل صلاح الدين لا بد له من جهود جبارة من جميع أطراف الأمة .

إن عقلية البعد الواحد هي عقلية قاصرة ومحدودة وجزئية تحاول إصلاح الأمر دون النظر إلى مسبباته وأسبابه ولذلك خرجت حلولنا المحلية والعالمية حلولا مجتزأة وقاصرة .

إن المنح الإلهية للإنسان بإعطائه القدرة على التحليل والتركيب والاستقراء والاستنتاج وغيرها عطلت في حياة المسلم وذلك لأسباب كثيرة منها:
الخوف غير المبرر على الإسلام وطريقة التربية و عدم تقبل النقد والظنيات التي جعلناها قطعيات وغير ذلك .

إن هذه العقلية ليست على مستوى الأمة فقط بل أصابت حتى الأفراد فإذا سألنا أبا لماذا رسب ابنك سيقول إنه لا يدرس دون النظر إلى الأسباب التي جعلته لا يدرس والأمثلة على ذلك كثيرة وكثيرة لكن يجب أن نؤكد أن الحبل الواحد والسميك هو مجموعة من الخيوط الرفيعة والمتماسكة وأن الأحداث هي نتيجة لمجموعة أسباب وليست لسبب واحد وبمعرفة هذه الأسباب يمكن الوصول إلى حل كلي وربما جذري أو إلى رؤية مستقبلية مشرقة .

م. عبد اللطيف البريجاوي

* د. بكار العيش في الزمن الصعب

** د. دالاتي خواطر

=====

أهمية استغلال الإجازة الصيفية

عامر بن عيسى اللهو

الخطبة الأولى :

أيها الإخوة المؤمنون ...

تعيش كثير من الأسر هذه الأيام ما يُعرف بالإجازة الصيفية والمقصود بها ما يكون بعد العمل والتعب والدراسية النظامية من هدوء واستجمام وراحة وهذا الأمر

لا غضاضة فيه فإن النفس البشرية لا تقوى على التكاليف الشرعية إلا إذا أخذت قسطها من الراحة والاستجمام .

قال ابن الجوزي رحمه الله : فينبغي أن يقطع الطريق بألطف ممكن وأخذ الراحة للجد جد ، وغوص السباح في طلب الدر صعود ، ومن أراد أن يرى التلطف بالنفس فلينظر في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه كان يتلطف بنفسه ويمزح ويخالط النساء ويقبل ويختار المستحسنات ويختار الماء البارد والأوفق من المطاعم . أ.هـ
عباد الله :

ولما كانت أيام الإجازة الصيفية من عمر الإنسان ووقته الذي سيسأل عنه يوم القيامة كما قال صلى الله عليه وسلم (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال : (وذكر منها) عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه) رواه الترمذي والطبراني بسند صحيح .

كان من الضروري التذكير بأهمية استغلال هذه الأيام بما يعود على الإنسان بالنعف والفائدة والمتعة المباحة .

إن ثمة أناساً من الناس ارتبطت الإجازة في أذهانهم بتضييع الأوقات والتفریط بالصلوات والسهر بالليل والنوم بالنهار وعبث وفسق ليس لأحد هم هدف يسعى لتحقيقه ، ولا غاية محمودة يخشى فواتها ، فهم عالة على الزمان . قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إني أكره أن أرى أحدكم سهلاً لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة .

كتب الإمام ابن الجوزي رحمه الله رسالة لطيفة إلى ابنه ينصحه فيها وسماها (لفته الكبد في نصيحة الولد) وكان مما جاء فيها : اعلم يا بُني أن الأيام تُبْسَطُ ساعات والساعات تبسط أنفاسا وكل نفس خزانة فاحذر أن يذهب نفس بغير شيء فترى في القيامة خزانة فارغة فتندم وانظر كل ساعة من ساعاتك بماذا تذهب فلا تودعها إلا إلى اشرف ما يمكن ، ولا تهمل نفسك وعودها أشرف ما يكون من العمل وأحسنه وابعث إلى صندوق القبر ما يسرك يوم الوصول إليه . أ.هـ

إن كون الإنسان في إجازة - يا عباد الله - ليس معناه أن يفتح باب المعاصي على مصراعيه ويقعد عن العمل الصالح ويفرط في الواجبات ، فإن حياة المسلم ليس فيها إجازة بهذا المفهوم .

إن فيما أباح الله من إمتاع النفس والترويح عنها غنية عن ما حرم ، فاجعل من شعارك دائما أن تسائل نفسك : ماذا عملتُ في وقت فراغي ؟ هل كسبتُ علماً أو مالاً أو نفعاً لنفسي أو لغيري ؟ . وانظر هل خضع وقت فراغك لحكم عقلك ؟ فكان لك غاية محمودة صرفت فيها زمنك ؟ إن كان كذلك فقد نجحت ، وإلا فحاول حتى تنجح .

أخلق بذِي الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلجا فقليل من الزمن يُخصص كلَّ يوم لشيء معين قد يغيّر- عندك مجرى الحياة ويجعلك أقوم مما تتصور وأرقى مما تخيل .

إن الأمة تعيش عُشر ما ينبغي أن تعيش أو أقل من ذلك ، سواء في إنتاجها المالي أم ثقافتها العقلية وباقي حياتها هدر في كسل أو خمول أو لعب أو لا شيء ، و لا ينقصها أن تعيش كما ينبغي إلا أن تكتشف طريقة ملء الزمن وخضوعه لحكم الشرع والعقل .

إن الإنسان يستطيع أن يُغير موضوعات حبه وكرهه كما يشاء ويستطيع أن يُغير ذوقه كما يشاء فيستطيع أن يُمرن ذوقه على أشياء لم يكن يتذوقها من قبل وعلى كراهية أشياء كان يحبها من قبل ، ففي استطاعة أغلي الناس - إذا قويت إاداتهم - أن يُقسموا أوقات فراغهم إلى ما ينفعهم دينياً وعقليا واجتماعيا ونحو ذلك .

فهل فراغك إلا جزء من حياتك ؟ وهل حياتك إلا وقتك الذي يمضي بين الميلاد والوفاة !؟

ثم اعلم يا عبد الله أن الأوقات تتفاوت في يمنها وبركتها فساعة أعظم بركة من ساعة ويوم أفضل عند الله من يوم وشهر أكرم من شهر ، فليأخذ الإنسان من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن حياته لموته .

بسم الله الرحمن الرحيم (والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

الخطبة الثانية :

إن في المنازل آلاف الطلاب والطالبات يقضون أشهر الإجازة الصيفية فما دوركم أيها الآباء والمربون ؟

إن المربي الواعي يستطيع بذكائه أن يحوّل أيام الإجازة إلى أيام فائدة ومتعة واكتساب مهارات لكن لا بد من شرط مهم في تحقيق ذلك وهو القناعة التامة بأهمية استغلال الإجازة ، فكم من الأفكار والبرامج التي يستطيع بها المربي أن يشغل وقت الأبناء والبنات بما ينفعهم وهم في ذلك مسرورون فرحون ، وكم من مهارة وموهبة عند الأولاد تحتاج إلى من يستخرجها ويوجهها التوجيه الصحيح .
إن من أفضل المتع عند الأبناء أن يشتركوا مع آبائهم وأمهاتهم في تحقيق برنامج معين في جو أسوي تسوده المحبة والمودة المتبادلة ، فلا تحرموا أبناءكم هذه المتعة .

إن بعض الناس يظن أن مفهوم الإجازة لا يكون إلا بالسفر والتنقل ، وهذا غير صحيح ، فإن السفر وإن كان لوناً من ألوان قضاء الإجازة إلا أنه ليس المفهوم الوحيد لقضائها ، ونعني به السفر المحمود أو المباح على أقل الأحوال ؛ أما السفر المحرم الذي يكون لبلاد الكفار لغير حاجة فهذا لا خير فيه ، وضرره عند العقلاء أكبر من نفعه . قال صلى الله عليه وسلم : (أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين) رواه أبو داود والترمذي وهو حديث صحيح .

فكيف يرضى المسلم أن يعرض نفسه وأهله وأولاده للفتن صباح مساء؟! وهل هذا من الوقاية المأمور بها في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً ...) الآية؟!

بل اعلموا يا عباد الله أن على المسلم أن يقي أهله الفتن حتى وإن كان السفر إلى بلاد المسلمين ، فلا يجوز حضور المهرجانات الغنائية المشتملة على المنكرات . قال تعالى (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في

حديث غيره وإما يذسيّنك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) فهذا النهي يشمل كل خائض بالباطل وكل متكلم بمحرم أو فاعل له .
وقانا الله وإياكم شر الفتن ما ظهر منها وما بطن ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

=====

لكننا نغتال (اقرأ)

أرسل الموضوع إلى صديق

بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم .. كانت أول قبلة من السماء على جبين الأرض ، وأول خيوط النور التي مدت ، وأول لمسة حانية وأول أسباب الهدى ونفحات اليقين ، وأول دلائل الحق وبراهين الحقيقة ، وأول بيان يحمل ومضات الرحمة وعلامات النجاة .. كانت (اقرأ) . مفتاح المعارف وترقيق النفوس وعطر الأبدان وتعديل الهمم ، وتنقية القرائح وجلاء العتمة ، وتبديد الظلمات ، إنها شرف الأمة وعزتها ويدها وعقلها وأكبر أسباب رفعتها .

معاشر السادة .. لا يقسم الرب العظيم إلا بالشيء العظيم ، وقد أقسم الله بالقلم قال سبحانه : (ن والقلم وما يسطرون) . فما هي عظمة القلم ؟ وما هي هيئته وجلاله وجماله وما هو تأثيره ؟ هل فكرت في الإجابة ؟ ؟ ؟

في الصحيح من حديث ابن عباس (أن أول ما خلق الله القلم) . وما أروعها قصيدة القلم لأبي تمام حين تقرأها .

إذا وضع القلم رأسه ربما يكون أقوى من الجيوش الجرارة ، من حملة بحقه وأمانته أحيا ووعظ وهدى وأيقظ .

لو لم ينفك عقلك فما قيمته ؟ ولو لم تهلك فكرتك فما قيمتك ؟؟

لو خانتك نفسك فذلك عملك فيها مد عمرك . لأن الجنى من جنس الزرع والحصاد على قدر الجهد .

اسمع .. قال الله (اقرأ) . وذلك فعل أمر والذي أمر هو علام الغيوب، فإذا كان الأمر يأتي على قدر الأمر فمن أعظم من الله يأمرك فتطيع ؟؟؟ لقد رفعت صوتي بها فهل زلزلتك ؟ وإذا كان الامتثال لأمر الله (اقرأ) أعظم ما يكون إذا اقترن

بالقرآن الكريم والسعي في فهمه وإدراك معانيه والعمل بما فيه .. فإن العلوم والمعارف وفهم التاريخ والسعي في أسباب ذلك كله لا يكون إلا من طاعة الله في أمره العظيم (اقرأ) ...

لماذا يكون غذاء بطوننا أولى دائما من غذاء عقولنا وهانت علينا العقول ...؟؟؟
وكم من أم سقطت برأسها وكم من رجل هلك بفكره وشقي بعقله .. قال الله (اقرأ)

(
مُدت الموائد وضجت بألوانها وفاحت الروائح حتى وصلت إلى بلدان يعز على المرء فيها أن يجد كسرة خبز يقتات بها .. فملأت البطون واسترخت الأبدان .. ثم أخذ كل واحد منا مكانه أمام الشاشات .. وتحولنا إلى صناديق قمامة تنهل من كل غث رديء ... أين أمر الله (اقرأ) ???

عجز الظالم أن يدرك إحساس المظلوم ، وانزوى العلماء وضاعت الحقوق وتألمت الحقيقة ... لم تفهم الزوجة زوجها ، ولم يفهم الزوج زوجته ، وعظمت بيننا المسافات ، وتفككت الأسر . قال الله (اقرأ) .

من ظن أنه سيهتدي بغير علم فهو غارق في الوهم . إذا تحريت العلم النافع بالله قل لي .. من في هذه الدنيا أعز عليك من كتاب تتخذه رفيقا ??? قال الله (اقرأ) .
اقرأ .. نعمة من النعم ، .. دليل المرء ومصباحه المنير .. غناه إذا كان فقيرا ، وعزه إذا كان ذليلا .. وكسوته إذا كان عاريا ، ودرعه وحصنه الحصين .. كل دميم بها يصير جميلا ، وكل حقير بها يصير عظيما .. تخرج من الجهل إلى العلم ، ومن الشك إلى اليقين .. ومن الأسر إلى العتق ، ومن التطاير إلى الرسوخ .. ومن البلاهة إلى الحكمة ، ومن الخفة إلى الرصانة .

من حسنت قراءته نضج فكره .. ومن نضج فكره ارتقى وجدانه .. ومن ارتقى وجدانه حسن كلامه .. فكان أهلا إذا قال أن يسمع ، وإذا أمر أن يطاع .

إن واحدا من الناس يساوي أمة ، وواحدا يساوي ألفا ، وواحدا لا يساوي شيء .
يذهب الإنسان إلى المدارس ودور العلم والجامعات حتى إذا أُعطي ورقة تحمل اسمه خرج ليجعلها زينة على الجدران فإذا سئل عن أركان الصلاة قال لا أدري .
لا بأس في طول في الجسم أو قصر *** أجسام البغال وأحلام العصافير

لو لم تكتب كلمة فاقراها ، ولو لم تلق محاضرة فاحضرها
إن كلمة غيرت وجه التاريخ .. وكلمة أحييت القلوب .. وكلمة تحركت بها العزائم
وتقدمت بها الأمم .

قال الله (اقرأ) .

أنت تقرأ إذن أنت كبير .. أنت تقرأ إذن أنت تشعر .. أنت تقرأ إذن أنت على قيد
الحياة .

اقرأ .. فإذا كان للناس يدان كانت لك أياد كثيرة .. وإذا كان للناس عينان كانت لك
أعين شتى .

اسمع .. احترم الزمن فإن له قداسة .. إنه عمرك .. إن تهمله فأنت قاتل نفسك .
تتطير السنون فلا أنت أنت ولا الدنيا هي الدنيا . وتبحث في ذاتك عن معنى لك
فلا تجد . إذا تكلم الناس تسكت وإذا ارتفع الناس تهبط .

قال الله (اقرأ)

حتى متى تترك الآخر يشكل عقلك ووجدانك وهويتك ؟؟؟ كيف بك تسلم مفتاح
عقلك وقلبك ووجدانك لغيرك .. فيملاك بما يشاء ويوقفك على ما يشاء ويضعك
حيث يشاء ؟؟؟

تسأل ماذا تأكل وماذا تشرب وكيف تعيش ؟ وتحولت رأسك إلى علامة استفهام
كبيرة .. لأن حب العلم ليس من شأنك وتقديس المعارف ليس من قيمك ، تسلم بما
تسمع ، وتستسلم لما يقال .. فمن أنت ؟؟؟ وما هي فكرتك ؟ وما هي غايتك ؟؟؟
قال الله (اقرأ) . وعصت الأمة أمر الله فتحولت في معظمها إلى مسخ .

لنا الريادة ، ولكن في الجهل .. ولنا الصدارة ، لكن في التقاهة ، معنا دكتوراه ،
لكن في قتل الزمن وهدم النفوس وازدراء العقول .. عندنا عبقریات ، لكن في الذل
والخضوع .. ولدينا أبحاث ، لكن في تخريج المغنيين والمغنيات وأشباه الرجال .

قال الله (اقرأ) .

إن أعظم جريمة عرفها تاريخ هذه الأمة هي اغتيال (اقرأ) .. وغيابها في
صدورنا وتهميشها وتحقيرها ..

ولنعلم جميعاً أنه لا حياة لهذه الأمة ولا نهوض ولا تحرر ولا عزة ولا كرامة
بغير (اقرأ)

كن شيئاً.. واخرج من قلب العتمة .. البس ثوب الحق وقدم للدنيا شمعة ..
وستعرف أن الفرق كبير .. تتمنى لو كنت قديماً تعرف .. لو أن الساعة كانت
تتوقف .

أحمد المنسي

=====

حتى يأتيك اليقين

بالأمس كنا في شهر رمضان، يحرم علينا في نهاره تناول كل أنواع المفطرات،
لنعبد الله بالصيام، والذي حرم علينا ذلك هو الله، واليوم هو أول يوم من شهر
شوال، يحرم علينا فيه الصيام، لنعبد الله بتناول ما حرم علينا بالأمس، ولذا سمي
يوم عيد الفطر، والذي حرم علينا صيام هذا اليوم هو الله.

وهنا تظهر الطاعة المطلقة لله، التي يستحق به عباد الله المؤمنون رحمته:
(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن

المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله
إن الله عزيز حكيم)) [التوبة (71)]

ومعلوم أن الله تعالى ما خلقنا إلا لعبادته ((وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدوني))
[الذاريات (56)]

والأوقات كلها: الدقائق، والساعات، والأيام والليالي، والأسابيع والأشهر،
والأعوام، كلها خلقها الله تعالى لنعبد الله فيها: ((وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه

لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا)) [الفرقان (62)]

ونحن مأمورون بالاستمرار في عبادة الله حتى نلقاه: ((واعبد ربك حتى يأتيك
اليقين)) [الحجر (99)]

بالأمس كان الصيام واجبا، وهو اليوم محرم، و يوم غد يكون مندوبا، روى أبو
أيوب الأنصاري رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من صام

رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر) [مسلم (1164)]

بالأمس كان آخر يوم من موسم شهر الصيام، واليوم هو أول يوم من أيام أشهر الحج: ((الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقوني يا أولي الألباب)) [البقرة (197)]

بالأمس كنا نتقرب إلى الله في ليالي رمضان بقيام الليل، وقيام الليل لا ينقطع بخروج شهر رمضان، بل هو مما داوم عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته، وعباد الله الصالحون في كل الأزمان، كما قال تعالى: ((والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما)) [الفرقان (64)]

وقال تعالى: ((تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون)) [السجدة (16)]

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم، يحث أصحابه على أن يحرصوا على قيام الليل، ليزدادوا من الخير الذي ترتفع به درجاتهم عند الله، كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال:

"رأيت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كأن بيدي قطعة إستبرق، فكأنني لا أريد مكانا من الجنة إلا طارت إليه، ورأيت كأن اثنين أتياني أرادا أن يذهبا بي إلى النار، فتلقاهما ملك، فقال: لَمْ تُرْعَ خَلِيَا عَنْهُ، فقصت حفصة على النبي صلى الله عليه وسلم إحدى رؤيائي" فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لو كان يصلي من الليل) فكان عبد الله رضي الله عنه يصلي من الليل" [البخاري، برقم (1105)]

كما كان يحذره من تثبيط الشيطان لهم عن قيام الليل، روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: (ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم رجل، فقيل: ما زال نائما حتى أصبح، ما قام إلى الصلاة، فقال: (بال الشيطان في أذنه) [البخاري، برقم (1093) ومسلم، برقم 774]

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه، يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم: (يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم ثلاث عقد إذا نام، بكل عقدة يضرب عليك ليلا طويلا، فإذا استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، وإذا توضأ انحلت عنه عقدتان، فإذا

صلى انحلت العقد فأصبح نشيطا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان)
[البخاري (1091) ومسلم، برقم (776)]

وكل ما يسخط الله في رمضان، من ترك واجب أو فعل محرم، يسخطه تعالى في غير شهر رمضان: فترك الصلاة المفروضة بغير عذر، و الشرك بالله، والحكم بغير ما أنزل الله، والزنا، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وشرب المسكر، والغيبة والنميمة، وشهادة الزور، والكذب، والتجسس على الناس، للاطلاع على عوراتهم وهتك حرمتهم، وخيانة الأمانة، والظلم، وعدم نصر المظلوم مع القدرة على نصره.

كل ذلك وغيره مما جاء وجوبه أو تحريمه في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، يآثم مرتكبه في غير رمضان، كما يآثم في رمضان، وإن كان ارتكابه في رمضان أشد جرما من غيره، لانتهاك حرمة شهر رمضان.

((والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما (67) والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما (68) يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا (69) إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما (70) ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا)) (71)
[الفرقان]

ولما كان الإنسان مكلفا بالاستمرار في عبادة الله في كل الأوقات، كثر في كتاب الله ذكر أجزاء الزمن، من ليل ونهار، وبكرة وعشي، وصبح وضحي، وفجر وعصر.

كما يتكرر قسم الله تعالى، بالوقت أو ببعض أجزائه، للتنبيه على أهمية الوقت الذي يجب أن يملأه الإنسان بطاعة الله، ويجتنب فيه معصيته، ويكون جواب القسم ذكر فوز العبد أو خسارته، مثل قوله تعالى: ((والليل إذا يغشى)) إلى قوله ((إن سعيكم لشتى)) إلى قوله تعالى: ((فسنيسره للعسرى)) [سورة الليل 1-10]

وقوله تعالى: ((والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)) [سورة والعصر]

ولهذا يؤنب الله تعالى من حاربوا الله في الدنيا، مفرطين في زمن عمرهم، حتى لقوا الله وهم على ذلك، فيندمون ويطلبون من الله أن يعيدهم، إلى الدنيا ليتداركوا ما فرطوا فيه من أعمارهم، يؤنبهم الله تعالى على ذلك ويذكرهم بأنه قد منحهم من الوقت ما كان كافياً ليتذكروا ويعودوا إلى الله تعالى، كما قال تعالى: ((والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور (36) وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير)) (37) [فاطر]

ولما كان عمر الإنسان، هو الزمن الذي يقضيه في الدنيا، فإنه يسأل يوم القيامة عنه فيم أفناه، كما في حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(لا تزول قدما عبد يوم القيامة، حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه ما ذا عمل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيم أبلاه) [سنن الترمذي، برقم (2417) و قال: "هذا حديث حسن صحيح"]
فعلى المسلم أن يجتهد في طاعة ربه في كل الأوقات، فهو عبد الله في رمضان، وعبد الله في غير رمضان، وهو لربه تعالى في كل أوقاته: (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين (162) لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين(163) [الأنعام]

وقد أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم [وأمره له أمر لأمته] أن يستمر في عبادته حتى يلقاه، كما قال تعالى: ((فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين (98) واعبد ربك حتى يأتيك اليقين(99) [الحجر]

كتبه

د . عبد الله قادري الأهدل

=====

الإجازة رسمية وليست عبادية

الرغبة الصادقة في عمل الخير، والإرادة الجازمة لذلك العمل، والجد الاجتهاد في اتخاذ الأسباب لتنفيذه هي أساس النجاح فيه.

فقد أمر تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالرغبة إليه، فقال: ((فإذا فرغت فانصب) (7) وإلى ربك فارغب (8) [سورة الشرح]

والرغبة إلى الله هي الرغبة في عبادته وهي الرغبة في ملة إبراهيم، ولهذا ذفى تعالى عن أهل الرشد والهدى الرغبة عنها، وحكم على من يرغب عنها بالسفه، فقال تعالى: ((ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين)) [البقرة(130)]

والأصل أن أمره تعالى لنبيه أمر لأمته، مالم يدل دليل على إرادة تخصيصه، لأن لهم فيه أسوة حسنة، كما قال تعالى: ((لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا)) [الأحزاب(21)]

ولهذا قال تعالى فيمن اعترضوا على الرسول صلى الله عليه وسلم في قسمه الصدقات من المنافقين: ((ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون)) [التوبة (59)] أي لو أنهم فعلوا ذلك كما فعل المؤمنون الصادقون الراغبون إلى الله، لكان خيرا لهم. [يراجع تفسير الآية في تفسير القرآن العظيم لابن كثير وغيره]

فالرغبة إلى الله تعالى تيسر على العبد القيام بطاعته وترك معصيته...

ولا بد مع الرغبة الصادقة من الإرادة الجازمة التي يترتب عليها القيام بالعمل الذي يرضي الله تعالى ويوصل إلى ثوابه...

قال تعالى: ((وما كان لِنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين)) [آل عمران (145)]

و قال تعالى: ((ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا)) [الإسراء (19)]

الرغبة الصادقة في طلب العلم [أي علم ينفعه وينفع أمتَه] وإرادة الطالب الجازمة لهذا الطلب، والسعي الجاد في تحصيله، كلها تنمّر فوزه ونجاحه فيه.

ولهذا تجد الطالب الذي توافرت فيه هذه العناصر الثلاثة [الرغبة والإرادة والتنفيذ] يدير وقته إدارة من يعمل لدنياه كأنه يعيش أبداً، ويعمل لآخرته كأنه يموت غداً] وقد كان سلف هذه الأمة من العلماء والمتعلمين، يقضون أوقاتهم في التعليم والتعلم والعمل، فحققوا لأنفسهم وللعالم السعادة بعمارة دنياهم وإقامة دينهم. وكانوا يقصدون بتعلمهم وتعليمهم وعملهم وجه ربهم الذي بعونه أمدهم، وبتوفيقه أعانهم، فاستسهلوا بذلك الصعاب، وخفت على أجسامهم الأتعاب، واستنارت بضياء هداه الألباب.

ثم تتابعت بعد هم الأجيال، وتغيرت فيهم الأحوال، فقلت الرغبة والإرادة وضعف الإخلاص والاجتهاد، وانتشر الجهل والغفلة بين العباد، وصار طلب العلم لمتاع الدنيا وسيلة، ولم تعد له عند كثير من الطالبين ذلك القدر وتلك الفضيلة. فنقل طلب العلم على كثير من المتعلمين والمتعلمات، وبرم بالتعليم كثير من المدرسين والمدرسات، وأصبحت النفوس تتمنى كثرة العطل والإجازات، فتحققت للجميع تلك الأمنيات...

وكذلك العاملون من سلف هذه الأمة في الوظائف العامة أو الخاصة، كان الإحسان الذي قال الله تعالى في أهله: ((إن الله يحب المحسنين)) في أكثر من آية، منها الآية (134) من سورة المائدة.

وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك) [البخاري، برقم (4499) ومسلم، برقم (8)]

وهو الذي كتبه الله تعالى على كل شيء، كما جاء في حديث شداد بن أوس قال اثنتان حفظتهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأدسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأدسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته فليرح ذبيحته) [مسلم، برقم (1955)] وغيره.

والإحسان كما يقول العلماء، هو إتقان الشيء والإتيان به على أكمل وجه. هذا هو شأن المسلم، معلماً ومتعلماً، وموظفاً عاماً أو خاصاً، يجتهد في إحسان عمله في كل أحواله، في حال سوه وعلمه، لأن السو والعلن إنما يكونان مع

المخلوقين، أما الخالق فالسوء والعلن عنده سواء... ((والله يعلم ما تسرون وما تعلنون)) [النحل (19)]

وقد وضعت لكل العاملين أنظمة إجازات يتمتع كل منهم فيها بمدة معينة، بعيدا عن عمله، قد يكون فيها مسافرا في داخل بلده أو خارجها، وقد يكون مقيما بين أهله وأسرته.

وكثير من الناس يعتبرون هذه الإجازات أوقات فراغ عن العمل الجاد فيها، لأن وقت العمل قد حدد في غيرها... فيمضون أيامها ولياليها في نوم وكسل، أو لهو وخطل.

وهو اعتبار غير سليم وتصرف لا يخلو من سفه ذميم، لأن الأصل في كل لحظة من حياة الإنسان أن يستثمرها فيما يعود عليه وعلى أسرته وأمتة بالربح والخيرات، وينجيه من الخسران والحسرات.

قال تعالى: ((سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)) [الحديد(21)]

وقال تعالى: ((ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعا إن الله على كل شيء قدير)) [البقرة (148)]

وقال تعالى: ((لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بمآلهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون)) [التوبة (88)]

وقال تعالى: ((وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين)) [الأنبياء (73)]

ولعظمة الوقت وحرمة وكونه عمر الإنسان الذي يتعاطى فيه كل تصرفاته، أكثر تعالى من القسم به، وذكر أجزائه في مواضع متفرقة من كتابه، ليلفت نظر عباده إلى اغتنامه وعدم تقويت شيء منه في غير فائدة، أو استغلاله فيما يعود عليهم بالضرر في الدارين، وهذه أمثلة لذلك:

فمما ذكر تعالى الليل والنهار و الصبح و الضحى و بكرة و الإبكار و الظهرية و العصر و العشي و الأصيل و اليوم و الشهر و الأشهر و الشهور و السنة و السنين

والعام و الدهر و الساعة والحين والغسق والشمس والقمر،،،، وكثير منها تكرر كثيرا

وقد ربط الله كثيرا من الأحكام الشرعية العبادية والعادية بأوقات محددة، كالصلاة والصيام والحج ... وعدد الطلاق، ومدة الحمل والرضاع... وغيرها
ويكفي أن نذكر ثلاثة أمثلة تدل على أهمية الوقت في حياة الإنسان:

المثال الأول: قوله تعالى: ((والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)) [العصر]

فقد أقسم تعالى بالعصر — سواء كان الدهر كله، أو وقت العصور، أو صلاة العصر التي تؤدي فيه — ثم أتبع القسم بالإخبار بخسارة كل إنسان يوجد على ظهر الأرض، وأكد تلك الخسارة بثلاثة تأكيدات:

التأكيد الأول: القسم في قوله: ((والعصر))

والتأكيد الثاني: حرف "إن" وهي من المؤكدات في اللغة العربية.

والتأكيد الثالث: بحرف لام الابتداء الداخلة على خبر "إن" في قوله ((لفي)) وهي من المؤكدات كذلك.

فالخسران ثابت لهذا الإنسان الذي يتقلب في هذا الزمن، ثباتا مؤكدا لا شك فيه، بمجرد أن يخبر الله تعالى به، لأن تخلف المخبر به لا يحصل إلا إذا جاز على من أخبر به الكذب، أو جاز العجز على من ينشئ المخبر به...

والله تعالى منزه عن الأمر، فقوله صدق لا يعتريه الكذب: ((ومن أصدق من الله قيلا)) وهو تعالى لا يعجزه شيء، لأنه على كل شيء قدير، وهو إنما يقول للشيء ((كن فيكون))

ومع ذلك أكد حصول الخسران على كل إنسان بهذه التأكيدات، رحمة منه بهذا الإنسان ليأخذ الخبر مأخذ الجد، ويهتم بحماية نفسه من هذا الخسران.

ولا يحميه منه إلا الخصال الأربع التي استثنى الله تعالى أهلها في قوله: ((إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر))

وكلها إنما تحدث في أول المؤكدات الثلاثة، وهو الزمن "العصر" والتقصير فيها أو في بعضها إنما يحصل فيه كذلك... وهذا يدل على أن الإنسان العاقل يحرص على

استغلال الوقت في الأعمال النافعة، ويتجنب فيه الأعمال الضارة، لينجو من الخسران، وأن مَنْ نقص عقله يخرج عن هذا السبيل، فيملأ أوقاته بما يضره أو يضر غيره، أو بما لا فائدة له فيه.

المثال الثاني: قوله تعالى: ((والليل إذا يغشى (1) والنهار إذا تجلى (2) وما خلق الذكر والأنثى (3) إن سعيكم لشتى (4) [سورة الليل]

فقد أقسم تعالى بالليل والنهار [وهما طرفان لسعي البشر] كما أقسم بنفسه، وهو الذي يحاسب على تصرفات المخلوقين، أقسم على إخباره تعالى بأن سعي الناس مختلف، منهم من يملأ أوقات عمره بالطاعات التي تقربه إلى الله، ومنهم من يملأها بالمعاصي التي تبعده عن خالقه... ثم فصل ذلك في بقية آيات السورة كما هو واضح.

المثال الثالث: ((وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير)) [فاطر (37)]

يمنح الله تعالى الناس أزمانا يعيشون فيها في الدنيا، وهي أعمارهم التي يكلفهم فيها طاعته واجتتاب معصيته، ثم يحاسبهم على أعمالهم يوم القيامة، فمن آمن به وأطاعه أدخله الجنة، ومن كفر به وعصاه أدخله النار...

وفي هذه الآية ذكر الله تعالى أن الكفار عندما يدخلون النار ويذوقون عذابه الشديد، ينادون بأصوات مرتفعة مستغيثين من ذلك العذاب، نادمين على الأوقات التي قضوها في معصية الله في الدنيا، طالبين الرجوع إليها، ليتداركوا ما فاتهم من العمل الصالح..

ولكن الله تعالى يبيكتهم، ويذكرهم بأنه قد منحهم من الأوقات في الدنيا ما كان كافياً للتذكر والتوبة إلى الله والطاعة له، والإقلاع عن الكفر به ومعصيته، إنه العمر الذي يحاسب الله تعالى عليه صاحبه على ما قدم: ((فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره (7) ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)) (8) [الزلزلة]

ولقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم، الناس كلهم، من حساب الله تعالى لهم، على أعمارهم فيم أفنوها، وبخاصة أيام شبابهم التي يكتمل فيها نشاطهم وقوتهم الجسمية والعقلية.

كما في حديث أبي برزة الأسلمي، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تزول قدما عبد يوم القيامة، حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه) [الترمذي، برقم (2417) و قال: "هذا حديث حسن صحيح"]

وفي حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال رسول الله : (لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال، عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه) [الترغيب والترهيب، برقم (5444) وقال: "رواه البزار والطبراني بإسناد صحيح واللفظ له"] فقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم في هذين الحديثين، أن الله يسأل خلقه يوم القيامة، عن كل ما أتوه في أوقات حياتهم، وهي أعمارهم، عن علمهم وعملهم، وعن ما اقترفته أعضاؤهم، وعن أموالهم من أين اكتسبوها وفيم أنفقوها... فابن آدم مسئول عن عمره كله.

فلا يظنن امرؤ أنه مطلق الحرية في تصرفاته في جميع أوقاته، وبخاصة أوقات فراغه، بعيدا عن منهج الله، بل يجب أن يعلم أن أوقات الفراغ التي لا يستغلها فيما ينفعه في دينه ودنياه، هي أشد غبنا وندامة عليه من غيرها، وبخاصة من أنعم الله عليه فيها بالصحة والغنى الذي قد يتمكن به من تعاطي كثير من المعاصي التي لا يقدر على تعاطيها الفقراء

كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليه وسلم :

(نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصحة والفراغ) [البخاري، برقم (6049)]
بل أمو الرسول صلى الله عليه وسلم، الإنسلن باغتنام الفرص التي يمنحه الله تعالى في أوقات عمره، قبل أن يفقدها، فيندم على عدم اغتنامها، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لرجل وهو يعظه: (اغتنم خمسا قبل خمس، شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك

قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك) [الحاكم في المستدرک، برقم (7846) وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"]

وإن من أهم ما يورد الإنسلن موارد الهلاك، الغفلة والإعراض واللهو واللعب، التي تنسي صاحبها اغتنام الفرص المتاحة لاستثمار حياته في عمل الخيرات وترك المنكرات، والإعراض عن ذلك كما قال تعال: ((اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون (1) ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون (2) لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون)) (3) [الأنبياء]

بل إن هذه الغفلة لتعطل على صاحبها أدوات استقبال التوجيه الإلهي التي من الله تعالى بها عليه، حتى يصير بذلك التعطيل أخط من الحيوانات العجماء، كما قال تعال: ((ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون)) [الأعراف (179)]

وقد نهى الله نبيه صلى الله عليه وسلم - ونهيه له نهى لأمته - أن يطيع من أغفل الله قلبه عن ذكره فقال: ((ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا، واتبع هواه، وكان أمره فرطاً)) [الكهف: 28].

قال ابن تيمية رحمه الله: "الغفلة والشهوة أصل الشر، قال تعال: ((ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً))" [الفتاوى (14/289) والآية في سورة الكهف: 28].

وعزا ابن القيم رحمه الله الزهد عن الحياة - العليا حياة الأنبياء والرسول وأتباعهم - إلى أصليين:

أحدهما ضعف الإيمان.

والثاني جثوم الغفلة على القلب.

وقال في هذا الأخير: "السبب الثاني: جثوم الغفلة على القلب، فإن الغفلة نوم القلب، ولهذا تجد كثيراً من الأيقاظ في الحس نياماً في الواقع..." [مدارج السالكين (3/284)]

ووصف سيد قطب رحمه الله أصحاب الغفلة واللاهو في كتابه [في ضلال القرآن] في مطلع سورة الأنبياء فقال:

"مطلع قوي يهز الغافلين هزاً، والحساب يقترب وهم في غفلة، والآيات تعرض وهم معرضون عن الهدى، والموقف جد وهم لا يشعرون بالموقف وخطورته، وكلاما جاءهم من القرآن جديد، قابلوه باللاهو والاستهتار واستمعوه وهم هازلون يلعبون ((لا هية قلوبهم)) والقلوب هي موضع التأمل والتدبر والتفكير.

إنها صورة للنفوس الفارغة التي لا تعرف الجد، فتلهو في أخطر المواقف، وتهزل في مواطن الجد وتستهتر في مواقف القداسة، فالذكر الذي يأتيهم، يأتيهم ((من ربهم)) فيستقبلونه لاعبين بلا وقار ولا تقديس.

والنفس التي تفرغ من الجد والاحتفال بالقداسة، تنتهي إلى حالة من التفاهة والجذب والانحلال، فلا تصلح للنهوض بعبء، ولا الاضطلاع بواجب، ولا القيام بتكليف، وتغدوا الحياة عاطلة هينة رخيصة، إن روح الاستهتار التي تلهو بالمقدسات روح مريضة، والاستهتار غير الاحتمال، فالاحتمال قوة جادة شاعرة، والاستهتار فقدان للشعور واسترخاء" [في ضلال القرآن (17/2367) طبع دار الشروق].

وقد تعرض الغفلة للمسلم أحيانا، فيقع في معصية أو ترك طاعة بوسوسة من عدوه الشيطان، ولكن تقواه تدفعه إلى ذكر ربه فيتوب إليه اقتداء بأبيه آدم الذي عصى ثم تاب.

كما قال تعالى: ((إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون)) [الأعراف (201)]

وهذا هو العلاج الناجع للغفلة عندما تعرض للمسلم، وهو ذكر الله وتقواه.

وهما اللذان يفقدهما غير المسلم، ولهذا لا ينفعه إنذار ولا تنكير، كما قال تعالى في الكفار: ((إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون)) [البقرة (6)]

وقال تعالى في المنافقين: ((ومن الناس من يقول ءامنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين (8) يخادعون الله والذين ءامنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون (9)

في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون)) (10)
[البقرة]

وقال عنهم كذلك: ((إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون (1) اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون (2) ذلك بأنهم ءامنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون (3) [المنافقون]

فعلى المسلم أن يكون يقظا حريصا على وقاية نفسه من وسوسة عدوه، وهواه وغفلته التي تسبب له الخسارة:

الرجبة إلى الله

الإرادة الجازمة لعمل الخير

اغتنام الفرص قبل فواتها:

1- الشباب قبل الهرم

2- الفراغ قبل الشغل

3- الصحة قبل المرض

4- الغنى قبل الفقر

5- الحياة قبل الموت

الإجازات لا تسقط العبادات

الإجازات التي تمنح للعاملين، في أي عمل كان، هي تنظيم إداري وعقد بشري يجب الوفاء به، لقول الله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود)) [المائدة (1)] ولكنها لا تسقط حقوق الله وحقوق عباده عن أهل الإجازات.

فهناك فروض العين التي تجب على كل مسلم، سواء كان قائما بوظيفته أو في إجازته، كالصلوات الخمس وصيام رمضان...

وهناك فروض الكفاية التي إذا قام بها طائفة من المسلمين قياما كافيا، سقطت عن غيرها، مثل إمامة المصلين في المسجد، وبيان الحلال والحرام للناس، وعلاج المرضى، وإطعام الجائعين...

وهناك التنافس في الطاعات - وإن لم تكن فرض عين ولا فرض كفاية - ينبغي للمسلم الحرص عليها والمنافسة فيها، كنوافل الصلاة الراتبة وغيرها، وبخاصة قيام الليل، والصيام وبخاصة يومي الإثنين والخميس، والأيام البيض، والصدقات وقراءة القرآن ... وغير ذلك.

قال تعالى: ((وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين)) [آل عمران (133)]

وقال تعالى: ((والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجة أنهم إلى ربهم راجعون) (60) أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون (61) [المؤمنون]

وقال تعالى: ((ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعا إن الله على كل شيء قدير)) [البقرة (148)]

وقد أثنى الله تعالى على عباده المؤمنين الذين، يهجرون مضاجعهم لينتقروا إليه سبحانه ويقفوا بين يديه متضرعين، يخافون عذابه، ويطمعون في رحمته وثوابه، كما قال تعالى: ((إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون (15) تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون (16) فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون)) (17) [السجدة]

وقال تعالى: ((والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما)) [الفرقان (64)] وهناك المباحات التي يتحول فعلها أو تركها عند المؤمن إلى طاعات وعبادات، فيستكثر من طاعات ربه وطلب ثوابه ومرضاته...

لقد جعل الله تعالى إتيان الرجل امرأته صدقة يكتب الله تعالى له به الثواب، كما يثبه على ذكره من التهليل والتسبيح والتكبير، كما في حديث أبي ذر رضي الله عنه:

أن ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم. قال: (أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؟ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليل صدقة،

وأمر بالمعروف صدقة، ونهى عن منكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة) قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: (أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر) [صحيح مسلم، برقم (1006)

فقد تعجب الصحابة رضي الله عنهم من كون أن الله يثيب الرجل على إتيان امرأته، لأنه من المباحات التي يشتهيها، وليس من العبادات التي كانوا يظنون أن الأجور لا يكون إلا عليها، كنوافل الصلاة والذكر ونحوهما... فأخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم، أن إتيان الحلال استغناء به عن الحرام يثيب الله صاحبه عليه...

ولما سئل معاذ بن جبل رضي الله عنه: كيف تقرأ القرآن؟ قال: "أقرأ وأنا، ثم أقوم فأنتقوى بنومتي على قومتي ثم أحتسب نومتي بما أحتسب به قومتي" [صحيح ابن حبان (12/197)] ومعناه أنه رضي الله عنه، يرجو من الله أن يثيبه على نومه، كما يثيبه على قيام الليل، لأنه يتقوى بالنوم وهو مباح على قيام الليل وهو مندوب إليه.

وفي حديث عطية السعدي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين، حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس)، [الترمذي، برقم (2451) وقال: "حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه" والحاكم في المستدرک، برقم (7899) وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"

وبهذا يعلم أن المؤمن يستطيع أن يكون في عبادة دائمة لربه، يملأ الله ديوانه بالأجور في كل لحظة من لحظات حياته.

وهو مأمور بالاستمرار في عبادة ربه حتى يلقاه، كما قال تعالى: ((واعبد ربك حتى يأتيك اليقين)) [الحجر (99)]

وهو يستطيع أن يكون في عبادة دائمة، في كل أحواله، حتى وهو يتمتع بالمباحات التي تشتهيها نفسه.

فقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، يشعرون بقوة الإيمان واليقين، عندما يكونون عند الرسول صلى الله عليه وسلم.

فإذا خرجوا من عنده، وزاولوا أعمالهم المباحة مع أهلهم أو في أموالهم، شعروا بنقص في إيمانهم، فيندمون ويشكوا بعضهم إلى بعض، ثم يشكون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيسليهم بأن هذه طبيعة البشر التي لا قدرة لهم على مفارقتها، ويقول لهم: (ساعة فساعة).

فعن حنظلة الأسيدي، قال وكان من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال: لقيني أبو بكر فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال قلت: نافق حنظلة.

قال سبحان الله! ما تقول؟ قال قلت: نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالنار والجنة حتى كأننا رأى عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، فنسينا كثيرا.

قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله قلت: نافق حنظلة يا رسول الله. فقال رسول الله : (وما ذاك؟) قلت يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأننا رأى عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، نسينا كثيرا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات) [صحيح مسلم، برقم (2750)]

ومع ذلك فما على المسلم إلا أن ينوي بترك المباح وفعله طاعةً لله تعالى، فينقلب ذلك المباح إلى طاعة يرضي بها ربه، فطعامه وشرابه، وملبسه ومركبه، ورياضته وبيعه وشرائه، وسفره وإقامته، وتمتعه بالمناظر الجميلة في البر والبحر والجبل والصحراء والغابات، واجتماعه مع أصدقائه.... كل ذلك يكون طاعة وعبادة لله، بسبب إرادته به وجه ربه.

بل إن الله تعالى ليأجر المسلم حتى على اللقمة يضعها في فم امرأته كما في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

(... وإنك لن تدفق نفقة إلا أجرت عليها حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك...)

[صحيح البخاري، برقم (6352) ومسلم، برقم (1628)]

وقال النووي رحمه الله: "وفيه أن المباح إذا قصد به وجه الله تعالى، صار طاعة ويثاب عليه، وقد نبه صلى الله عليه وسلم على هذا بقوله صلى الله عليه وسلم: حتى اللقمة تجعلها في في امرأتك، لأن زوجة الإنسان هي من أخص حظوظه الدنيوية وشهواته وملآذه المباحة" شرح النووي على مسلم (11/77)

و قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "قال بن دقيق العيد فيه أن الثواب في الإنفاق مشروط بصحة الذية وابتغاء وجه الله وهذا عسر إذا عارضه مقتضى الشهوة فإن ذلك لا يحصل الغرض من الثواب حتى يبتغي به وجه الله وسبق تخليص هذا المقصود مما يشوبه قال وقد يكون فيه دليل على أن الواجبات إذا أدت على قصد أداء الواجب ابتغاء وجه الله أثيب عليها فإن قوله حتى ما تجعل في في امرأتك لا تخصيص له بغير الواجب ولفظة حتى هنا تقتضي المبالغة في تحصيل هذا الأجر بالنسبة إلى المعنى كما يقال جاء الحاج حتى المشاة" [فتح الباري (5/367)] مشروع للإجازة الصيفية:

تنظيم الوقت والبدء بالأولويات، من أهم ما يحرص عليه العقلاء الذين يسوؤهم ضياع أي وقت من أعمارهم، ونحن هنا لا نقصد الكسالى والفارغين الذين يصرون على ضياع أوقاتهم في غير ما ينفعهم في الدنيا والآخرة، فهؤلاء يحتاجون أن يجاهدوا أنفسهم حتى يقنعوا بوجوب الحرص على العمر من حيث هو، وما مضى من نصوص القرآن وصحيح السنة كاف لمن عنده رغبة في استغلال وقته فيما يفيد.

وإنما نقصد هنا أولئك الذين تشتد رغبتهم ويقوى عزمهم على استغلال أوقاتهم فيما ينفعهم وينفع أسرهم وأمتهم، في دينهم وأخراهم، ولكن كثيرا منهم يعوزه تنظيم وقته وترتيب أولوياته، فتراه كثير القراءة كثير الحركة، ولكنه في قراءته وحركاته يخبط خبط عشواء.

تجده يأخذ أي كتاب بدون هدف معين ويبدأ يقلب صفحاته، ويقرأ أسطرا أو صفحات قليلة منه، ثم يقفز إلى موضوع آخر فيقلب بعض صفحاته، وقد يحرك لسان بالقراءة، وذهنه شارد لا يعي شيئا مما يقرأ....

وهكذا يفعل في قراءة الجرائد والمجلات، وقد يفعل ذلك في سماع الأشرطة أو المذياع أو التلفاز... فيمضي الوقت وهو يقفز هنا وهناك، ولا يدري ما ذا يجري...

وهكذا يفعل في كثير من حركاته لا تنظيم لها ولا ترتيب، وفي ذلك من ضياع العمر ومن الخسارة ما فيه.

ولست أزعم أنني سأحدد لأصحاب الإجازات مسافرين أو مقيمين أولوياتهم، فلكل شخص احتياجاته وضروراته، وهو الذي يعلم أولوياته، ولكنه يحتاج إلى تدبر أمره ومعرفة ما ينبغي تقديمه أو تأخيره، فإذا وفقه الله تعالى لذلك ونظم وقته وبدأ بالأهم فالمهم، واستغل وقته استغلالاً مناسباً، فستكون عاقبته النجاح بإذن الله.

وبعد هذه المقدمة أقترح لصاحب الإجازة هذا المشروع، مجرد اقتراح، فقد يكون لديه مشروع أشمل من هذا المشروع المقترح، يغنيه عن اقتراحي.

أولاً: مشروع إيماني:

إن أهم ما يجب أن يحرص عليه المسلم، هو المحافظة على إيمانه، وتقويته، بالازدياد من تقوى ربه بالأعمال الصالحة، فرائضها ونوافلها، فذلك هو الذي يقوي إيمانه، ويقربه إلى ربه تعالى.

وإني أقترح عليك أيها المؤمن شاباً وشابة وكبيراً وكبيرة، مقيماً ومسافراً، الأمور الآتية:

الأمر الأول: قراءة ما تيسر لك من القرآن وأقله نصف جزء يومياً.

الأمر الثاني: قراءة تفسير بعض الآيات، مفتشاً عن نفسك فيها، جاعلاً لها مرآة التي يتبين لك فيها حالة قلبك من صفاء وغيره، لتتمكن من صقله باستمرار.

ومن الآيات التي أنصح بقراءة تفسيرها:

1- سورة الفاتحة.

2- الآيات الأولى من سورة البقرة إلى قوله تعالى: ((يا أيها الناس اعبدوا ربكم))

3- الآيات الأولى من سورة الأنفال إلى قوله تعالى: ((ولو كره المجرمون)) رقم (

8)

- 4- الآيات الأولى من سور المؤمنون إلى قوله تعالى: ((ثم إنكم يوم القيامة تبعثون)) رقم (16)
- 5- الآيات الأخيرة من سورة الفرقان، من قوله تعالى: ((وعباد الرحمن)) رقم (63) إلى آخر السورة
- 6- آيات في سورة الأحزاب، من قوله تعالى ((يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم)) رقم (9) إلى الآية رقم (27)
- 7- سورة الحجرات.
- 8- سورة العصر.
- 9- السور الثلاث في آخر القرآن الكريم
- ويمكنك أن تختار ما يتيسر لك من كتب التفسير، كتفسير القرآن العظيم لابن كثير.... ولو جمعت معه "في ظلال القرآن" قد يكون النفع أكثر.
- وإذا كان وقتك أضيق من أن يتسع لهذا الاقتراح، فلك أن تختار ما تقدر عليه... الأمر الثالث: قراءة ما يتيسر لك من الأبواب الآتية من كتاب "رياض الصالحين"
- 1- مقدمة الإمام النووي للكتاب
 - 2- بالإخلاص وإحضار النية.
 - 3- باب التوبة.
 - 4- باب الصبر
 - 5- باب الصدق
 - 6- باب المراقبة
 - 7- باب اليقين والتوكل
 - 8- باب المبادرة إلى الخيرات....
 - 9- باب المجاهدة
 - 10- باب في بيان كثرة طرق الخير
 - 11- باب في التعاون على البر والتقوى
 - 12- باب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
 - 13- باب بان تعظيم حرمة المسلمين....

- 14- باب الإصلاح بين الناس
 - 15- باب الوصية بالنساء
 - 16- باب وجوب أمر أهله وأولاده المميزين
 - 17- باب بر الوالدين وصلة الأرحام
 - 18- باب توقير العلماء والكبار وأهل الفضل...
 - 19- باب إجراء أحكام الناس على الظاهر...
 - 20- باب الخوف والرجاء
 - 21- باب ذكر الموت وقصر الأمل
 - 22- باب استحباب زيارة القبور
 - 23- باب الورع وترك الشبهات
 - 24- باب ترك الكبر والإعجاب
 - 25- باب العفو والإعراض عن الجاهلین
 - 26- باب الوالي العادل
 - 27- باب حفظ السر
 - 28- باب الوفاء بالعهد
 - 29- كتاب آداب النوم
 - 30- باب الاستئذان وآدابه
 - 31- باب آداب السير....
 - 32- باب فضل قيام الليل
 - 33- كتاب العلم
 - 34- كتاب الأذكار [اختيار ما تيسر من هذا الكتاب]
 - 35- كتاب الأمور المنهي عنها [اختيار ما يرى القارئ حاجته إليه ...]
 - 36- باب بيان ما أعد الله تعالى للمؤمنين في الجنة
- الأمر الرابع: حضور بعض الحلقات العلمية التي يقوم بها بعض العلماء والدعاة إلى الله، لتزداد علما من أهله، فالمسلم في حاجة إلى شيخ يصقل قلبه بالإيمان، ويغذي عقله بالعلم النافع، وهو ما كان يفعله الرسول صلى الله عليه وسلم مع

أصحابه، والصحابة مع التابعين، وهكذا...ويمكن الاستفادة من بعض المعسكرات والمخيمات الصيفية التي تهتم بالتربية والتعليم والثقافة والرياضة وغيرها مما فيه فائدة.

الأمر الخامس: القيام بتعليم الجهال أمور دينهم، وبخاصة فروض العين التي يجهلها أو يجهل تفاصيلها كثير من الناس، مثل أركان الإيمان وأركان الإسلام، مثل قراءة الفاتحة وبعض السور القصار من القرآن الكريم، وصفة الوضوء وصفة الصلاة، وغير ذلك مما يجب على المسلم.

الأمر السادس: القيام بالدعوة إلى الله وبيان الواجبات للناس وحثهم على فعلها وعدم التقصير فيها، توضيح والمحرمات وحثهم على تركها والابتعاد عنها، بل حثهم على نوافل الطاعات وترك مكروهااتها، ارتقاء بتقواهم إلى الأفضل لهم.

الأمر السابع: صلة الأرحام بزياراتهم ومواساتهم ماديا ومعنويا، وبخاصة الذين يسكنون بعيدا عن مقر عملك، لأن في الإجازة فرصة قد لا تتاح في غيرها... وإن كان ينبغي الحرص على صلتهم في غير الإجازات في حدود المقدرة.

الأمر الثامن: الصلح بين المتخاصمين من الأقارب وغيرهم، من الأزواج والآباء والأبناء والجيران، لما في ذلك من وقاية الأمة من التنازع والتقاطع والتدابير التي نهى الله تعالى عنها ورسوله، وفي ذلك من الأجر ما فيه، كما هو معروف من القرآن والسنة...

الأمر التاسع: تفقد أحوال المسلمين في داخل بلدك وخارجه، وإغاثة من يحتاج منهم إلى الإغاثة، من مسكن ومأكل وكساء ودواء وغيره، وإذا كنت غير قادر على ذلك بنفسك، فاجتهد في جمع التبرعات من المحسنين، وأوصل ما تتمكن منه إلى مستحقيه بنفسك إن أمكن وإلا عن طريق الجمعيات الخيرية المأمونة.

وإن من أجدر المسلمين بالعناية في هذا الباب، هم إخواننا الفلسطينيين الذين لا تخفى حاجاتهم على كل الناس في الأرض، فكم يتيم وأرملة ومعوق ومريض ومشرد بلا مأوى... فيجب على كل قادر أن يساعدهم بما يقدر عليه....

ولا تنس يا أخي المسلم نفسك بالإكثار من نوافل الطاعات صلاة وصياما وصدقة وغيرها...

ثانياً: مشروع رياضي تقوي به الإنسان جسمه، ويدفع عنه الكسل والترهل والأمراض الناشئة عن عدم الحركة، فربنا تعالى لم يخلق الإنسان ليأكل ويشرب ويقعد ويقف وينام ولا يتحرك، بل خلقه ليستعمل كل الأدوات التي ركبها فيه، عقلية كانت أو جسمية، فإذا عطل أي أداة من تلك الأدوات، فقد كفر نعمة الله عليه بتلك الأداة، والحركة أمر فطري تجده في جميع الحيوانات.

وإنك لترى الطفل الصغير يتحرك في بطن أمه، ثم إذا خرج من رحمها لا يفتأ متحركاً يلتفت يمناً ويسرة ويحرك يديه ورجليه، وبحركتهما يتحرك جسمه كله. وكلما زادت حركته طمع في المزيد منها، فتجده يتقلب على سريره يمينا ويسارا، ثم يبدأ يزحف على بطنه، كأنه يسبح في الماء، ثم يحاول الوقوف على قدميه، متكئاً على أطراف السرير أو الجدار، ثم يتدرب على المشي، فيقوم ويسقط، حتى يتمكن من مغادرة غرفته إلى خارجها... وهكذا حتى يصبح كغيره ممن سبقوه في العمر، فيغادر المنزل ثم الحي ثم المدينة فالقرية فالبلد.... وهي رياضة فطرية تقتضيها طبيعة الحياة...

فإذا تقدم بالإنسان العمر، وكثرت أعماله ومشاغله، بدأ جسمه يثقل، وإرادة الحركة عنده تضعف، وبخاصة من كان عمله يقتضي الجلوس في مكتب أو البقاء في مكان معين كالحراسة أو البيع والشراء في دكان أو معرض، وقد لا يخرج من منزله أو يعود إليه إلا على وسيلة نقل لا مجهود لجسمه في قيادتها - سواء كان راكباً أو سائقاً - كالسيارة....

فيترتب على ذلك حدوث أمراض وأوجاع، قد تحول بين الإنسان والنشاط المفيد له في معاشه ومعاده...

المسابقة على الأقدام

ودربهم صلى الله عليه وسلم على المسابقة على الأقدام وكان هو قدوتهم في ذلك. قال ابن القيم رحمه الله: "فأما مسابقته بالأقدام، ففي مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود من حديث عائشة، قالت: سابقني النبي صلى الله عليه وسلم فسبقته، فلبثنا حتى إذا أرهقني اللحم سابقني فسبقني، فقال: (هذه بتلك).

وفي رواية أخرى أنهم كانوا في سفر، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: (تقدموا) ثم قال: (سابقيني فسبقته ثم سابقني وسبقني)، فقال: (هذه بتلك).

وفي صحيح مسلم عن سلمة بن الأكوع قال: بينما نحن نسير وكان رجل من الأنصار لا يسبق أبدأ، فجعل يقول: ألا مسابق إلى المدينة؟ هل من مسابق؟ فقلت: أما تكرم كريماً وتهاب شريفاً؟ قال: لا، إلا أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي ذرني أسابق الرجل، فقال: (إن شئت)، فسبقته. [الفروسية ص 3].

وفائدة التدريب على المسابقة بالأقدام والعدو، ظهرت جلية عندما أخذت غطفان لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأدركهم سلمة بن الأكوع العداء الذي أكرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأردفه على ناقته.

قال سلمة: "خرجت قبل أن يؤذن بالأولى، وكانت لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم ترعى بذي قرد، قال فلقيني غلام لعبد الرحمن بن عوف، فقال: أخذت لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت من أخذها، قال غطفان.

قال فصرخت ثلاث صرخات يا صباحاه، فأسمعت ما بين لابتي المدينة، ثم اندفعت على وجهي حتى أدركتهم، وقد أخذوا يستقون من الماء، فجعلت أرميهم ببلي وكنت رامياً وأقول:

أنا ابن الأكوع،،،،،،،، اليوم يوم الرضع

وأرتجز حتى استنقذت اللقاح منهم واستلبت، منهم ثلاثين بردة.

قال: وجاء النبي صلى الله عليه وسلم والناس فقلت: يا نبي الله قد حميت القوم الماء وهم عطاش، فابعث إليهم الساعة فقال: (يا ابن الأكوع ملكت فأسجج) قال: ثم رجعنا ويردني رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقته، حتى دخلنا المدينة".

[البخاري رقم 4194، فتح الباري (7/460) ومسلم (3/1432) ومعنى "فأسجج" قال النووي في شرحه لمسلم ((12/174)): "معناه فأحسن وارفق والسجاجة

السهولة، أي لا تأخذ بالشدة، بل ارفق، فقد حصلت النكابة في العدو].

التدريب على المصارعة

ودربهم صلى الله عليه وسلم على المصارعة، كما صارع صلى الله عليه وسلم ركانة بن عبد يزيد. [سنن الترمذي، برقم (1784) وسنن أبي داود، برقم (4078) والمستدرک علی الصحیحین برقم (5902) وذكره ابن القيم في الفروسية ص 3].
وجعل صلى الله عليه وسلم، السابق في المصارعة مسوغاً للإذن بالانخراط في الجيش الإسلامي لصغار السن.

قال ابن هشام: "وأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ - أي يوم أحد - سمرة بن جندب.. ورافع بن خديج.. وهما ابنا خمس عشرة سنة، وكان قد ردهما، فقيل له: يا رسول الله: إن رافعا رام، فأجازه، فلما أجاز رافعاً قيل له يا رسول الله فإن سمرة يصرع رافعاً، فأجازه". [السيرة النبوية (2/66)].

ثالثاً: كل نفس بما كسبت رهينة

لا يستغني كلُّ منا عن التوجيه والنصيحة، والجلس الصالح، و اتخاذ من يكون له قدوة حسنة يدلّه على الخير ويحضه على فعله، ويبين له الشر ويحضه على تركه، وبخاصة العلماء العاملين الناصحين الذين يصفقوننا بالإيمان العميق والعبادة الشاملة، والأعمال الصالحة، والأخلاق الحسنة الفاضلة، و العلم النافع.

ولكن العبء الأكبر في صلاحنا وإصلاحنا يبقى السعي إليهما واتخاذ الوسائل إلى تحقيقهما على كواهلنا، لأن كل إنسان مسئول مسئولية فردية كاملة [بعد بلوغه سن الرشد والتكليف] عن نفسه، سواء في حق نفسه الذي كلفه الله تعالى القيام به، أو حق ربه الذي فصل منهجه في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، أو حقوق المخلوقين غيره، من أقاربه وجيرانه، وكل من يتعامل معه في حياته...

ويمكن أن يضرب لذلك مثالا شاملا:

يجب على ولي أمر الطفل [من أب وأم وأقارب] أن يقوم على مصالحه المادية والمعنوية، في طفولته وصباه، تغذية وتنظيفاً وتعليماً وعبادة، وسلوكاً ودعوة إرشاداً إلى كل نافع، وتحذيراً من كل ضار....

ثم تأتي مسئولية المعلم في المدرسة أو الجامعة، أو المسجد وحلقة العلم فيه أو في غيره، وهو في كل تلك المؤسسات يتلقى مزيداً من العلم والمعرفة والتوجيه والنصح، ويأخذ حظه من كل علم من العلوم دينية كانت أو دنيوية [معلوم أن

العلوم الدينية والدنيوية في الإسلام يجمعها هدف عمارة الأرض التي استخلف الله فيها الإنسان، وهي بذلك تكون بالنية الخالصة مثابا عليها، كما هو معروف] وتنتهي مهمة ولي الأمر والمعلمون عند قيامهم بواجب التعليم والتوجيه لهذا الإنسان [إلا فيما يتعلق بالنصح عند الحاجة] ويتحمل هو بعد ذلك القيام بما هو مكلف القيام به.

فهو مسئول عن أداء حقوق نفسه وحقوق ربه وحقوق غيره من المخلوقات، بشرا كانوا او حيوانا، أو غير ذلك من وظائفه، وله ثواب عمله، وعليه إثم، ولا يتحمل أحد عنه ما لزمه القيام به.

فولي أمره علمه وجوب أدائه الصلوات الخمس في أوقاتها، وتابعه في ذلك عندما كان مسئولا عنه فيها، ولكنه أصبح بعد أن بلغ رشده وأصبح مكلفا أداء تلك الصلوات، مسئولا مسئولية مباشرة عن أداء تلك الصلوات في أوقاتها، فعليه يقوم بها، ولا ينتظر من يأمره بها عند وقت كل صلاة، فالله تعالى هو الرقيب عليه، ولا يمكن أن يراقبه أحد في كل أوقاته غير ربه، وهكذا صيامه وزكاته وحجه إنفاقه على أهله.....

وطببيه علمه الطب في أي تخصص من فروع، ودربه على ذلك تدريبا كاملا، وحمله مسئولية قيامه بهذه المهنة قياما كافيا بصدق وأمانة، فقد أصبح طبيبا مسئولا أمام الله تعالى عن حقوق مرضاه، فهو المسئول مسئولية فردية عن الكشف على مرضاه وتحليل مرضهم، ووصف الدواء لهم، وليس على أستاذه الطبيب مرافقته في عيادته، والإشراف على مرضاه، وتحمل الآثار الناتجة عن نشاطه، فله صوابه عمله، وعليه أخطأؤه...

وهكذا من علمه أستاذه أي علم من العلوم، كالالاقتصاد والسياسة والإعلام، والتربية والتعليم و الرياضة بأنواعها ومنها السباحة، والشئون العسكرية، وقيادة المراكب كالطائرة والسيارة والسفينة، والمركبات الفضائية، والتجارة والزراعة والنجارة والخبازة والخياطة، يصبح مسئولا هو عن مزاولة وظيفته، وليس على أستاذه الذي بذل جهده في تعليمه مسئولية في ذلك، بل لأستاذه فضله وأجره عند ربه، وعلى التلميذ فيما أساء فيه وزره.

وإذا رجع المسلم إلى القرآن والسنة، وجد هذا المعنى [مسئولية كل إنسان عن نفسه] بارزا فيهما، قد دلت نصوص كثيرة من الكتاب والسنة

فمن الأمثلة القرآنية: قوله تعالى: ((ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون)) [الأنعام (164)]

قال القرطبي في تفسير الآية: "قوله تعالى: ((ولا تزر وازرة وزر أخرى)) أي لا تحمل حاملة ثقل أخرى، أي لا تؤخذ نفس بذنب غيرها، بل كل نفس مأخوذ بجرمها ومعاقبة بإثمها..." [الجامع لأحكام القرآن]

وقال ابن كثير: "ثم قال ((ولا تزر وازرة وزر أخرى)) أي لا يحصل أحد ذنب أحد ولا يجني جان إلا على نفسه، كما قال تعالى: ((وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء))

ولا منافاة بين هذا وبين قوله: ((وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم)) وقوله: ((ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم)) فإن الدعاة عليهم إثم ضلالتهم في أنفسهم، وإثم آخر بسبب ما أضلوا، من غير أن ينقص من أوزار أولئك ولا يحمل عنهم شيئا، وهذا من عدل الله ورحمته بعباده" [تفسير القرآن العظيم]

وقوله تعالى: ((ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما)) [النساء (111)]

قال ابن كثير في تفسير الآية: "وقوله ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه (الآية) كقوله تعالى: ((ولا تزر وازرة وزر أخرى)) الآية. يعني أنه لا يغني أحد عن أحد، وإنما على كل نفس ما عملت لا يحمل عنها غيرها" [تفسير القرآن العظيم]

وقوله تعالى: ((ولا تزر وازرة وزر أخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ومن تزكى فإنما يتركى لنفسه وإلى الله المصير)) [فاطر (18)]

قال ابن كثير في تفسير الآية: "وقوله تعالى: ((ولا تزر وازرة وزر أخرى)) أي يوم القيامة ((وإن تدع مثقلة إلى حملها)) أي وإن تدع نفس مثقلة بأوزارها، إلى أن تساعد على حملها ما عليها من الأوزار أو بعضه لا يحمل منه شيء ولو كان ذا

قربى أي وإن كان قريبا إليها حتى ولو كان أباهما أو أبناها كل مشغول بنفسه وحاله... [تفسير القرآن العظيم]

وقوله تعالى: ((ألا تزر وازرة وزر أخرى (38) وأن ليس للإنسان إلا ما سعى (39) وأن سعيه سوف يرى (40) ثم يجزاه الجزاء الأوفى (41) [النجم] قال ابن كثير في تفسير الآية: "ثم شرع تعالى يبين ما كان أوحاه في صحف إبراهيم وموسى فقال: ((أن لا تزر وازرة وزر أخرى)) أي كل نفس ظلمت نفسها بكفر أو شيء من الذنوب، فإنما عليها وزرها لا يحمله عنها أحد، كما قال: ((وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى)) ((وأن ليس للإنسان إلا ما سعى)) أي كما لا يحمل عليه وزر غيره، كذلك لا يحصل من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه [تفسير القرآن العظيم]

وقوله تعالى: ((علمت نفس ما أحضرت)) [التكوير (14)]

وقوله تعالى: ((علمت نفس ما قدمت وأخرت)) [الانفطار (5)]

و"نفس" في الآيتين تفيد العموم، وإن كانت نكرة في سياق الإثبات، وهذا ما أشار إليه المفسرون، فقد قال ابن كثير: "وقوله تعالى: ((علمت نفس ما أحضرت)) هذا هو الجواب، أي إذا وقعت هذه الأمور حينئذ تعلم كل نفس ما عملت وأحضر ذلك، كما قال تعالى: ((يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا))"

وقال البخاري في تفسيره: "علمت عند ذلك كل نفس ما أحضرت من خير أو شر"

وقال البيضاوي في تفسيره: "ونفس في معنى العموم كقولهم تمرة خير من جرادة" ومن أمثلة السنة:

حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه، يقول كنت عند رسول الله فجاءه رجلان أحدهما يشكو العيلة والآخر يشكو قطع السبيل فقال رسول الله: ((...ثم ليقفن أحدكم بين يدي الله ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له، ثم ليقولن له: ألم أوتك مالا؟ فليقولن بلى. ثم ليقولن ألم أرسل إليك رسولا؟ فليقولن بلى. فينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار، ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار) [البخاري، برقم (1347)

ومسلم، برقم (1016)

ومن أمثلتها حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

قال: قال رسول الله حين أنزل عليه ((وأندر عشيرتك الأقربين)): (يا معشر قريش اشترُوا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، يا فاطمة بنت رسول الله سليني بما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً) [صحيح البخاري، برقم (3336) و صحيح مسلم، برقم (206)]

فقد حمل الرسول صلى الله عليه وسلم [يعد أن بلغ رسالة ربه] كل فئة وكل شخص، حتى أقرب المقربين إليه، مسئوليتهم عن أنفسهم، وبين لهم أن قرابتهم له لا تفيدهم شيئاً، إذا لم يستجيبوا لدعوة الله. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم، يوصي أمراءه المجاهدين أو الدعاة، بما يجب أن يقوموا به، ثم ينطلق كل منهم مؤدياً ما أمره به نبيه. ولنذكر لذلك مثالين:

المثال الأول يتعلق بأمراء الجهاد ومن معهم من المقاتلين:

ففي حديث بريد رضي الله عنه، قال: كان رسول الله إذا أمر أميراً على جيش أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: (اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله.

اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم.

ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلاهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين.

فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم.

وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله.

وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا؟ [صحيح مسلم، برقم (1731)]

يؤخذ من هذا الحديث، أن الرسول صلى الله عليه وسلم، كان يحرص على استقامة أمرائه في أنفسهم، ولهذا كان يبدأ وصيته لهم بتقوى الله.

كما يحرص على عناية الأمراء بجيوشهم الذين تولوا إمارتهم، بأن يعاملوهم معاملة حسنة تدقق لهم الخير، لما في ذلك من الوثام والود والمحبة التي تجعل الجيش ينقاد لأمره انقياد رضا واطمئنان، وليس انقياد قسر وإكراه، وهذا جدير بأن يحقق الله تعالى لهم النصر على أعدائهم.

ثم يحرص صلى الله عليه وسلم على أن يكون هدف المجاهدين، الجهاد في سبيل الله، ولهذا يقول لهم: (اغزوا باسم الله) وليس باسم آخر من القوميات والعصبيات والأموال وغيرها..

ثم حذرهم صلى الله عليه وسلم من المعاصي التي لا يرجى لأهلها نصر على أعدائهم، فينهاهم عن الغلول والغدر والاعتداء على غير المقاتلين، من الأعداء.

ثم يبين لهم منهج غزوهم، ويبين لهم أنهم قد يجتهدون ويخطئون في اجتهادهم، فعليهم ألا ينسبوا اجتهادهم إلى الله تعالى، بل إلى أنفسهم، حتى يعلم غير المسلمين أن الإسلام بريء من خطئهم...

المثال الثاني يتعلق بالدعاة إلى الله:

فقد كان صلى الله عليه وسلم، يوصي أصحابه الذين يبعثهم للدعوة إلى الله، بالتيسير على المدعوين وتبشيرهم بما يسرهم في استجابتهم لهذه الدعوة، وبنهاهم عن الأسباب المنفرة للناس عن دعوتهم.

كما في حديث أبي بردة قال: سمعت أبي قال: بعث النبي أبي ومعاذ بن جبل إلى اليمن، فقال: (يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا) [البخاري، برقم (6751) ومسلم، برقم (1733)]

كما كان يذبه من أرسله للدعوة إلى الله، أن يستعد للقوم الذين يدعوهم، بمعرفة عقائدهم وثقافتهم، حتى يكون على بصيرة بأمرهم، فيبني خطابه لهم على أساس تلك المعرفة، ويأمره أن يتدرج في دعوتهم فيدعوهم إلى الأهم فالمهم، وأن يرفق بهم فيما يأخذه منهم، ويبتعد عن ظلمهم الذي يعرضه لسخطهم عليه ودعوتهم عليه، وأن دعوة المظلوم مستجابة.

فقد روى ابن عباس رضي الله عنه، أن معاذ رضي الله عنه، قال: "بعثني رسول الله قال: (إنك تأتي قوما من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله).

فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة.

فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب)" [صحيح مسلم، برقم (19)]

فليح هذا الدروس كل مسلم، وبخاصة طلبة العلم والدعاة إلى الله، الذين يجب أن يهتموا بأنفسهم، بعد أن يصقلهم علماءهم وأساتذتهم بالعلم والتزكية الربانية، وتوعيتهم بما ينفعهم وما يضرهم، فيحرصوا على حفظ ما تعلموه وفقهه والعمل به، ويتنبهوا لما زودهم به من نصائح تصون دعوتهم من النكسات، وما أرشدوهم إليه من وسائل تحمي مسيرتهم، من تسلط أعداء دعوتهم عليهم، وعليهم أن يستحضروا مسئوليتهم أمام ربهم، فلا ينتظروا دائما التذكير والإشراف والمتابعة من قبل غيرهم لهم [وإن كان التذكير والمتابعة مطلوبة].

وعليهم كذلك أن يسلكوا مسلك علمائهم وأساتذتهم في صقل غيرهم بالعلم والتزكية الربانية، ليستمر انتشار العلم وتستمر تزكية الأجيال وتقواهم لربهم تعالى، فينقل كل جيل حقائق الإسلام والعمل بها، إلى الجيل الذي يليه، كما نقل جيل الصحابة

ذلك إلى جيل التابعين، ونقل جيل التابعين ذلك إلى جيل أتباعهم، وهكذا حتى وصل ذلك إلينا...

شبهة مدفوعة:

قد يقال: ما سبق ظاهر أن الإنسان مسئول عن نفسه، فلا يجزى إلا على ما اكتسبه، من خير أو شر، ولكن بعض الآيات والأحاديث دلت على أنه يحمل أثقالاً أخرى مع أثقاله، ويحمل ذنوباً من ذنوب من أضله.

كما قال تعالى: ((وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون (12) وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون)) (13) [العنكبوت]

وقال تعالى: ((ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون)) [النحل (25)]

والجواب أن هؤلاء إنما حملوا ذنوبهم التي باثروها بأنفسهم، وذنوبهم على دعوة غيرهم إلى الكفر بالله ومعصيته، كما سبق قريباً في قول ابن كثير:

"ولا منافاة بين هذا وبين قوله: ((وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم)) وقوله: ((ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم)) فإن الدعاة عليهم إثم ضلالتهم في أنفسهم، وإثم آخر بسبب ما أضلوا، من غير أن ينقص من أوزار أولئك ولا يحمل عنهم شيئاً، وهذا من عدل الله ورحمته بعباده"

وكذلك ينتفع المسلم بعمل الخير الذي لا تنقطع فائدته بعد مماته، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله قال: (إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة، إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له) [صحيح مسلم، برقم (1631)].

فكن يا أخي المؤمن محافظاً على عبادة ربك في كل حين، في إيمانك، وفي تعلمك وتعليمك، وفي صلاتك وصيامك وحجك وعمرتك وذكرك، وفي قراءة كتاب ربك، وفي صلاتك على نبيك، وفي دعوتك إلى دينك، وفي أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر، وفي رياضتك البدنية، وفي حلك وترحالك، وفي كل عمل مباح تأتبه أو

تدعه، فقط تحتاج إلى أن تتوي بذلك وجه ربك... فاحرص على هذه النية لتكثر حسناتك.

((واعبد ربك حتى يأتيك اليقين))

((قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين (162) لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين)) (163) [الأنعام]
كتبه

د . عبد الله قادري الأهدل

=====

رب همة أحييت أمة بإذن الله

خباب بن مروان الحمد

لله درُّ المتنبي حين قال في ميميته الرائعة مادحاً الباحثين عن المتاعب بلا ملل ولا سأم:

عجبت لمن له حد وقد وينبو نبوة القضم الكهام

ومن يجد الطريق إلى المعالي فلا يذر المطي بلا سنام

ولم أر في عيوب الناس عيباً كنتقص القادرين على التمام

يرتسم في هذه الأيام على وجوه الكثير من أبناء المسلمين حالةٌ مرعبة من الحزن والكآبة، ويسري في نفوسهم دخان الهزيمة والوهن؛ وذلك لما يرونه أو يسمعونه في وسائل الإعلام العالمية بشتى أنواعها، عن صور لمآسي المسلمين في أصقاع المعمورة؛ فمنهم المقتول قتلاً لا يحتمل المسلم أن يراه، ومنهم الذي سجن في صورة تآبى النفس البشرية أن تراها لحيوان فضلاً عن أن تراها لإنسان له شعوره وأحاسيسه، ومنهم تلك الثكلى التي فقدت زوجها وأبناءها تحت البيت الذي هدمته أسلحة الدمار التي لا ترحم، وتلك المنكوبة تبكي وتتأوه..... ولا نصير!!!

صور تتعدد، ومأس تتكرر، اعتادت العين على رؤيتها، والأذن على سماعها.

في ظل تلك الأحداث المفجعة، والأزمات الموحجة، وفي أزمة الصراع العالمي بين الإسلام والكفر، وفي عصر الانقسامات والحزبيات، وفي زمن اليأس والقنوط الذي خيم بكلكله على قلوب كثير من المسلمين، وأطبق على أفئدتهم.. في ذلك كله... ألا

يجدر أن نتحدث الأقلام عن أهمية بروز القائد الذي يصنع الأجيال، ويربى الأبطال، ويبرز المواهب، ويصقل النفوس فيرببها على الإيمان والجهاد، ويعيد إكسير الحياة العزيزة إلى قلوب حطمتها أمم الكفر، وأذاقتها مر الويلات. القائد الذي تتبع أفعاله وأقواله من الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، ويحكم الناس بلا إله إلا الله؛ فهي شريعة كاملة ومنهج حياة. القائد الذي يمسك بزمام المبادرة لنصرة الإسلام، ويتحدث أمام العالم أجمع بأن المسلمين هم الأحق بالصدارة والريادة على جميع الأمم. القائد الذي يزار لصرخات المنكوبين، ويستعلي على علو الطغاة والكافرين، وتستروح النفوس لسماع كلماته، وجميل عباراته في إغاظة أعداء الدين. ذلك القائد الذي يبدأ مفعوله من همة تحاكي القمة، وعزيمة تصنع الإباء، وجرأة بحكمة يسطرها التاريخ.

إنه أمل لأمة تحلم به منذ زمن بعيد، ويا له من أمل!

أمل إليه هفت قلوب الناس في الزمن البعيد.

أمل له غور القديم كما له سحر الجديد.

وبعد هذه الطرق لأوصاف هذا القائد الذي ينتظر المسلمون قدومه من وقت مديد، فإنني وبكل صراحة أقول:

أيها القارئ الفاضل - إنني أخاطبك بكل شفافية وهدوء.....

أخاطب فيك عقلك الكريم، ونفسيك الجذابة، وهمتك الوثابة، فأقول: لِمَ عَوَدْنَا أَنفُسَنَا منذ أن خُلِقْنَا لحالات الترقب والانتظار في أي شيء سيحصل للمسلمين، وأبعدنا النُّجعةَ عن العمل لهذا الدين، وصناعة الحدث، وصياغة القرار؟ عنراً؛ فهذه هي الحقيقة، ولا بأس أن تطرح لتعالج، وقد قيل: (المؤمنون نَصَحَةٌ، والمنافقون غَشَشَةٌ)؟

لماذا إذا قرأنا عن القائد الذي سيقود الأمة إلى بر السلام والأمان قلنا: ومتى يأتي؛ فلطالما انتظرناه، وهفت قلوبنا للقياء؟ وهو ابن من؟ وما أوصافه؟ وما هي مؤهلاته؟ ومن أي بلد هو؟ وأين يقطن؟.. إلى غيرها من الأسئلة والاستفسارات التي ترطن بها ألسنتنا، وتبوح بها أفئدتنا، ونبقى نكررها إلى أن يوافينا الأجل.

ألم تفكر – أيها الأخ الكريم – أن تكون هذا الرجل المنتظر، والقائد المظفر؟! نعم! لم لا يكون هو أنت؟! فيغير الله على يدك ميزان التاريخ لصالح المسلمين، ويصلح بك الرحمن هذا العالم، بعد همة ومثابرة وعزم وتصميم وعلم وعمل؟ لقد حان هذا الوقت لتضرب بيدك على صدرك، قائلاً بأعلى صوتك للقيادة القادمة: أنا لها.. وتردد منشداً:

ما دام عرقي نابضاً لن تعرف النفس ارتياح
إنها صناعة الحياة، وصياغة النجاح التي تجعلك كبيراً عند ربك، وكبيراً في
تفكيرك، وكبيراً عند مجتمعك، بل كبيراً في كل شيء.
تخرج للناس لتعلمهم درساً لن ينسوه بأنه (رب همة أحيا الله بها أمة)، تخرج لهم
وتقول:

بُغضُ الحياة وخوفُ الله أخرجني وبيع نفسي بما ليست له ثمننا
إني وزنت الذي يبقى ليعدله ما ليس يبقى فلا والله ما اتزنا
وكأنني بسؤال يدور في خيالك، ويسيح في بالك، فينطق به لسانك قائلاً:
و هل أنا أصلح لهذه القيادة، ثم هل أستطيع بفردي أن أذفع أمة الإسلام، وأصلح
على يدي فئاماً من البشر قد ركنوا إلى الدنيا وابتعدوا عن منهاج ربهم الذي رسمه
لهم.....؟ فأقول لك بملء فمي: نعم!!
فلمَ الاحتقار للذات، والانكفاء على النفس، والعزلة عن فعل الخير، والانكماش
والانغلاق، وعدم محاولة الإصلاح والكفاح؟! ودعني أوضح لك حقيقة لا بد أن
أبين عورها، وأكشف ضررها، وهي:

إن من مشكلات هذا الزمن الصعب (مشكلة التفكيرو الخاطيء)؛ وذلك بأن يرسم
المرء لنفسه خطة يسير عليها في حياته، ومن ثم يطبقها على أرض الواقع، وهي
من ألفها إلى يائها غلط في غلط... وخذ مثلاً: ها أنت ترى بعضاً ممن هم حولك
يقولون في مجالسهم إننا في زمن انطبق فيه حديث رسول الله - صلى الله عليه
وسلم -: «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، ومواقع
القطر، يفر بدينه من الفتن»(1).

ثم يسوقون أحاديث العزلة التي ذكرها الخطابي، وابن أبي الدنيا — — رحمهما الله
— — في كتابيهما (العزلة)، ومن ثم يقولون: نحن في زمن جدير بنا أن نعتزل أهل
الفساد في شرهم؛ فلن نستطيع التغيير، ولن يجدي الإصلاح شيئاً.

مرددین قول الشاعر:

ذهب الذين يُعاش في أكنافهم *** وبقيتُ في خَلْفِ كجد الأجرِبِ

ثم يختمون أمسياتهم بقولهم: ما أجمل ما قاله سفيان الثوري — — رحمه الله — —:

ما العيش إلا القفل والمفتاحُ

وغرفة تصفقها الرياحُ

لا صخب فيها ولا صياحُ

وأنا لا أتكلم من واقع خيال؛ فإن هذا واقع بعض أهل الاستقامة والديانة، والذي
ذكرته آنفاً تشخيصاً لمثل من مشكلات التفكير المخطئ لأي عمل يراد القيام به،
سُئته لك لمناسبته للمقام.

ولا شك أن تلك العقلية ليست هي عقلية المجدد القيادي الذي يقيم الله به الدين،
وينصر به الملة.

غير أنه من الجيد أن يعرف الإنسان نفسه؛ فبعض الناس — وهم قلة والله الحمد —
لا يستطيعون الإصلاح، ويخشون على أنفسهم من الفتن، ويرون أن السلامة هي
الابتعاد عنها، وعدم مخالطة أهلها، وهذا علاج نافع لهم، (ورحم الله امرأً عرف
قدر نفسه) لكن من الخطأ ظن بعضنا أن الذي يعتزل الناس ولم يصبر على أذاهم
أفضل من ذلك الذي يخوض معامع المعارك، وصولات الحق على الباطل،
ومراغمة الكفار وأهل البدع، ومناصحة المؤمنين، وتعليم الناس العلم، والأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر، والإصلاح في جميع نواحي الحياة.

كلاً.. فلا مقارنة بين عابد معتزل، وقائد يقود الناس بالكتاب الهادي، والسيف
الناصر مع الأذى والابتذال؛ فأين الشرق عن الغرب، وأين السماء عن الأرض؟!
لذا قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على
أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم»(2).

وعوداً إلى كلام بدأت به: فأنت تستطيع أن تعمل، وتكون قائداً يذفع الله بك؛ وكل الذي تحتاج إليه أن تتدفق في واقعك همة من هممك، وتحاول أن تصلح وتغرس، فتحيي الموتى في حياتهم، وتستنهض همم الباقين.

فانهض؛ فقد طلع الصباح ولاح مُحَمَّرُ الأديم!

فإن الناس في سبات عميق، وبعُدٍ عن منهج الله ودينه سحيق، هذا مع تبدل الإحساس، وحب الدعة والراحة، والله المستعان.

تبلد في الناس حب الكفاح *** ومالوا لكسبٍ وعيش رتيب

يكاد يززع من همتي *** سدور الأمين وعزم المريب

وقد مضى عصر الكسل والنوم والخمول، وأقبل عصر العمل والتعب؛ فلا خمول..... وكأني بك قد اقتتعت بما كتبت، ولكن بقي لديك إشكال وهو قولك: كيف وأنا فرد أستطيع أن أهدي أمة من الأمم، وأصلح شعباً من الشعوب، أو أقود المسلمين بالإيمان والجهاد...

كيف يكون ذلك!؟

فأجيبك جواباً يشدني غليلك، ويحل إشكالك؛ حيث سأذكر موقفين ذكرهما الله في كتابه العظيم تكمن فيهما الإيجابية الفعالة في المبادرة الذاتية للإصلاح والتغيير، وأعقبهما بموقف ثالث لأحد صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

وأذكر هذه المواقف الثلاثة حتى نعلم أن من يريد العمل والإنقاذ فإنه لا بد أن تظهر تلك السمة القيادية على أفعاله ولو كانت حشرة أو طائراً. ولا تستغرب ذكري لهما؛ فإنهما المثلان الأولان اللذان سأذكرهما؛ حيث أشاد الله بإرادتهما الإصلاحية، فلا بأس أن تقتفي أثرهما في همة الإصلاح، وإياك واحتقار ذاتك بقولك: (ومن أنا حتى أقود وأسود، وأصلح وأجدد؟) فإن هذا (ورع بارد) كفاك الله شره.

* الموقف الأول:

تأمل وأنعم النظر في موقف النملة الإصلاحية في هذه الآيات الكريمة من سورة النمل؛ بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: **لَوْحَشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودٌ مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ** * **حَتَّىٰ إِذَا اتُّوا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا**

النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُمْ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمْ ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ {الذمل: 17 - 19}.

ومن هذه الآيات الكريمة نستنبط عدة فوائد منها:

- 1 - أن هذه النملة مفردة، وقد ذكرها الله في كتابه بصيغة التذكير؛ فهي نكرة في قومها كما هو ظاهر الآية؛ فليست ملكة أو وزيرة بل هي نملة من عوام النمل.
- 2 - هذه النملة أتت إلى قومها صارخة فيهم منذرة، قائلة: {يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُمْ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ}، فأخبرتهم بقرب وقوع خطر سيحيق بهم ويقضي عليهم وهم لا يعلمون.
- 3 - أن النملة لم تكتف بالإنذار بأن هناك خطراً سيدهم عشيرتها ثم تصمت كما هو حال بعض المسلمين اليوم يعي أن عدوه سيأتيه فلا يكون حاله إلا أن يصيح قائلاً: (احذروا الكفار؛ فإنهم قادمون)، ثم يرجع إلى فراشه ويغط في نوم عميق دون أي عمل يدفع به كيد الكفار.
- إن هذه النملة لم تتقن فن الكلام فحسب، بل وضعت خطة لقومها، فقالت: {ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ} ورأت أن المصلحة في كيفية درء المفسدة عن قومها بتبيين طريق النجاة لهم حتى لا يضلوا فيقعوا في شباك الصيد، وتحت وطأة أقدام الجيش القادم.
- 4 - والمعتبر بحال النملة يجد أن عندها نسيج الولاء لقومها، ومحبتهم كما تحب نفسها؛ فليست أنانية، بل تحب الخير لقومها، ولذا أنذرتهم جميعاً ولم تقل: (دعهم يهلكوا وهذا جزاؤهم؛ لأنهم لم يهتموا بحراسة أنفسهم) كلاً؛ بل أنذرتهم جميعاً، ولم تستثن أحداً.

- 5 - ومن الفوائد أن هذه النملة لم تنتظر أن يأتي أحد من قومها أو ممن يحرس وادي النمل ذلك، ويخبر النمل بأنه سيأتي جيش يحطمننا ويبيدنا، بل كانت عندها روح المبادرة الذاتية، في المسارعة إلى إنقاذ قومها وإقصائهم عن مواطن الهلاك.
- 6 - عند قوله - - تعالى - -: {وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} وقفة قصيرة مع هذا الاعتذار العجيب من هذه النملة الذكية؛ حيث ذكرت أن جند سليمان - عليه السلام - القادم

قد يهلك النمل، وهم لا يشعرون بأن تحت أقدامهم وادياً من أودية النمل؛ فهذا الجيش لا يتعمد قتلنا، ولا يريد تحطيمنا عن قصد.

فتأمل هذا التحذير ثم الاعتذار؛ فالنملة تعلم أن سليمان — — عليه السلام — — نبي رحيم، لا يحب الشر للخلق أو يضره لهم؛ فلنتأسَّ بها في اعتذارنا لمن أخطأ في حقنا وهو لا يقصد سواء بقول أو بفعل، أو لم يشعر بخطئه ذلك.

7 — وبالنسبة لتبسم سليمان — — عليه السلام — — فإما أنه تبسّم منه لهذه النملة العجيبة التي خافت على قومها وأندرتهم بخطر قد يداهمهم، وإما لاعتذارها لجند سليمان بالثناء؛ فإن قولها: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ وصف لهم بالتقوى والتحفظ عن مضرة الحيوان، وإما أنه تبسم لإدراكه ما قالت تلك النملة وهي نعمة من الله — — عز وجل — — أنعم بها على سليمان — — عليه السلام — — وهي معرفته للاغّة الحيوان وفهمه لكلامه، ولذلك أعقب سليمان — — عليه السلام — — ذلك التبسم بشكر نعمة الله عليه، ومعرفة لحقه. (وما ذكرته للمراد بهذا التبسم فهو مجموع لتفسير أهل العلم لحقيقة ذلك التبسم؛ والله أعلم).

فانظر — أيها الأخ — إلى هذا الموقف ودقق النظر فيه لعنا أن نتأسى به ونعتبر، ونعلم أن على الفرد مسؤولية يجب القيام بها، وأنه يستطيع أن يقود أمة كاملة بحسن تصرف وجميل تعبير.

ولو خرج المتأمل لهذه القصة بفائدة صحبة معلمي الخير لقومهم والمصلحين لأمتهم والابتعاد عن رفقاء السوء، ومتربصي الشر والفتن لخرج بفائدة لا ينساها طوال حياته، وقد قيل:

لا تصحب الكسلان في حالاته كم صالح بفساد آخر يفسد

عدوى البليد إلى الجليد سريعة كالجمر يوضع في الرماد فيخمد

فإياك ومصاحبة البطالين، وأهل الزيغ والهوى والنفاق؛ فإنه سم نافع، وعلقم مر.

الموقف الثاني:

وهذا موقف آخر أنقلك به إلى موجة أخرى من موجات الإصلاح وعمليات التغيير لكي ترى أن من في قلبه شعلة إيمانية فلن تتطفئ عندما يرى الظلام المخيم على أكثر أهل الأرض من الكفر والنفاق. وزبدة ذلك أن سليمان — — عليه السلام — —

حينما كان يتفقد الطير ولم يجد الهدد قال بلهجة حادة: {مَا لِي لَا أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانَمِنَ الْغَائِبِينَ} * {لَأَعَذِّبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنَّكَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ} [النمل: 20 - 21]، فجعل سليمان - عليه السلام - هذا العقاب للهدد إما بالعذاب الشديد أو الذبح المريع له، أو أن يأتي بخبر مبين، وبينما هو كذلك جاء الهدد وكان متأخراً لمهمة أحاط بها علماً ولم يعلمها سليمان - عليه السلام - فقد جاء من سباً نبأ لا شك فيه.

ومن قوة ملاحظته لنبأ سباً أنه وجد امرأة تملكهم - ولعل هذا من استغرابه - وأنها أوتيت من كل شيء من الرخاء والترف والحياة المخملية، وفوق ذلك كله عرش تجلس عليه.

والطامة الكبرى، والأصل الأصيل الذي أدى إلى تأخر الهدد عن الحضور مبكراً أنه رأى تلك الملكة وقومها يعبدون الشمس من دون الله، وهو شيء تأباه العقول السليمة والطور المستقيمة؛ فكأن تلك العبادة استوقفت ذلك الهدد عن الطيران والتبكير للمجيء في موعد تفقد سليمان - عليه السلام - لجنده.

ثم بين الهدد عقيدته صادحاً بها أمام سليمان - عليه السلام - بقوله: {أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ} [النمل: 25]. ويا له من درس عظيم ألقاه هذا الهدد في التوحيد لا يعلمه كثير ممن ينتسب إلى الإسلام.

ومع ذلك كله قال سليمان - عليه السلام - : {سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ} [النمل: 27] فابتلى الله الهدد بعد تصديق سليمان - عليه السلام - له؛ وذلك يشي - والعلم عند الله - أن صاحب الدعوة إلى توحيد الله لا بد أن يبتلى في حياته، وأن دعوته تلك لن تمر دون تمحيص وابتلاء ليعلم الله الصادق من الكاذب. وبعد عدة مراسلات من سليمان - عليه السلام - لتلك الملكة، أقرت بوجود الله وألوهيته على الخلق أجمعين، وأنه لا مستحق للعبادة قط إلا هو - سبحانه -؛ وذلك بقولها: {وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [النمل: 44].

فتدبر – أيها اللبيب – فعل ذلك الهدهد الغيور على التوحيد، وارجع البصر كرتين في تأمل موقف ذلك الطائر؛ فقد سرى بدمه حب (لا إله إلا الله) ودفاعية الدعوة إليها، والصبر على الابتلاء فيها؛ فأين نحن وغيرتنا على دين الله من الهدهد؟ وتالله إنه لمشروع عظيم قام به هذا الطائر ليصلح الله به أمة كانت تعيش في مستنقعات الكفر، وبيداء الضلالة، فإياك إياك أن يحمل هذا الطائر همَّ دين الله في صدره أكثر منك أيها الموحد، وقد وصاك الإمام أبو معاذ الرازي – – رحمه الله – – بذلك فقال: (لا يكن الهدهد أغير منك على التوحيد).

ضربت لك هذين المثليين ليتضح لك أنه قد يصنع المواقف الجبارة حشرة أو طائر؛ فما بالك بإنسان أعطاه الله جميع الصفات والقوة العقلية والجسدية، إنه يستطيع بدون أدنى ريب أن يصنع الكثير، وأن يبدع الإبداع العظيم، ولو كان مشلولاً أو أعمى، فإن عنده العقل وهو آلة التفكير ومصنع العمل.

وما أنت بالمستسيغ القعود ولو قيدوك بهذي الحفر
وهاك مثلاً ثالثاً لرجل من الصحابة - رضي الله عنهم - أنقذ الله على يديه المسلمين من أزمة كادت أن تعصف بهم، وتوقعهم في أحلك الأمور وأصعب المواقف.

الموقف الثالث:

وهو موقف الصحابي الجليل: نعيم بن مسعود - رضي الله عنه - فقد أسلم في غزوة الأحزاب، التي صور الله حالة الصحابة فيها بالقرآن تصويراً واضحاً، وكيف أن الكفار أحاطوا بمدينة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وبصحابته الكرام، وجنده الأبرار إحاطة السوار بالمعصم، فقال - تعالى - : {إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا} [الأحزاب: 10 - 11].

وقد بانَّت في هذه الغزوة صورة المنافقين الكالحة، وصفاتهم القبيحة؛ حيث قالوا: {مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا} [الأحزاب: 12].

وفي معترك الأحداث التي اشتبكت فيها الأمور، واختلط فيها الحابل بالنابل، صنع الله - تبارك اسمه - كما قال ابن القيم في زاد المعاد (3 / 273) أمراً من عنده،

خذل به العدو، وهزم جموعهم، وَقَلَّ حَدَّهُمْ، فكان مما هيا الله من ذلك: أن رجلاً من غطفان يقال له: نعيم بن مسعود بن عامر - رضي الله عنه - جاء إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: «يا رسول الله! إني قد أسلمت؛ فمرني بما شئت».

ولم يكن لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا أن يقبل إسلام ذلك الصحابي الجليل، ثم قال له بعد أن طلب منه نعيم بن مسعود أن يأمره بما شاء: «إنما أنت رجل واحد؛ فخذلنا ما استطعت؛ فإن الحرب خدعة».

فألهم الله هذا الصحابي أن يفعل فعلة يسطرها له التاريخ في أنصع أوراقه، وأجمل افتخاراته، وخلصتها: أنه ذهب إلى اليهود وإلى قريش والقبائل التي تمالأت على حرب الرسول - صلى الله عليه وسلم -، فأفسد كل طائفة على صاحبها، حتى جعلهم أعداءً، وفرّق كلمتهم، وأضعف ثقة كل فئة بالأخرى، فتخاذلوا جميعاً عن الحرب، ثم أرسل الله عليهم جنداً من جنده من الريح العاصفة، والملائكة المرسلين فقوضت خيامهم، ولم تدع الريح قدراً إلا كفأتها، ولا طنباً إلا قلعته، وكفى الله المؤمنين القتال. فله الحمد والشكر (3).

وكان بداية غيث المسلمين بالنصر هي همة نعيم بن مسعود، رضي الله عنه؛ فقد أسلم، ثم فكر وقدر، فنعِمَ ما قدر؛ فسلام الله عليه؛ فلم يكثر الكلام، بل جعل الجوارح تتكلم وتعمل، وصح فيه قول الشاعر:

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم مَدَّقُ اللسان يقول ما لا يفعلُ

وإلى هنا أتوقف عن ذكر المواقف التي تثير همم الفطناء، وتاريخ المسلمين مليء بمثل هذه المواقف الفردية العظيمة.

وكانهم جميعاً يوصون بما قاله الأول:

وكن رجلاً من أتوا بعده يقولون مرَّ وهذا الأثر

وللعلم فإنني لم أذكر مواقف الأنبياء العظام - عليهم الصلاة والسلام - فمواقفهم كثيرة لا تحصر، ولكن خشية إن ضربت بهم مثلاً أن يقول أحد: ومن نحن عند هؤلاء الأنبياء العظام؟! عليهم الصلاة والسلام.

لذا ضربت أقل ما نرى في هذا الوجود همة مثل النملة والهدهد، ثم أحد المواقف البشرية التي قام بها أحد الصحابة - رضي الله عنه - لعلها تقدر في أنفسنا نسائم الإرادة، و ليعلم المسلم سبب وجوده في الحياة؛ فلم يُخلق عبثاً، بل خلق للعمل والعبادة والابتلاء والتمحيص... فلا بد من استشعار المسؤولية الفردية التي كلفه الله بها؛ فقد قال - - تعالى - -: {فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّكَ إِنَّمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [النحل: 93] وقال - [الحجر: 92 - 93]، وقال: {وَلْتَسَأَلَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [النحل: 93] وقال - تعالى - : {إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا} [مريم: 93 - 95].

ثم إنه - تعالى - أوصلنا بالعمل جميعاً، فقال: {وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [التوبة: 105]؛ فالعمل لهذا الدين مسؤولية الجميع.

أيا صاح هذا الركب قد سار مسرعاً ونحن قعود ما الذي أنت صانع؟
أترضى بأن تبقى المخلفَ بعدهم صريعَ الأمانى والغرام ينازع
فـ {ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ} [ص: 42].

وما أجمل ما خطته يد ابن الجوزي حين كتب: (أول قدم في الطريق: بذل الروح... هذه الجادة؛ فأين السالك؟!)(4).

وهناك ثمة تساؤلات يسألها المرء نفسه: (كيف العمل، وبماذا أبدأ، وكيف أخطط؟) فأقول: انظر إلى هديه - عليه الصلاة والسلام - - وسيرته في كيفية العمل لهذا الدين، وتجميع الناس تحت عقيدة الإسلام، ومحاربة المناوئين لهذه العقيدة؛ ولذا دخل الناس في هذا الدين راضين مقتنعين، وحب معه - صلى الله عليه وسلم - في حجة الوداع أكثر من مائة وعشرين ألف صحابي - رضي الله عنهم أجمعين - وكل ذلك بعد توفيق الله من إرادة جبارة، وهمة وثابة... {فَبِهْدَاهُمُ اقْتَدِهْ} [الأنعام: 90].

لا تقل كيف ولا أين الوصول واتبع خير الملا ذاك الرسول
واقراً سير المصلحين والقادة، واستفد من تجارب الباقيين، واسأل الله أن يذفع بك
الإسلام، وتعلق بالله ولا تتعلق بأحد سواه.

ولا تلتفت هنا أو هناك ولا تتطلع لغير السماء

واسأله - - تعالى - - أن يجعلك مباركاً حيثما كنت؛ فقد كان هذا حال عيسى -
عليه الصلاة والسلام - حين قال: {وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ} [مريم: 31]. فكن
كالغيث أينما حل نفع.

وإن أول البداية هي أن تبدأ بنفسك؛ وفي المثل: احرص على إصلاح الذات قبل
إصلاح الذوات... ومن قاد نفسه قاد العالم.

وانشط لدين الله لا تكن متكاسلاً واعمل على تحريك ما هو ساكن
فإن كان في نفسك كسل أو خمول، أو بدع وضلالات وشركيات، أو معاصٍ -
وانحرافات، فابتعد عنها وغير ما بنفسك من تلك النواقص؛ فلعل الله أن يغير بك
حال المسلمين، وينفع بك في مواطن كثيرة تسعد بها إذا رأيتها مكتوبة في صحائف
عملك يوم القيامة و (حَرَكَ تَرَ).

لكن عليك بامتلاك الإرادة والهمة:

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة *** فإن فساد الرأي أن تترددا
وأول الغيث قطر؛ فكيف تطمح إلى العمل لهذا الدين ولم تتمكن الإرادة من سويداء
قلبك، ولم تعزم على استسهال المصاعب، وتيسير العويص..... فإن كنت ذا همة
فستقول قطعاً:

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى فما انقادت الآمال إلا لأصابر
وحذار من التسويف؛ فإنه رأس الأمانى، وداء العمل، وقاتل الهمم، وحجة
المفلسين.

فلا تبق فعل الصالحات إلى غدٍ لعل غداً يأتي وأنت فقيدٌ
بل ردد بكل قوة وعزم:

أليس من الخسران أن ليالياً تمر بلا نفع وتحسب من عمري
وصح في الآفاق:

سأنفق ريعان الشبيبة دائماً على طلب العلياء مع طلب الأجر
وبقدر ما تتعنى تنال ما تتمنى، ومن يعرف المقصود يحقر ما بذل، ومن المقت
إضاعة الوقت، ولكل جيل قيادته؛ فلنكن خير قادة لجيل الحاضر والمستقبل؛ وذلك

كله بالتعاون والتكامل لا بالمطاحنة والتآكل، فالجاهلية المنظمة لا يقلبها إلا إسلام منظم، ولتكن وحدتنا واجتماعنا على كتاب الله وسنة رسوله، وتحت لواء أهلي السنة والجماعة، فوحدة صفنا تكون معهم لا مع غيرهم من أهل البدع المنحرفين، أو الفرق الضالة.

وختاماً:

ما أجمل كلام الإمام محمد الخضر حسين في كتابه الرائع (السنة والبدعة).. حين كتب: (وإنما يتحد المسلمون تحت راية من يحترمونه لعدله واجتهاده في الحق جهاداً يطمس على أثر الباطل، وإنما يقيم أحكام الشريعة على وجهها من يكون في لسانه حجة وفي يده قوة)(5).

(1) رواه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - باب: من الدين الفرار من الفتن.

(2) أخرجه الترمذي بسند جيد.

(3) اقرأ الخطة التي فعلها نعيم بن مسعود - رضي الله عنه - مع أعداء المسلمين. في زاد المعاد (3 / 273 - 274).

(4) المدهش (ص 299).

(5) السنة والبدعة، ص 29.

الإعلام الديني.. سلحفاة في زمن الأرناب

علا عطا الله** - 26/12/2004

مشهد من أحد البرامج الدينية التلفزيونية

الإعلام الديني بابٌ واسع من أبواب التأثير والتغيير، وهو من أقدر أنواع الإعلام وصولاً بالمجتمع إلى بر الأمان باطمئنان واقتدار، إلا أن المتتبع لحال إعلامنا الديني اليوم يجده ساكناً غيو قادر على التحرك عدة خطوات إلى الأمام، وسائله غير قادرة على ملامسة أوتار الواقع، تسير في قالب من النمطية والروتين القاتل!

في هذا التحقيق تساءلنا عن السبب، ولمعرفة الإجابة ما عليكم إلا أن تصحبونا في جولتنا هذه.

مهلك سر

وكان الناس في انتظارنا منذ وقتٍ طويل، فما إن توجهنا إليهم بالسؤال عن دور الإعلام الديني في حياتهم، حتى انفتحت قلوبهم وتحدثت عقولهم تبوح بما يجول فيها من أفكار وآمال.

بلهجة استنكارية بدأ الشاب هادي الشوا حديثه إلينا قائلاً: "أين هو الإعلام الديني؟؟ أنظر حولي فلا أراه، جميع أنواع الإعلام تتقدم إلا هو، مهلك سر، وما هو موجود لا يلبي الأدنى المطلوب لاحتياجاتنا كمسلمين".

وتُحل طالبة الإعلام تمارا مهنا واقع الإعلام الديني فتقول: "المرئي منه روتيني، ويسير في قالب نمطي إلا قلة من البرامج تجد فيها نوعاً من التجديد والحركة. والمطبوع لا يلبي رغبات القارئ، لا شكلاً ولا مضموناً". وتواصل: "أما المسموع فهو الأسوأ، فما يُبث لا يرقى بأي حال لما نتطلع إليه ونتمناه".

الإعلام الديني يتجاهل واقعنا

ومن حيث انتهت تمارا بدأ الحاج رائد جنديّة حديثه فقال: "الإذاعات الدينية في العالم العربي لا تناقش قضايا المسلمين؛ فهي تتعامل على أساس أن الدين قرآن وأحكام وفتاوى، وتنسى أن ديننا دين شامل، اهتم بجلى الأمور التي يحتاجها المسلم"، ويستدرك: "أين المشكلات الاجتماعية والسياسية؟ أين الحلول للمشكلات التي تحيط بنا من كل جانب؟".

وترى أم فادي حجازي -وهي أم لأربعة أولاد وثلاث بنات- أن الإعلام الديني من شأنه مقاومة الإعلام المضاد؛ حيث قالت: "الإعلام الديني من إذاعة وفضائيات وصحف ومجلات قادر على التصدي لما يجتاح الأسرة من مواد تغريبية عبر الإعلام العربي نفسه؛ فهناك تيار من الإعلام الهابط ينمو بشدة وبأساليب ومضامين متطورة، ولو امتلك القائمون على الإعلام الديني النية الصادقة فسينجحون في محاربتة".

موجود ولكن..!

وتعترف الفتاة هداية النمرة أن الشباب هم أكثر الفئات تضرراً من ركود الإعلام الديني: "نحن الشباب لا نجد في الإعلام الديني ما يخاطب همومنا ومشاكلنا، كما أنه لا يتحسس واقعنا؛ فنضطر لنبحث عن الحلول في إعلام آخر، ونحن على يقين أنه لن يصل بنا إلى بر الأمان، بل سيزيد من تشتت أفكارنا".

أما الشاب عمار قنيطرة فكانت له وجهة نظر أخرى حدثنا عنها قائلاً: "الإعلام الديني موجود؛ بل إنه في تقدم، انظروا إلى المواقع الإسلامية على الإنترنت، كما يوجد لدينا برامج رائعة ومجلات مفيدة، ولكن المطلوب أن يوظف الإعلام الديني كافة التقنيات وثورة المعلومات في الارتقاء بمضمونه".

سرعة السلحفاة!

وتوافقه الرأي طالبة العلوم السياسية هلا السراج التي قالت: "ديننا عظيم، وفيه حل لجميع المشاكل التي نعاني منها؛ لذا يجب على الإعلام الديني أن يخاطب العقول والقلوب، مستفيداً من ثورة الاتصال؛ فليس من المعقول أن يتقدم الإعلام الهابط بسرعة الصاروخ، ونحن نبقى نسير بسرعة السلحفاة".

ويرى الشاب جهاد المصري أن مشكلة الإعلام الديني الحقيقية تكمن في غفلته عن أخبار وأحداث المجتمع؛ حيث يقول: "الديننا إعلام ديني وبوسائل متعددة، إلا أنه يبدو منفصلاً عن واقع مجتمعاتنا وما تتعرض له، وهذا الانفصال هو ما يعيق تطور الإعلام الديني، وبالتالي ينعكس سلباً علينا".

تطور كبير

كيف نقرأ واقع الإعلام الديني في وطننا العربي؟؟ وما الأسباب التي تجعله غائباً عن تلبية احتياجات المسلمين؟ وما هو المطلوب والمأمول منه حتى يرقى لتحديات الواقع؟

أسئلة بسطناها على طاولة الدكتور فريد أبو ضهير المحاضر بقسم الصحافة بجامعة النجاح الوطنية بنابلس، والذي بدأ حواراً معنا قائلاً: "أعتقد أن الإعلام الديني تطور كثيراً في الآونة الأخيرة؛ فقد كان الإعلام الديني شبه محظور، ومقصوراً على الأنظمة والحكومات التي كانت تخاف من انتشار الفكر الديني بين الناس، وبالتالي يسبب لها إشكالات وتحديات، لكن بعد تطور الإعلام المذهل في

السنوات العشر الأخيرة ظهر الإعلام الديني الذي شق طريقه بكثير من المهذبة والتميز والفن".

حياة المسلم مفقودة

د.فريد أبو ضهير

ويرى د.أبو ضهير أن الإعلام الديني نجح في الظهور، وبالتالي في الوصول إلى الجمهور المتعطش إلى الدين. ونجح في إيجاد منابر مهمة جدا، تستخدم أساليب مختلفة في التعبير. إلا أنه يستدرك قائلاً: "ولكنه لم ينجح في تطوير فنون الاتصال واستخدام أساليب متطورة في توصيل الرسالة والوصول إلى الجماهير، كما أن أساليب تقديم البرامج الدينية ليست جذابة بشكل عام؛ فالمحاضرات واللقاءات والحوارات وغيرها من البرامج التي تأخذ شكل الموعظة والدروس.. غير جذابة بالنسبة للجمهور. نحن نريد تطوير البرامج، والخروج بقوالب فنية متطورة، تتناسب مع وسائل الإعلام المتوفرة".

وينتقل أبو ضهير للحديث عن نقطة هامة؛ حيث يقول: "الإعلام الديني لم يعالج الجوانب الاجتماعية والثقافية والحياتية للإنسان المسلم؛ بل بقي وعظياً، والسبب في ذلك هو عدم التفريق بين الإعلام الديني والدعوة. والمشكلة تقع في الحقيقة على عاتق القائمين على الإعلام الديني، الذين لم ينتبهوا إلى أن الأولى بهم حسب الأسس العلمية للإعلام الاهتمام بحاجات الناس والاندماج في قضايا المجتمع".

فهم الأسباب

أما عن المشكلة التي يعاني منها الإعلام الديني، فقال: "المشكلة تتمثل في القدرات التي يتمتع بها القائمون على هذا الإعلام. فحتى نقدم إعلاماً دينياً شيقاً وجذاباً نحن بحاجة إلى الإعلاميين المتخصصين، وذوي الإطلاع الواسع، والثقافة العالية المتميزة، وكذلك الإبداع من ناحية أخرى".

وأضاف أبو ضهير: "يجب إجراء دراسات صريحة وواضحة للإعلام القائم حالياً، ومحاولة فهم الأسباب التي تؤدي إلى أن يكون نمطياً وروتينياً. وأن نسعى إلى وضع تصورات عملية للارتقاء بالإعلام الديني".

وعن التحام الإعلام الديني بقضايا المجتمع قال الدكتور فريد أبو ضهير: "الإعلام الديني يمكن أن يعالج الكثير من المشكلات المعقدة في المجتمع؛ ولذلك يجب عليه الالتفات إلى الواقع الصعب الذي يعيشه المسلم في هذا الزمان، وأن يسعى إلى تقديم الحلول لهذه المشكلات، ومن الضروري الخروج من دائرة النمطية في المعالجة، وكذلك الأساليب التقليدية، وهي الأمور التي لا تثير في الجمهور حب الاستطلاع، وحب التعلم، أو حتى الاستمتاع بالمضمون الإعلامي".

الحل في ثلاثة أشياء

ما المطلوب من الإعلام الديني؟؟ سؤال أجاب عليه د.أبو ضهير قائلاً: "لا بد من عمل ثلاثة أشياء:

أولاً- التخطيط: والتخطيط له أصول وأسس ومتطلبات، والتخطيط يشمل أموراً كثيرة، منها الرسالة وفهم الجمهور، واستخدام الفنون المختلفة لتوصيل الرسالة. ثانياً- التخصص: فالإعلام بحاجة إلى متخصصين يفهمون ماهية الإعلام، وطريقة الأداء، ويعملون على تطوير أساليب الخطاب. والمتخصصون يمكن أن يبدعوا، ويبتكروا في عملهم وفي توصيل الفكرة.

ثالثاً- الاستثمار: فالإعلام مكلف جداً، وبخاصة عندما تتحول الرسالة من مجرد كلمات إلى أشكال كثيرة، درامية مثلاً، وغير ذلك. والاقتصاد في عمل الإعلام الديني يكون على حساب تقدمه ونجاحه. فمن المهم فتح المجال أمام التخطيط دون أن يكون المال عقبة أمام تطوير الإعلام الديني".

العجز عن التوظيف

وأخيراً نصح د.أبو ضهير القائمين على الإعلام الديني بأن يُحسنوا استخدامه لما له من بالغ الأثر في إصلاح الواقع المتردي الذي يعاني منه المسلمون، ويستدرك: "خاصة إذا ما أخذنا بالاعتبار أن هناك إقبالاً كبيراً على الدين، وهناك ثقة كبيرة لدى الناس في قدرة الدين على حل مشكلاتهم، وإخراجهم من الأزمات التي تعاني منها مجتمعاتهم. وفي نفس الوقت هناك إدراك لقوة الإعلام في التغيير وفي التأثير".

وواصل قائلاً: "المشكلة تكمن في عجزنا عن توظيف الإعلام في معالجة قضايا الأمة، وهو أمر يحتاج إلى تدارس والوصول إلى حلول عملية تخرجنا من حالة العجز الإعلامي إلى حالة تفعيل الإعلام على الوجه الصحيح".

داعية وليس إعلامياً!

ومن جهته يرى أستاذ الفقه المقارن بكلية الشريعة بالجامعة الإسلامية الدكتور ماهر السوسي أن الإعلام الديني في الوطن العربي مؤسسة حديثة، مقارنة بأنواع الإعلام الأخرى، وقال: "لو بحثنا في الأسباب التي تجعل الإعلام الديني عاجزاً عن مناقشة قضايا المجتمع ونواحي الحياة فسنجد أن السبب هو عدم وجود إعلاميين متخصصين في هذا المجال؛ فالذي يقدم البرامج الدينية أو الذي يكتب في هذا المجال تجده داعية، ولكنه لا يملك مقومات رجل الإعلام، ولو نجحنا في إيجاد الداعية الإعلامي فسننهض ونرتقي بالإعلام الديني".

البحث عن وسائل جذب

وطالب السوسي القائمين على الإعلام الديني بأن يخاطبوا الناس بأكثر الوسائل تأثيراً، وأن يبتعدوا عن النمطية والروتين، واستدرك قائلاً: "على المسلمين استثمار الوسائل الحديثة في إيصال الإسلام، والارتقاء بالإعلام الديني وأجهزته".

وأنتهى د.السوسي كلمته قائلاً: "الإعلام أحد وسائل الدعوة والتأثير المهمة في المجتمع؛ لذا فإن من يقوم بالإعلام الديني مسئول أمام الله عز وجل عن كل شيء يقدمه للناس، كما أنه مسئول عن عدم منافسته لوسائل الإعلام الأخرى. وعلى الإعلام الديني جذب المشاهد العربي وتقديم كل ما يرغب في مشاهدته من برامج سياسية واجتماعية وترفيهية وتنقيفية بمنظور إسلامي".

=====

وقفات من عزل الدعاة ...

عبد الله بن سعيد آل يعن الله

مقدمة -

منذ قرون عديدة يتعرض المجتمع الإسلامي لأصناف من التضيق الدعوي ،
يختلف باختلاف الزمان والمكان ، وما ذاك إلا من أجل وأد مسلمات هذا الدين ،

ومزجه بالشهوات والشبهات على حسب الأهواء ، وقد يتبنى حدوث الأزمات في حياة الدعوة جملة من الأديان والفرق والمذاهب والجماعات ، حيث يكون لها النصيب الأكبر في إيقاد فتنة عميقة في البلد ، حتى يكون نتاج ذلك فجوة بين الدعوة أنفسهم ، وبين الدعوة والمجتمع ...

وبين يدي هذا المقال أضع بين يدي الداعية بعض الخواطر التي أرجوا أن تكون بلسما ناجعا لكل الدعوة ، وحسبي من القلادة ما أحاط بالعنق ...

الرموز الدعوية -

الله عز وجل يهيء للناس دعاة إلى الله عز وجل بدءا بالأنبياء والرسل ومحمدا صلى الله عليه وسلم ، وانتهاء بأتباع محمد صلى الله عليه وسلم 0 والصف النفاقي ، وعشاق الحسد ، لا يألون جهدا في إطفاء المعالم التي ينطلق من خلالها الدعوة ، سواء كان ذلك من الجانب الاجتماعي أو من الجانب النفسي ، أو من أي جانب يسقط مكانة الداعية ، أو يقلل من جهوده وطاقاته ...

ومن الأمثلة على ذلك محمد صلى الله عليه وسلم ، حديث أو جد الصف النفاقي وعلى رأسهم عبد الله بن أبي ، أسلوبا في إسقاط مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك باتهام عرض أمنا عائشة رضي الله عنها ، وقد خابوا وخسروا في استغلال ذلك ، فهذا هو أسلوبهم ، فهم مثل الذباب لا يقعون إلا على المستنقر ، يحاولون جاهدين في النيل من الرموز الدعوية ، ولو كان ذلك على حساب الأعراس ...

وعشاق الحسد ، وأساطين النفاق ، يقودهم الغيظ ، حينما يرون أن لمثل هذه الرموز واجهة فعلية لهذا المجتمع ، مما يقودهم ذلك إلى ((إثارة البلبلة في الصف الإسلامي ، وإيجاد حالة من الانهزامية النفسية لدى المسلمين وذلك من خلال الانسياق في بحر الأزمات ، مما يولد حالة من عدم الثقة بين المسلمين ، فهذا يرمي بالتهمة ، والآخر يصدق ، ويكون صراع داخلي ، وهذا الصراع يزيد من الفرقة بين الأمة ، مما يسهل تسلط الأعداء ، والابتعاد عن القيادة الدعوية ، وذلك يولد حالة من الإحباط النفسي بين الصفوف ، والضعف والاستكانة أمام العدو)) (1)

((وكذلك صرف اهتمامات القيادة الدعوية، من أمورِ الدعوةِ إلى الفتن والأزمات الداخلية يشعل الأزمة في أي مجتمع ، فنتعطل حركة التنمية ، ومسيرة العطاء مدة من الزمن، تطول أو تقصر بحسب حجم هذه الأزمة وآثارها، ما لم يتم العمل بحسب الأسلوب الأمثل لعلاج هذه الأزمة، والمجتمع الإسلامي حاله حال أي مجتمع في ذلك؛ فالأزمات تعطل عجلة العطاء، وتهدر الكثير من الطاقات والوقت، ويفقد الصف الإسلامي بسببها الكثير من الإنجازات التي تم تحقيقها؛ فبعد انتصاراتٍ عظيمة حققها المجتمع الإسلامي، بقيادة الرسول - صلى الله عليه وسلم - على الجبهات العسكرية، أو على جبهة بناء المجتمع المسلم، أو على الصعيد الدعوي، نجد الصف النفاقي يحدث مثل هذه الفتنة، لكي يصرف اهتمامات القيادة الدعوية، من إرساء دعائم المجتمع المسلم إلى إشغاله بمعالجة آثار هذه الفتن، والعمل على إخماد نارها)) (2)

تهويل أخطاء الدعاة -

بني الإنسان معرض للخطأ ، ولا شك بان الأخطاء تتفاوت بحسب حجم العمل ، مما يجعلنا أن نربي أنفسنا على النظرة الواقعية للعمل سواء كان ذلك على مستوى الأفراد أو على مستوى الأعمال المؤسسية 0

فمن الإجحاف أن نجعل الخطأ خطيئة لا تغتفر ، والزلة في مرتبة العزل والمنع ، ولا شك بان تعميم الخطأ هو شهوة العاجزين والحاسدين ، وفي مخيلة الإنسان مواقف كثيرة تثبت بأن أسلوب التعميم في الخطأ أسلوبا جرى عليه الكثير من المؤسسات الحكومية والمسئولة ، وأصبح لديهم عشقا لخبر أي زلة أو خطأ يصدر من الدعاة أو من أي عمل مؤسسي ...

حيث أن أداة تفعيل المكر وإشاعة الخطأ فن يجيده صغارهم ، مع أن أبواب التحكم لديهم مهياة لديهم وذلك من خلال الصوت الإعلامي ، والسلطة والمكانة، مما يجعل ذلك فرصة لهم في أخذ الحرية في إكمال السير ، وتحقيق الهدف ...

وعلينا كأفراد ومؤسسات أن نعالج الأخطاء التي تصدر من أفرادنا ومؤسساتنا بشكل إيجابي ، مع إظهار الأطر الإيجابية للمجتمع عند إظهار خلاف ذلك ، ونحن لا نبرئ الرمز الدعوي من عدم الوقوع في الخطأ ، فهو يبحث عن معالجة

الأخطاء التي بدرت منه سواء كان ذلك من خلال الكلام أو السلوك ، أو يبحث عن المعالم التي تزج به عن الوقوع في تهمة تُثار عليه في دعوته ... 0
الرموز الدعوية وفقد التوازن -

لما تهب عاصفة قوية على الرموز الدعوية ، فإن ذلك يشكل تلماً واضحاً في صفوف الدعاة والمجتمع ككل ، بل قد يؤدي إلى حدوث إبادة كلية لأي عمل دعوي ، وهذا أمر طبيعي عند حدوثه مباشرة ، والمطلوب من الصف الدعوي أن يصنعوا التوازن عند حدوث الحدث ، وكذلك التعامل معه في قالب يشكل الإستمرار في العمل الدعوي ، وعدم الإنحناء أو الفتور -

ومن الطبيعي أن يشكل المجتمع الذين يبجلون هؤلاء الرموز نوعاً من الحماس ، وذلك للمكانة التي يحملونها في نفوسهم لهؤلاء ، ولكن من الحكمة أن يفعل هذا الحماس تفعيلاً إيجابياً ، من أجل أن ينصر الحدث ، أو يقلل من إستمراره ، لأنه في حال فقد التوازن في التعامل مع أي حدث دعوي ، يجعل هناك خسائر دعوية على جميع الأصعدة ، سواء كان ذلك من النشء الدعوي ، أو من الأعمال والترتيبات الدعوية ، أو ذهاب فترة زمنية لم تحقق فيها مصالح دعوية ، أو تبدد المكاسب والإنجازات من ذي قبل ، أو حدوث الفجوات بين الرموز الدعوية باختلاف أعمالهم ، وشخصياتهم -

ومن الأهمية أن لا يفقد التوازن مهما استمر التيار المقاوم ، وأن يستمر سلم العمل الدعوي باختلاف أساليبه -

سد الثغور -

لا شك بأن عزل الدعاة عن المنابر الدعوية تلمة واضحة في تأريخ المجتمعات ، وأسلوب بارد لتجميد منابع الخير ، ومنحة سانحة إذا استغلت استغلالاً جيداً ، لأننا نخشى من أصحاب الفكر السيئ ، ومريدي الإنفتاح والشر ، أن يشمروا لسد ثغور أهل الدعوة والخير ...

وراعى الشاه يحمى الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها الذئاب

وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم هذه الأيام وصفاً دقيقاً كما في حديث أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال : " سيأتى على الناس سنوات خداعات ،

يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ وَيَكْذَبُ فِيهَا الصَّادِقُ ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ ، وَيُخُونُ فِيهَا
الْأَمِينُ وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّؤْيِيضَةُ قِيلٌ : وَمَا الرُّؤْيِيضَةُ ؟ قَالَ : الرَّجُلُ التَّافَهُ يُتَكَلَّمُ فِي
أَمْرِ الْعَامَّةِ " (3) 0

صبرا أيها الدعاة -

يقول السيد قطب (إن موكب الدعوة إلى الله الموعول في القدم الضارب في شعاب
الزمان ماضٍ من الطريق اللاحب ماضٍ في الخط الواصب مستقيم الخطى ثابت
الأقدام يعترض طريقه المجرمون من كل قبيل يقاومه التابعون من الضالين
والمتبوعين ويصيب الأذى من يصيب من الدعاه وتسيل الدماء وتتمزق الأشلاء
والموكب في طريقه لا يندنى ولا يندنى ولا يندنى ولا يندنى ولا يجيد والعاقبة مهما طال
الزمن للمؤمنين" (4) 0

يَأْمُرُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا بِالصَّبْرِ فِي عَشْرِينَ مَوْضِعاً مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مَرَّةً بِصِيغَةِ
"اصبر" وهي ثمانى عشر واثنان بصيغة "اصطبر" أما الصبر فقد ورد في نحو
تسعين موضعاً في القرآن الكريم فهو أكثر خلق تكرر ذكره في كتاب الله عز وجل
ولنقرأ معاً بعض هذه الآيات الكريمة:

قال تعالى : { فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل }

{ واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين }

{ فاصبر إن العاقبة للمتقين }

{ واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين }

{ واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون }

{ ولربك فاصبر }

{ اصبر على ما يقولون }

{ فاصبر إن وعد الله حق }

{ واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا }

{ فاصبر صبراً جميلاً }

ثم يأتي الأمر بالصبر بعد النبي إلى الأمة في آيات كثيرة أيضاً :

يقول الله عز وجل : { يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله
لعلكم تفلحون } ()

كلمة للظالمين -

((وأما الذين يفتنون المؤمنين ويسومونهم سوء العذاب فما هم أبداً بمفلتين من
عذاب الله ولا ناجين مهما انتفخ باطلهم وانتفش ومهما زاد ظلمهم وانتعش فكما أن
الله تعالى جعل الابتلاء سنة جارية ليميز الخبيث من الطيب فقد جعل أخذ الظالمين
أيضاً سنة لا تتبدل ولا تتخلف فكل هذه القوى بكل ما تملك من وسائل التقنية
الحديثة ومن وسائل الإبادة والتدمير مثلها: { كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن
البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون }

نعم فأين الطواغيت والفرعنة والجبابرة والأكاسرة والقياصرة؟!
أين فرعون الذي قال لقومه: { أنا ربكم الأعلى } واستخفهم بقوله: { أليس لى ملك
مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى }؟!
فأجراها الله من فوقه !!!

أين نمرود بن كنعان الذى قال لإبراهيم - عليه السلام - : { أنا أحيى وأميت }؟!
أين قارون الذين قال فى خيلاء وكبر واستعلاء: { إنا أوتيته على علم عندى }؟!
وأين عاد وأين ثمود؟ وأين أبو جهل وأبو لهب؟
{ فكلأ أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليهم حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم
من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم
يظلمون }

فيا أيها الظالمون:

يا أيها المجرمون:

محال أن يموت المظلومون ويبقى الظالمون فاعلموا ما شئتم فإننا عاملون وجورواً
فإننا إلى الله مستجيرون واطلموا فإننا إلى الله متظلمون: { وسيعلم الذين ظلموا أى
منقلب ينقلبون }

ولله در القائل:

أين الظالمون وأين التابعون لهم فى الغى بل أين فرعون وهامان؟

أين من دوخوا الدنيا بسطوتهم *** وذكرهم فى الورى ظلم وطغيان؟
أين الجبابرة الطاغون ويحهموا *** أين من غرهم لهو وسلطان ؟
هل أبقى الموت ذا عزٍّ لعزته *** أو هل نجا منه بالأموال إنسان ؟
لا والذى خلق الأكوان من *** عدم الكلم يفنى فلا إنس ولا جان
إذا ...

فلا تظلمن إذا ما كنت مقتدرأ *** فالظلم ترجع عقباه إلى الندم
تتام عيناك والمظلوم منتبه *** يدعو عليك وعين الله لم تتم
أيها الظالمون:

اتقوا دعوة المظلومين فليس بينها وبين الله حجاب فإن الله تعالى يرفعها إليه فوق
الغمام ويقول لها: "وعزتى وجلالى لأنصرك ولو بعد حين" (5)
بشرى للدعاة -

قال تعالى { ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم
الغالبون }

فلئن عرف التاريخ أوساً وخزرجاً فله أوس قادمون وخزرج
وإن كنوز الغيب تخفى طلائعاً صابرة رغم المكائد تخرج

إن الدعاة الصادقين من تم عزلهم وإيقافهم ، لكن نور علمهم ودعوتهم السابقة تسد
مكانها ، وتحذو حذوها ، حتى وإن لامس جو الدعوة شيء من الفتور ، إلا أن نور
الفجر سيسطع ويشع ضوءه ، كقدوم النهار على الليل 0

قال الله { والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون }
ولتكن مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم مع البلاء في مخيلة كل داعية ، حتى
يهون الأمور ، ويعظم الأجر ، وتتحرك الهمم ، وتستمر الدعوة ...
هذا ما أردت الدلو به لنفسي ، ولإخوتي الدعاة ، عل الله أن يجعل ذلك وسيلة من
وسائل تجاوز الأزمات الدعوية ، ومفتاحاً في تخطي مصاعبها ...

تم الكلام وربنا محمود *** وله المكارم والعلا والجود
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ...

- (1) كتاب إدارة الأزمات في حياة الدعاة لمحمد على شماخ 0
- (2) كتاب إدارة الأزمات في حياة الدعاة لمحمد على شماخ 0
- (3) حديث صحيح : رواه أحمد وابن ماجه والحاكم (انظر صحيح الجامع 1/681) حديث رقم (365)
- (4) مستفاد من طريق الدعوة في ظلال القرآن نقلا عم محمد حسان في كتاب
خواطر على طريق الدعوة
- (5) محمد حسان من كتاب خواطر على طريق الدعوة

===== ==

أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك

أختي .. حبيبتي .. المتربعة على عرش قلبي ..حفظك الله ..
السلام عليك ورحمة الله وبركاته ..
أختي : ودعتك وأنت مسافرة بهذه الصيغة النبوية الجامعة
((أستودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك ..))
ثم دعوت لك بالدعاء المأثور في هذه المناسبة أيضا :
((زدك الله التقوى , وغفر ذنبك ويسر لك الخير حيثما كنت))
فأحببت ان تكون أولى رسائلي إليك بعد السفر :
أن نعيش في ضلال صيغة التوديع دقائق معدودات ..
لعل الله ان يكرمنا بعدها بسعادة الدنيا والآخرة
أختي العزيزة الاثيرة : إن الدين والامانة وخواتيم الاعمال هي أعلى شئ في هذه
الحياة .
عند المؤمنين والمؤمنات .. لذا فإن المقيم يستودعها عند الله تبارك وتعالى لأخيه
المسافر .

وإن الله يحفظها بكرمه وفضله , فهو سبحانه وتعالى إذا استودع شيئا حفظه ,
تكرما وتفضلا منه عز وجل ..ولكنها يا أختي وبالدرجة الاولى
هي ودائع غالية عند المسافر نفسه , يجب عليه أن يحفظها ويرعاها ,
ويحوطها من كل جوانبها , حتى لا يفقد منها مثقال ذرة ..

وإلا فكيف يدعوا الله أن يحفظها , وهو مقصر لم يأخذ بأسباب الحفظ والرعاية !!؟
وهل يجوز في العقول السليمة أن يقول الإنسان : (اللهم أدخلني الجنة)
وهو مقصر في الصلاة وفي كثير من فرائض الله !!!؟
وهل يصح في الاذهان ان يقول الطالب (اللهم نجحني) وهو مهمل في دراسته !!؟
ثم أقول أيتها الاخت الحبيبة :
إن هذه الودائع الثلاث, وإن كان الواجب علينا ان نحافظ عليها دائما ونحن في
سفرنا إلى الله في كل لحظة,
إلا إنها تزداد وجوبا وقداة ورعاية وحفظا , ونحن في سفرتنا وغربتنا ..بعيدين
عن أخوتنا وأحببتنا !!..
الوديعة الأولى :دينك :
الدين - يا أختي - كلمة جامعة شاملة لكل ما جاء به رسولنا الحبيب صلى الله
عليه وسلم من عقائد ,
وعبادات , وأخلاق , وأحكام تشريعية للفرد والأسوة والمجتمع والدولة في كل
مجالات الحياة :
العقيدية , والتربوية, والتعليمية , والاعلامية , والسلوكية , والاحوال الشخصية ,
والمالية , والقضائية ,
والادارية , والجنائية , والمدنية , والقانونية , والدستورية , والسياسية ,
والجهادية , والداخلية , والخارجيةالخ.
(وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ) النحل 89
{أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حِكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ
يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ }الأنعام
أختي الحبيبة : فالترمي بتعاليم الإسلام كلها وطبقها في حياتك كاملة ,
واحلمي غيرك على الإيمان والافتناع الراسخ بها , وبعد الإيمان : العمل والتنفيذ
..

ولكن لا تستعجلي عليهن فالزم من جزء من العلاج .. وإن التدرج من

سنة الله في التربية والتشريع واحذري يا أختاه

ثم أتحذري ان تقرطي في شئ من احكام الاسلام
حافظي على الفرائض .. وأستكثري من النوافل ..
أمتدعي بتاتا عن المحرمات والمكروهات والشبهات .. وأستبرئي لدينك وعرضك
..

وكوني تقية نقيه في مخبرك وفي مظهرك .. وإن ألممت بذنب أو تقصير
أو فتور فالتجئي تائبة نادمة باكية إلى ساحة مولاك العظيم ,
وأيقني أنه سبحانه وتعالى تواب كريم .. غفار رحيم ..
ثم أستأنفي المسير إليه بكل صدق وأخلاص وعزم ونشاط ..
حفظك الله يا اختي وحفظ عليك دينك بكل آفاقه وأبعاده ..
الوديعة الثانية : أمانتك

وهنا - ليس عندي لك سوى التذكير .

أي أختي الحبيبة .. قال ربنا سبحانه وتعالى :

{وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَتَفَعُّ الْمُؤْمِنِينَ } الذاريات 55

وهل أختي ألفتاة مؤمنة بحق؟! نعم .. إذن فالامانة الامانة يا أختاه

{وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ } المؤمنون 8

ومن الامانات الكبرى :

- أمانة الفطرة فلا نلوثها بالقاذورات الفكرية او السلوكية .
- وأمانة الأسلام فلا نضيع منه شيئاً - مهما كان في نظرنا هينا
- { وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ } النور 15
- ثم أمانة العمل والجهاد من اجل تحقيق هذا الإسلام واقعا حيا في حياتنا وحياة الناس .

• وأمانة كل مسلم ومسلمة في أي شبر من الارض : أن نهتم بأمر المسلمين في كل بقاع العالم

, فنسر لسرورهم , ونتألم لآلامهم , ونتعرف على قضاياهم ومآسيهم ,
ونفديهم باموالنا ودمائنا ومواهبنا وكل ما نملك .

• وأمانة حسن اختيار الزوج الصالح التقى النقي الفاهم العامل المجاهد ,

فلا تغرنا المظاهر الخداعة , أو بريق الجمال والفتوة , او مغناطيسية المناصب والاموال والشهادات .

• ثم تاتي امانة تربية الاولاد وتعهدهم ليكونوا هداة راشدين , وأبطلا فاتحين , وليكن زوجات صالحات وفيات , وامهات بارات مثاليات , وداعيات ناجحات موفقات جاذبات ..

• ثم أمانات : ودائع الناس وحقوقهم المادية والمعنوية (وفي مقدمتهم الوالدان والارحام)

وأسرار الناس واخبارهم الخاصة وشؤونهم الداخلية .

• ثم تاتي بعد ذلك سائر الامانات أرأيت يا أختي أن الامانة قد جمعن الكثير من هدي الاسلام

• بل جمعت الاسلام كله .. بل جمعت الدين والدنيا معا؟! فصلى الله وسلم ..

على من أوتي جوامع الكلم .. جعلك الله وجعلنا جميعا من المؤدين للأمانات .. الاوفياء بالعهود .. الراعين للذمم .

أقول ثم لا تدسي يا اختاه .. أمانة العمر والحياة .. فالله الله في إغتنام الدقائق قبل الساعات ,

لتكوني من الراعين لأماناتهم والراعيات , وحتى نحظى جميعا بالفردوس الاعلى

في الجنة {الَّذِينَ يَرْتُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} {المؤمنون 11

الوديعه الثالثه : خواتيم عمالك

قال الله تعالى

{وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ اِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ

وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} {التوبة 105

أعلمي يا اخية ان الزمن هو رأس مال المسلم في هذه الحياة ..

وان اللحظة التي تذهب لا تعود ابدا ..

ومن اصدق ما قاله الامام الحسن البصري رحمه الله تعالى:

((كل يوم ينشق فجره ينادي : يا ابن آدم .. انا خلق جديد.. وعلى عملك شهيد..
فأعتمني فإني لا اعود إلى يوم القيامة)) .
وما أصدق ما قاله الامام حسم البنا :
((الواجبات اكثر من الاوقات .. فعاون غيرك على الانتفاع بوقته .. وإن كانت
لك مهمة فأوجز في قضائها)) .
فأعتمني كل لحظة .. وانتهزي كل دقيقة .. وأدخلي مع الزمن في سباق وأسبقه
..

وخذي الزتد من رحيلك الطويل .. الزاد الذي لا زاد غيره ..
الزاد الذي تجدينه مذخورا موفورا لك يوم تحطين الرحال.
(وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ {البقرة 197
ولا تنسي إننا تحت ظل الوديعة الثالثة ..

فأعلمي يا أختي إنما الاعمال بخواتيمها فقد تكون البداية طيبة (نية وسلوكا) ثم في
النهاية

تخالط النية شوائب الرياء او العجب او الحديث عن النفس والعمل ,
أو ينحرف السلوك الى غير المقصد النبيل .. او الى غير الطريق السوي ..وهنا
يفسد كل شي.

ويضيع كل جهد .. وتتحول الطاعة إلى معصية ..
ثم للربط بين الامانة وبين الاعمال :
أجعل صفات المؤمنين في أوائل سورة (المؤمنون) دستورا لك ..ونبراسا بين
يديك يبين لك الطريق.

ثم للربط بينهما وبين الوديعة الاساسية الاولى (الدين) :
تمثلي تعاليم الاسلام كلها في شؤون حياتك _ وفقك الله .
وختاما اليك أختي الغالية هذه الدرر الغالية من السحر الحلال.. وما اجملها من
حكم بليغة:

1- قيل لاحد الصالحين .. من العابدين المجاهدين .. والدعاة العاملين : لو رفقت
بنفسك !!

فقال : الخير كله الخير كله فيما اكرهت النفوس عليه . ثم قرأ قول القائد الاعلى صلوات الله وسلامه عليه : ((حجبت النار بالشهوات .. وحجبت الجنة بالمكاره)) .

2- أخرجوا جاهلية الغرب من عقولكم وحياتكم _ يخرج اهلها من بلادكم _ .

3- أقيموا دولة الاسلام في صدوركم وبيوتكم - تقم دولة الاسلام على ارضكم وفي حكمكم.

4- يا من يعانق دنيا لا بقاء لها يمسي ويصبح في دنياه سفارا

هلا تركت لذي الدنيا معانقةحتى تعانق في الفردوس ايكارا

5- ((إن تكوين الامم وتربية الشعوب وتحقيق الآمال ومناصرة المبادئ تحتاج من الامة التي تحاول هذا

, إلى : قوة نفسية عظيمة تتمثل في عدة امور : إرادة قوية (لا يتطرق إليها ضعف)

ووفاء ثابت (لا يعدو عليه تلون ولا غدر)

وتضحية عزيزة (لا يحول دونها طمع ولا بخل)

ومعرفة بالمبدأ، وإيمان به ,

وتقدير له : يعصم من الخطأ فيه , والانحراف عنه , والمساومة عليه , والخديعة بغيره.

على هذه الاركان الاولية التي هي من خصائص النفوس وحدها ..

وعلى هذه القوة الروحية الهائلة تبنى المبادئ .. وتتربى الامم الناهضة .. وتتكون الشعوب الفتية ..

وتتجدد الحياة فيمن حرموا الحياة زمنا طويلا))

وأخيرا وليس آخر أختم رسالتي إليك - وقد عطرتها بزهور المحبة وعبير المودة

والشوق والحنين ألى رؤية محياك الطاهر بالسجود لله رب العالمين ..

ومره أخرى

(أستودع الله دينك وامنتك وخواتيم عملك ..

زودك الله التقوى .. وغفر ذنبك .. ويسر لك الخير حيثما كنت) ...

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نقلته لكم اختكم (النحلة الصغيرة) من كتاب همس القلوب

=====

رسالة من مودعه

سميرة أمين

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات
اعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأصلي واسلم على
المبعوث رحمة للعالمين وعلى اله وصحبه أجمعين قال تعالى (يأيها الناس
اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا
ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا)

أحبتني في الله هانذا أعود إليكم بعد طول غياب

وفي قلبي الشوق الى قلبي الذي شكنا جفوتي وبعدي أعود لأسطر كما عهدتموني
كلمات ما خرجت ولن تخرج الا بمحابر من اوردتي ومشاعري راجية المولى جل
وعلا ان تتال استحسانكم

أحبتني // تعالوا معي نحلق في فضاء خيالنا الواسع , هذا الخيال الذي ما أكثر ما
أطلقناه هنا وهناك , لكن في هذه المرة سيكون الأمر مختلف سنحلق او بالأصح
سنوظف خيالنا الواسع هذا في امر اخر .. نعم ففرق بين ان نتخيل امورا وأحداث
تزيد في تعلق قلوبنا بهذه الدنيا الفانية وبين ان نتخيل ما يفيقنا من سبات عميق
وغفلة فنعيد حساباتنا مع انفسنا

في هذه المرة ادعوكم أحبتي في الله ان نتخيل تلك المرأة لو ان الله جل وعلا
أحياها فخرجت لنا من تحت الثرى ومن ذلك القبر المظلم بكفنها البالي ووجهها
المغبر وجسدها الذي قد أصبح لدود الأرض طعاما تخرج وتكتب لنا رسالة ...
ترى ماذا عساها ان تكتب وماذا عساها ان تسطر ???

(إلى كل من يعرفني واعرفهم وكل من انعم الله عليه بقلب نابض بالإيمان
والخوف من الرحمن وكل من أغراه الأمل فتكاسل عن الطاعات وصالح العمل

ابعث برسالتى هذه لتأخذوا منها العبرة والعظة وتوقظكم من عميق سباتكم وطول غفلتكم... لقد كنت أعيش بينكم في هذه الدنيا اسرح وامرح , وامضى أيامى وأوقاتى مستمتعة بهذه الدنيا الفاذية نعم فاذية لقد كنت ابدأ يومى بعد ان اصلي الفجر ولم يبقى على شروق الشمس سوى دقائق وأتناول فطوري غذاء جسدي وكم كنت اغفل عن غذاء قلبي وجداني حيث كنت أهمل في قراءة كتاب ربي وتحصين نفسي بالأذكار والأوراد كم كنت ازهد فيها وعظيم أجرها فكنت في سباق مع الزمن حتى لا أتأخر عن مدرستي يوم ان كنت طالبة وعلمي يوم ان توظفت كنت اذهب وأقابل زميلاتي اغتاب هذه واسخر من الأخرى غافلة عن كلام ربي جل وعلا (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) كم كنت أمر على هذه الآيات ولا تجاوز ما فكرت يوما انى سأقف بين يدي ربي ويسألني عنها ... كم كنت اخلق في أفكاري وأحلامي واخطط ما يضمن لي مستقبلي فيوم ان تقدم لي فارس أحلامي كان ماله جل همي ومنصبه هدفي نعم فكنت أرى في فارس أحلامي الرجل الذي يملك الأموال والمنصب والمكانة الاجتماعية لأتفاخر انا بين صديقاتي ... وبعد ان تزوجت وأنجبت الأبناء كان كل اهتمامي منصب على تأمين مستقبلي ومستقبل أبنائي طبعاً لم اكن اهتم بتقصير زوجي في صلاته او تهاونه في طاعة ربه كنت أمارس شتى وسائل الإقناع مع زوجي لكي يبحث عما يضمن مستقبلنا ويزور مكاتب العقار فهنا قطعة ارض , وهنا فيلا ديلاكس , وهنا قصر , وهنا عمارة ,,وكم كنت أصاب بالاهم والتفكير المتواصل واحسب الشهور والأيام ليتحقق حلمي كم كنت أجمال هذه وأنافق هذه واكذب على هذه وأخدع تلك .. كم كنت عندما استلم راتبي يوم ان كنت موظفة واحسبه ورقة ورقة وأنا اعلم تماما انني لا استحق الا اقل القليل منه لأنني مع الأسف لم اتق الله في هذا المال في القيام بعملى خير قيام فكنت اخرج متخذة الأعذار والأسباب التي اعرف تماما انها واهية الا اقل القليل منها ,, ما أكثر ما قدمت التنازلات على حساب ديني فزوجي حتى أبدو جميلة في نظره كنت أتعرض للعنة نعم وذلك

بشعيرات انتفها من حاجبي غافلة عن قول رسولي الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم (لعن الله النامصة والمتمصصة) ... وهذه ابنتي مهجة قلبي يأسرني دلالتها فاستجيب لكافة رغباتها وطلباتها فكم غضضت طرفي عن عبائتها المزركشة المطرزة وسددت انفي عن عطرها الفواح فأخرج معها بعبائتي التي تكاد لو انطقها الله لصرخت وتعالى نحيبها وقالت (اتق الله فلست انا بالعباءة التي أمرك ربك بها ولست بالحجاب الذي ذكره ربي في كتابه ... اخرج مع ابنتي أجوب الأسواق واراها تكلم البائع تجادله تناقشه لصوتها خاضعة بمشيتها مختالة وأنا معها اتبعها منبهرة بجمالها وأناقته فرحة بنظرات الإعجاب من الذئاب لها كم كنت انتقي معها ذلك الفستان العاري لنحضر بها الأفراح والسهرات بمصاحبة مزامير الشيطان من الاغنيات نظرب لسماعها وأنفاخر برقصها وتمايلها وأتخيلها عروسا جميلة في كل مرة أرى نظرات الإعجاب الكاذبة ممن يرونها كم كنت ارعها سمعي وهي تغتاب فلانة وتسخر من فلانة أدخلت الطبق الفضائي لأبنائي دون مراقبه او متابعه لما يرونه من مشاهد ,, كم كنت أسافر بصحبتهم إلى البلدان التي تعج بالفساد والاختلاط فنحضر المهرجانات والحفلات بحجة الترويح عنهم بعد عناء عام دراسي كامل استمع إلى النغمات الموسيقية تتطلق من جواتهم والأغاني من مسجلاتهم لم أفكر يوما ان أنهاهم عن ذلك بل لم أفكر يوما ان أربيهم على طاعة ربي لكونوا صالحين فلا ينقطع عملي ويستمر بصلاحهم لم أفكر ان أتابع صلاتهم فهذا ابني لم اهتم بصلاته في المسجد مع الجماعة بل ولا احرص ان أرغبه وأبوه في فضلها رحمك الله يا ابن مسعود ورضي الله عنك يامن قلت (من سره ان يلقي الله غدا مسلما فليحافظ على هؤلاء حيث ينادى بهن فان الله تعالى شرع لنبيكم صلى الله عليه وسلم سنن الهدى وانهن من سنن الهدى ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم , وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد الا كتب الله له بكل خطوه يخطوها حسنة ويرفعه بها درجة ويحط عنه بها سيئة ولقد رايتنا وما يتخلف عنها الا منافق معلوم النفاق ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف) اما والداي الذين نسيتهما مع مشاغلي بأسرتي للأسف ألهمتني دنياي عنهما وبرهما فكنت لا أزورهما الا سويغات قليلة تخرج مني

الآهات والزفرات وترتسم على محياي تعابير الممل والضجر وتتركز عيناى على ساعتى متى يأتى زوجى فأخرج من عندهم فى الوقت الذى تتراقص قلوبهم وتشرق وجوههم التى تملؤها تجاعيد كنت انا وهمى وتربيتى من حفرها وأوجدها

أما صديقاتى فإاااااااااه وaaaaaa لكى تمنيت ان أعود إلى هذه الدنيا لأفارق جلساتهم التى أضعت فيها جل عمري وثمين وقتى كنت أتجهز لموعد لقائى بهن مؤجلة كل المواعيد متهاونة بمعظم الواجبات مضیعة للصلوات فى سبیل ان لا تفوتنى جلسات السمر ... ركبت سيارتى وانا أسابق الزمن دون ان استغل تلك المسافة وأملؤها بما يعود على بالنفع والأجر كان بإمكانى ان استمع الى شريط به كلام الرحمن او الهج لسانى بتسبیح واستغفار فأطوى تلك المسافة فى طاعة ربى لكن للأسف وصلت إليهن فجلسنا نمضى الوقت تتعالى ضحكاتنا ومزحاتنا نبخل على أنفسنا ان يكون مجلسنا تحفه الملائكة وتتغشاها الرحمة

كنت أفكر فى كل مرة اسمع فيها خبر موت احد معارفى او أقاربنى ان ما أصابهم وغيرهم من الناس لا ينطبق على ما أكثر ما أمسكت يدي عن النفقة فى سبيل الله جل وعلا الذى أمرنى بالإنفاق فقال جل وعلا (وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ) نعم لقد كنت اغفل عن هذه المواعظ البليغة والأوامر الجلييلة واغفل ان انتفع بأموالى هذه التى أكاد اصرخ اصرخ لزوجى وأبنائى لأقول لهم ان فى هذه الأموال وهذا الذهب زكاة مهملة فأخرجوها وربما محرما فتخلصوا منه ولكن ااااااه وaaaaaها قد أتانى ملك الموت ليقبض روى تتردد على مسامعى آيات كنت أمر عليها مرورا دون تفكر منى ولا تدبر (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا تُؤْسُوسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ * وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ * وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ)

استعرضت حياتى كلها تمنيت ان أعود حتى أحافظ على صلاتى فى أوقاتها... تمنيت ان أعود حتى أملاً أيامى وأعمر أوقاتى بالدعوة إلى دين ربى فما أكثر ما

قصرت في الدعوة إلى دين ربي فلم انفق ولا ريالاً واحداً في شريط أو مطوية لعل
 الله يهدي بها وأتال اجر من يهدي بها كم تمنيت ان أعود حتى اكسر أشرطة
 الأفلام والأغاني وجوالات بنغمات وضعها أبنائي فأنقذهم من وحلها وشرها ...
 تمنيت ان أعود لأطلب الصفح والسماح لكل من اغتبتهم وسخرت منهم كم تمنيت
 ان أعود لألجأ لربي غفار الذنوب أتوب إليه وهو من خاطبني ومثيلاي بقوله (قُلْ
 يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ
 جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) لكنني أغراني الأمل وغرقت في بحور التيه
 والضلال وأوحال الذنوب التي أصابتنني كالمرض العضال لو كنت اعلم انني
 على موعد مع ملك الموت ما جعلت الله أهون الناظرين إلي هأنذا أودع الدنيا
 هذه بكل ما فيها إلى قبر مظلم موحش ويقبرني من هم اقرب المقربين إلي من
 أفنيت عمري وأغضبت ربي في سبيل إسعادهم ,, يسارعون بدفني واقتسام أموالي
 والله اعلم ان كانوا سيذكرونني بصدقة يهدونها لي أو دعاء أم انني سأكون في طي
 النسيان فينسوني مع مشاغل الحياة في اليوم الذي كنت فيه انا المالكة والمتصرفة
 الوحيدة في أموالي كان بإمكانني ان أتصدق بصدقة جاريه يبقى أجرها لي بعد
 موتي .. أو أساهم في تزويج ذلك الشاب واعفاه تلك الفتاة وغير ذلك من وجوه
 الخير ,, كم تمنيت ان أعود إلى الدنيا لأنظف حواسي وأعضائي من كل شوائب
 الرذائل والمعاصي العالقة بها قبل ان يستنطقها الله وتشهد علي تشهد علي يداي
 التي أظهرتها مجملة بالأساور والخواتم للرجال الأجانب , وتشهد علي أذناي إلى
 سمعت بها الغيبة والنميمة والأغاني المحرمة , وتشهد علي قدمي التي خطوت
 بهما وبكل جرة خطوات شيطانية معرضة جسدي الذي يزينه عباءة مزركشة فاتنة
 لنظرات ضعاف القلوب من الرجال فكيف بي يوم ان تشهد علي ??? (حَتَّىٰ إِذَا مَا
 جَاءُوهُمَ مَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمِعُوهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا
 لِحُلِيِّهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
 وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) بعد ان كنت ارتدي أجمل الملابس أجد نفسي اليوم مسجاة على
 ذلك اللوح عارية يسكب على الماء وأكفن في أمتار من قماش من أعلى راسي بعد
 ان كنت في الدنيا أترفع وتأخذني العزة بالإثم وأحجم عن لبس عباءة الرأس هانذا

أَكْفَنَ مِنْ أَعْلَى رَاسِي إِلَى أَمْخَصِ قَدَمِي كَفْنَا خَالِيَا مِنْ أَي تَطْرِيْزٍ أَوْ زَرْكَشِهِ
 رَحِمَكَ اللهُ يَا زَيْنَ الْعَابِدِينَ يَا مَنْ قَلَّتْ أُبْيَاتَا وَصَفْتِي وَمَثِيلَاتِي
 وَغَمَّضُونِي وَرَاحَ الْكُلُّ وَأَنْصَرَفُوا *** بَعْدَ الْإِيَّاسِ وَجَدُّوا فِي شِرَا الْكَفْنِ
 وَقَامَ مَنْ كَانَ حَبًّا لِنَاسٍ فِي عَجَلٍ *** نَحْوَ الْمُغْسَلِ يَا تُبْنِي يُغْسَلُنِي
 وَقَالَ يَا قَوْمَ نَبِغِي غَاسِلًا حَذَقًا *** حُرًّا أَرِيْبًا لَبِيْبًا عَارِفًا فَطِنَ
 فَجَاءَنِي رَجُلٌ مِنْهُمْ فَجَرَّدَنِي *** مِنَ الثِّيَابِ وَأَعْرَانِي وَأَفْرَدَنِي
 وَأَوْدَعُونِي عَلَى الْأَلْوَابِ مُنْطَرِحًا *** وَصَارَ فَوْقِي خَرِيرُ الْمَاءِ يَنْطَفِنِي
 وَأَسْكَبَ الْمَاءَ مِنْ فَوْقِي وَغَسَلَنِي *** غُسْلًا ثَلَاثًا وَنَادَى الْقَوْمَ بِالْكَفْنِ
 وَالْبَسُونِي ثِيَابًا لَا كِمَامَ لَهَا *** وَصَارَ زَادِي حَنْوُطِي حِينَ حَنْطَنِي
 وَأَخْرَجُونِي مِنَ الدُّنْيَا فَوَا أَسْفَا *** عَلَى رَحِيلِ بِلَا زَادٍ يُبَلِّغُنِي
 وَحَمَلُونِي عَلَى الْأَكْتِافِ أَرْبَعَةً *** مِنَ الرَّجَالِ وَخَفِي مَنْ يُشَيِّعُنِي
 وَقَدَّمُونِي إِلَى الْمِحْرَابِ وَأَنْصَرَفُوا *** خَلْفَ الْإِمَامِ فَصَلَّى ثُمَّ وَدَّعَنِي
 صَلَّوْا عَلَيَّ صَلَاةً لَا رُكُوعَ لَهَا *** وَلَا سُجُودَ لَعَلَّ اللهُ يَرْحَمَنِي

ختاما هذه صرخة مني أو صيكم بها يا من غرتكم الدنيا انتم اليوم هذه وجه هذه

الأرض برزق الله تتعمون فهلا لربكم تعودون ؟؟؟ ودموع توبة تذرفون ؟؟؟

وبعد أحبتي في الله كانت تلك كلمات أنا اعلم اني أثقلت بها عليكم وأتعبت لقرائتها
 أعينكم و لكن عشمي في جميل حلمكم فلا تتركوني من دعائكم وتعقيبكم وانشروها
 في كافة المنتديات لعل الله يهدي بها وان قبضني ربي اسأل الله ان يكون كل ما
 سطرته صدقة جارية لي فلا تبخلوا علي من نشر ما تجدوه من مقالاتي اسأل الله
 باسمه الأعظم ان يبارك لكم في أعمالكم وأعماركم وان يطيل في طاعته أعماركم
 ويجعل الفردوس مقركم امين

أختكم سميرة أمين

كاتبه وداعية

=====

الطريق إلى التمكين

تلخيص لفصل منهج الحركة من كتاب واقعنا المعاصر لمحمد قطب

علاء شعبان

تغيير حال هذه الأمة ، وإرجاعها إلى حقيقة الإسلام ، أمر لا يتم بالسهولة التي يتصورها كثير من الناس ، إنما يحتاج - بحسب السنة الجارية - إلى وقت أطول بكثير ، وجهد أكبر بكثير ، مما تم في هذه اللحظة في جميع الميادين .

فيحتاج إلى :

أولاً : " تبين الحقائق المجهولة من هذا الدين " .

ثانياً : " تربية الناس على ما تقتضيه هذه الحقائق من سلوك واقعي في واقع الحياة " .

وهنا قد يقول قائل :

هل من المعقول أن ننتظر حتى تتربى الأمة كلها على الإسلام ؟ وكيف نربي والحكومات المعادية للإسلام تنقض علينا كل فترة من الزمن ، كلما ربينا جيلاً من الشباب أخذوه ، فعذبوه وقتلوه وقضوا عليه ؟

فأما بالنسبة للسؤال الأول فنقول :

لم يقل أحد قط إنه ينبغي الانتظار حتى تتربى الأمة كلها ، فهذا أمر - بالفعل - لا يتحقق أبداً في واقع الأرض .

ومجتمع الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن كله على القمة السابقة التي كان عليها أصحابه رضى الله عنهم ، الذين رباهم على عينه ، وتعهدهم برعايته .

بل هؤلاء أنفسهم لم يكونوا على مستوى واحد من العظمة والارتفاع ، وقرن الرسول صلى الله عليه وسلم هو خير القرون على الإطلاق ؛ فما بالك بقرننا الحاضر !

إنما المقصود أن تتربى القاعدة التي تحمل البناء ، بالحجم المعقول ، وبأقرب شئ إلى المواصفات المطلوبة لهذا العمل الخطير .

وأما بالنسبة للسؤال الثاني فنقول :

نعم نحن معكم إنهم بالفعل يعوقون الحركة عن الإنطلاق ، أما القضاء على الحركة فهم أنفسهم لا يزعمون ذلك وإن تمنوه إنما الذي يحدث دائماً - بقدر من الله ،

وحسب سننه - أنه بعد كل مذبحة بشعة يقومون بها يأتي مد جديد من الشباب ،
وتتسع القاعدة على الدوام - برغم كل التعذيب الوحشي ، وكل التقتيل والتشريد .
(سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) [سورة الفتح 48/23]

فربما يقول أحد أحببتنا :

لقد ربينا بما فيه الكفاية ، وأن الأوان أن "تعمل".

وهذه المقولة - على قصرها - تشتمل على قضيتين خطيرتين من قضايا العمل
الإسلامي ، تحتاج كل منهما إلى بيان :

الأولى : هل ربينا حقاً بما فيه الكفاية ؟ وما المعيار الذي نقيس به ما تم من التربية
حتى اليوم ، لنعرف إن كان كافياً أم إنه يحتاج إلى مزيد ؟

والثانية : ما نوع "العمل" المقصود ، الذي يفكر فيه المتعجلون ؟

نجيبُ أولاً عن السؤال الثاني لأنه محدد في أذهان أصحابه بخلاف الأولى فما
تزال تحتاج إلى تحديد فنقول :

هناك نوعان رئيسيان من التفكير ، ونوعان من العمل ، يفكر فيهما من يطرح هذا
السؤال بحسب كونهم من الشباب ومن الشيوخ ، بالإضافة إلى لون ثالث .

فأما الشباب - الذين تملؤهم الحماسة وتدفعهم إلى التعجل - فنتفكيرهم هو :

وجوب الوصول إلى الحكم بالقوة ، وتربية الأمة من موقع السلطة لا من موقع
الدعوة ، لأن التربية من موقع الدعوة أمر يطول به الزمن ويطول به الطريق ،
بسبب وقوف الأعداء بالمرصاد ، وتعويقهم المستمر للحركة الإسلامية ، وتشثيتها
كلما أرادت أن تتجمع .

وأما الشيوخ - الذين أجهدهم المشوار الطويل ، والضربات المتوالية على الطريق
- فنتفكيرهم هو الدعوة السلمية التي لا تصطدم مع السلطة أبداً ، والتي تتخذ جناحاً

من أجنحتها الدخول في البرلمانات والانتخابات ، ومحاولة التأثير على مجرى
السياسة من داخله ، أو على الأقل إعلان صوت الإسلام من داخل الأجهزة
السياسية التي تسيطر اليوم على حياة الناس ، حتى يكون لهذا الصوت وقع في
حس الناس .

ونحن نفترض - بادئ ذي بدء - الإخلاص الكامل في كل من الفريقين (والفريق الثالث كذلك الذي سنتكلم عنه فيما بعد) .

ولكن الإخلاص وحده لا يكفي ؛ بل لابد معه من البصيرة ، لأن عدم البصيرة حري أن يفسد ثمرة الإخلاص !

نفترض جدلاً أن مجموعة من الشباب المتحمس قد أحكمت التدبير ، فقامت "بانقلاب" وأقامت حكومة إسلامية في أي بقعة من العالم الإسلام . فمن يُسندها؟! ولنأخذ مصر مثلاً : " فالقاعدة الإسلامية" في مصر هي أوسع قاعدة حتى الآن في العالم الإسلامي كله ، فهل تكفي هذه القاعدة لسند الحكم الإسلامي ، وحمایته من العدوان الصليبي الصهيوني المتوقع في جميع الأحوال ؟

ولنفترض أن أمريكا لم تتدخل بعدوان مباشر ، وإنما فقط مُنَع القمح عن الشعب المصري !

هل يصبر الشعب المصري - في حالته الراهنة - على الجوع من أجل إقامة الحكم الإسلامي ؟ أم تسير المظاهرات - بقيادة الشيوعيين والعلمانيين والملحدين ، ومن ورائها " الجماهير " الجائعة - تقول : نريد الخبز والحرية ؟!

فلنكن واقعيين .. ولنقل إن "القاعدة الإسلامية" لم تنزل بعد أصغر من حجم العمل المطلوب!

وقبل أن تقوم القاعدة بالصورة الصحيحة ، فكل محاولة للصدام مع السلطة للوصول إلى الحكم عبث غير مبنى على بصيرة ولا تدبر .. وقيمته هو ما حدث في مذبح حماة . . نموذجاً بارزاً ينبغي أن تتدبره الحركة الإسلامية جيداً لتعرف كل أبعاده ، ولا تقع في مثله مرة أخرى مهما كانت الأسباب .

فإن قال المتعجلون من الشباب : كيف نقعد " بلا عمل " حتى تتكون مثل تلك القاعدة ؟

فنقول : إن القاعدة تتكون ببطء نعم ، ولكنها تتسع على الدوام ، ولا تتوقف على النمو ، وينضم لها على الدوام شباب جديد ، يعلم سلفاً عقبات الطريق ، وعذابات الطريق ، فيوطن نفسه على ملاقات الموت ، واحتمال العذاب ، ويوطن نفسه كذلك على المشوار الطويل .

و ذات يوم - لا يعلمه إلا الله سبحانه - ستتضح القاعدة وتتسع ، وتصبح بندقية صعبة الكسر وعندئذ - بسنة من سنن الله الجارية - سيدخل الناس فيها أفواجا ، وسيجد العدو نفسه لا أمام جماعة منعزلة يحصدها حصداً وهو مطمئن ، إنما أمام أمة قد اجتمعت على إرادة موحدة ؛ فيجرب قدر الله بما تفرح به قلوب المؤمنين . أما القول بأن الشباب سيقعد "بلا عمل" حتى تتكون تلك القاعدة .

فتقول لهم : من إذن الذي سيبنى القاعدة؟! إن لم يكن هؤلاء الشباب أنفسهم؟! وكيف يكونون بلا عمل إذا كانوا منهمكين في البناء؟! إنما تصدر هذه القولة نتيجة أمرين معاً :

1 - عدم إدراك الأبعاد الحقيقية المطلوبة لعملية التربية .
2 - الاعتقاد - من ثم - بأن التربية قد تمت ، وأدنا ينبغي إذن أن نذقل إلى الخطوة التالية ، وهي ملاقاتة الأعداء .

ولنتذكر بادئ ذي بدء أن شيوخ اليوم هم أنفسهم بقية شباب الجيل الأول المتعجل ! الذي كان يعتقد أن " العمل " قد وجب - وأنها ضربة قوية أو مجموعة ضربات ، فيخر الطغاة هدأ ، ويحكم الإسلام !

وقد تخلى من أولئك الشباب من قبل من تخلى ، ولكن هؤلاء الشيوخ هم الذين بقوا ولم يتخلوا نعم ، لم يتخلوا . ولكنهم يعتقدون أن الدعوة قد وصلت إلى طريق مسدود ، وأنه يجب - من ثم - تغيير الطريق !

والسبب في هذه الرؤية من جانبهم واضح . فقد كانوا تربوا على أنهم هم الذين سيضربون الضربة الأولى ، أو مجموعة الضربات ، ثم تتجلي الضربة عن هزيمة العدو ، وانتصار الإسلام . في سنوات معدودات .

وقد وجدوا أنهم هم الذين يضربون المرة بعد المرة على امتداد السنوات ، وأن الأعداء هم الذين يكسبون الجولة ، بينما لا يصنعون هم شيئاً إلا تلقى الضربات . ومن ثم فإن الطريق - كما تصوره - يبدو مسدوداً بالفعل ، ولا يؤذن بانفتاح قريب ؛ فلا بد - في حسهم - من البحث عن طريق غير مسدود .

والطريق الذي يظنونه موصلاً هو :

دخول البرلمانات والانتخابات، وإعلان صوت الإسلام من هناك ، مادام لا يُسَمَح بإعلانه من غير هذا الطريق .

وكما ناقشنا الشباب المتعجل ، الذي يدعو إلى حمل السلاح وملاقاة العدو ، ورأينا - على ضوء الواقع ، وعلى ضوء ما حدث في حماة - أن الصدام مع السلطة قبل تكوّن " القاعدة المسلمة " ذات الحجم المعقول ، عبث لا يجنى منع العمل الإسلامي إلا ما جناه في حماة .

كذلك نناقش الشيوخ المتعجلين ، الذين يظنون أنهم يحركون العمل الإسلامي بولوج هذا الطريق غير المسدود ، ويصلون عن طريقه إلى تحقيق الأمل المنشود .

نقول لهم نفس الشيء ، إن استخدام هذا الطريق عبث لا يؤدي إلى نتيجة قبل تكوّن " القاعدة المسلمة " ذات الحجم المعقول ! ولنفرض جدلاً أننا توصلنا إلى تشكيل برلمان مسلم مائة في المائة ، كل أعضائه يطالبون بتحكيم شريعة الله ! فماذا يستطيع هذا البرلمان أن يصنع بدون " القاعدة المسلمة " التي تسند قيام الحكم الإسلامي ، ثم تسند استمراره في الوجود بعد قيامه !؟

انقلاب عسكري يحل البرلمان ، ويقبض على أعضائه فيودعهم السجون والمعتقلات ، وينتهي كل شيء في لحظات !!

إنه تفكير ساذج رغم كل ما يقدم له من المبررات ، وفوق ذلك فهو يحتوى على مزلق خطيرة تصيب الدعوة في الصميم ألا وهي :

أولاً : المزلق العقدي :

فكيف يجوز للمسلم الذي يأمره دينه بالتحاكم إلى شريعة الله وحدها دون سواها ، والذي يقول له دينه إن كل حكم غير حكم الله هو حكم جاهلي ، لا يجوز قبوله ، ولا الرضى عنه ، ولا المشاركة فيه .

كيف يجوز له أن يشارك في المجلس الذي يشرع بغير ما أنزل الله ، ويعلن بسلوكه العملي - في كل مناسبة - أنه يرفض التحاكم إلى شريعة الله !؟

كيف يجوز له أن يشارك فيه ، فضلاً عن أن يُقسم يمين الولاء له، ويتعهد بالمحافظة عليه ، وعلى الدستور الذي ينبثق عنه ، والله يقول سبحانه:

(وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ) [سورة النساء 4/140]

وهؤلاء حديثهم الدائم هو مخالفة شريعة الله ، والإعراض عنها ؛ ولا حديث لهم غيره ينتظره المنتظر حتى يخوضوا فيه ! فكيف إذن يقعد معهم؟! كل ما يقال من مبررات: أننا نسمعهم صوت الإسلام ، أننا نعلن رفضنا المستمر للتشريع بغير ما أنزل الله ، أننا نتكلم من المنبر الرسمي فندعو إلى تحكيم شريعة الله ، كل ذلك لا يبرر تلك المخالفة العقدية الواضحة .

يقولون : ألم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يذهب إلى قريش في ندوتها ليلبغها كلام الله؟!!

بلى، ولكنه لم يكن يشاركهم في ندوتهم ، ولو أن مسلماً يدعو إلى تحكيم شريعة الله ، استطاع أن يذهب إلى ندوة الجاهلية المعاصرة ، ويسمح له بالكلام فيها كما كانت تسمح الجاهلية الأولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكان واجباً عليه أن يذهب وأن يبلغ ، لأنه في هذه الحالة لا يكون " عضواً " في الندوة ، إنما هو داعية من خارجها ، جاء يدعوها إلى اتباع ما أنزل الله ، فلا الندوة تعتبره منها ، ولا هو يعتبر نفسه من الندوة ، إنما هو مبلغ جاء يلقي كلمته ثم يمضي . أما المشاركة في " عضوية " الندوة بحجة إتاحة الفرصة لتبليغها كلمة الحق ، فأمر ليس له سند من دين الله .

ثانياً : " تميع القضية بالنسبة (للجماهير) " :

إننا نقول للجماهير في كل مناسبة إن الحكم بغير ما أنزل الله باطل ، وإنه لا شرعية إلا للحكم الذي يحكم بشريعة الله ؛ ثم تنتظر الجماهير فترانا قد شاركنا فيما ندعوها هي لعدم المشاركة فيه ! فكيف تكون النتيجة؟!!

وإذا كنا نحن نجد لأنفسنا المبررات للمشاركة في النظام الذي نعلن للناس أنه باطل ، فكيف نتوقع من الجماهير أن تمتنع عن المشاركة ، وكيف تنشأ " القاعدة الإسلامية " التي سيقوم عليها الحكم الإسلامي ، القاعدة التي ترفض كل حكم غير حكم الله ، وترفض المشاركة في كل حكم غير حكم الله !

إننا نحسب أننا بدخولنا البرلمان ، نقوم " بعمل " بيسر قيام " القاعدة الإسلامية " ، لأنه يدعو إليها من فوق المنبر الرسمي ، الذي له عند الناس رنين مسموع ، ولكننا في الحقيقة نعوق قيام هذه القاعدة بهذه التمييع الذي نصنعه في قضية الحكم بما أنزل الله .

فلا يعود عند الجماهير تصور واضح للسلوك " الإسلامي " الواجب في هذه الشؤون ، ولن تتكون القاعدة بالحجم المطلوب لقيام الحكم الإسلامي حتى ينضج وعى الجماهير ، وتعلم علم اليقين أن عليها - عقيدة - أن تسعى لإقامة الحكم الإسلامي وحده دون أي حكم سواه ، وألا تقبل وجود حكم غير حكم الله .

ثالثاً : أن لعبة "الدبلوماسية" كما أثبتت تجارب القرون كلها ، لعبة يأكل القوى فيها الضعيف ، ولا يتاح لضعيف من خلالها أن " يُغافل " القوى فينتزع من يده شيئاً من السلطان !

والقوة والضعف - في لعبة الدبلوماسية - لا علاقة لها بالحق والباطل ! ولا علاقة لها بالكثرة والقلة !

فالأقلية المنبوذة من الشعب ، المكروهة منه ، التي تسندها في الداخل القوة العسكرية ، وتسندها من الخارج إحدى القوى الشيطانية الموجودة اليوم في الأرض هي القوية ، ولو لم يكن لها أنصار ، والأكثرية المسحوقة المستضعفة هي الضعيفة ، ولو كانت تمثل أكثرية السكان !

ومن ثم فالجماعات الإسلامية - الداخلة في التنظيمات السياسية لأعداء الإسلام - هي الخاسرة في لعبة الدبلوماسية، والأعداء هم الكاسبون! سواء بتنظيف سمعتهم أمام الجماهير ، بتعاون الجماعات الإسلامية معهم ، أو تحالفها معهم ، أو اشتراكها معهم في أي أمر من الأمور ؛ أو بتمييع قضية الإسلاميين في نظر الجماهير ، وزوال تفردهم وتميزهم الذي كان لهم يوم أن كانوا يقفون متميزين في الساحة ، لا يشاركون في جاهلية الساسة من حولهم ، ويعرف الناس عنهم أنهم أصحاب قضية أعلى وأشرف وأعظم من كل التشكيلات السياسية الأخرى ، التي تريد الحياة الدنيا وحدها ، وتتصارع وتتكالب على متاع الأرض .

ولا تعرف في سياستها الأخلاق الإسلامية ولا المعاني الإسلامية ؛ فضلاً عن مناداتها بالشعارات الجاهلية ، وإعراضها عن تحكيم شريعة الله . ولم يحدث مرة واحدة في لعبة الدبلوماسية أن استطاع المستضعفون أن يديروا دفعة الأمور من داخل التنظيمات السياسية التي يديرها أعداؤهم ، لأن " الترس " الواحد لا يتحكم في دوران العجلة ، ولكن العجلة الدائرة هي التي تتحكم في " التروس " ! وما حدث من " إصلاحات " جزئية عارضة في بعض نواحي الحياة على يد " الإسلاميين " لا تطيقه الجاهلية ولا تصبر عليه ، وسرعان ما تمحوه محواً وتبطل آثاره .

وتظل الآثار السيئة التي ينشئها تميع القضية باقية لا تزول ، وشرها أكبر بكثير من النفع الجزئي الذي يتحقق بهذه المشاركة ، حتى لكأنما ينطبق عليه قوله تعالى :
(فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا) [سورة البقرة 2/219]
أما توهم من يتصور أن الجاهلية تظل غافلة حتى يتسلل الإسلاميون إلى مراكز السلطة ، ثم - على حين غفلة من أهلها - ينتزعون السلطة ويقيمون الحكم الإسلامي ، فوصفه بالسذاجة قد لا يكفي لتصويره ! وتجربة الجزائر تكفي - فيما اعتقد - لإبطال هذا الوهم - إن كان له وجود حقيقي في ذهن من الأذهان .
أخيراً :

أما الفريق الثالث من المتعجلين فهم : أصحاب " التفكير العلمي " و"الدراسات العلمية"!

وقد نبت هذا الاتجاه أو تمركز عند الشباب العربي المسلم الذي يعيش في أمريكا ، وإن كانت له جذور مشابهة ، أو مماثلة عند غيرهم ممن يعيش في أوروبا أو في " العالم القديم " !

يقول أصحاب هذا الاتجاه إن " التجربة الشرقية " قد استنفدت أغراضها ، ووصلت إلى طريق مسدود .

وإنه أن الأوان أن تتسلم قيادة العمل الإسلامي عقول جديدة ، تفكر بطريقة جديدة تكفر تفكيراً علمياً ، مبنياً على دراسات علمية ؛ فنقدم للناس الحلول العملية لمشكلاتهم ، مستمدة من الإسلام ، وهذا هو الطريق !

ومن كل قلوبنا نتمنى للقيادة الجديدة التوفيق ، ولكننا نتدارس معهم مدارس " علمية " و " واقعية " في مزالق هذا الطريق .

إن تصور أن كل الذي ينقص الناس هو معرفة الحلول الإسلامية لمشكلاتهم ، وأنهم إن عرفوا ووثقوا واطمأنوا أن الحلول الإسلامية أفضل من الحلول الرأسمالية والاشتراكية ، ووثقوا بأنها حلول عملية لا نظرية ، ولا دعائية ، ولا خطابية ، فسيقبلون لتوهم على الإسلام ، وسيقومون لتوهم حكومة إسلامية .

إن هذا التصور قد نشأ - على الأرجح - من حياة أولئك الشباب في ظل الديمقراطية الغربية ، حيث الحرية متاحة لكل الناس أن يفكروا ، وأن يجربوا ، وأن يدعوا ، وحيث يوجد احتمال - ظاهري على الأقل - أنه حين يفتتح الناس بشيء فإنهم يسعون إلى تطبيقه في عالم الواقع ، ويتمكنون - عن طريق الأجهزة الديمقراطية - من تنفيذه () .

ونفترض جدلاً أن كل الذي ينقص الناس في " العالم القديم " هو معرفة الحلول الإسلامية العملية لمشكلاتهم ، وأنهم إن اطمأنوا ووثقوا أن الإسلام يقدم لهم حلاً عملياً أفضل مما تقدم الرأسمالية والاشتراكية ، فسيسعون بالفعل لإقامة الحكم الإسلامي .

نفترض هذا ، ونسقط كل الدلالة المرة التي تدل عليها مرور مقتل الإمام الشهيد ومرور مذابح السفاح هينة على قلوب الناس ، لأن وعيهم بأن تحكيم شريعة الله جزء من عقيدة لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ما زال ناقصاً جداً ، وما زال في حاجة إلى بيان طويل ودعوة وتربية ، حتى تصح العقيدة إلى صورتها الربانية الحقيقية التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند الله .

نفترض هذا ، ونفترض أنه بمجرد أن تعرض عليهم الأبحاث العلمية المتضمنة للحلول الإسلامية العملية سيقنعون بالإسلام ، وبضرورة " الحل الإسلامي " ، ويسعون إلى التطبيق ، أو يطالبون بالتطبيق ؛ فماذا تكون النتيجة ؟

هل تقول روسيا وأمريكا إنه ما دام المسلمون قد اقتنعوا عن طريق الدراسة العملية والتفكير العلمي بضرورة إقامة حكومة إسلامية فدعوهم وشأنهم ! وليقيموا حكمهم الإسلامي الذي ينشدون؟! أم إنهما ستكلفان عملاءهما - كما تفعلان الآن - بتذبيح

المسلمين وتقتيلهم ، وتشريدهم وتعذيبهم ، لكي يتخلوا عما هم مقدمون عليه من إقامة حكومة إسلامية في الأرض؟!]

وعندئذٍ :

هل يكفي "الاقتناع" وحده ، و " التفكير العلمي " وحده ، لمواجهة التعذيب الوحشي الذي يصب على المسلمين المطالبين بتحكيم شريعة الله ؟ أم يحتاج الأمر إلى " عقيدة " ؟ .. العقيدة التي تقول إنها قضية كفر وإيمان لا قضية الحل " الأفضل " .. قضية جنة ونار ، لا قضية مشكلات عملية في الحياة الدنيا تحتاج إلى حل ! والتي يستيقن الناس بها أنهم لا يكونون مؤمنين ، ولا يتقبلهم الله يوم القيامة إذا أرادوا التحاكم إلى غير شريعة الله ، أو رضوا بحكم غير حكم الله .

ولا شك أن الإسلام هو دين الدنيا والآخرة ، وأنه ليس عقيدة فحسب ، إنما هو عقيدة ومنهج كامل للحياة ، محسوب فيه كل احتياجات البشرية في الحياة الدنيا ، بل محسوب فيه أن ترتفع الحياة البشرية عن مستوى الضرورة ، وتصل إلى درجة " الجمال " ودرجة " الإحسان " في كل شئ :

[إن الله كتب الإحسان على كل شئ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، و ليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته] .

وأنه يقدم لتلبية هذه الاحتياجات وتنميتها وترقيتها أفضل منهج وأحنه:

(أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) [سورة المائدة

[5/50

صحيح هذا كله ، ولكن لأمر ما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقيم الاعتقاد الصحيح أولاً ، ويجل للناس الألوهية ، ويبين لهم أن الالتزام بما جاء من عند الله من أمر ونهي هو مقتضى هذه العقيدة الذي لا تصح بدونه ، ثم - بعد ذلك - أنزل " الحلول العملية " لمشكلات البشرية ، وجعل الالتزام بها قضية كفر وإيمان ، وقضية جنة ونار :

(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ...) [سورة النساء 4/65]

(وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) [سورة المائدة 5/44]

(اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مَن دُونِهِ أُولَئِكَ) [سورة الأعراف 7/3]

(أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ) [سورة الشورى 42/21]
فإن نحن قدمنا " الحلول العملية " للناس قبل أن يستقر في خلدنا - إلى درجة اليقين - أن التزامهم بشريعة الله أو عدم التزامهم بها هو قضية الإيمان والكفر.. قضية الجنة والنار.. فهل يتم الأمر على الصورة التي يتخيلها الباحثون؟! وما القول في الذين يقولون لك - وهم كثير - بعد أن تقنعهم عن طريق البحث العلمي والدراسة العلمية أن الحل الإسلامي هو الأفضل ، يقولون لك : أفتنعنا ! وما كنا نتصور - والله - أن الإسلام بهذه العظمة وهذا الشمول وهذه القدرة على تقديم الحلول العملية لمشكلات الناس ! هلموا ! أقيموا الدولة الإسلامية ، وحين تقيمونها ستجدونها أول المستحبين !

هل تقوم الدولة الإسلامية على هذه الصورة؟! إن الاقتناع العقلي وحده لم يغير قط في عالم الواقع ، حتى في أوقات السلامة وأمن ، فضلاً عن حالات الاضطهاد الوحشي ! وهذه هي " الفلسفة " منذ سقراط وأرسطو إلى وقتنا الحاضر .

هل غيرت شيئاً في واقع الأرض ؟ إلا أن تكون عقيدة أو مرتكزة على عقيدة ، فعندئذ تكون العقيدة هي التي تغير واقع الناس .

والذي أثبتته التجربة في "العالم القديم" أن هذه العقيدة هي التي تحتاج قبل كل شيء إلى تصحيح. لأنها فرغت من محتواها خلال الأجيال، وفي القرن الأخير خاصة، فأصبحت في حاجة ملحة إلى بيان حقيقتها، ثم تربية الناس على مقتضى هذه الحقيقة حتى يصبح سلوكهم العملي في كل المجالات - ومن بينها مجال السياسة والحكم، والاجتماع والاقتصاد، وعلم والفكر - مطابقاً لمقتضيات لا إله إلا الله.

ونحن مع ذلك لا نقول للباحثين العلميين لا تبحثوا! بل نحن نفرح بكل بحث متعمق يظهر من حقائق الإسلام ما كان خافياً من قبل. ولكن فيم يكون البحث؟ وعلى أي نحو يكون؟

إن هناك في الحياة البشرية - وفي الإسلام كذلك - ثوابت وامتغيرات. هناك أمور ثبتها الله سبحانه وتعالى وأمر بتثبيتها على صورتها في حياة الناس، كعقيدة لا إله إلا الله محمد رسول الله - بمعناها الشامل المتكامل الذي نزلت به من

عند الله، والذي يشتمل فيما يشتمل على الالتزام بكل ما جاء من عند الله -
والعبادات بجملتها وتفصيلاتها، والحدود، وغير ذلك مما فصله الفقهاء.

وهناك أمور متغيرة أذن الشارع بالاجتهاد فيها، ولكنه قيدها - في تغييرها الدائم -
بمحاور ثابتة أو أصول ثابتة، لا يجوز أن تحيد عنها في أثناء تغييرها ونموها بما
يلئم ما يجد من أمور في حياة الناس.

فحين نبحت اليوم بحثاً علمياً في الحلول الإسلامية الواقعية للمشاكل الحاضرة ففي
أي شئ نبحت: في المحاور الثابتة أم في التفاصيل المتغيرة؟

أما البحث في المحاور الثابتة فواجب، وهو جزء من الفقه اللازم لهذا الدين. وكلما
اتسع علم الناس بحقائق دينهم كان ذلك أوفق لهم، وأحرى باستقامة طريقهم.

أما المتغيرات - وخاصة في المشاكل الاقتصادية التي هي عقدة العقد في حياة
الناس اليوم - فحين نبحت فيها، فلن نقدم البحث على وجه التحديد؟ وعلى "مقاس"
من نقيم البحث؟ أو بعبارة أخرى: على أساس احتياجات أي قوم من الأقسام، وأي
زمان من الأزمان؟!

إنه لا بد من ارتياد الطريق الطويل .. المجهد الشاق .. البطيء الثمرة .. المستنفد
للطاقة ، طريق التربية، لإنشاء " القاعدة المسلمة " الواعية المجاهدة ، التي تسند
الحكم الإسلامي حين يقوم ، وتظل تسنده لكي يستمر في الوجود بعد أن يقوم . وقد
رأينا في دراستنا التي ناقشنا فيها الوسائل الثلاثة التي يستخدمها المتعجلون - كل
من زاويته - أنها كلها تؤدي إلى طريق مسدود، وإن بدا في ظاهر الأمر أنها هي
"الحركة" التي تخرج "بالعمل" من حالة الجمود !

وحين نقول إنه لا بد من التربية أولاً لإنشاء القاعدة المسلمة الواعية المجاهدة ،
يثور كثير من التساؤلات والتصورات :

ربينا بما فيه الكفاية !

إلى متى نظل نربي دون أن " نعمل " !

ما جدوى التربية وكلما ربينا جيلاً من الشباب قضى عليه الأعداء !

ما المقصود بالتربية؟!!

ونريد الآن أن نلقى بعض الضوء على المقصود بالتربية ، ولكن لا بد من تصحيح بعض هذه التصورات أولاً تمهيداً لبيان الصورة الصحيحة المطلوبة ، المثمرة بإذن الله .

إن الذين يقولون : ربينا بما فيه الكفاية ، يغفلون عن حقائق كثيرة واقعة في الساحة ، ربما كان أفضل لون من التربية قام في الساحة حتى اليوم هو الذي قام به الإمام الشهيد بين " الإخوان العاملين " الذين رباهم على عينه .
وأفضل جوانب هذه التربية هو :

- 1 - الأخوة المتينة التي رباها في أتباعه .
 - 2 - الروح الفدائية الصادقة التي طبعهم بها .
 - 3 - والجنديّة الملتزمة التي زرعا في نفوسهم .
 - 4 - تحرير لا إله إلا الله في حسهم من تواكل الصوفية وتواكل الفكر الإرجائي ، وتحويلها في سلوكهم إلى حركة واقعية وعمل .
- ولكننا رأينا كم من الجوانب كان ينقص هذه التربية ذات الطابع الأصيل العميق ، وكم أثر هذا النقص في خطوات العمل الإسلامي بعد مقتل الإمام الشهيد بصفة خاصة.

ولا ندري كم من هذه الجوانب كان الإمام الشهيد قمينا بإضافته أو تصحيحه لو امتد به العمر ، ولكننا نجد على الساحة الواقعية أن الجنود قد ربوا ليكونوا جنوداً فحسب ، لا ليكونوا قادة بعد ذهاب قائدهم ، كما ربي رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ليكونوا جنوداً فائقين تحت قيادته صلى الله عليه وسلم ، وليكونوا في الوقت ذاته " صفاً ثانياً " بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى ، كما كان الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم في قيادة الأمة ، وكما كان بقية الصحابة رضوان الله عليهم في كل ميدان انتدبوا إليه .

نجد غياب "الصف الثاني" على المستوى المطلوب للجماعة التي تنزع العمل الإسلامي في ظروفه الراهنة واضحاً ملموساً كلما امتد الزمن بعد مقتل الإمام الشهيد ، فنذكر - على الصعيد الواقعي - أنه كان هناك نقص في التربية ، في

هذا الجانب ، ينبغي أن يستدرك ونحن نعدّ لمسيرة طويلة قد تستغرق بضعة أجيال من عمر الدعوة قبل أن يكتب لها التمكين في الأرض .

ومن قبل لاحظنا العجلة في الإعداد والعجلة في التحرك والعجلة في السماح للجماهير بالانتماء للحركة قبل تربية العدد المناسب من الدعاة ، الذين هم جنود تحت قيادة القائد ، وقادة في ذات الوقت ومربون .

وكيف كان لهذا كله آثاره في خط السير ، والمفروض - ونحن نعد للمسيرة الطويلة - أن نتلاقى كل هذه الجوانب من النقص التي اشتملت عليها الجولة الأولى ، أي أن نغير أسلوب التربية بما يتناسب مع أهداف الحركة ، وطول المسيرة ، ومشقة الطرق ، وكيد الأعداء .

فإذا نظرنا إلى الساحة الآن فقد نجد نوعيات أفضل في بعض الجوانب ، ولكننا نجد نقصاً كبيراً في التربية في جوانب أخرى .

نجد شباباً أكثر وعياً بمفهوم لا إله إلا الله ، وصلتها الوثيقة بتحكيم شريعة الله ، أي : أكثر إدراكاً لقضية " الحاكمية " التي كانت قد أجملت إجمالاً من قبل جعلها تخفي على كثير من الدعاة أنفسهم .

ونجد شباباً أكثر إدراكاً لطبيعة المعركة وما يلقي فيها من الأسلحة الظاهرة والخفية ، ودور الأجهزة المختلفة في محاربة الدعوة عن طريق مناهج التعليم ووسائل الإعلام ، وإثارة قضايا سياسية واجتماعية وفكرية معينة ، تتجه بالناس وجهة بعيدة عن الإسلام ، وتبعدهم باستمرار عن التلقي من المصدر الرباني .

ولكن هؤلاء الشباب - في كثير من الأحيان - ينقصهم التجمع الصحيح ، فيتجمعون في جماعات صغيرة مبعثرة ، يكيد بعضها لبعض ، أو يتربص بعضها ببعض ، أو يتجادل بعضها مع بعض بروح الخصام لا بروح المودة .

ويمكن أن تنقسم الجماعة الصغيرة إلى جماعات أصغر عند أول اختلاف على تفسير نص من النصوص ، أو تقويم قضية من القضايا .

مما يقطع بأن التربية الجماعية عندهم ناقصة ، وأن الروح الفردية فيهم أقوى ، بينما التربية المطلوبة - لتنشئة المسلمين عموماً فضلاً عن الجيل الذي يقع عليه عبء المواجهة الأولى مع الجاهلية - ينبغي أن توازن بين الروح الفردية والروح

الجماعية عند أفراد الجماعة ، فلا تحيلهم أصفاراً عن طريق تنمية الروح الجماعية على سحاب الروح الفردية ، ولا تنمى فيهم الفردية الجانحة فيعتز كل منهم بفكره وبذاته وبتقييمه الخاص للأمر ، فلا تأتلف منهم جماعة ، ولا يلتئم لهم تجمع له وزن .

كما أن هذا الشباب - في معظم الأحيان - تنقصه الخبرة الحركية (وهي جزء من التربية المطلوبة) ، مع أنه أكثر وعياً من الجيل السابق في كثير من القضايا ذات الطابع الفكري .

ومن أجل هذا يتعجل في الصدام مع السلطة ، وفي استعراض قوته في قضايا لا تقدم ولا تؤخرن أو في قضايا ذات وزن وذات خطر ولكن لا يستطيع المسلمون في حالتهم الراهنة أن يغيروا شيئاً من مجراها .
مثال عملي :

تجمع شباب الجماعات الدينية بجامعة الإسكندرية ذات مرة ، للحيلولة بالقوة دون إقامة حفل كانت إدارة الجامعة قد رتبته لمكايده الجماعات الدينية خاصة والروح الإسلامي عامة ، وبالفعل نجح شباب الجماعات الدينية في منع إقامة الحفل رغم كل الترتيبات الرسمية التي رتبته له ، فلم يحدث ما كان مرتباً من رقص وغناء وتمثيل مبتذل .

هذا نموذج لبعض " النشاط " الذي كانت تقوم به الجماعات الدينية في الجامعات ؛
فما تقويمه الصحيح ؟

إن استعراض القوة على هذا النحو كان بالفعل يرهب " المتحررين " و" المتحررات " من الطلبة والأساتذة على السواء .

فلا تجرؤ " فتاة جامعية " على التبذل الرخيص الذي يقع من كثير من " الفتيات الجامعيات " حتى كأنهن راقصات في ملهى ، أو عارضات أزياء في محل تجارى مبتذل ، لا طالبات علم يتحشمن على الأقل في وقت تلقي العلم ، كما تتحشم الفتاة الأوروبية الملحدة الكافرة المنسلخة تماماً من كل دين أو أخلاق أو تقاليد ، في أثناء الساعات التي تتلقى فيها العلم .

قد يكون هذا سلوكاً مناسباً لو أن لتلك الجماعات الدينية وجوداً دائماً في الجامعات ، بحيث يكون لهذا الوجود ضغط مستمر يقاوم ضغط الشيوعيين والملحدين و " المتحررين " لإفساد الأخلاق ، و صرف الشباب والفتيات عن القيم الدينية ، وإشاعة التحلل الخلقي بينهم .

أما إذا كان وجود تلك الجماعات عابراً - كما سنبين في السطور التالية - فهل هذه العملية المفردة ستغير شيئاً حقيقياً في حياة الفاسدين والفاستات من الأسلتذة أو الطلاب ؟ أم الأجدى - وقد أتاحت الفرصة لتلك الجماعات أن توجد فترة محدودة من الزمن - أن يذصرف الجهد إلى التربية الحقيقية على مبادئ الإسلام ، وكل شاب فرد ، وكل فتاة ، وكل مدرس أو أستاذ ، تنفذهم هذه الجماعات من الوحل الذي يرتعون فيه إلى النظافة والطهر ، هو كسب للدعوة ، وعمل مثمر خير من الدنيا وما فيها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

[لأن يهدى الله بك رجلاً خير لك من الدنيا وما فيها] ، أو قال : [خير لك من

حمر النعم]

لقد كانت " اللعبة " التي أبرزت تلك الجماعات الدينية إلى الوجود أن الحاكم يومئذ كان يواجه ضغطاً شديداً من التيار الشيوعي ، والتيار الناصري المتحالف معه ، فكان منطقياً بالنسبة إليه أن يستند - مؤقتاً - إلى التيار الإسلامي ، فيفسخ له المجال للعمل والحركة ، ليصد عنه هو شخصاً الضغوط التي يواجهها ، لا لينظف الجامعة من الفساد والإلحاد والكفر والتحلل الخلقي ، ولا لينشئ في البلد حركة إسلامية تطرها من تلك الأدران ! وليتعرف في ذات الوقت - عن طريق أجهزته البوليسية - على القوى الكامنة في الشباب ، ليضربها في الوقت المناسب - بعد أن تنتهي " اللعبة " - ضربة تشلها عن الحركة أو تقضى عليها !

فهل كان استعراض القوة في حادث الحفل الذي أشرنا إليه - أو أمثاله - هو السلوك المناسب إزاء هذه اللعبة ؟! أم أنه كان قمينا بالتعجيل في إنهاء اللعبة وتوجيه الضربة ؟

وحقيقة إن الضربة كانت آتية لا ريب فيها كما أشار إلى ذلك مدير السجن الحربي ؛ فبمجرد أن يحس " المسئولون " أن التيار الإسلامي قد أخذ يقوى ، يتفجر

الموقف بالضرورة للقضاء على الخطر المرهوب ، والذي تخشاه الصليبية الصهيونية وكل من يعمل لحسابها في الأرض .

ولكن يختلف الأمر حين يكون كل " العمل " الذي تقوم به تلك الجماعات هو تربية شباب نظيف الأخلاق ، متطهر من الدنس ، يعرف ربه ولا يعرف رجس الشيطان ؛ فإن الحاكم يتردد كثيراً في ضربها ، ثم يتردد أكثر في استخدام الوسائل الوحشية لتعذيبها ، لأنه يومئذ لا يستطيع أن يبرر عمله الوحشي أمام الجماهير .

وفي وسع أجهزة الأمن بلا شك أن تقتعل قضية ، وأن تدشبه إلى الناس جرائم لم يرتكبوها قط ولم يفكروا مجرد تفكير في ارتكابها ، وأن تحملهم - بوسائل التعذيب البربرية - على " الاعتراف " بما لم يفكروا فيه أصلاً ... ولكن الجماهير لم تعد اليوم غافلة كما كانت قبل ثلاثين سنة أو عشر ! وصارت اليوم تقدم سوء الظن بأجهزة الأمن على إحسان الظن ! ولم يعد يسهل على حاكم أن ينقض على جماعة كل عملها هو التربية الإسلامية ، فيصب عليها وحشيتها وهو آمن من الإنكار والسخط .

وحقيقة إن أولئك الطغاة لا يهمهم كثيراً غضب الجماهير ، ولكن الذين يشغلونهم لحسابهم لا يحبون أن يكون عميلهم مفضوح الأمر أمام الناس ، لأن هذا يفسد اللعبة في النهاية ولا يحقق المطلوب ؛ بل إنهم في بعض الأحيان يدفعونه دفعاً إلى ما يسخط الناس عليه ، حين يكونون قد قرروا إنهاء دوره والإتيان بوجه جديد ، كما فعلوا بالسادات من قبل ، ومن بعده النميري !

ضربنا نموذجاً من إنفاق الطاقة في قضايا لا تقدم ولا تؤخر ، ولا تغير شيئاً في الحقيقة ، إذ سرعان ما أزيلت الجماعات الدينية من الجماعات ، رجع الفاسدون والفسادات أشد فساداً من ذي قبل !

ونضرب الآن نموذجاً من قضايا ذات خطر حقيقي ، كقضية تحكيم الشريعة الإسلامية ، وهي قضية رئيسية بالنسبة لكيان الأمة كلها ؛ والسعي إلى تحكيم شريعة الله فرض على كل مسلم يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ، لأنه هو المقتضى المباشر لتلك الكلمة العظيمة التي يعلن بها شهادة الإسلام .

نعم ! ولكن !

هل يمكن حقاً أن تقوم شريعة الله في الأرض قبل أن توجد القاعدة المؤمنة الواعية المجاهدة التي تواجه النتائج المترتبة على إعلان الحكم الإسلامي ، وأولها تحرش الصليبية الصهيونية على نحو ما حدث في الجزائر وفي تركيا ؟ وهل يكفي " الضغط الشعبي " لإقامة الحكم الإسلامي ، إن لم يكن " الشعب " الذي يمارس الضغط مستعداً لجهاد ، ومستعداً لخوض معركة طويلة الأمد ، يصبر فيها على الخوف ، والجوع ، ونقص الأموال ، والأنفس ، والثمرات كما بين الله في كتابه المنزل :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ * وَلَنبَلِّغَنَّكُمْ أَمْرًا مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) [سورة البقرة 153/2-155]

أليس الأجدى إذن إنفاق الطاقة في إقامة " القاعدة المسلمة " التي تحتل هذه التبعات الجسام ، بدلاً من إنفاقها - أو إنفاق قدر منها - في المطالبة الشفوية التي لا يترتب عليها شئ في الحقيقة ، إنما تكون كالطاقة الطائشة ، تدبه عدوك إلى مكانك دون أن تصيب شيئاً في الواقع !؟

إن القضية ليست إلهاب حماسة الجماهير لتطبيق الشريعة الإسلامية ، فهذا وحده لا يكفي ، ولا يغير شيئاً من الواقع ، طالما كانت هذه الجماهير لا تملك إلا تلك الحماسة العاطفية ، التي يمكن أن تنطفئ بذات السرعة التي تلتهب بها .

إنما يتغير الواقع حين تُعمل تلك الجماهير نفسها لقضية تحكيم الشريعة على أساس أن هذا التحكيم هو المقتضى المباشر لقول لا إله إلا الله ، محمد رسول الله .

والفارق الضخم - في مجال الحركة الواقعية - بين الحماسة العاطفية التي لا تنتهي إلى شئ واقعي، وبين تجنيد الناس أنفسهم لهذه القضية ، ينشأ من فارق دقيق - وخطير في الوقت ذاته - في تفهم حقيقة القضية وإدراك أبعادها .

فحين تكون القضية في حس الناس أن تحكيم الشريعة " كمالات " يكتمل بها دينهم ، ولكنهم قبل ذلك مسلمون ولو رضوا بشريعة غير شريعة الله ، وتحاكموا إليها بغير حرج في ضمائرهم ، سيكون أقصى ما يعطونه للقضية هو تلك الحماسة

العاطفية التي لا تصمد للبطش الوحشي الذي يقابل به الطغاة الدعوة لتحكيم شريعة الله ، وأن إيمانهم لا يكون ناقصاً إنما يكون غير قائم أصلاً إذا تحاكموا - راضين - إلى شرائع يضعها البشر من عند أنفسهم بغير إذن من الله .

عندئذ سيجند الناس أنفسهم لتلك القضية ، لأنها ستكون في حسهم قضية إيمان وكفر ، لا مجرد "كمالات" يكملون بها إيماناً موجوداً بالفعل، مرضياً عند الله! أما الحماسة العاطفية فهما أعجب الدعاة مظهرها ، فلست رصيذاً حقيقياً في المعركة الهائلة التي يرصدها للإسلام أعداء الإسلام .

تلك نماذج نضربها لصرف الطاقة في غير مجالها الحقيقي ، أو للتقصير في صرفها في مجالها الذي يجب أن توجه إليه ، ودلالاتها أن هناك جوانب نقص في عملية التربية القائمة في ساحة العمل الإسلامي .

فإذا أضيف إلى ذلك ما يشكو منه كثير من الشباب العاملين في الدعوة من أن بعض " المسئولين " عنهم ينقصهم التجرد الكافي للدعوة ، الذي يجعل مصلحتها الحقيقة هي رائدهم ، لا ذواتهم ، ولا رغبتهم في الظهور والاستحواذ على أكبر عدد من الأنصار .

إذا وضعنا هذا كله في الميزان ؛ فهل يحق لقائل أن يقول : ربينا بما فيه الكفاية؟! أما الذين يسألون : إلى متى نظل نربي دون أن "نعمل" ؟

فلا نستطيع أن نعطيهم موعداً محدداً فنقول لهم : عشر سنوات من الآن ، أو عشرين سنة من الآن ؛ فهذا رجم بالغيب لا يعتمد على دليل واضح ، إنما نستطيع أن نقول لهم : نظل نربي حتى تتكون القاعدة المطلوبة بالحجم المعقول .

وواضح أن هذه الإجابة غير محددة ؛ فلا هي تحدد " الزمن المطلوب " ، ولا هي تحدد "الحجم المطلوب" .

ولكن الحقيقة أنه لا يوجد بشر في الأرض يستطيع أن يعطى هذا التحديد ، لأن فيه عنصراً بل عناصر غيبية لا يمكن للبشر تحديدها.

لقد كان الوحي هو الذي ينقل خطى الجماعة الأولى بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم . فقد أمره الله بادئ ذي بدء بإنذار عشيرته الأقربين ، فأخذ يدعو إلى الله سراً فترة من الوقت وهو يتحمل الأذى من عشيرته صابراً محتسباً حتى نزل الأمر

الرباني بالجهر بالدعوة ، فصدع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمر ، ونزل الأذى بالمؤمنين وتحركت مشاعر بعضهم للرد على الأذى ، فنزل الوحي يقول لهم : (كفوا أيديكم) فكفوا ، واحتملوا الأذى صابرين حتى أذن الله لهم بالقتال فقال سبحانه :

(أُوذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) [سورة الحج

[22/39]

ثم جاء الأمر بقتال الذين يقاتلون المؤمنين من المشركين ، دون سواهم :
(وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) [سورة البقرة 2/190]

ثم جاء الأمر بقتال المشركين كافة:

(وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً...) [سورة التوبة 9/36]

واليوم وقد انقطعت الرسالات وختمت النبوة فلن ينتزل وحي يقول للمسلمين : كفوا أيديكم إلى سنة كذا ، وقاتلوا سنة كذا ! إنما هو الاجتهاد والرأي بحسب الظروف القائمة في الأرض ، وبحسب السنن الجارية التي يجرى الله بها قدره في حياة الناس .

وهذه السنن تقول إن الانحراف الضخم الذي وقعت فيه الأمة حتى أصبح الإسلام فيها غريباً كما كان غريباً أول مرة ، يحتاج إلى جهد ضخ وزمن غير قصير حتى تعود الأمة إلى الصراط السوي ، أو حتى تعود منها فئة تحتمل الصراع والصدام مع القوى العالمية المعادية للإسلام ، وتصمد لها حتى يمدها الله بالنصر ، ويمكن لها في الأرض ، ويكون لها من رسوخ القدم في الإيمان ، وصدق العزيمة ، والشجاعة في الحق ، والزهد في متاع الدنيا ، والحرص على ما عند الله في الآخرة ، وما يجعلها تحمل العبء صابرة محتسبة ، ويجعلها تحمل أدران بقية الأمة من المنافقين وضعاف الإيمان والمتقاعسين عن الجهاد فلا يخذلونها ، بل ترفعهم هي بالمثل الرفيع الذي تضربه للناس .

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَٰئِكَ

هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (سورة الأنفال
[4-8/2]

(مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ
يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) (سورة الأحزاب 33/23)

(فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ
يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ) (سورة المائدة 5/54)

(وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا
ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ) (سورة آل عمران 3/146)

(فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
فُيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) (سورة النساء 4/74)

فالزمن المطلوب للتربية هو الزمن الذي يكفل ترسيخ هذه الصفات في نفوس الفئة
المختارة التي يقع عليها عبء المواجهة مع الأعداء .

وهو زمن لا يستطيع بشر أن يحدده على وجه الدقة لأنه غيب ، ولأن فيه جملة
متغيرات تتغير النتيجة في كل مرة بحسب نوعها ومقدارها ألا وهي :

أولاً : الجهد الذي ينبغي أن نبذله لبلوغ هذا الهدف الأساسي :

فكلما بذلنا جهداً أكبر ، كان لنا أن نطمح في تقريب الزمن ، أما إذا تراخينا في
بذل الجهد ، أو لم نوجهه الوجهة الصحيحة فسيطول الزمن ولا شك .

ثانياً : مدى استجابة الذين ندعوهم ونربيهم وهذا أمر ليس في يد البشر إطلاقاً :

(إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (سورة

القصص 28/56)

إنما كلفنا الله سبحانه وتعالى أن نبذل الجهد ، وتكفل هو سبحانه بالنتائج ، لأنها تتم
بقدر منه ، وبحسب مشيئته .

وإن كنا نطمح دائماً في من الله وكرمه ، أننا إذا صدقنا في بذل الجهد فإن الله
يرتب النتائج في صالح الدعوة .

وقد رأينا بأعيننا أن استشهاد رجل واحد صدق ما عاهد الله عليه ، يصنع لهذه
الدعوة من العجائب ما لا تصنعه ألف خطبة ولا ألف درس ولا ألف كتاب ، وهذا

عون الله الذي وعد به سبحانه حين يصدق عباده في التوجه إليه ، والتوكل عليه ، والإيمان به .

والتغيير الثالث هو الظروف التي تحيط بالدعوة وتحيط بالأعداء ، والتي تحدد بدورها الحجم المناسب للقاعدة المطلوبة .

فحين يخلق الله ظروفاً مواتية فقد تستطيع قاعدة أصغر حجماً مما نتخيل الآن ، أن تقيم حكم الله في الأرض ، وتسانده بعد قيامه .

وحين تجرى مشيئة الله بغير ذلك - لحكمة يريد لها - فقد نحتاج إلى قاعدة أكبر حجماً مما نفترض في لحظة معينة .

والحكم في هذا الأمر مسألة اجتهادية ، سواء في تقدير الحجم اللازم للقاعدة ، أو في تقدير الظروف القائمة من حولها .

ومن أجل هذه المتغيرات - وغيرها كثير - لا يستطيع بشر أن يحدد زمناً يقول فيه : نظل نربي إلى عام كذا ، ثم نبدأ " العمل " !

على أن ينبغي أن نضع في حسابنا أن التربية لا يمكن أن تتوقف في أية لحظة فهي بذاتها هدف دائم بالنسبة للأمة حتى لو قام الحكم الإسلامي ؛ فرسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكف عن تربية أصحابه حين قامت الدولة ، بل استمر إلى آخر لحظة يربيهم ، وانظر مثلاً خطبته في حجة الوداع ، كذلك سار من بعده من الخلفاء الراشدين على نهجه صلى الله عليه وسلم يربون الأمة وبالسلطان .

إنما بدأ الانحراف في الأمة حين نقصت التربية عن القدر المطلوب ، وحين تحولت عن النهج المطلوب .

إنما كانت إجابتنا موجهة للذين يعنون بسؤالهم : إلى متى نظل نخصص الوقت كله والجهد كله لعملية التربية المطلوبة .

وأما الذين يقولون : ما جدوى التربية ، ونحن كلما ربينا جيلاً من الشباب قضى عليه الأعداء ! فقد سبق أن أجبنا على تساؤلهم من الواقع المشهود .

ونحن لا نعلم الغيب ، ولا نعلم إن كان الشاب الذي نربيه اليوم سيموت غداً أم يموت بعد عمر مديد ، ولا نعلم كذلك هل يثبت على الطريق أم يفتن في دينه ،

ولكن علينا دائماً أن نبذل جهدنا في تربيته على النهج الصحيح .

فإن شاء الله أن يمتد به العمر فهو قوة للدعوة وامتداد لها ، أما إن كان في قدر الله أن يفتن في دينه فمنذا الذي يستطيع أن يرد عنه قدر الله ؟ ومنذا الذي يستطيع أن يعرف لفرد ما يكون من أمره في الغداة !؟

في جميع الأحوال إذن ينبغي أن نمضي في التربية ، ونحن واثقون أنها الطريق الواصل في النهاية ، حتى وإن كانت هي الطريق الشاق المجهد البطيء الطويل . ولا بد من كلمة تبين لنا على الأقل بعض أبعاد التربية المطلوبة ، وما يمكننا أن نتحدث عن كل أبعاد التربية أو عن المناهج التربوية ، فتلك بحوث متخصصة . ونكتفي بثلاثة أبعاد لأنها ذات أهمية خاصة ، ومن أراد البسط فعليه بمراجعة مظان المسألة :

البعد الأول : " اليقين " :

يقول سبحانه وتعالى :

(إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) [سورة الذاريات 51/58]

ولو أنك سألت أي إنسان في الطريق : من الذي يرزقك ؟ لقال لك على البديهية : الله !

ولكن انظر إلى هذا الإنسلان إذا ضيق عليه في الرزق ، يقول : فلان يريد أن يقطع رزقي ! فما دلالة هذه الكلمة ؟

دلالتها أن تلك البديهية التي نطق بها لم تكن " يقيناً " قلبياً ، إنما كانت بديهية ذهنية فحسب ، بديهية تستقر في وقت السلم والأمن ، ولكنها تهتز إذا عرضت للشدة ، لأنها ليست عميقة الجذور .

هل يصلح مثل هذا الإنسان لأعباء الدعوة ومشقاتها !؟

هل يصلح لتلك الأعباء الأشخاص قد استقر في قلبه إلى درجة اليقين أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين .

أن الله هو المحيي والمميت ، أن الله هو الضار والنافع ، أن الله هو المعطي والمانع ، أن الله هو المدبر ، أن الله هو الذي بيده كل شيء .

وإذا اهتز اليقين لحظة واحدة فماذا يحدث !؟

لقد كنا نرى في المعتقل بعض الذين يهتز في قلوبهم هذا اليقين لحظة ، فتهتز خطواتهم على الطريق ! يتسرب إلى روعهم أن هذا الشخص أو ذاك يمكن أن ينفذ ، أو يمكن أن يضر .

فيتوجهون إليه يحسبون أنه يمكن أن يخرجهم مما هم فيه من الضيق ؛ فينزلقون ، وينتهي دورهم في الدعوة ، إلا أن يتوب الله عليهم فيتوبوا .

ترى كم جلسة.. كم درساً.. كم موعظة.. كم توجيهاً.. يحتاج إليها الإنسان ليرسخ في قلبه إلى درجة اليقين أن الله هو الذي يدبر ، وأن هذه المخلوقات البشرية التي يخالطها في حياته إن هي إلا أدوات لقدر الله، وأنها حين تضره فهي تضره بشيء قد قدره الله له، وحين تنفعه فإنما تنفعه بشيء قد كتبه الله له فلا يتوجه إلا إلى الله ، في سرائه وفي ضرائه سواء ، ويعلم - يقيناً - أن الخلق كلهم لا يملكون له - ولا يملكون لأنفسهم - ضراً ولا نفعاً؟! فإذا دخل في الشدة - وطريق الدعوة مملوء بالأشواك والدماء والدموع - طلب التثبيت من الله، ونظر إلى كل ما يصيبه على أنه قدر مكتوب له .

ثم نظروا إلى هذا القدر المكتوب له على أنه كله خير ، ما دام يسير على طريق الإيمان ، لأن أمر المؤمن كله خير، إن أصابته سواء شكوا فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له ؛ وليس ذلك إلا للمؤمن .

فإذا لم يصل إلى هذا اليقين القلبي ، الذي يترتب عليه سلوك عملي ؛ فهل يصلح لحمل أعباء الدعوة؟!!

كم يحتاج الفرد الواحد حتى ترسخ هذه العقيدة في قلبه إلى درجة اليقين ؟ وكم يحتاج الجمع من الناس ؟ وكم يحتاج تكوين " قاعدة " صلبة من مثل هؤلاء ، يقوم عليها بناء دعوة ، ثم يقوم عليها - حين يأذن الله - بناء دولة؟!!

إنه لمثل هذا كان يعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر عاماً كاملة في مكة ، وبعدها سنوات في المدينة كان يعمل ، ولم يكن يقول في نفسه وهو في مكة : إلى متى نظل نربي دون أن " نعمل " ؟ فقد كان يعلم يقيناً - بما علمه ربه - أن هذا هو " العمل " الأساسي الذي يسبق كل عمل .

هذه هي " العقيدة " ، هذه هي " لا إله إلا الله " في حقيقتها الاعتقادية ، ليست مجرد إقرار ذهني بأن الله تعالى واحد .

فما أيسر أن يعتقد الذهن ذلك - وإن كان قد صعب على العرب في جاهليتهم - ولكن تبقى " شوائب " نفسية وشعورية كثيرة عالقة بهذا الاعتقاد الذهني ، ولا تظهر إلا في السلوك العملي ، في حالي الشدة والرخاء سواء ، وإن كانت الشدة هي المجهر الأقوى الذي تبرز تحته كل شوائب الاعتقاد .

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يُقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ...)
[سورة العنكبوت 29/10]

(أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) [سورة العنكبوت 29/2-3] .

لمثل هذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى أصحابه في دار الأرقم : يرببهم ويعلمهم ، يعلمهم العقيدة الصحيحة ، ويرببهم عليها .

فليست العقيدة مفهوماً ذهنياً تستوعبه الأذهان ثم يستقر فيها هناك ! إنها على هذا النحو لا تصنع شيئاً في عالم الواقع ، ولا تغير شيئاً في عالم الواقع .

كالفلسفة في الأبراج العاجية ، لا تغير شيئاً في واقع الناس ! إنما هي " عقيدة " ، ترسخ وترسخ وترسخ ، حتى تصبح يقيناً قلبياً تنطلق على هداه مشاعر القلب ، ويجري بمقتضاه السلوك العملي للإنسان .

وبهذه الصورة تعمل " العقيدة " في عالم الواقع .. تغير .. تهدم وتبنى .. تهدم الباطل وتبنى مكانه الحق .

وحين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يربي أصحابه على العقيدة الصحيحة ، كان ينشئ - بقدر الله - ذلك اليقين القلبي الذي ينبثق منه السلوك العملي ، وكان - بهذا - ينشئ - بقدر الله - تلك النفوس العجيبة التي صنعت ما شاء الله لها أن تصنع من عجائب التاريخ .

بالقرآن .. بتوجيهاته الدائمة صلى الله عليه وسلم .. بقيام الليل .. بالقدوة العملية في شخصه الكريم صلى الله عليه وسلم .. برعايته لهم في المدنة .. بالحب الفياض من قلبه العظيم لهم .

بكل تلك الوسائل مجتمعة ، تأصلت " العقيدة " في قلوب ذلك الجيل المتفرد ، فكانت تلك " الطاقة " الهائلة التي صنعت الأعاجيب .

وفي غربة الإسلام الثانية نحتاج إلى مثل ما احتاج إليه الأمر في الغربية الأولى ، إن لم يكن على ذات المستوى السامق ، فعلى أقرب مستوى إليه يطيقه البشر في جولتهم الثانية لإزالة غربة الإسلام .

كم من الزمن يستغرق هذا الأمر ؟ لا أدري ! ولكني أعلم يقيناً أنه مطلوب ، وأن " القاعدة " المطلوبة لابد أن تقوم على مثل هذا " الاعتقاد " في لا إله إلا الله ، الذي يملأ القلب باليقين ، ويتمثل - من ثم - في سلوك عملي .

البعد الثاني : " الأخوة " :

يقول سبحانه وتعالى:

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) [سورة الحجرات 49/10]

والأخوة من أجمل " المعاني " التي يمكن أن يتحدث عنها الإنسان ! شفيفة لطيفة كالنور ! ندية محببة إلى القلوب ، ولكن ما " الأخوة " التي وردت الإشارة إليها في كتاب الله ؟

يستطيع اثنان من البشر وهما يسيران في الطريق الواسع - في الأمن والسلامة - أن يتآخيا ! أن يسيرا معاً وقد لف كل منهما ذراعه حول أخيه من الحب. ولكن انظر إليهما وقد ضاق الطريق ، فلا يتسع إلا لواحد منهما يسير وراء الآخر ؛ فمن أقدم ؟ أقدم نفسي أم أقدم أخي وأتبعه ؟

أم انظر إلى الطريق قد ضاق أكثر ؛ فلم يعد يتسع إلا لواحد فقط دون الآخر ! إنها فرصة واحدة .. إمالي وإمالي .. فمن أقدم ؟ أقول: هذه فرصتي ، وليبحث هو لنفسه عن فرصة ؟ أم أقول لأخي : خذ هذه الفرصة أنت ، وأنا أبحث لنفسي !؟

هذا هو " المحك " .

إن الأخوة في الأمن والسلامة لا تكلف شيئاً ! ولا تتعارض مع رغائب النفس ؛ بل هي ذاتها رغبة من تلك الرغائب يسعى الإنسان لتحقيقها مقابل الراحة النفسية التي يجدها في تحققها.

أما في الشدة - أو في الطمع - فهنا تختبر الأخوة الاختبار الحق ، الذي يتميز فيه الإيثار والحب للآخرين ، ومن الأثرة وحب الذات ، التي قد تخفي على صاحبها نفسه في السلام والأمن ، فيظن نفسه " أخاً " محققاً لكل مستلزمات الأخوة !
 كم جلسة .. كم درساً .. كم موعظة .. كم توجيهاً .. يحتاج إليها الإنسان الفرد ، وتحتاج إليها الجماعة ، وتحتاج إليها " القاعدة " ليرسخ في حسهم جميعاً هذا " المعنى " فلا يعود حقيقة ذهنية يستوعبها الذهن ثم ينتهي بها المقام هناك ، إنما تتحول إلى وجدان قلبي ، يتعمق في القلب حتى يصدر عنه سلوك عملي كذلك الذي ورد ذكره في كتاب الله :

(وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [سورة الحشر 59/9]

إنه لمثل هذا كان يعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يربى أصحابه رضوان الله عليهم ، ثلاثة عشر عاماً في مكة ، وسنوات في المدينة بعد ذلك .
 لم يكن يقول في نفسه وهو في مكة : إلى متى نظل نربي تلك المشاعر دون أن نعمل " ! لأنه كان يعلم يقيناً - بما علمه ربه - أن هذا من العمل الأساسي المطلوب لإنشاء القاعدة المؤمنة التي وُجِّه صلى الله عليه وسلم لإنشائها .
 وأن هذه الأخوة - فوق أنها ضرورية لإقامة القاعدة المؤمنة التي هي نواة " الأمة المسلمة " - فهي جزء من " التحقيق السلوكي " لئلا إله إلا الله .

فليست لا إله إلا الله وجداناً قلبياً عميقاً فحسب ، بل هي التزام بما أنزل الله ، ومن ثم فكل ما جاء من عند الله فالالتزام به هو من مقتضيات لا إله إلا الله ، وقد أحب الله هذه الأخوة وامتدحها ، وأوجبها على المؤمنين به ، وأنزل فيها آيات كثيرة لعل من أبرزها :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِدْسٍ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا

أَيُّبُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (سورة الحجرات 11/49-12)

بالقرآن .. بالمصاحبة .. بالمعايشة .. بالتوجيه المستمر .. بالقدوة في شخصه الكريم صلى الله عليه وسلم .. بالحب الذي يفيض من قلبه الكبير إليهم .. بالاهتمام بكل فرد منهم كأنه هو الأثير عنده .. بالممارسة العملية للمشاعر الإيمانية داخل " الجماعة " .

بهذه الوسائل مجتمعة ربي رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الجماعة المتأخية ، التي صنعت بتأخيرها الأعاجيب ، وأقام ذلك البنين المتين المترابط ، الذي يشد بعضه بعضاً فيقويه .

وفي غربة الإسلام الثانية ، نحتاج إلى مثل ما احتاج إليه الأمر في الغربة الأولى ، إن لم يكن على ذات المستوى السامق ، فعلى أقرب المستويات إليه . ذلك أن الضغوط الجاهلية تفتت كل ترابط ، ما لم يكن ثيق الرباط إلى الحد الذي يتحمل كل الضغوط ، ويبقى وثيقاً رغم كل الضغوط .

كم يستغرق هذا الأمر ؟ لا أدري ! ولكني أعلم يقيناً أنه مطلوب ، وأن " القاعدة " التي يقع عليها عبء مواجهة الجاهلية بكل كيدها ، ينبغي أن تحقق في سلوكها العملي هذا الخلق من أخلاقيات لا إله إلا الله ، لتصبح جديرة برعاية الله ، ولكي تستطيع أن تمضي في الطريق متأخية متساندة مترابطة وهي تتعرض للأهوال .
البعد الثالث : " النظام " :

من ضرورات الحياة البشرية ، وفي هذه الأيام خاصة يتردد القول بأنه من " التحديات الحضارية " التي تواجه هذه الأمة .

والبيئة التي انتشر فيها الإسلام - بقدر من الله - تقع كلها - ما عدا النادر منها - في المنطقة الحارة والمنطقة المعتدلة الحارة ، وهذه البيئة فوضوية بطبيعتها ! إن الحياة - في معظمها - سهلة رخية ، لا أحد يموت من الجوع إلا النادر ، ولا أحد يموت من البرد إلا النادر .

أقل قدر من الطعام يمكن أن يحفظ الأولاد لأنه لا يوجد البرد القارس الذي يستهلك الطاقة ويحتاج إلى " الوقود " الغذائي المتجدد .

كذلك لا يحتاج الإنسان أن يختزن في أعصابه تدبيراً وترتيباً للمستقبل ، لأن المستقبل في حسه مثل الحاضر ، والحاضر تقضى أموره بصورة من الصور ليس فيها ترتيب مسبق ولا تدبير كثير . ومن ثم لا يحتاج الإنسان أن " يخطط " للمستقبل ، ولا أن يمد بصره أو تفكيره إلى بعيد ، فدين يأتي الغد بمشكلاته ، نحلها بذات العفوية التي نحل بها مشاكلنا الحاضرة ! ومن ثم تتسم طباع أهل المنطقة - المستمدة من تأثير البيئة - بالعفوية الشديدة و" قصر النفس " ، لأن النفس الطويل لا يفترق في نتائجه العملية - في حسهم - عن النفس القصير الذي يواجه المشاكل - وقت حدوثها - وينتهي منها في لحظتها، وينصرف إلى غيرها !

وخلاصة القول أن أهل هذه البيئة - حين يتركون لتأثير البيئة وحده - قوم يكرهون النظام ، ويرونه عبئاً ثقيلاً على أعصابهم لا ينبغي أن يحملوه ، ولا ضرورة - في حسهم - لحمله .

وقوم عفويون يكرهون التخطيط والنظر إلى بعيد ، ويرونه كذلك عبئاً ثقيلاً على أعصابهم لا موجب له ، وهم أخيراً قوم قصار النفس يشتعلون حماسة لفترة موقوتة ، ثم تخبو حماسهم كأن لم تشتعل قط ، وتتصرف إلى موضوع جديد .

من هذه الطباع - المستمدة من تأثير البيئة - تسلمهم الإسلام فأنشأ منهم خلقاً آخر . أنشأ مذهب بادئ ذي بدء أمة شديدة التنظيم ، لا تكره النظام ولا تتمرد عليهن بل تسارع إليه وتمتثل لمقتضياته .

وليس بنا - هنا - أن نستطرد كثيراً إلى الوسائل التي غير بها الإسلام طباع هذه الأمة المستمدة من البيئة ، والموروثة فيها قروناً إثر قرون .

ولكني كلما قرأت في كتب السيرة : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفنا للصلاة كما يصفنا للقتال " تهتز نفسي تأثراً وعجباً لهذا المربي العظيم صلى الله عليه وسلم كيف كان يعد هذه الأمة لمهمتها .

لتكون "خير أمة أخرجت للناس" وأعجب لهذا الدين كيف يصنع في النفوس، فيغير من الطباع ما يبدو لأول وهلة داءً مستعصياً على الحل!

كان عليه الصلاة والسلام لا يبدأ الصلاة حتى يرى الصف قد استقام ، وكان يقوم الصف بيديه الشريفتين ، يلصق كتف هذا بذاك ، وقدم هذا بذاك ، حتى يقوم صف الصلاة كصف القتال ، كأنه بنيان مرصوص !

والإسلام كله نظام ودقة ، مع سماحته التي تعطف على الضعف البشري ولا تلغنه ما دام صاحبه لا يصر عليه ، ومع نداوته التي تتعامل مع النفوس البشرية لا على أنها آلات وأدوات ، ولكن على أنها مشاعر وعواطف ، فيرفع عنها الحرج :

(وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَٰئِكَ جَزَاءُ هُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) [سورة آل

عمران 3/135-136]

(هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) [سورة الحج 22/78]
(مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [سورة المائدة 5/6] .

ويتبدى التنظيم واضحاً في العبادات خاصة ؛ فالصلاة مواقيت ، والصوم مواقيت ، والحج مواقيت ، والزكاة مواقيت ؛ فضلاً عن التنظيم الدقيق في كل عبادة من هؤلاء ، وخاصة في الصلاة والحج .

والقرآن يعلم المؤمنين النظام والدقة في الآداب التي نسميها اليوم " الآداب الاجتماعية " :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ) [سورة النور 24/27-29] .

والتربية الإسلامية التي رباها الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه جعلت منهم أمة منظمة تنظيمياً دقيقاً على أساس " إنساني " لا على أساس آلي .

وتلك مزية الإسلام ؛ فهو ينظم الحياة - في جميع جوانبها - مع المحافظة على " إنسانية الإنسان " ألا يتحول إلى آلة ، فيفقد العمل دلالاته النفسية التي يؤدي من أجلها ، بل يظلم الإنسان - مع محافظته على النظام - واعياً لأهداف وجوده ، مريداً لتحقيقها في كل مرة ، لا مدفوعاً دفعاً آلياً إليها .

ومع النظام لم تعد العفوية هي صورة العمل في الأمة الإسلامية ، لأنه لكل عمل ضوابطه الشرعية ، وللشريعة في كل عمل " مقاصد " ينبغي تحقيقها .

ومن ثم يراجع الإنسان كل عمل يعمله ليرى هل هو في دائرة الحلال المباح أم خرج عنها، ويراجع النتائج التي يمكن أن تترتب على عمله ، ليرى هل هي متمشية مع مقاصد الشريعة أم مخالفة لها .

ومع النظام والانضباط والنظر في النتائج رباهم الإسلام على النفس الطويل والرؤية البعيدة ؛ فهناك هدف بعيد لكل فرد ، وهناك أهداف ممتدة لمجموع الأمة . فأما الفرد فقد رباها الإسلام على أن يعمل لا ناظراً لدنياه وحدها ، ولا لغده القريب وحده ؛ بل وضع له هدفاً يتجاوز العالم المشهود كله ، والحياة الدنيا كلها .

ليصل به إلى عالم الغيب وإلى اليوم الآخر ؛ فيعمل في دنياه الحاضرة وفي لحظته الحاضرة وهو ناظر إلى عالم بعيد يتجاوز كل مدى الحس ، ولكنه حاضر في قلبه كأنه يراه أمامه ، وكأنه متحقق في هذه اللحظة .

ويعمل وفي حسه ذلك الهدف البعيد الذي يسعى كل لحظة إلى تحقيقه ، وهو الجنة ورضوان الله، هدف لا يمكن أن يوجد في حس البشرية كلها هدف أبعد منه .

ومع ذلك فهو متعلق به دائماً ، يشعر في كل لحظة أن كيانه كله مرتبط به ، وأن كل خطوة يخطوها هي خطوة على الطريق إلى ذلك الهدف البعيد .

وأما الأمة فقد رباها الإسلام على أن مهمتها لا تنحصر في تحقيق كياناتها الذاتي المحدود ، ولا في أن تعيش لحظتها الراهنة ، وإنما لها هدف ممتد في الحياة الدنيا ، وممتد من الحياة الدنيا إلى الآخرة ، ذلك هو دعوة البشرية كلها إلى النور الرباني ، والجهاد لتكون كلمة الله هي العليا في كل الأرض ، لتكون شاهدة على البشرية كلها في اليوم الآخر :

(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)
(سورة البقرة 2/143) .

ولقد ظلت الأمة تلاحق هذا الهدف ما يقرب من عشرة قرون متوالية ، لا تفتو حماستها له ، ولا تتقاعس عن الجهاد من أجله ، جيلاً بعد جيل ، وهذا " أطول نفس " عاشته أمة في التاريخ .

ولكن خط الانحراف الطويل الذي مررت به الأمة ، وآثاره فيها ، ظل يحدث انحساراً مستمراً في حقائق الإسلام ، وفي فاعليتها في نفوس الناس .

فارتدت الأمة رويداً رويداً إلى تأثير البيئة ، ذلك أنه في غيبة العقيدة الحية المتمكنة من النفوس تصبح البيئة هي صاحبة التأثير ، ومن ثم رجعت الأمة إلى طبيعتها الفوضوية التي تكره الانضباط ، العفوية التي تكره التخطيط ، القصيرة النفس التي تكره الرؤية البعيدة ولا تطيق المتابعة للأمد الطويل .

وإذ كانت هذه هي حالة الأمة - كما هو واضح لكل من يدرس أحوالها - فمن يصلحها !؟

هل تصلحها الأحزاب السياسية الموالية للغرب ، وهي لا تضع ذلك في برامجها ، ولا تقدر عليه حتى إن قصدت إليه .

وهذه هي تجربة قرن كامل من الزمان ، كانت الأمة منجرفة فيه إلى تقليد الغرب والذوبان فيه ، فما استطاعت الأحزاب الموالية للغرب ، والداعية إلى التغريب ، أن تصلح شيئاً في هذا المجال ، وظلت الأمة - إن لم تكن قد زادت - في فوضويتها الكارهة للنظام ، وعفويته الكارهة للانضباط ، وقصر نفسها الذي يشتعل حماسة للحظات ، ثم تنطفئ الحماسة وتخدم العزائم وتنصرف الجهود !

هل تصلحها الأحزاب الشيوعية ، وهي لا تضع ذلك في برامجها ، ولا تقدر عليه حتى إن قصدت إليه ، وهذه هي تجربة ما يزيد على ربع قرن في البلدان التي ابتليت بها من العالم الإسلامي ، لم تغير شيئاً من حال الناس ، إن لم تكن قد زادتهم انحرافاً في كل جوانب الحياة !

إنه لا يقدر على إصلاح آثار هذه البيئة إلا العقيدة ، ولا يقدر على إصلاحها إلا أصحاب العقيدة الصحيحة ، والواعون لحقيقتها ، الذين تربوا تربية إسلامية

صحيحة ، كتلك التي رباها الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه ، فتستطيع هذه التربية - كما استطاعت أول مرة - أن تنشئ النفوس نشأة جديدة ، منظمة منضبطة طويلة النفس ، تزيل آثار الانحراف ، وتعيد الأمة إلى ما كانت عليه وقت استقامتها على هذا الدين ، ولا بهدف مواجهة " التحديات الحضارية " التي يذكرها بعض الناس وهم يتكلمون عن " الإصلاح " المطلوب ، بل يهدف إعادة الأمة إلى " خيريتها " التي أخرجها الله من أجلها :

(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) [سورة آل عمران 3/110]

وهو هدف يتجاوز كل " التحديات الحضارية " إلى ما هو أعلى وأنفس ، خير الدنيا والآخرة على السواء .

ترى كم جلسة .. كم درساً .. كم موعظة .. كم توجيهاً .. يحتاج إليها الإنسان الفرد ، وتحتاج إليها الجماعة ، وتحتاج إليها " القاعدة " ليمثل فيها أولاً هذا " المعنى " ثم لتكون قادرة على إعطاء المثل لغيرها ، فتستطيع بالتالي تربية الأمة كلها - أو من يستجيب منها - على هذه الصفات وهذه الأخلاقيات الضرورية لها ، لتتجاوز أزمتهما الحاضرة وتأخذ في الصعود !؟

تلك ثلاثة أبعاد للتربية من بين أبعاد كثيرة في مجالات مختلفة ، ليست مثلاً خيالية ، ولا هي " تحديات " ! إنما هي شروط ضرورية لقيام القاعدة المطلوبة ، التي تستطيع أن تتحمل العبء الملقى عليها في مواجهة الجاهلية المتربصة بالكيد . ومن هذه النماذج - ومن غيرها الذي لم نذكره - يتضح جلياً أن أماننا شوطاً طويلاً في مجال التربية لا غنى لنا عن المضي فيه، قبل أن يحق لنا أن نتساءل: وماذا بعد !؟

إن بعض مجالات التربية قد قطعنا فيه شوطاً ولم نصل ، وإن بعضها الآخر لم نبدأ فيه بعد! وكل تعجل في ميدان التربية بالذات لا يأتي بخير .

لأنه يكون بمثابة إقامة بنيان على غير أساس ، أو على غير أساس مكين ، فكلما ارتفع كان عرضة للانهدام .

والذين يستطيّلون الطريق ، ويحسبون أن هناك طرقاً أقصر وأخصر ، ينبغي أن يأخذوا عبرة التجربة ، سواء كانت التجربة هي مذبة حماة ، أم كانت هي التجربة " السياسية " في تركيا ؛ فإذا كنا لا نعتبر بالأحداث ، فذلك في ذاته دليل على نفس في تربيتنا يحتاج إلى علاج .

=====

واجب الشباب عند فساد الزمان

عبد العزيز بن عبد الفتاح قاري

المدينة المنورة

قباة

محامد و أدعية طباعة الخطبة بدون محامد وأدعية

ملخص الخطبة

- 1- كثرة الخبث هي فساد الزمان 2- خرج الاستعمار وبقيت أذنا به 3- الهجمة التنصيرية على أفريقيا 4- دعوة لتدبر القرآن الكريم وإسماعه للناس 5- الدعوة بالتي هي أحسن 6- الإعداد والاستعداد سابق على الجهاد 7- معنى كلمة الجهاد وأهداف الجهاد الإسلامي 8- العلم قبل القول والعمل 9- طُرق تعلم العلم 10- مبدأ الشورى 11- ثمان قواعد ضرورية لكل شاب مسلم

الخطبة الأولى

أما بعد:

فساد الزمان مصطلح فقهي يريد به علمائنا فترات الانحطاط التي يغلب فيها الخبث وتكثر فيها المعاصي حتى يألفها ويعتادها الناس وتفسد بذلك أكثر طباعهم وآدابهم وتختل موازينهم وضوابطهم ولا شك أن الوقت الذي نحن فيه اليوم قريب الشبه بهذه الأوقات لقد برزت ظواهر الخلل في مجتمعاتنا بشكل واضح سواء في التصورات والأفكار والعقائد التي ابتليت بأمرار الشبهات أو في مجال الأخلاق والآداب والسلوك التي ابتليت بأمرار الشهوات فان ظواهر الانحراف والخلل

واضحة بارزة في مجتمعاتنا ومما أدى إلى استفحال ذلك الفساد في هذا الزمان الذي نعيش فيه أن الاستعمار الغربي خرج من الباب ليعود من النافذة مستغلاً تلك الطبقة من أذنبه وصنائه والتي عمل بكل مكر وحيلة على تكوينها وتهيتها وزرعها في جسم هذه الأمة فهو خرج من الباب ولكنه ترك بؤرة في جسد الأمة تؤدي وظيفة إفسادها ولعوامل كثيرة وبسبب دعم هذا الاستعمار لهذه الفئة فانهم وللأسف الشديد قد تمكنوا من مقدرات الشعوب المسلمة في أكثر البلاد الإسلامية تمكنوا من مراتب السلطة والقيادة والتوجيه في أكثر البلاد الإسلامية فالإعلام والتعليم وتوجيه الشباب والشابات وغير ذلك من مراكز التأثير والقيادة والتوجيه. وفي أيدي هؤلاء في معظم البلاد الإسلامية وأكاد أقول في جميع البلاد الإسلامية وقد عملوا ونفذوا وخططوا وبذلوا جهوداً متواصلة ومدروسة ومبرمجة لإفساد هذه الأمة ولكن العجيب وهذا سر من أسرار الدين وطبيعة من طبائعه أن تلك الجهود المتواصلة المدروسة المبرمجة والتي سخرت لها الوسائل المتطورة بشكل كبير مما يشاهد في عصرنا وزماننا أنها سرعان ما تنهار بمجرد أن ينبثق بصيص من نور الإيمان في القلوب ، فأى جهد إيماني صادق ولو كان يسيراً يفعل فعله في النفوس أكثر مما تفعله تلك النشاطات التخريبية التي يقوم بها دهاقنة الفساد في العالم، المهم أن يبدأ نور الإيمان في القلوب بداية صحيحة سليمة فإنه يتفجر بعد ذلك في النفس البشرية تفجراً عجبياً كتفجر تلك العيون الإثنتا عشرة من الحجر إذ ضربه الكليم موسى بعصاه ، وخطوات إيمانية صادقة سليمة يتخذها أهل الإيمان مهما كانت قليلة محدودة فإنه يكون لها من البركة والتأثير الشيء العجيب في إصلاح النفوس أو في إبطال كيد أولئك المفسدين كأنما هي عصا الكليم موسى عليه السلام تلقف ما يأفكون. إنهم اليوم وهذا مثال يبذلون جهوداً لتصير القارة الإفريقية السوداء وينفقون بلايين الدولارات ويستخدمون في سبيل ذلك الوسائل المتطورة حتى الأقمار الصناعية ومع ذلك يقفون في حيرة وهم يحتاجون بغيظ وحنق يحذر بعضهم بعضاً يقولون: إن الإسلام يزحف على القارة الإفريقية هم يقولون ذلك عجيب هذا كيف يزحف الإسلام على القارة الإفريقية مثلاً وليس ورائه من الهيئات الدولية أو ذات النفوذ والإمكانات ولا مثل عشر تلك الهيئات التي تقف

وراء التنصير، والوسائل الفقيرة الضئيلة المحدودة التي يستخدمها كتائب الدعاة المسلمين على قلتهم بهذه القارة لا تنافس أبداً تلك الوسائل الهائلة التي يستخدمها دهاقنة التنصير في إفريقيا فكيف يزحف الإسلام على هذه القارة؟ إنه لا شك سر عجيب في هذا الدين ولعل مكن هذا السر في أن قوة هذا الدين مستمدة من قوة منزله سبحانه وتعالى الذي شرع هذا الدين وأنزله له الأمر كله وله التدبير كله يتصرف في خلقه كيف يشاء كثيرون ممن تقلبوا في برامج التنصير أو غيره من برامج الانحراف الفكري أو الخلقى تبحث نفوسهم خلال ذلك عن مستقرها فلا تجده ولكنهم مع ذلك يماطلون أنفسهم بالأوهام ويعاندون فطرتهم ولكن في لحظة تجلي للعقل والفطرة بمجرد أن يسمع الإنسان ولو كان كافراً آيات من القرآن الكريم تقذف فيه من التأثير الشيء العجيب بشرط أن يكون ذلك في لحظة تجلي للعقل وللفطرة ففي مثل هذه اللحظة مؤمناً كان أو كافراً آية من القرآن الكريم أو آيات حتى ولو لم يفقه معناها لأول وهلة فإن للقرآن تأثيراً وبركة من كونه كلام الله وخطاب الله لهذا الإنسان ولذلك كان بعض السلف يقولون من أراد أن يتحدث مع الله فليقرأ القرآن، فالقرآن كلام الله وخطاب الله للإنسان ولذلك إذا قرعت آياته النفس البشرية في لحظة تجلي للعقل وللفطرة فإن الإنسان قلما يقاوم جاذبية هذا القرآن وقوته، قال تعالى: ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو كلمت به الموتى لو أن كتاباً مقروءاً يمكن أن يحدث هذا التغيير في الجبال أو الموتى لكان هذا هو هذا القرآن ولذلك أيضاً قال الله تعالى: وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ولكن المقصود ليس هو أن نغرق وإياكم في الأحلام والخيالات فإن الرب عز وجل قد حذرنا من ذلك فقال: ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به أنا لا أريد بهذا أن نغرق جميعاً في الأحلام والأمانى العريضة والخيالات ولكن المقصود هو أن نتبين معالم الطريق وأن نتعرف واجبنا في مثل هذا الزمان الكئيب والذي أريد أن أنبه إليه إخواننا الشباب أربعة معالم من معالم الطريق التي يجب أن يسلكوها جميعاً إذا التزم الشاب المسلم الجادة الصحيحة وتثبت من سلامة موقفه وصحة خطواته وأنه على الصراط المستقيم، صراط الله العزيز الحميد وأنه على منهج السلف صفوة هذه الأمة وقودتها ورعيها الأول لا

خوف عليه ولا يحزن ولا يبالي بالدنيا وما فيها المهم هو أن نتثبت من صحة مواقفنا وسلامة خطواتنا وأدنا على منهج السلف الذين هم قدوتنا. أربعة معالم أحببت أن أوصي إخواننا الشباب بالعناية بها وهي: العلم والعمل والدعوة والجهاد. فأول ما يجب على الشاب المسلم في هذا الزمان وفي غيره أن يتعلم دين الله عز وجل على منهج السلف, ومنهج السلف يقرن فيه العلم بالعمل فلا شيء في منهجهم اسمه الترف الفكري ولا شيء في منهجهم اسمه العلم للعلم بل العلم للعمل ولذلك ما لا يتعلق به عمل من العلوم فإنهم لا يضيعون أوقاتهم فيه ولا يصرفون أعمارهم فيه , أكثر رجل من الأسئلة لأبي الدرداء رضي الله عنه وأبو الدرداء يجيبه ثم قال له أبو الدرداء: أو تعمل بكل ما تسأل عنه. قال: لا. قال: فما حاجتك إلى كثرة الحجج عليك. وأنتم تعلمون أن منهج السلف في تلقى العلم هو تلقى العلم والعمل معاً فلا شيء في منهجهم اسمه الترف الفكري ولا شيء في منهجهم اسمه العلم للعلم فما لا يتعلق به عمل من العلوم ترف فكري ولا يصرف السلف أوقاتهم فيه وأعمارهم من أجله وهم يعلمون أن الأعمار محدودة وأن التكاليف عليهم يجب أن يبادروا إلى أدائها. فعلى الشاب المسلم أولاً أن يتعلم دين الله على منهج السلف ثم عليه أن يؤدي رسالته في المجتمع أن يقوم بواجبه نحو هذه الأمة بالدعوة , فالعلم الصحيح الذي تلقاه يجب أن يبثه وينشره , ونعلم جميعاً أن الهدف من الدعوة هو الإقناع بالحجة والبرهان والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن , هذا هو الأصل في وسيلة الدعوة فمن تصور أن العنف هو الوسيلة الأسرع والأقرب لفرض مبادئ هذا الدين فلا شك أنه واهم لا يعرف طبيعة هذا الدين , لو كان الأمر كذلك لفرض القتال منذ نزول أول آية في مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم , ولو كان الأمر كذلك لما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الشطر الأكثر من عمر الدعوة في تربية النفوس وتعليم مبادئ هذا الدين بالإقناع وبالحجة والبرهان ولكن ليس معنى هذا أن نلغي من برامجنا وأن نسقط من قائمة مبادئنا ركن الجهاد فان الجهاد حياة كاملة وهو من طبيعة هذا الدين التي لا تتفك عنه أبداً إلى يوم القيامة , قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((بعثت بين يدي الساعة بالسيف وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من خالف

أمري)) وفي حديث آخر صحيح وصف الجهاد بأنه ذروة سنام الإسلام. ولكن الجهاد هو قمة المرحلة تسبقه مراحل من الإعداد للجهاد, لو كان الجهاد هو المرحلة المبكرة لما أجل تشريعه إلى المرحلة المدنية وقد قيل إن قوله تعالى : أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير أن هذه الآية نزلت أثناء الهجرة النبوية إلى المدينة , فالجهاد هو قمة المرحلة تسبقه مراحل كثيرة من الإعداد والاستعداد.

والجهاد له مدلولان مدلول عام بمعنى بذل الجهد والوسع والطاقة في سبيل إعلاء كلمة الله وحماية الدعوة ورفع الظلم عن المظلومين فالإسلام ليس ديناً خيالياً مغرقاً في الأحلام والأوهام انه دين الفطرة , الدين الذي يلائم طبائع البشر. ودهاقنة الفساد في العالم وطواغيت الظلم والجور في العالم لهم مصالح متشابكة أقاموها على العبودية لهم التي فرضوها على رقاب ضحاياهم ولهم مكاسب متشابكة أقاموها على السلب ونهب حقوق الناس.

و المسلم عندما يبيت دعوته ملخص أهدافه في شيئين أنه يريد أن يخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام, فإذا توحيد الله حتى لا يذل الإنسان لغير الله ونشر العدل بين الناس في الواجبات والحقوق, هذان هدفان لا يرضى بهما دهاقنة الفساد ولا طواغيت الجور, إنهما الصدام المباشر مع شبكة مصالحهم ومكاسبهم ولذلك إذا رأوا المسلم ينشر دعوته ليفتح أعيناً عمياً وآذاناً صماً فلا نتوقع أنهم يقفون مكتوفي الأيدي سيحاربونه ويقاومونه بكل قوة ومن هنا شرع الجهاد بمعنيين العام والخاص فبمعناه العام بذل الجهد والطاقة لإعلاء كلمة الله ونشر الدعوة ورفع الظلم عن المظلومين وهو بهذا المعنى يرادف الدعوة, وأما معناه الخاص فهو القتال في سبيل الله لإعلاء كلمة الله ولرفع الظلم أيضاً عن المظلومين, قال تعالى: وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً فالجهاد في معناه الخاص هو قمة مراحل حركة الإسلام ودوران رحاه , هو ذروة السنام, والذروة لا تأتي لأول

وهلة ولذلك يجب أن يسبق الجهاد مراحل من الإعداد فإن الجهاد حياة كاملة يعيشها المسلم.

وأريد أن أعود فأركز على الواجب الأول على شبابنا المسلم الذي هو التعلم , تعلم دين الله عز وجل فكما يقول السلف: العلم قبل القول والعمل , فالعلم ركن أساسي في مسيرة الشباب المسلم لأنه الوسيلة الوحيدة لتصحيح التصورات والأفكار والعقائد والعمل والدعوة , والتعلم في الإسلام له طريقان: طريق التلقي على الشيوخ فليس بد من أن تجثو على ركبتك عند ركبتى شيخ يعلمك دين الله عز وجل ويريبك عليه يعطيك العلم والأدب فإذا ما وجدت عالماً ربانياً مريباً فقيهاً فهذا هو المصدر الحقيقي للعلم في الإسلام, قال تعالى: ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ففي هذه الآية فئتان من الناس معلمون مريون فقهاء ومتعلمون يدرسون أي يقرئون ويفهمون ويحفظون, هذا هو الطريق الأول والأساسي لتلقي العلم في منهج السلف فما لم تتلقى العلم على شيخ يعطيك العلم والأدب فأنت لم تسلك منهج السلف في التعلم , حتى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تلقى القرآن الكريم لم ينزل عليه القرآن الكريم كما نزل على موسى عليه السلام صحفاً مكتوبة جملة واحدة, رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتلقى القرآن على جبريل يسمعه من جبريل بل في كل عام في رمضان يعرض أيضاً ما أنزل عليه على جبريل فيدارسه القرآن, يقرأ جبريل أولاً ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع ثم يقرأ الرسول وجبريل يسمع, وأخذ علماء الإسلام من هذا طريقة تلقي القرآن الكريم أنه يكون بالعرض والسماع فلا بد من كليهما ورسول الله صلى الله عليه وسلم سمعه من جبريل وعرضه على جبريل وحتى عندما كان يعجل القرآن بلسانه وجبريل يقرأه عليه نزل قوله تعالى: لا تحرك به لسانك لتعجل به إنا علينا جمعه وقرآنه أي إن علينا تعليمك قراءته وإن علينا جمعه مكتوباً في السطور, هذه هي الطريقة التي تلقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن من جبريل, فلا بد في تلقي العلم من أن تتلقاه على شيخ فإن وجدت شيخاً ربانياً معلماً فقيهاً فالزمه فإنه المصدر الأول والحقيقي في منهج السلف.

والطريقة الثانية لتلقي العلم المدارس ومعناها التعامل والتشاور على العلم وهذا الأسلوب يعلم الشباب أشياء كثيرة، يعلم الشباب العمل الجماعي وروح العمل الجماعي يتعاونون ويتشاورون في طلب العلم، كما أنه يعلمهم ويربيهم على روح الشورى فالشورى مبدأ أساسي في حياة المسلم يجب أن يربي نفسه عليه، الشورى في كل شيء حتى في طلب العلم، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يترك هذا المبدأ حتى في أحلك الأوقات وأكثرها حرجاً ففي غزوة أحد مثلاً لما وصل معسكر المشركين إلى أطراف المدينة وعسكر غربي أحد ثلاثة آلاف مقاتل ومائتا فارس وصلوا إلى أبواب المدينة وعسكروا هناك ومع ذلك وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرورة في هذه اللحظة الحرجة الخطيرة ليجمع مجلس شورا شباباً وشيوخاً ويشاورهم الرأي يعرض عليهم اقتراحه دون أن يلزمهم به ويطلب منهم آرائهم واجتهاداتهم في المحنة التي حلت بهم، وانظروا كيف يطبق رسول الله صلى الله عليه وسلم مبدأ الشورى بصرامة ودقة، يعرض عليهم رأيه واجتهاده أن يتحصنوا بالمدينة ثم يؤكد على هذا الرأي بأن يذكر لهم الرؤيا التي رآها: رأيت بقرًا تذبح ورأيت ثلثة في نباب سيفي ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة. هكذا قال لهم الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم، وبالرغم من هذا لم يلاقي هذا الاقتراح القبول عند أغلبية الصحابة رضى الله عنهم هم يتوقدون إيماناً ويتفجرون حماساً لملاقاة أعدائهم لعلهم يكسبون الشهادة أو الذصر وخاصة أن كثيراً منهم لم يحضر بدران فتأسف على أن فاته شرف المقاتلة في سبيل الله في بدر فهو متحرق لملاقاة العدو في هذه الفرصة السانحة، حتى إن بعضهم مما لا يهاب شيئاً في سبيل الله عز وجل كأسد الله ورسوله حمزة رضى الله عنه قال للرسول: حتى لو بقيتم في المدينة فلاخرجن إليهم يا رسول الله فأصارعهم بسيفي، وأمام هذا الحماس المتقد وأمام هذه الأغلبية ينزل الرسول صلى الله عليه وسلم عند رأيهم مع يقينه القاطع بأن رأيه الذي عرض هو الأصوب، كلا الرأيين صواب فالأمر في مجال الاجتهاد، ليست القضية قضية حق وباطل إنما هي قضية مقارنة بين اجتهادين أحدهما أصوب من الآخر ومع علمه صلى الله عليه وسلم ويقينه بأن رأيه الذي عرضه عليهم هو الأصوب وهو الأولى بالتنفيذ فإنه أخذ في اعتباره

رأي الأغلبية صلى الله عليه وسلم, ولكن مبدأ الشورى في حياتنا نحن المسلمين ليس معناه الارتباك والاضطراب في الرأي والتردد والضعف والخور, فإن التردد والإرتباك والنزاع والخلاف ضعف وخور ولذلك فإن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن أقر رأي الأغلبية ودخل إلى بيته يحف به وزيراه أبو بكر الصديق وعمر الفاروق رضي الله عنهما فعممه أبو بكر ألبسه العمامة على المغفور ثم ظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم في درعيه أي لبس درعيه مبالغة في الأخذ في الأسباب والاحتياطات اللازمة, أثناء ذلك ندم الصحابة وقال بعضهم لبعض: استكرهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم على غير ما يرى فلما خرج قالوا: لقد استكرهناك يا رسول الله على غير ما رأيت فامض إلى ما رأيت إن شئت فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: ما كان لنبى إذا لبس لئمة الحرب أن يضعها حتى يلاقي عدوه ويحكم الله بينه وبينه فامضوا إلى ما رأيتم وتوكلوا على الله.

هذا تفسير عملي من النبي صلى الله عليه وسلم لآية الشورى التي نزلت في سياق غزوة أحد فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله, فمبدأ الشورى في حياتنا نحن المسلمين مبدأ أسلسي في كل شيء في جميع المستويات على مستوى القادة والموجهين وعلى مستوى الأفراد وعلى مستوى الشباب المسلم, يجب أن نربي أنفسنا على روح الشورى وخاصة في العلم وفي طلبه كما سمعتم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده)), يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم يتعاونون ويتكاتفون في درس القرآن وفهمه وحفظه يعين بعضهم بعضاً ويكمل بعضهم بعضاً, هذه هي الشورى في طلب العلم فإن الشورى معناها في الحقيقة أن تضع في اعتبارك ما عند الآخر فتجمع ما عندك إلى ما عنده لعلكما تتوصلان معاً إلى الصواب أو إلى أكبر قدر من الصواب فقد يكون الذي عندك بعض الصواب وباقيه عند أخيك المؤمن أو إخوانك المؤمنين وربما كان الصواب كله عندهم وليس عندك شيء منه فكن وأنت تتعلم على منهج السلف فبتلاح الاجتهادات وتكاتف الشباب

المسلم في طلب العلم يتوصلون بذلك إلى الصواب بإذن الله عز وجل وتوفيقه. وهل أصابنا ما أصابنا من إحباط وفشل ومصائب وكوارث إلا نتيجة للانحراف عن المنهج الذي قد يعتريه مسيرتنا أو للخلل الذي قد يطرأ على حياتنا، فعلينا أن نتخذ الوسائل الشرعية اللازمة لتلافي ذلك وتجنبه ومن أهم هذه الوسائل كما أرشدنا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم التعاون والتكاتف أي العمل الجماعي حتى في طلب العلم فما بالك في العمل فإن التدارس هو الطريق الثاني لطلب العلم، أما ماذا يطلب الشاب المسلم من العلم؟ وكيف يطلب العلم؟ وما هو المنهج الذي يسلكه؟ فقد بينت ذلك بشيء من التفصيل في محاضرة سابقة أقيمتها في الطائف بعنوان: "برنامج عملي للمتفهمين" ذكرت فيه ثماني قواعد ضرورية لازمة لكل شاب مسلم يريد أن يتعلم دين الله عز وجل ويتفقه فيه نسردها بإيجاز تذكيراً لكم:

القاعدة الأولى: أن يصح نيته أولاً ويسلم من الشهوتين شهوة طلب العلم من أجل المكاسب والمغانم وشهوة طلب العلم لنيل الرئاسات والشرف.

القاعدة الثانية: أن يكون أول علم يطلبه هو التوحيد والفقهاء لأنه بهذين العلمين يصح عقيدته وتصوراته ويصح عمله فإذا طلب العقيدة وطلب علم التوحيد عليه أن يحرص على أن يطلبه على منهج السلف الذين هم صفوة هذه الأمة وقودتها ونعني بالسلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين ومن نهج منهجهم ممن جاء بعد ذلك، ومن أراد أن يطلب فقه الشريعة أو فقه الأحكام فعليه أن يستعين بواحد من المذاهب الفقهية المخدومة الزاخرة الغنية يتوصل به إلى الفقه ولا يجعله غاية له يجمد عنده وينحبس فيه، وعليه إذا طلب العلوم الشرعية أن يركز على الجوانب العملية في هذه العلوم لأنه كما قلنا لأنه ليس من منهج السلف أن تطلب العلم للعلم إنما تطلبه للعمل فما يتعلق به عمل تطلبه وتقني فيه وقتك وعمرك، وما لا يتعلق به عمل فاتركه فإن عمرك لا يمكن أن يسع لكل تلك العلوم، ما لا يتعلق به عمل يعد في منهج السلف من باب الترف والترف الفكري الذي لا طائل ورائه ولا فائدة تحته. فإذا طلبت العلم فاحرص على أن تطلبه من الأكابر ما أمكنك ذلك لا من الأصاغر وأن تطلب كل علم من أهله فكل علم يسأل عنه أهله هذه قاعدة معروفة عند السلف، هذا بينته بشيء من التفصيل أسأل الله عز وجل أن

يرزقنا جميعاً العلم النافع والعمل الصالح وأن يهيئنا ويسخرنا للدعوة إليه وفي سبيله أقول هذا صلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

=====

المتحدثون عن الإسلام في زمان الفتن

سعود بن إبراهيم الشريم

مكة المكرمة

25/7/1422

المسجد الحرام

محامد و أدعية طباعة الخطبة بدون محامد وأدعية

ملخص الخطبة

- 1- محاسن الشريعة. 2- دعوة السنة. 3- الثوابت الشرعية في أعقاب الزمن.
- 4- المسيئون في حديثهم عن الإسلام. 5- التحذير من الفتن. 6- سبيل النجاة. 7- التحذير من اليأس والقنوط. 8- اتقاء الفتن وكف اللسان فيها. 9- احترام العلماء والأمراء والإخوان.

الخطبة الأولى

أما بعد:

فيا أيها الناس، إن شريعة الإسلام شريعة غراء، سمّتها الجلى أن يعبد الله وحده في الأرض ولا يشرك به، مُتَّبَعَةً بقواعد فرضها رب البرية، هي خيرٌ كلها، ونورٌ كلها، وسلامٌ كلها، وفرحٌ كلها، إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ [آل عمران:19]، وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ [آل عمران:85].

الدين الإسلامي — عباد الله — هو شريعة الله العادلة للعالم أجمع، وما إرساله لخاتم رسله إلا للناس كافةً بشيراً ونذيراً، من أجل أن يدخل الناس في دين الله وصبغته، صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً [البقرة:138].

الدين الإسلامي — عباد الله — هو شريعةٌ مبناها على الاتباع لا الابتداع، وعلى الاقتداء والتأسي لا على النكوص والتتسي، ودين المرء لن يكون ديناً حقاً إلا إذا كان الخضوع فيه للحق سبحانه دون سواه.

وإن خير هدي ينتهجه الناهجون هو هدي رسوله، وهيهات هيهات أن يأتي الناس في أعقاب الزمن بأهدى منهما حتى يلج الجمل في سم الخياط، وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا [النساء:82]، قُلْ فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ [القصص:49].

إنه في أعقاب الزمن — عباد الله —، ووسط عصور الانتقال تتعدد مسالك الحياة، وتتراحم تداعياتها، هبوطاً وصعوداً، بمدى قرب الناس من دينهم أو بعدهم عنه، ومكان رسالة خاتم النبيين بين ذلك كله أنها دعوة كمال وعدل، فكلما تردد الإنسان عبر هذه العصور التي تُسمى عصور الانفتاح بين طريقتين اثنتين، أو حارت نفسه في اختيار أحد مسلكين، فإن السنة تدعوه — ولا شك — إلى خيرهما، وإذا تردد العقل في خضم هذه النوازل المدلهمة بين الحق والباطل، والزين والشدين، دعتَه السنة إلى الحق والزين؛ لأن الحق أبلج، والباطل لجلج(1)[1].

وبهذا يُعلم أن دعوة السنة وسط هذه الزوابع إنما تكون لأصعب الطريقتين، وأشق الأمرين بالنسبة لأهواء البشر، المحاطة بعالم أصبح عبر وسائله المختلفة كالكتلة الواحدة، ولا غرو في ذلك فإن النار حُفَّت بالشهوات، والجنة حُفَّت بالمكاه.

ويبدو ذلك بوضوح في أن الانحدار مع الهوى سهل يسير، ولكن الصعود إلى العلو من الصعوبة والمشقة بمكان، ألا ترون — حماكم الله — أن الماء ينزل وحده حتى يستقرّ في عمق الوادي، ولكنه لا يصعد إلى العلو إلا بالجهد والمضخات.

أيها المسلمون، إن البعد عن زمن النبوة مظنة — ولا شك — [للبعد] عن تعاليمها وآدابها، فرسول الله يقول: ((خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)) (2)[2]، ويقول أيضاً: ((إنه من يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً)) (3)[3]، ويقول

أيضاً: ((لا يأتي على الناس زمان إلا والذي بعده شر منه، حتى تلقوا ربكم)) (4)[4].

ولأجل هذا — عباد الله — فإن الثوابت الشرعية من توحيد الله، والإيمان به، والدعوة إليه، والحب والبغض فيه، قد يذوي(5)(5) أكثرها أو بعضها مع مرور الزمن، وغلبة الأهواء، وشيوع الهزل، حتى إنها لتحتاج إلى من يردّها لها الحياة بعدما اعترأها ما اعترأها من ذبول، إذ لدينا كتاب الله لا تخلق جلده، ولا تقنى ثروته، ولدينا نور نبوة ملهم السيرة، نقي السنن.

وإذا كان الأمر كذلك، فكيف تعمى النفس المؤمنة مع هذا الإشعاع؟! بل كيف يستوحش المرء في هذا العالم الموار، ومصدر الأمن والطمأنينة فوق ظهره محمول؟! شريطة أن لا يغفل عن قوله سبحانه: الَّذِينَ ءَامَنُوا وَاَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ءُولَئِكَ لَهُمُ الْاَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ [الأنعام: 82].

إنه رغم الدمار البالغ الذي تصاب به المجتمعات حيناً بعد حين، والوكزات التي تتلقاها أمة الإسلام فجأة، ثم هي تصرع أمامها إثر تقويض الرابطة الإسلامية الجامعة الحقة، وعلى الرغم من المكانة الملحوظة التي وفرها الإسلام للمجتمعات الإسلامية بأسرها، من خلال تعاليمه المحكمة، وثوابته التي لا تتغير، بل يخضع لها كل عصر، وليست تخضع هي لكل عصر، إنه رغم ذلك كله إلا أن ثمة خلافاً ما، يؤكد أن تلك المجتمعات أحوج ما تكون إلى أن تلتمس لطف الله وعفوه، وترتقب رحمته وإحسانه، وتلذب اللجوء إليه والعياذ به، عاملة بما دعا به المصطفى: تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ [آل عمران: 64]. فلا إله إلا الله، أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبِغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ [آل عمران: 83].

إنه ينبغي علينا — معاشر المسلمين — أن ندعو إلى دين الله جل وعلا، الذي هو مصدر عزتنا، وسوقوتنا، من خلال التحدث عنه على حقيقته وصورته التي ارتضاها الله جل شأنه، دون استحياء ولا خوف ولا استجداء، مُتَّبِعِينَ ذَلِكَ عَلَى

أنه دين العبودية لله وحده في كل شيء، والاتباع لرسوله ، وحذار حذار من أن يخطئ أحد حال التحدث عنه فيعدل عن الوجه الصحيح.

ثم إن الدعوة إلى الإسلام برمتها أشبه ما تكون بالقضية العادلة، غير أنها — وللأسف الشديد — قد تقع بين أيدي محامين عنها يفشلون في عرض حقيقة الدفع، وإيضاح البيّنات، وما ذلك إلا من خلال التنازل عن ثوابتها وأسسها، بحثاً لعرض أو خوفاً من عرض. ولا غرو في ذلك — عباد الله — فلربما نسمع كثيراً لمتحدثين عن الإسلام يحامون عنه، ويودّ المرء منا لو أنهم سكتوا فلم ينبسوا بحرف واحد. إن أمثال هؤلاء — ولا ريب — لم يفهموا الإسلام بكماله كما تنزل من عند الله، والنزر اليسير ممن يتحدث عنه، ويدّعي فهمه قد لا يحسنون الإبانة عنه من خلال الخلط والمزج بين ما يصحّ وما لا يصحّ. ومن هنا يعظم الخطر؛ لأننا في أزمنة خداعة، تحتاج إلى المهرة من ذوي الأفهام، عبر عصور يتزين فيها القبيح من المبادئ، فتعرض نفسها على الناس في تزاويق خادعة كما تتوارى الشمطاء وراء حجب من الأصباغ والحلي.

إن الإسلام في حدّ ذاته كالدواء، لا يحتمل أن يجتهد فيه كل محدّسٍ له، كما أن الدواء لا يكون دواءً لأن مادته تحوي أسباب الشفاء فحسب، كلا، بل لا بد من تناوله بطريقته التي يشير بها الطبيب على الوجه الذي وُضع له الدواء، ومن تكلف طريقة من عنده لم يقل بها الطبيب، فلا يلومن [أحداً] حينئذ إذا استفحل الداء، ولات ساعة استشفاء، وهيئات هيئات أن تصلح المجتمعات، وقد وهت فيها حبال مقوماته الشرعية الحقة، وأسس الحياة المحكومة بصيغة الله وشرعته دون اكنزات بما يرضي الله وما يسخطه، فكيف إذا كانت الحال إذاً في التشكيك في تلك المقومات، أو السعي الدؤوب في إماتتها، أو بث ما من شأنه اتهام المسلمين، أو بذر الفرقة بينهم، أو التطلع إلى إرساء قواعد التراجع عن الدين، أو على أقل تقدير إشعار الغير بأن من يتجرع الإسلام بأدابه وكماله فإنه لا يكاد يسغيها إلا متهوّعاً) (6)[6]، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أيها المسلمون، من خصائص رسالة المصطفى أنه ما من خير إلا ودلّ الأمة عليه، وما من شر إلا وحذّر الأمة منه، وقد كان مما حذر الأمة منه الفتن التي تكون في

آخر الزمان وتكاثرها، والغواسق التي تحيط بالأمة من كل جانب، فتموج بهم كموج البحر، حتى إنها لتدع الحليم حيران، بل ولربما تستمرئها النفوس الضعيفة، وتستشرف لها رويداً رويداً إلى أن تلغ في حمئها وهي لا تشعر، فإذا ألفتها لم تكذب تتحول عنها إلا في صعوبة بالغة بعد أن تفقد خصائصها، ومن ثم تموع وتذوب، ثمّة ما لجرح بميت إيلام، وإذا لم يغبّر حائط في وقوعه فليس له بعد الوقوع غبار، حتى تقع النفس في أتون الفتن فتحترق بلا لهب. ففي الصحيحين أن النبي قال: ((ستكون فتن، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تشرف لها تستشرفه)) الحديث (7)(7)[7]، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: "معنى قوله: ((من تشرف لها)) أي تطلع لها بأن يتصدى ويتعرض لها، ولا يعرض عنها" (8)[8].

وفي الصحيحين أيضاً أن النبي قال: ((يتقارب الزمان، وينقص العمل، ويلقى الشح، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج)) قالوا: يا رسول الله، وما الهرج؟ قال: ((القتل، القتل)) (9)[9].

عباد الله، إنا في زمن تداعت فيه الفتن كداهية دهياء، فقلّت فيه الأمانة، ونزعت فيه الخشية من الله، وتنافس الناس فيه على الدنيا، وحظوظ النفس، وكثر فيه القتل، وبلغ أوج صورته، على اختلاف تنوعه، حتى لربما لا يدري القاتل فيم قتل، ولا المقتول فيم قتل، كما قال ذلك النبي فما صح عنه (10)(10)[10]، ولكن لمستفهم أن يقول: ما النجاة في خضم هذه الأحداث، وما موقف المؤمن من متغيرات زمانه، وفجاءة النقمة فيه؟ فالجواب على هذا بين بحمد الله، فإن لكل داء دواء، علمه من علمه وجهله من جهله، والدواء في مثل هذا كثير التنوع، فمن ذلك: أولاً حمد الله على العافية مما ابتلى به كثيراً من الناس من الفتن والرزايا، والحروب المدمرة، ثم الصبر على أقدار الله المؤلمة، والإيمان بأن ما يريد الله كائن لا محالة، وأن ما أصاب الناس لم يكن ليخطئهم، وما أخطأهم لم يكن ليصيبهم، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، واللَّهُ يَحْكُمُ لَمْ يُعَقَّبْ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ [الرعد: 41].

عند مسلم في صحيحه أن النبي قال: ((إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة)) (11)(11)[11]، وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا

إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ [الأنعام:59]. فلا إله إلا الله ما أوسع علم الله، انظروا إلى الأحداث والمستجدات – عباد الله – كيف تحل بنا فجأة على حين غرة دون أن تقع في ظن أحدنا، أو يدور بخلده أن أحداثا ما ستكون يوما ما، مما يؤكد الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله ، واللجوء إليه، وخشيته وحده، بالتوبة والإنابة، وكثرة الدعاء والاستغفار والصدقة، وبذل الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا ملجأ من الله إلا إليه.

ألا إن من خاف البشر فر منهم، غير أن من خاف الله فإنه لا يفر إلا إليه، فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ [الذاريات:50].

ولقد صح عن النبي أنه قال: ((لا يردّ القدر إلا الدعاء)) (12)[12].

ألا وإن ما يحدث في هذه الأزمنة من كوارث تحل بنا بغتة ليذكرنا باليوم الذي تقوم فيه الساعة، والناس في غفلة معرضون، مع ما يتقدمها من أمارات وأشراط تدلّ عليها، فقد جاء في الصحيحين أن النبي قال: ((لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يُلِيط حوضه فلا يسقي منه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها)) (13)[13]، كل ذلك عباد الله دليل على فجأة النقمة، وأن نفسا لا تدري ماذا تكسب غدا، ولا تدري بأي أرض تموت.

ثم اعلموا – رحمكم الله – أنه ينبغي للمرء المسلم في خضم الأحداث الرهيبة والمتغيرات المتنوعة ألا يصاب بشيء من الاسترسال مع مشاعر القنوط واليأس، وألا يحبس أنفاسه مع الجانب الذي قد يكلح في وجهه على حين غفلة من جوانب الخير الأخرى في حياته، دون التفات إلى المشوشات من حوله، والتخوفات التي ليس لها ضريب، فليس بلازم عقلاً أن تكون تلك المخاوف صادقة كلاها، فلربما كانت كاذبة إذ قد تصح الأجسام بالعلل، وقد يكون مع المدنة منحة، ومع الكرب فرج، فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا [الشرح:5، 6]. ولن يغلب عسر يسيرين، وَإِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّكَ مِنَ رُّوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ [يوسف:87].

بارك الله ولي ولكم في القرآن العظيم، ونفَعني وإياكم بما فيه من الآيات والذِكر الحكيم، قد قلت ما قلت، إن صواباً فمن الله، وإن خطأً فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله إنه كان غفاراً.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها الناس، إن مما لا شك فيه أن كثرة الفتن تزلزل كيان الناس، وأن فتيل الحروب إذا اشتعل عسر انطفأؤه، وأن التهويش والتشويش، والقيل والقال، والظن والخرص، لمما يزيد الأمر سوءاً وتعقيداً، والنار اشتعالاً واضطراباً، ولا جرم فإن النار قد تذكى بالعيدان، كما أن في مبدأ الحرب كلام اللسان.

ولقد كان السلف الصالح أحرص الناس على اتقاء الفتن، والنأي بأنفسهم عن أن يقعوا في شركها، بل يستعيذون بالله منها، وكلما لاحت لهم في الأفق فتنة تمتلوا بما رواه البخاري في صحيحه عن خلف بن حوشب أن السلف كانوا يقولون عند الفتن:

الحرب أول ما تكون فتية.....تسعى بزينتها لكل جهول

حتى إذا اشتعلت وشبَّ ضرامها.....ولت عجوزاً غير ذات حليل

شمطاء يُكره لونها وتغيرت.....مكروهة للشم والتقبيل(14)[1]

ثم اعلموا — أيها المسلمون — أن من أدب الإسلام في الفتن كف اللسان وحبسه وعدم الزج به فيما لا يعني، وزمَّه عن الفحش والتفحش، أو الوقوع في الظن والخرص، فإن إطلاق اللسان، وسيلان الأفلام، خائضة في المدلهمات، ولاتة(15)[2] في المتشبهات، والقضايا المزعجات دون زمام ولا خطام لمن شأنه أن يضعف إيمان المرء المسلم، ويوقعه مواقع الزلل، غير آبه بوصية النبي لعقبة بن عامر

حينما سأله: ما النجاة؟ قال: ((أملك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك)) [رواه الترمذي في جامعه] (16)[3].

إن اللهث وراء كل حدث وخبر باللسان تارة، وبالأقلام أضعافها، في البيت وفي السوق، والمجالس والمنتديات، وعبر شبكات تقنية يكثر فيها اللغظ دون ترو أو توثق أو محصّلة من العلم والفهم لمما يقلل العافية والسلامة من الخطأ، فضلاً عن أن يقدّم حلاً عاجلاً سوى الخلط والجهل والتضليل، والله در أبي حاتم البستي حين قال: "إن العافية عشرة أجزاء، تسعة منها في السكوت" (17)[4]، لأن من الناس من لا يكرم إلا للسلنه، ولا يهان إلا به، فالواجب على العاقل أن لا يكون ممن يهان به.

ثم اعلموا — عباد الله — أن الحوارات الشفهية، والمطارحات الورقية، لا ينبغي أن تكون لكل راكب، ولا علكاً يلوكه الكل، وأمور الناس بعامة لا ينبغي أن يتصدى لها أي أحد كيفما اتفق، دون تمييز بين الغث والسمين، وبين ما يعقل وما لا يعقل، وإنه لمن المستكره أن يكون مقدار لسان الإنسان أو قلمه فاضلاً على مقدار علمه، ومقدار علمه فاضلاً على مقدار عقله، فلقد روى البخاري في صحيحه عن علي رضي الله عنه أنه قال: (حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟!)(18)[5]، فمن هرف بما لا يعرف فهو ممن قال الله فيهم: قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ [الذاريات:10]، قال قتادة — رحمه الله —: "هم أهل الغرة والظنون" (19)[6] وروى الإمام أحمد وغيره عن النبي أنه قال: ((إن أمام الدجال سنون خداعات، يكذب فيها الصادق، ويصدق فيها الكذوب، ويخون فيها الأمين، ويؤتمن فيها الخائن، ويتكلم الروبيضة))، قيل: وما الروبيضة؟ قال: ((الرجل التافه يتكلم في أمر العامة)) (20)[7].

فعلى حملة الأقلام وذوي اللسان أن يتقوا الله سبحانه، وألا يستخفوا بأحد، وأن لا يبيغوا على أحد من المسلمين، يقول ابن عبد البر — رحمه الله —: "أحق الناس بالإجلال ثلاثة: العلماء والإخوان والسلطان، فمن استخف بالعلماء أفسد مروءته، ومن استخف بالسلطان أفسد دنياه، والعاقل لا يستخف بأحد" (21)[8].

ومما يزيد الأمر تأكيداً وتوثيقاً — عباد الله — حينما يكون الخوض فيما قال الله أو قال رسوله ، فليس لذلك إلا العلماء الأتقياء الأنقياء، فهم ورثة الأنبياء، ومصايح الدجى، فحذار حذار لمن تجاوز طريقهم أن يقع في قول النبي : ((من أفتي له بغير علم كان إثمه على من أفتاه)) [رواه أبو داود] (22)[9]، وقد قال عبد الله بن وهب: قال لي مالك بن أنس: "يا عبد الله، لا تحملنَّ الناس على ظهرك، وما كنت لاعبأ به من شيء، فلا تلعبنَّ بدينك" (23)[10]، ولذلك قال سفيان الثوري — رحمه الله —: "ما كفت عن المسألة والفتيا فاعتنم ذلك ولا تتأفس، وإياك أن تكون ممن يحب أن يعمل بقوله، أو يذشر قوله، أو يسمع قوله، وإياك وحب الشهرة، فإن الرجل يكون حب الشهرة أحب إليه من الذهب والفضة، وهو باب غامض لا يبصره إلا العلماء السماسرة" (24)[11]، وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُورًا [الإسراء:36].
اللهم صلِّ على محمد وعلى آله محمد ...

- (1) مثل عربي معناه: الحق واضح، والباطل ملتبس . انظر: مجمع الأمثال (1/207).
- (2) أخرجه البخاري في الشهادات [2652]، ومسلم في كتاب الفضائل [2533] من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.
- (3) أخرجه أحمد (4/126-127)، وأبو داود في السنة [4607]، والترمذي في العلم [2676]، وابن ماجه في المقدمة [44] من حديث العرباض بن سارية، وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه ابن حبان [5]، والحاكم (1/95)، ووافقه الذهبي . وهو في صحيح الترغيب [37].
- (4) أخرجه البخاري في الفتن [7068] من حديث أنس رضي الله عنه.
- (5) أي يذبل.
- (6) أي إلا متكلفاً للقيء.
- (7) أخرجه البخاري في الفتن [7081]، ومسلم في الفتن [2886] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(8) فتح الباري (13/31).

(9) أخرجه البخاري في الفتن [7061]، ومسلم في العلم [157] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(10) [10] أخرجه مسلم في الفتن [2908] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(11) [11] أخرجه مسلم في القدر [2653] من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(12) [12] أخرجه أحمد (37/68) [22386]، وابن ماجه في المقدمة [90] من

حديث ثوبان رضي الله عنه، وصححه ابن حبان، والحاكم (1/493)، وقال البوصيري في الزوائد: "سألت شيخنا أبا الفضل العراقي عن هذا الحديث، فقال: هذا حديث حسن"، وأخرجه الترمذي في القدر [2139] من حديث سلمان وقال: "حديث حسن غريب"، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة [154].

(13) [13] أخرجه البخاري في الفتن [7121] عن أبي هريرة في حديث طويل، وهو في صحيح مسلم لكن ليس فيه هذا الجزء.

(14) علقه البخاري في كتاب الفتن، باب الفتنة التي تموج كموج البحر عن ابن عيينه عن خلف بن حوشب، ووصله في التاريخ الصغير كما في الفتح.

(15) اللتّ هو الفتّ والسحق.

(16) أخرجه أحمد (571-36/570) [22235]، والترمذي في الزهد [2406] من حديث عقبة بن عامر، وقال: حديث حسن. وهو في السلسلة الصحيحة [890]، [891].

(17) روي مرفوعاً عند الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس، وقال العراقي: حديث منكر كما في كشف الخفاء (2/84)، وهو في ضعيف الجامع [3838].

(18) أخرجه البخاري في العلم [127].

(19) أخرجه ابن جرير عنه في تفسيره (13/192) بنحوه، وانظر: تفسير ابن كثير (7/393).

(20) أخرجه أحمد (21/24-25) [13298]، وأبو يعلى [3715]، والبخاري [3373] من حديث أنس، وقال الحافظ في الفتح (13/84). "سنده جيد"، وله شاهد من حديث أبي هريرة عند أحمد (13/291) [7912]، وابن ماجه في الفتن [4036]، وصححه الحاكم (4/465-466)، وشاهد آخر من حديث عوف بن مالك عند الطبراني في الكبير (18 / ح 123 ، 124 ، 125).

(21) هذا من كلام أيوب بن القريّة أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم [996].

(22) أخرجه أحمد (14/17) [8266]، وأبو داود في العلم [3657]، وابن ماجه في المقدمة [53] من حديث أبي هريرة، وصححه الحاكم (1/126) ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني صحيح الجامع [6068، 6069].

(23) [10] انظر: السنة للخلال (1/215)، والحلية لأبي نعيم (3/320).

(24) [11] أخرجه ابن أبي حاتم في مقدمة الجرح والتعديل (ص 88)، وأبو نعيم في الحلية (6/377).

آخر الزمان منفرات ومبشرات

ناصر بن محمد الأحمد

الخبر

21/11/1423

النور

محامد و أدعية طباعة الخطبة بدون محامد وأدعية

ملخص الخطبة

1- فساد آخر الزمان. 2- أسباب انتشار الجهل ورفع العلم. 3- الحرب ضد تعليم الدين. 4- من مظاهر فساد آخر الزمان. 5- بشائر تقع في آخر الزمان.

الخطبة الأولى

أما بعد: ثبت عن النبي أحاديث كثيرة تتحدث عن آخر الزمان، وهذه الأحاديث تعطي تصوراً صحيحاً للمسلم لما سيحصل في المستقبل من خلال النصوص الشرعية.

والمقصود بآخر الزمان: هو آخر زمان الدنيا الذي يكون بين يدي الساعة، ولعل أوله بعثة الرسول كما ثبت في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: ((بعثت أنا والساعة كهاتين)).

أيها المسلمون، سيظهر في آخر الزمان مساوئ نطق بها النبي، محذراً أمته أن يقعوا في شيء من ذلك. نسأل الله تعالى أن يعصمنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

عن أبي موسى الأشعري وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قالاً: قال رسول الله: ((إن بين يدي الساعة أياماً ينزل فيها الجهل، ويرفع فيها العلم، ويكثر فيها الهرج)) رواه البخاري. والهرج: القتل. وعن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله يقول: ((إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويظهر الجهل، ويفشو الزنا، ويشرب الخمر، ويذهب الرجال وتبقى النساء، حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد)) رواه مسلم. وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي قال: ((ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحرَّ والحريم والخمر والمعازف)) أخرجه البخاري معلقاً.

فهذه الأحاديث —معاشرو الأجابة— وما في معناها تدل على حصول بعض المساوئ التي تكون في آخر الزمان، ويرتبط بعضها ببعض، من فشوا الجهل وقلة العلم، وقد بدأ النقص في العلم من بعد أن أكمل الله الدين وأتم النعمة وانتقل الرسول إلى ربه عز وجل، ولا يزال ينقص إلى أن يرفع بالكلية، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح الذي رواه حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله: ((يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب، حتى لا يُدرى ما صيام ولا صلاة ولا صدقة، ويسوى على كتاب الله في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله فنحن نقولها)).

وقد ظهر هذا النقص في هذا الزمن بصورة واضحة جداً، حتى صار أكثر الناس يجهلون المعلوم من الدين بالضرورة، ومن تأمل النصوص ونظر في الواقع أدرك أن هذا النقص إنما هو نتيجة حتمية لأسباب كثيرة، لعل من أبرزها موت العلماء، وقد فقدت الأمة أكبر علمائها العاملين وأبرز دعائها المشهورين في فترة قصيرة، ومن حكمة الله تعالى أن تعاقب موتهم، فقدنا الأول ثم فقدنا الثاني ثم فقدنا الثالث، فإننا لله وإنا إليه راجعون، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله يقول: ((إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء؛ حتى إذا لم يترك عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)) رواه مسلم.

ومن أسباب النقص أيضاً عدم الإخلاص في طلب العلم، ويدل على ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: ((إذا أتخذ الفيء دولاً والأمانة مغنماً)) وفيه: ((وتعلم العلم لغير الدين)). وقد حصل هذا عندما رُبط العلم الشرعي بالمال في كثير من البلاد، وربط العلم بالمناصب الرسمية، وأصبح الناس يطلقون على هذا بأنه عالم بحسب منصبه الرسمي، ولا تعرف ذلك ولا تستفتيه لأنه ليس لديه منصب رسمي، فنزع الله من الأول الخشية والبركة والنفع والعمل إلا ما شاء الله، فمات العلم في القلوب، فهو لا يتجاوز التراقي والحناجر.

وكما شهد هذا الزمان موت كثير من العلماء الربانيين الذين كانوا منارات يُهتدى بها من ظلمات الشهوات والشبهات، فقد شهد الرؤوس الجهال الذين يتجرؤون على الفتوى بغير علم. والله المستعان.

وهناك الحرب ضد تعلم الدين، وسياسة تجهيل الشعوب بالإسلام تحت ستار مكافحة الإرهاب، ومن مظاهر ذلك تغيير المناهج وتقليص مواد الدين في كثير من البلاد، وقفل المعاهد والمدارس الشرعية، ومضايقة أهل السنة ودعم أهل البدعة، ونحو ذلك مما يساهم في إبعاد الناس عن العلم الشرعي، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله: ((سيلي أموركم بعدي رجال يُطفئون السنة، ويعملون بالبدعة، ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها))، فقلت: يا رسول الله، إن

أدرکتهم كيف أفعل؟ قال: ((تسألني — يا ابن أم عبد — كيف تفعل؟! لا طاعة لمن عصى الله)) حديث صحيح.

أيها المسلمون، ومن صور السوء في آخر الزمان فشو الزنا وكثرته، حتى أصبحت تجارة البغاء تشكّل ربحاً هائلاً وموردًا ضخماً من موارد المال في بعض البلاد التي أهلها مسلمون، وقد هيا المجرمون وسائله ودواعيه حتى أصبح أسهل مما يتصور، ولا يزال يزداد ويكثر حتى تموت الغيرة في النفوس، وتسقط آخر مرتبة من مراتب الإنكار، فيُقارَف الزنا علانية على قارعة الطريق، كما ثبت في الحديث الصحيح الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: ((والذي نفسي بيده، لا تفنى هذه الأمة حتى يقوم الرجل إلى المرأة فيفترشها في الطريق، فيكون خيارهم يومئذ من يقول: لو واريثها خلف هذا الحائط)).

ومن مظاهر السوء أيضاً ظهور الأغاني والمعازف، فقد وقعت هذه العلامة في العصور السابقة، وهي الآن أشد انتشاراً وتوعاً، وقد استهان بحرمتها كثير من الناس، بل ممن ينتسبون إلى أهل العلم نسأل الله السلامة، وبات التهديد بالمسخ والقذف والخسف قريباً ما دامت الأمة لاهية تستحل ما حرم الله عليها، من تعاطي أسباب الفسق والفجور، وقد ازداد هذا البلاء حتى تجاوز مرحلة السماع والاستمتاع إلى التقنين والتعديد والتخطيط والتنظيم وجلب الخبراء وفتح المعاهد وصياغة المناهج، حتى أصبحت فذاً يدرّس وعملاً يمارس، فأى ظهور بعد هذا الظهور!؟

ومثله انتشار الخمر في بلدان المسلمين وكثرة شربها وتداولها بين الناس، وحمائيتها بالقوانين والأنظمة حتى أصبحت أمراً مألوفاً يقدم مع الطعام ويوزع في الفنادق، وهو نديم المسافرين في رحلاته، ورفيق الضال في سهراته وخلواته، وتلحق به المخدرات بجميع أنواعها التي ابتليت بها البشرية فأصبحت شبحاً يهدد أمن الدول وحياة الأفراد.

ومن أبشع صور الشر والفساد في آخر الزمان ما أخبر به النبي من الاستخفاف بالدم وكثرة القتل، قال فيما صح عنه: ((بادرُوا بالأعمال خصالاً ستاً — وذكر منها — واستخفافاً بالدم))، وقد استخفّ اليوم بدم البشرية عندما تمكن المجرمون من

قيادة الأمم، حيث أشعلوا الحروب الطاحنة في كل مكان بلا سبب ولا مبرر، واستخدموا أبشع الأسلحة المحرمة دولياً، واستنزفت خيرات وأموال دول وشعوب في هذه الحروب، كان بالإمكان أن تحل أزمات ومشاكل عشرات الدول والشعوب لو كان السلسلة عقلاء، وقبل وبعد هذا يزعمون أنهم دعاة سلام. نسأل الله جل وتعالى بأسمائه الحسنی وصفاته العلی أن یجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن. قال رسول الله : ((بادروا بالأعمال فتناً كقطع اللیل المظلم، یصبح الرجل مؤمناً ویمسی کافراً، ویمسی مؤمناً ویصبح کافراً، ینبع دینه بعرض من الدنیا)) رواه مسلم.

إن المبادرة بالأعمال الصالحة هي التي تكون حصناً قوياً من الفتن العظيمة المظلمة التي تكون بين يدي الساعة، ومنها الفتنة في الدين حيث يضعف التمسك به ويعز الثبات عليه، لدرجة أن العبد يتقلب بين الحق والباطل، وبين الإيمان والكفر في اليوم الواحد، حتى إنه يصبح مؤمناً ویمسی کافراً، ویمسی مؤمناً ویصبح کافراً، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله : ((سيأتي على الناس سنوات خداعات، يُصدَّق فيها الكاذب ويكذَّب فيها الصالح، ويؤمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الروبيضة))، قيل: وما الروبيضة؟ قال: ((الرجل التافه يتكلم في أمر العامة)).

والمراد من الحديث بيان فساد آخر الزمان، حيث تختل المقاييس وتتقلب الموازين، فيتصدر الأمة من ليس لذلك بأهل، ويتزعم القبيلة أفسقهم، ويسود القوم أرذلهم، كما روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله : ((إذا اتُّخذ الفيء دولا والأمانة مغنماً، والزكاة مغرماً...)) وفيه: ((وساد القبيلة فاسقهم، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل مخافة شره)). ومن تأمل الواقع وأمعن في النصوص رأى سفينة الأمة تمخو عباب بحو متلاطم من الفتن والبلاء، يقودها الرجل التافه بمجموعة كاملة من الفسقة والمجرمين.

أيها المسلمون، إن ضعف المسلمين في كثير من المجالات وبعدهم عن مراكز التأثير ومواقع القيادة مكن أعداء الإسلام من السيطرة التامة فأصبحوا قادة العالم

وصنّاع القرار، يضعون من يشاؤون في المكان الذي يشاؤون، فيضمنون بذلك بقاء السيادة في أيديهم، وقد أخبر بذلك كما في الحديث الصحيح مرفوعاً: ((ليأتين عليكم أمراء يقرّبون شرار الناس، ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها، فمن أدرك ذلك منكم فلا يكوننّ عريفاً ولا شرطياً ولا جابياً ولا خازناً)).

ومن المظاهر المؤلمة – وذحن في أواخر الزمان – تداعي الأمم على الأمة الإسلامية ونهب خيراتها والعبث بعقول أبنائها، كما في حديث ثوبان رضي الله عنه عند الإمام أحمد وغيره قال: قال رسول الله: ((توشك الأمم أن تداعي عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها))، فقال قائل: أمن قلة نحن يومئذ؟! قال: ((لا، بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعنّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن))، قيل: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: ((حبّ الدنيا وكرهية الموت)).

وفي هذا الحديث إشارة إلى السور الحقيقي في ضعف المسلمين وتداعي الأمم عليها، وهو حب الدنيا وكرهية الموت، وقد تعلقت القلوب في هذا الزمن بالمال حتى عبد الدينار والدرهم، وتعامل الناس بالربا، وانهمك الكثيرون بالحرث والزرع، وأوغل الناس في الترف، ونسي الجهاد في سبيل الله، فتداعت علينا الأمم، ووقع النذل الذي لا يُرفع إلا بالعودة إلى الجهاد في سبيل الله تعالى، ولن يكون ذلك إلا إذا تعلقت القلوب بالله تعالى وحده، وقد أخبر رسول الله بهذا الواقع، كما في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله: ((إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم بأذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد في سبيل الله سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم)). وقد عانت الأمة من ذل الاستعمار المفروض بالنار والحديد رذحاً من الزمن، وهي اليوم تعاني أشكالا جديدة منه، بسبب ما خلفه الكفار في الأمة من ثقافتهم وعاداتهم، وقوانينهم التي تمارس من قبل الأمة الغنائية بطيب نفس، أو تفرض عليهم فلا خيار لهم. والله المستعان.

فنسأل الله جل وعلا أن يعجل بفرج أمة محمد فرجاً عاجلاً غير آجل.

الخطبة الثانية

أما بعد: ورغم كثرة المساوئ التي تقع في آخر الزمان، فإن هناك فضائل ومبشرات كثيرة تفتح باب الأمل للمسلم، وتزيد في يقينه وثقته بنصر الله تعالى، وقد جاءت تلك المبشرات في كثير من النصوص النبوية، من ذلك ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله يقول: ((لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى))، فقالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله، إن كنت لأظن حين أنزل الله: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ [الصف:9] أن ذلك تام! قال: ((إنه سيكون من ذلك ما شاء الله))، وقال: ((ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بغز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر)).

إنها بشارة من النبي بأن الأمة ستعود إلى دينها بإذن الله تعالى، وسيدخل هذا الدين الحواضر والبادي، وسيظهر هذا الدين على الدين كله ولو كره المشركون، وذلك يوم تكون الأمة أهلاً لذلك، تعمل للدين وتضحى من أجله.

ثم إن هناك نصوصاً كثيرة تبشر بعودة الجهاد في هذه الأمة في آخر الزمان، وهذا من أعظم المبشرات، من ذلك حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عندما سئل: أي المدينتين تفتح أولاً: القسطنطينية أو رومية؟ وفيه فقال رسول الله: ((مدينة هرقل تفتح أولاً))، يعني: القسطنطينية، ومثله ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: ((لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق، فيخرج لهم جيش من المدينة)) رواه مسلم، ومثله حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: ((سمعتهم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر؟)) قالوا: نعم يا رسول الله، قال: ((لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق)) رواه مسلم، وأيضاً حديث أبو هريرة رضي الله عنه المشهور قال: قال رسول الله: ((لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا

مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي تعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه شجر اليهود)) رواه مسلم.

فهذه النصوص الكثيرة تبشر بعودة الجهاد في سبيل الله وكثرة الفتوحات وتطهير الأرض من نجاسة اليهود والنصارى وخبثهم، ولعل ما نراه اليوم من جهاد في مناطق عدة يكون بارقة أمل وبوابة إلى جهاد أعظم يؤذن بنصر قريب وفرج عاجل إن شاء الله.

ومن المبشرات ما رواه حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله : ((تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة)) ثم سكت. ففي هذا الحديث بشارة عظيمة بوقوع خلافة راشدة على منهاج النبوة، تكون بعد الملك الجبري.

ومن أعظم المبشرات ما رواه عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله يقول: ((تقوم الساعة والروم أكثر الناس))، يقول راوى الحديث فقلت: أبصر ما تقول! قال: أقول ما سمعت من رسول الله، قال: لئن قلت ذلك إن فيهم لخصالاً أربعاً: إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرة، وخيرهم لمسكين ویتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة: وأمنعهم من ظلم الملوك. رواه مسلم. استتبط العلماء رحمهم الله تعالى من هذا الحديث أن الروم يسلمون في آخو الزمان، وذلك من المبشرات ولا شك؛ لأن هذه الصفات قلما توجد إلا في أصحاب الإيمان الصادق، ويدل عليه قوله : ((والذي نفسي بيده، لو كان الإيمان بالثرية لتناوله رجال من هؤلاء))، يعني: فارس والروم.

ومن المبشرات قول النبي : ((إذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المؤمن تكذب، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً، ورؤيا المسلم جزء من خمسة وأربعين جزءاً من النبوة)) رواه مسلم.

إن صِدْقَ الرؤيا من المبشرات في آخر الزمان كما في هذا الحديث، لكن بشرط الإيمان وصدق الحديث، ومن عظيم شأنها أنها جزء من النبوة، فهي دعوة للإيمان الصادق وصدق الحديث.

ومن المبشرات ظهور المهدي في آخر الزمان، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله: ((لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي))، فهذا الحديث من المبشرات بالمهدي حيث تواترت النصوص بخروجه وصفاته ومدة حكمه، وأنه من مبشرات آخر الزمان.

ومن أعظم المبشرات نزول عيسى ابن مريم عليه السلام، كما صح الخبر بذلك عن النبي حيث قال: ((فيكون عيسى ابن مريم في أمتي حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً، يدق الصليب، ويذبح الخنزير، ويضع الجزية، ويترك الصدقة، فلا يسعى على شاة ولا بعير، وترفع الشحناء والتباغض، وتُتزع حُمة كل ذات حُمة، حتى يدخل الوليد يده في الحية فلا تضره، وتضرب الوليدة الأسد فلا يضرها، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها، وتملأ الأرض من السلم كما يملأ الإناء من الماء، وتكون الكلمة واحدة، فلا يعبد إلا الله، وتضع الحرب أوزارها، وتسلب قريش ملكها، وتكون الأرض كفاثور الفضة تدبت نباتها بعهد آدم، حتى يجتمع الذفر على القطف من العنب فيشبعهم، ويجتمع الذفر على الرمانة فتشبعهم، ويكون الثور بكذا وكذا من المال، ويكون الفرس بدريهمات))، وقال: ((طوبى لعيش بعد المسيح، يؤذن للسماء في القطو، ويؤذن للأرض في النبات، حتى لو بذرت حبك على الصفا لذبت، وحتى يمر الرجل على الأسد فلا يضره، ويطأ على الحية فلا تضره، ولا تشاح ولا تحاسد ولا تباغض)).

=====

سأحزن ما بقيتُ مع الزمان

شعر: مالك فيصل الضيغمي

سأحزن ما بقيتُ مع الزمان لما ألقاه من كُربٍ وأن (1)

فشعري كله مرأةُ شعبٍ كسيرٍ العظم محزونٍ الجنانِ

فلا تعجب إذا أرسلتُ شعراً يصور ما أعاني أو يعاني

فإني أمة كانت بخير فأسلمها الطغاة إلى الهوان
وإني أمة نشرت فأحيت وحررت العوالم بالقران
وكان الناس في زمن تعيس يذوقون المذلة بالسنان
فصار الناس عبّاداً لرب يعاملُ بالسماحة والحنان
فما أَرْضَى أخوا الشيطان دينٌ يقوم على الأمانة والأمانى
ويزرع في النفوس بذور خير لتعلو في المكان وفي الزمان
فلا تعجب إذا أكثرت شعراً وقولاً غيرَ مقرونٍ بقان (2)
فعذري أمةٌ نامت طويلاً وغالت بالفصاحة والبيان
معاذَ الله أن أهوى حياةً يدغدغها الأراذلُ بالقيان (3)
وتوحيدُ الصفوف رأيت فيه دواءً للتنازع والشنان (4)
وجدتُ في الأمور، وليتَ جمعاً درّوا من قبلُ هاتيك المعاني

1- أن: حار.

2- أي: أحمر وهو الدم.

3- المغنيات.

4- لغة في الشنان: البغض.

=====

الزمانُ النجيبُ

مروان كجك

سيأتي زمانٌ فتىً نجيبٌ بعونِ الإلهِ السميعِ المجيبِ
ويخضرُ عُودي ، والمكرماتُ يُلذَنَ بشعبِ طَهُورِ نسيبِ
أقامَ الحضارةَ في كلِّ صقيعٍ وأعطى الهدايةَ كلَّ الدروبِ
فمنَ ضلِّ ضلِّ عَزَوفاً جهولاً وعاشَ الحياةَ رهينَ الذنوبِ

سيأتي زمانٌ رؤوفٌ رحيمٌ وتتهارُ جدرانُ حقدٍ رهيبِ
وتأني إلينا الطيورُ التُّكالي يزاوِجُنَ أنساً وروضاً مهيبِ

وينثرنَ في أرضنا دندناتٍ ويهتفنَ: عاشَ النداءَ الحبيبُ
تباركتَ يا ربنا فانتشلنا من الذلِّ واكسرَ شَبَاةَ الصليبِ

سيأتي زمانٌ ينيرُ اللياليَ وينهضُ شعبُ زكيٍّ أريبُ
ويملاً أفقَ الفضاءِ رعودٌ ويهتزُّ حبلُ الدعيِّ الكذوبِ
ويسقطُ عن عرشه كلُّ خبٍّ ويصرخُ بالكفر صوتَ رعيبٍ :
أنا الموتُ أقبضُكم لا أبالي فقد جاء موعدكم من قريبٍ

سيأتي زمانٌ تُدكُّ قلاعُ بناها الطغاةُ لصنعِ الكروبِ
ويشقى رجالٌ تمادوا خداعاً وظنوا الهدايةَ قتلَ الشعوبِ
فأسرفَ هذا بوادِ الرجالِ وأسرفَ ذاكُ بكَيْلِ الخطوبِ
فهاجَ الحديدُ المحمى لنمضي لهذا وذاك ونكوي الجُنوبِ

سيأتي زمانٌ تخرُّ اللياليَ على قدميه وتطوى الرُّبوبِ
ويبزغُ فجرٌ بديعٌ المحيًّا ويفترُّ ثغرٌ وطرفٌ هَيوبُ
ويرجعُ للحيِّ أهلٌ وصحبٌ وأشواقٌ عمرٌ وطفلٌ لَعوبُ
وتبتلعُ الأرضُ كلَّ الأفاعي ويُنبتُ حبلُ الخنا والعُيوبِ

سيأتي بحولِ الإلهِ زمانٌ تجوسُ العدالةُ كلَّ القلوبِ
وينكشفُ السترُ عن كلِّ وغدٍ وتبلى السرائرُ في كلِّ ذيبِ
ويصحو نيامٌ أطالوا الرقودَ على الرِّضفِ واستعمرتْهم كُروبُ
وينهزمُ الشركُ والمشركون ويأتي زمانٌ فتىً نجيبُ

=====

زمان الفاتحين

محمد بن سعد العجلان

أسدل ستارك يا زمان الفاتحين

أسدل ستارك أيها التاريخ وضاء الجبين
أسدل ستارك إننا
ما بين غي وانهزام
لا سعد يمتشق الحسام ولا صلاح الدين
لا القادسية شمسها انبتقت ولا حطين
أسدل ستارك يا زمان الفاتحين

في ظل هذا الانقسام
في ظل قانون النظام
وظل مآذبة اللثام
وفي ظل تحوير الجهاد إلى سلام
والاحتكام لغير رب الاحتكام
صرنا كقطعان النعام
أسدل ستارك يا زمان الفاتحين
وقل على العرب السلام

من للجهاد إذا أهين الواعظون
وتربصت بهم المنون
وتشبعت بدمائهم غرف السجون
ورأيت أعداء العقيدة يسرحون ويمرحون
من كل فج ينسلون
وعلى دماء شعوبنا يتقامرون
من للجهاد...
يا أمتي من للجهاد؟

أسدل ستارك يا زمان الفاتحين

أسدل ستارك وانتظر
أسدل ستارك واصطبر
فلرب قلب ينفطر
ولرب قلب يستعر
ولربما في عصرنا
يأتي الزمان المنتظر
ولربما من صلبنا
تأتي صناديد البشر
ولربما من قهرنا
تأتي فلول الغاضبين
ولربما من ذلنا
يأتي إباء الأولين
ولربما من بيننا
يأتي أمير المؤمنين
يأتي عُمر
يأتي الظفر
يأتي صلاح الدين

=====

يا رعى الله زمان الشجب

محمد بن حامد الأحمرى

في زمن مضى غير بعيد كانت الإذاعات تشجب العدوان الصهيوني ، وتهدد وتتوعد لإزالة هذه الشرذمة المحتلة ، وكانت الشعوب تسخر من لغة الشجب والشكوى ، ثم تتابعت النقائض ، وتدهورت المواقف ، وتراجع الشاجبون وحرموا الشجب والاستنكار ، بل وحرموا تلك الكلمات التي كانوا يقولونها هم ؛ حتى لم يعد يتجرأ أحد على التفوه في أية لحظة بتلك الكلمات التي كان يقولها القائلون فخراً ونشوة. وترحمنا على الزمن الذي كنا نسميه "زمن الشجب والهزيمة". حينما كان

يُسمح لنا فيه أن نقول : إنهم أخذوا أرضنا واستباحوا أعراضنا ودماءنا ، والقرار اليوم يقضي أن نعترف بأن لا نهاية لمطالب عدونا ، وأن المنهزم لا يرده شيء وسيقبل بكل ما يُملى عليه.

هل يمكن أن لا يكون لنا عدو؟! وهل تحيا الشعوب بدون أعداء؟ حتى بمنطق الذين لا يعترفون بنصوص القرآن والسنة الصريحة في عداوة الكافرين وشدة عداة اليهود لنا فإن سنة الله في البشر وجو التدافع والاصراع - وهي حقيقة ثابتة ثبوت الليل والنهار - تكشف أن هذه الدعاية ومعنى هذا التوجه - الذي يقول: إن اليهود والنصارى يحبوننا ، ويعطفون علينا أكثر من إخواننا ليس معناه أن نوقف المواجهة على جبهتهم، ولا أن يتجه السلاح إلى الداخل، إلى القمع والاضطرابات ، واختلاق المشكلات والقتل - وليس معناه أن تتحول حروب الموساد والـ "سي.آي.إيه" إلى قلاعنا ، ولا أن يجند عدونا منا عدواً للآخر ، ويتضح ذلك جيداً لمن تابع قضية المشكلة الأخلاقية في مصر مع "لوسي" وما تلاه أحد نواب البرلمان من أن الموساد وقوى أخرى كانت وراء فتح جبهات داخلية وإثارة الشعب للانتقام ، وهذه نعمة يرفل في ظلها الإسرائيليون ومن هم خلفهم ؛ إذ ليس أحب إليهم من استمرار الرعب والقتل في بلادنا.

حقاً ، إنها مسكينة هذه الشعوب التي يحدد أعداءها وأصدقاءها أناسٌ بالاتفاق مع امرأة ذات علاقات مشبوهة. وكم من "لوسي" في بلدان أخرى! وكم من كوهين وكوبلاند من الذين يصنعون القلق والانهيار والخوف واضطراب الأمن . !!!

أما أن للغافلين أن يعرفوا عدوهم من صديقهم؟ أما أن لهم أن يتركوا فرصة للشعوب كي تتن من الألم؟ أما أن لهؤلاء أن يأذنوا لشعوبهم أن تعي وأن تقرأ وأن تفهم حتى تكون مواقف الجميع سليمة؟ وأن تشارك الأمة في تحديد عدوها من صديقها ولا تتراجع كل يوم الى الخلف حتى تصبح في حال لا تملك فيه مخالفة

أي قرار صهيوني في داخل بلدانها!!

أبعد الله ذلك اليوم.

=====

مظاهر الغربة في زماننا اليوم

وهي كثيرة ومتنوعة، حتى إنها لتكاد تشمل جوانب الدين كله، ولكن يمكن إجمال أهم مظاهر الغربية في الأزمنة الحاضرة اليوم فيما يلي:

1- غربة في العقيدة، فلا يوجد من هو متمسكٌ بعقيدة السلف من جميع جوانبها إلا القليل من الناس؛ حيث تنتشر الخرافة والشر كيات والبدع في أكثر بلدان المسلمين.
2- غربة في تطبيق الشريعة والتحاكم إليها، فلا يحكم اليوم في أكثر بلدان المسلمين إلا بأحكام الإفرنج الكافرة.

3- غربة في الالتزام بأحكام الإسلام، سواءً ما كان منها بين العبد وربّه، أو بين العبد وبين الخلق؛ فلا يوجد الملتزم بها إلا القليل.

4- غربة في السلوك والأخلاق الفاضلة، وتزامن ذلك مع انفتاح الدنيا وكثرة الشهوات.

5- غربة أهل الحق ودعاة الإسلام، وتسلط الأعداء عليهم، وإيذاؤهم لهم بأشد أنواع الأذى والنكال.

6- غربة في عقيدة الولاء والبراء؛ حيث مُيعت هذه العقيدة عند كثيرٍ من الناس، وأصبح ولاء أكثرهم وحبهم وبغضهم للدنيا فحسب.

7- غربة في أهل العلم، حيث قلَّ أهل العلم الشرعي الصحيح، وانتشر الجهل وكثرت الشبهات.

مظاهر الفتنة في أزمنة الغربية:

إنَّ من أشدَّ ما يخشى على أهل الإسلام في أزمنة الغربية أربعة مظاهر من الفتن يمكن إجمالها فيما يلي:

1- الفتنة التي تنشأ من الوقوع في الشبهات، والتأثر بأهلها الذين هم الأكثرية في عصور الغربية، مما يحصل معه السقوط في فتن الشبهات، سواءً ما يتعلق منها بالعقائد أو الأعمال أو المخالفات الشرعية الأخرى، وتسويغ ذلك بشبهة شرعية تبرز عادةً في غيبة الحق وفسوا الجهل.

2- الفتنة التي تنشأ من الوقوع في الشهوات، التي تطم وتنتشر عادةً في عصور الغربية وقلة أهل الحق، وانفتاح الدنيا بزخرفها على الناس؛ فلا يكاد يثبت ويستقيم على أمر الله- عز وجل- مع كل هذه الضغوط إلا القليل الذين يعتصمون بالله،

ويقومون بأمره، ويدعون إلى سبيله، أما الكثرة الكاثرة الذين ضعف صبرهم، فتراهم يتنازلون عن دينهم شيئاً فشيئاً أمام مظاهر الغربة الفاتنة، سواءً كان ذلك التنازل في العقيدة أو السلوك أو التزام الأحكام.

3- فتنة اليأس والقنوط من ظهور الحق وانتصاره، أمام تكالب الأعداء وتمكنهم، وتسلبهم على أهل الخير بالأذى والابتلاء، مما قد يؤدي ببعض أهل الغربة إلى اليأس وترك الدعوة، حين يرى إقبال الدنيا على المبطلين، ورؤية الناس لهم ناجدين مرموقين، تهتف لهم الدنيا وتصفق لهم الجماهير، وتتدطم في طريقهم العوائق، وتصاغ لهم الأمجاد، وتصفو لهم الحياة، وهو مهملٌ مذكر لا يحس به أحد، ولا يحامي عنه أحد، ولا يشعر بقيمة الحق الذي معه إلا (القليلون من أمثاله، الذين لا يملكون من أمر الحياة شيئاً، فإذا طال الأمد وأبطأ نصر الله، كانت الفتنة أشد وأقسى، وكان الابتلاء أشد وأعنف، ولم يثبت إلا من عصم الله) ([1]).

وإن فتنة اليأس والإحباط وترك الدعوة إلى الله - عز وجل - في عصور الغربة، لا تقف عند حد؛ بل قد تؤدي بصاحبها - والعياذ بالله - إلى الضعف، والنقص في دينه شيئاً فشيئاً أمام فتن الشبهات والشهوات؛ ذلك لأن أيام الغربة أيام فتن وإغراءات، وفسو منكرات وظهور وتمكين لأهل الباطل والفساد، فإن لم يكن للمسلم فئة صالحة - ولو كانت قليلة - يأوي إليها، ويدعو معها إلى الله - عز وجل - حسب الوسع والطاقة، فإنه لا بد وأن يتأثر بالفساد وأهله، إلا من رحم الله - عز وجل - ومن غير المقبول عقلاً وشرعاً وحساً، أن يبقى المسلم محافظاً على دينه أمام الغربة، وهو تارك للدعوة بعيد عن أهلها، فإمّا أن يؤثر أو يتأثر.

نعم! يمكن أن يترك المسلم الدعوة ويبقى محافظاً على دينه في حالة الاعتزال التام عن الناس، في شعف من الجبال والأدغال، هذا متيسراً في هذا الزمان، ثم لو كان ذلك ممكناً: فمن ذا الذي يدعو إلى الله - عز وجل - ويواجه الفساد، وعلى أية حال فالعزلة الشرعية لها أحكامها وضوابطها، والتي سنأتي عليها إن شاء الله تعالى في مبحث (سبل النجاة من الفتن).

إذن: فلن ينجو من فتنة الغربة في أيّ زمانٍ أو مكانٍ إلاّ أحدُ رجلين:

- إما مجاهدٌ في سبيل الله - عز وجل - داعٍ إلى الخير، أمرٌ بالمعروف وناهٍ عن المنكر.

- أو رجلٌ معتزلٌ عن الناس في مكانٍ من الأرض يعبد ربه، ولا يخالط الناس. وما سواهما فهو على شفا هلكة، ولعلَّ هذا مما يفهم من الحديث الذي رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - أنَّ الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال: ("من خيرٍ معاش الناس لهم: رجلٌ ممسكٌ عنان فرسه في سبيل الله يطيرُ على منته، كلما سمع هيعَةً أو فزعةً، طار عليه يبتغي القتل والموت مظانه، أو رجلٌ في غنيمة في رأس شعفةٍ من هذه الشعف، أو بطنٍ وادٍ من هذه الأودية؛ يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة، ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين، ليس من الناس إلا في خير) [2].

4- فتنة العجلة وقلة الصبر على الأذى في الغربية، مما يؤدي ببعض من يقاسي ضغوطها إلى التسرع والاصطدام مع أهل الفساد، دون مراعاة للمصالح والمفاسد؛ فينشأ من جراء ذلك فتنةٌ أشد، وفسادٌ أكبر على أهل الغربية.

1 في ظلال القرآن 5 / 2719، 0 272 (باختصار).

[2] مسلم في الإمارة (3 / 3. د 1، 4 5 0 1) (1889).

=====

آراء معاصرة عن تغير الأحكام بتغير الزمان (1/3)

د. بسطامي محمد خير *

مقدمة

لا يشك مسلم في صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان، وحيويته لمعالجة مشكلات كل عصر وقطر. ولقد كان من آثار الصحوة الإسلامية المعاصرة، السعي الجاد لتجديد الفقه وبعث الاجتهاد، ليقدم الحلول لمشكلات العصر الحاضر، ومواجهة التطور والتغير الذي حدث في كثير من نواحي الحياة ونظمها. ومن القواعد الهامة التي شاعت عند كثير من المعاصرين، دليلاً على قابلية الإسلام لاستيعاب التطور، قاعدة تغير الأحكام بتغير الزمان. وهي قاعدة هامة صاغها الفقهاء قبل العصر الحاضر وتناولها عدد منهم بالشرح والتوضيح. ولكن من يتأمل في

استعمالات المعاصرين لها ، يجد اضطرابا في فهمها وخطا في ضبطها ، بين موسع ومضيق لدائرة الأحكام التي تتغير بتغير الظروف والعصور .

وتسعى هذه الورقة لإلقاء الضوء على هذه القاعدة ، وبحث معناها وتحقيق محتواها ، وتحرير فهم الأولين لها ، وعرض آراء المعاصرين عنها ، للخلوص من ذلك كله إلى تعريف دقيق لها ، يعين في تحديد تأثير اختلاف الزمان والمكان في تغير الأحكام ، والإجابة على السؤال الهام ما الثابت والمتغير من الإسلام .

تحرير القاعدة

قرر كثير من الفقهاء قديما وحديثا قاعدة تغير الأحكام تبعا لتغير الأحوال والظروف والأوضاع والعادات ، منهم على سبيل المثال ابن القيم والشوكاني ومصطفى الزرقاء والقرضاوي . ولقد عقد الإمام ابن القيم لها فصلا قيما في كتابه "إعلام الموقعين" واستدل عليها ونصرها أتم نصر ، ومثل لها بأمثلة كثيرة . ومما استدل به الشيخ القرضاوي [1] على هذه القاعدة من القرآن قول الله تعالى: (يا أيها النبي حرص المؤمنين على القتال، إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون) (الأنفال: 65)، ثم قال: (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً، فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله، والله مع الصابرين). (الأنفال: 66). فقد قال بعض المفسرين أن هذا نسخ ، ولكن نقل القرطبي وغيره أن هذا تخفيف وليس بنسخ [2] ، فالآية الأولى حكم في حالة القوة والثانية حكم آخر في حالة الضعف . ومن السنة استدل على قاعدة تغير الأحكام بتغير الزمان الأحاديث الصحيحة في ادخار لحوم الأضاحي من مثل ما رواه مسلم [3] عن عائشة قالت: دف ناس من أهل البادية حضرة الأضحى في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ادخروا لثلاث وتصدقوا بما بقى فلما كان بعد ذلك قبلى يا رسول الله لقد كان الناس ينتفعون من ضحاياهم فقال: (إنما نهيتكم من أجل الدافاة التي دفت فكلوا وتصدقوا وادخروا) . فالنهي عن الادخار كان في وقت الحاجة وجاءت الرخصة بزوال هذه الحاجة ، ولهذا يقول القرطبي: لو قدم على أهل بلدة ناس محتاجون في زمان الأضحى ولم يكن عند أهل ذلك البلد سعة يسدون بها

فاقتهم إلا الضحايا لتعين عليهم ألا يدخروها فوق ثلاث كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم [4] .

والظاهر أن هذه الأدلة من القرآن والسنة مجرد أمثلة للاستدلال على هذه القاعدة الهامة ، وإلا فإن هناك شواهد كثيرة لأحكام ثابتة بالقرآن والسنة قد بينت النصوص نفسها الأحوال التي تتغير فيها . والواضح أنه ليس هناك أشكال في ثبوت القاعدة لكن قد أشكل بعض المعاصرين فهمها وتطبيقها و تعيين ما الثابت من الأحكام وما المتغير . فمن المعروف أن أحكام الشريعة تنقسم إلي قسمين رئيسيين : أحكام مصدرها نصوص القرآن والسنة مباشرة ، وأحكام مصدرها الاجتهاد دون أن تستند مباشرة على النصوص مثل أن تكون مبذية علي مصلحة سكتت عنها النصوص أو عرف أو عادة لم ينشئها نص شرعي .

ولا يختلف اثنان أن الأحكام في كلا القسمين إنما ترمي إلي تحقيق مصالح الناس ومراعاة منافعهم . ومما لا ريب فيه أن بعض هذه المصالح والمنافع يتبدل ويتغير بتغير الزمان أو المكان ، أو لأي عامل من العوامل التي تؤثر في تغير المصالح . ففي القسم الثاني من الأحكام الذي لم يكن مصدره النص مباشرة ، لم يجد عامة الفقهاء صعوبة تذكر في تقرير أن المصلحة التي لم يأت بها نص أصلا يمكن أن تتغير وتصبح في حين من الأحيان مفسدة ، أو أن العادة والعرف الذي لم يتكون نتيجة نص شرعي أصلا ، يمكن أن يتبدل ويتغير ، وحينئذ قرروا بلا تحفظ أن الأحكام في هذا القسم تتغير بتغير الزمان ، لأن الأصل الذي تبني عليه أصل متغير ، وتغيره سواء كان مصلحة أو عرفا متصور عقلا وواقع ملموس .

أما القسم الثاني من الأحكام وهي الأحكام التي تقررها النصوص مباشرة فكل أحد يقر أن النص مقصود منه تحقيق المصلحة للناس ومقصود منه منفعتهم ، فغاية النص وهدفه وحكمته هي المصلحة . حينئذ لم يستطع ذهن عامة الفقهاء أن يتصور أن هذه المصلحة التي يثبتها النص يمكن أن تتغير وتصبح في زمن من الأزمان مفسدة . ذلك أن من المتفق عليه أن المصلحة ليست تابعة للهوي أو المزاج الشخصي ، وأن المصالح التي تقررها النصوص هي المصالح حقيقة . وأن من التناقض الواضح أن يقال أن مصلحة ما عارضت النص . فالنص هو

عدل كله ورحمة كله وحكمة كله ومصلحة كله ، فأبي مصلحة تلك التي تعارض النص ، إلا إذا كانت نابعة من هوي أو مصدرها مزاج سقيم . حينئذ قرر عامة الفقهاء أن الحكم الذي مصدره النص حكم ثابت إلي يوم الدين لا يتغير بتغير الزمان .

يقول الإمام ابن حزم مؤكدا هذه الحقيقة :

(إذا ورد النص من القرآن أو السنة الثابتة في أمر ما علي حكم ما .. فصح أنه لا معني لتبديل الزمان ولا لتبديل المكان ولا لتغير الأحوال ، وأن ما ثبت فهو ثابت أبدا ، في كل زمان وفي كل مكان وعلي كل حال ، حتى يأتي نص ينقله عن حكمه في زمان آخر أو مكان آخر أو حال أخرى) [5] .

وعلي هذا فإن القاعدة الفقهية (لا ينكر تغير الأحكام بتدل الزمان) قد وضعها الفقهاء للقسم الثاني من الأحكام ، وهي الأحكام التي لا تستند مباشرة علي نص شرعي ، بل مصدرها عرف أو مصلحة سكتت عنها النصوص . وهذه القاعدة هي إحدى قواعد المجلة وقررتها المادة 39، وقد جاء شرح هذه القاعدة بقصرها علي الأحكام التي لم تستنبط من النصوص [6] ، وعلي هذا استقر فهم الفقهاء .

يقول ابن القيم: (الأحكام نوعان: نوع لا يتغير عن حالة واحدة هو عليها ، لا بحسب الأزمنة ولا الأمكنة ولا اجتهاد الأئمة ، كوجوب الواجبات وتحريم المحرمات والحدود المقدره بالشرع على الجرائم ونحو ذلك ، فهذا لا يتطرق إليه تغيير ولا اجتهاد يخالف ما وضع عليه . والنوع الثاني ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له زمانا ومكانا وحالا كمقادير التعزيرات وأجناسها وصفاتها فإن الشارع ينوع فيها بحسب المصلحة .) [7]

ويقول الدكتور مصطفى الزرقاء من المعاصرين في بحثه لهذا الموضوع :

(من المقرر في فقه الشريعة أن لتغير الأوضاع والأحوال الزمنية تأثيرا كبيرا في كثير من الأحكام الشرعية الاجتهادية ، وعلي هذا الأساس أسست القاعدة الفقهية القائلة لا ينكر تغير الأحكام بتغير الزمان) وقد اتفقت كلمة فقهاء المذاهب علي أن الأحكام التي تتبدل بتبدل الزمان واختلاف الناس هي الأحكام الاجتهادية من قياسية ومصلحية وهي المعذية بالقاعدة الأنفة الذكر ، أما الأحكام الأساسية التي جاءت

الشريعة لتأسيسها وتوطيدها بنصوصها الأصلية فهذه لا تتبدل بتبدل الأزمان بل هي الأصول التي جاءت بها الشريعة لإصلاح الأزمان والأجيال (8) .

أثر العرف في تغير الأحكام :

ويزيد الإمام الشاطبي أحد علماء أصول الفقه المتمكنين مسألة تأثير العرف في تغير الأحكام شرحا وتوضيحا ، فيبين أن العادات والأعراف المتبدلة هي الأعراف التي لم تنشأها الشريعة أصلا ، ولم تتعرض لها إطلاقا لا بمدح ولا ذم ، إنما أنشأها الناس بأنفسهم نتيجة العلاقات الاجتماعية بينهم . فهذه هي التي يؤثر تغيرها في أحكامها الشرعية فيتغير حكمها تبعا لتغيرها . وضرب بعض الأمثلة علي ذلك منها علي سبيل المثال العبارات التي يكون لها تأثير في إنشاء أو إنهاء عقود المعاملات المالية ، مثل البيع أو ألفاظ الطلاق ، فهذه يراعي فيها العبارات التي يعتادها الناس والاصطلاحات التي يستعملونها في كل عصر . ومن الأمثلة أيضا للعوائد التي تتغير ويكون لها تأثير العادات الخاصة بالزواج مثلا ، فهذه قد تختلف من عصر إلي عصر ، أو من بلد إلي بلد ، فإذا كانت العادة مثلا أن يدفع المهر كاملا قبل الزواج ، أو الهدايا التي تدفع للعروس تكون من ضمن المهر ، فهذه العادات تأثير في الأحكام الشرعية .

أما العادات والأعراف التي تنشأها الشريعة وتعتبرها من المحاسن أو تدمرها وتعددها من القبائح ، فهذه لا تتبدل ولا تتغير بل هي ثابتة ، وفيما يلي عبارة الإمام الشاطبي التي شرح فيها هذه القضية (9) :

يقول (العوائد المستمرة ضربان ، أحدهما : العوائد الشرعية التي أقرها الدليل الشرعي أو نفاها ، ومعني ذلك أن يكون الشرع أمر بها إيجابا أو ندبا ، أو نهى عنها كراهة أو تحريما ، أو أذن فيها فعلا وتركها . والثانية : هي العوائد الجارية بين الخلق بما ليس في نفيه وإثباته دليل شرعي .

فأما الأول : فتأبى أبدا كسائر الأمور الشرعية .. فهي أما حسنة عند الشارع أو قبيحة .. فلا تبدل لها .. فلا يصح أن ينقلب الحسن فيها قبيحا ولا القبيح حسنا .. إذ لو صح مثل هذا لكان نسخا للأحكام المستقرة المستمرة والنسخ بعد موت النبي

(ص) باطل . فرفع العوائد الشرعية باطل)

أما الثانية فهي عند الشاطبي المتبدلة ثم ضرب لها أمثلة كما سقناها .
آراء معاصرة

ومع استقرار هذا الفهم لقاعدة تغيير الأحكام بتغير الفتوى ، فقد توسع بعض المعاصرين في استعمالهم لها ، ومن الأمثلة على ذلك رأي الدكتور معروف الدواليبي الذي يشرحه في مقال له بعنوان (النصوص وتغيير الأحكام بتغيير الزمان) فيقول :

(إذا كان النسخ لا يصح إلا من قبل الشارع نفسه فهل يصح في الاجتهاد تغيير ما لم ينسخه الشارع من الأحكام وذلك تبعاً لتغير الأزمان؟

إن جميع الشرائع من قديمة وحديثة قد أخذت بمبدأ جواز النسخ لما في الشريعة من بعض الأحكام ، تبعاً لتغير المصلحة في الأزمان . غير أنها لم تأخذ بمبدأ السماح للمجتهدين بتغيير حكم من الأحكام ما دام ذلك الحكم باقياً في الشريعة ولم ينسخ من قبل من له سلطة الاشتراع . وقد تفردت الشريعة الإسلامية من بين جميع تلك الشرائع من قديمة وحديثة ، بالتمييز ما بين المبدئين أولاً وبالأخذ بهما ثانياً .

فلقد اعتبرت الشريعة الإسلامية النسخ لبعض الأحكام الشرعية حقاً خاصاً بمن له سلطة الاشتراع وأخذت به . أما التغيير لحكم لم يدرج نصه من قبل الشارع فقد أجازته للمجتهدين ، من قضاة ومفتين تبعاً لتغير المصالح في الأزمان أيضاً ، وامتازت بذلك علي غيرها من الشرائع ، وأعطت فيه درسا بليغاً عن مقدار ما تعطيه من حرية للعقول في الاجتهاد ، ومن تقدير لتحكيم المصالح في الأحكام . وهكذا أصبح العمل بهذا المبدأ الجليل قاعدة مقررة في التشريع الإسلامي ، تعلن بأنه (لا ينكر تغيير الأحكام بتغير الأزمان) [10] .

فعلي رأي الكاتب الفاضل أن الشريعة الإسلامية تمتاز بالمرونة والطواعية في هذه الناحية علي غيرها من التشريعات ، فتجيز للقاضي أو المفتي تغيير حكم من الأحكام ، ولو كان هذا الحكم ثابتاً بنص القرآن أو السنة ، تبعاً لتغير المصالح بتغير الأزمان ، مع أن كثيراً من القوانين قديماً وحديثاً لا تتميز بهذه المرونة ، فلا يمكن لقانون وضعه مجلس تشريعي أن ينقضه أحد كائناً من كان ولو أحد قضاة

المحاكم العليا أو رئيس الوزراء . ويقول أن ذلك أصبح في الإسلام قاعدة فقهية مقررة وهي أنه (لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان) .

وقد شد بعض المعاصرين وتطرفوا في توسيع قاعدة تغير الأحكام بتغير الزمان ، فألبسوا بسببها العلمانية ثوبا إسلاميا ، فجعلوا العبادات وحدها هي الثابتة في الإسلام التي يلتزم بها بالنصوص ، أما في غير دائرة العبادات فالباب مفتوح علي مصراعيه لتعديل النصوص وتغييرها ، وحذفها وإضافة غيرها . يقول الدكتور النويهي في مقاله بعنوان (نحو ثورة الفكر الديني) [11] .

(إن كل التشريعات التي تخص أمور المعاش الدنيوي والعلاقات الاجتماعية بين الناس والتي يحتويها القرآن والسنة لم يقصد بها الدوام وعدم التغير ولم تكن إلا حولا مؤقتة ، احتاج لها المسلمون الأوائل وكانت صالحة وكافية لزمانهم ، فليست بالضرورة ملزمة لنا ، ومن حقنا بل من واجبنا أن ندخل عليها من الإضافة والحذف والتعديل والتغير ، ما نعتقد أن تغير الأحوال يستلزمه) .

ويعتمد هؤلاء المعاصرين لتأييد رأيهم في تغير الأحكام الثابتة بالنص تبعا لتغير المصالح بتغير الزمان على بعض الحجج: منها رأي الطوفي في المصلحة ، ومنها اجتهادات عمر بن الخطاب ، التي يرون أنه لم يتمسك فيها بالتطبيق الحرفي للنصوص ، ومنها استبدال الشافعي لمذهبه العراقي القديم بمذهبه المصري الجديد [12]. و نتناول هذه الحجج فيما يلي بالمناقشة والنقد .

[1] انظر عوامل السعة والمرونة للشيخ يوسف القرضاوي .

[2] تفسير القرطبي ج /1 ص /45 ، دار الشعب القاهرة .

[3] انظر شرح النووي على صحيح مسلم ج /13 ص /129 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1392 .

[4] تفسير القرطبي ج/12 ص 48 .

[5] الأحكام في أصول الأحكام - ابن حزم ج/5 ص 771 - 774

[6] أنظر شرح المجلة - محمد خالد الأتاسي ج/1 ص 91

[7] إغاثة اللهفان لابن القيم ، دار المعرفة بيروت ن 1975 ، ج/1 ص 330 .

[8] (تغيير الأحكام بتغيير الزمان) د. مصطفى الزرقاء - مجلة المسلمون ع/ 8 ص 891 (1373)

[9] أنظر الموافقات - للشاطبي ج/2 ص 283 وما بعدها

[10] مجلة المسلمون ع/6 اسنة الأولى ص 553

[11] مجلة الآداب (بيروت) عدد مايو 1970 ص 101

[12] راجع مقال معروف الدواليبي (النصوص وتغيير الأحكام) - مجلة

المسلمون ع/6 السنة الأولى ص 553 ومقدمة في إحياء الشريعة المحمصاني ص 67

رأي الطوفي في أثر المصلحة في تغيير الأحكام :

لقد سبق القول إن الحكم الذي جاء به نص حكم ثابت لا يتغير لأن المصلحة التي يحققها مصلحة ثابتة لا تتغير، وقد ظل هذا هو الرأي السائد الوحيد بين الدوائر العلمية، لا يشذ عنه فقيه ولا يعرف أحد رأيا غيره، حتى نشرت مجلة المنار في أوائل هذا القرن رأيا مهجورا لأحد فقهاء القرن السابع الهجري، وهو نجم الدين الطوفي ذكرت المجلة أنه تحدث عن المصلحة بما لم تر مثله لغيره من الفقهاء [1]

فمن هو الطوفي هذا ؟ وما رأيه الذي شذ به عن بقية الفقهاء ؟

تذكر المصادر التي ترجمت لحياة الطوفي أنه كان من فقهاء الحنابلة ، وتصفه بالصلاح والفضل ، ولكن هذه المصادر ذاتها تلقي ظللا علي انحراف منهجه في التفكير ، وتتهمه بالتشيع والرفض وسب الصحابة ، وتجعل ذلك سببا للثائرة التي ثارت عليه حين كان في القاهرة ، ومنها نفي إلي بلدة صغيرة . وإذا كان البعض يشكك في صحة ما اتهم به ويبرئ ساحتة ، إلا أن كل الكتابات قديما وحديثا تتفق علي أن رأيه في المصلحة رأي شاذ ، لم يعرف قبله ولم يتابعه فيه أحد بعده إلا بعض المعاصرين [2] ، وقد يكون الشذوذ وحده ليس عيبا وإن كان في الغالب دليل الخطأ ، فهل كان رأي الطوفي في المصلحة مع كل تلك الظلال القائمة في حياته ومع ذلك الشذوذ رأيا صائبا أم كان رأيا لا وزن له ؟

أوضح الطوفي رأيه في المصلحة في ثنايا شرحه لأحد الأحاديث الأربعةينية وهو حديث لا ضرر ولا ضرار [3] وخلصه رأيه أن المصلحة أقوى مصادر

التشريع ، بلى هي أقوى من النص والإجماع ، وأنه في غير دائرة العبادات والمقدرات فإن المصلحة تقدم علي النص والإجماع إذا عارضتهما .

يقول (واعلم أن هذه الطريقة التي ذكرناها مستفيدين لها من الحديث المذكور - حديث لا ضرر ولا ضرار - ليست هي القول بالمصالح المرسلة علي ما ذهب إليه مالك ، بلى هي أبلغ من ذلك ، وهي التعويل علي النصوص والإجماع في العبادات والمقدرات ، وعلي اعتبار المصالح في المعاملات وباقي الأحكام .. فالمصلحة وباقي أدلة الشرع أما أن يتفقا أو يختلفا ، فإن اتفقا فيها ونعمت ، وأن اختلفا وتعذر الجمع بينهما قدمت المصلحة علي غيرها .. وإنما اعتبرنا المصلحة في المعاملات ونحوها دون العبادات وشبهها ، لأن العبادات حق للشرع خاص به ، ولا يمكن معرفة حقه كما وكيفا وزمانا ومكانا إلا من جهته ، فيأتي به العبد علي ما رسم له .. وهذا بخلاف حقوق المكلفين فإن أحكامها سياسية شرعية ، وضعت لمصالحهم فكانت هي المعتبرة وعلي تحصيلها المعول .. ولا يقال أن الشرع أعلم بمصالحهم فلتؤخذ من أدلته ، لأننا قد قررنا أن رعاية المصلحة من أدلة الشرع وهي أقواها وأخصها فلنقدمها في تحصيل النافع) [4] .

ويسوق لرأيه هذا عددا من الأدلة منها [5]

1- أن النصوص إجمالا وتفصيلا قد بينت أن مقصود الله عز وجل من تشريع أحكامه تحقيق المصلحة ورفع الحرج . من ذلك مثلا قوله تعالى { يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر } - البقرة : 185 ، وقوله { ما جعل عليكم في الدين من حرج } الحج - 78 ، وقال عليه السلام (الدين يسر) وقال (بعثت بالحنيفية السمحة) .

2- حديث لا ضرر ولا ضرار وهو واضح الدلالة في نفس الضرر والمفسدة وتقديم المصلحة علي جميع أدلة الشرع ، فإذا تضمنت بعض أدلة الشرع ضررا كان لا بد عملا بهذا الحديث من إزالة ذلك الضرر .

3- أن النصوص متعارضة مختلفة فهذا تكون سببا للخلاف والتفرق ، أما المصلحة فأمر حقيقي لا يختلف فيه ، ولهذا فهي أولي بالتقديم علي النصوص .

4- أن المصلحة دليل متفق عليه أما الإجماع فدليل مختلف حوله فالتمسك بالمتفق عليه أولي من التمسك بما اختلف فيه .

وهذا مجمل ما عند الطوفي من أدلة علي رأيه ، ولكن تحليل هذه الأدلة بكل روية وتمعن يظهر فيها ضعفا وتناقضا لا يخطئه من له أدني إدراك بالأدلة وطرق مناقشتها .

1- فمما لا يختلف فيه اثنا أن النصوص دلت عموما وتفصيلا أن أحكام الشريعة غايتها المصلحة ، ولكن هذا دليل إثبات أنه حيثما وجد النص فثم المصلحة ، والله أراد من النصوص اليسر ولم يرد بها العسر ، وكل نصوص الدين ما جعل الله فيها من حرج وهي سمحة سهلة ، فكل أدلة الطوفي في أن المصلحة واليسر ورفع الحرج هي مقصود الشارع ، فهي دليل علي ضرورة التزام النص وتقديمه ، لأنه الذي يحقق المصلحة في كل الظروف .

2- وحديث لا ضرر ولا ضرار هو أحد الأدلة أيضا علي أن كل نصوص الشرع لا ضرر فيها ، وأن المصلحة متحققة مذهبها دائما ، إذ كيف يقرر الرسول أنه لا ضرر وتكون بعض النصوص التي جاء بها سببا في الضرر . إن من يظن وقوع الضرر من تطبيق النص يقع في تناقض بين .

3- والاختلاف في تقدير المصلحة أمر واقع ، وهو اختلاف كبير واسع ، فالمصلحة ليست أمرا منضبطا يتفق عليه الناس وإلا لو كان الأمر كذلك لا تفق الناس في شرائعهم ونظمهم وطرق حياتهم وكل هذا ينقض ما قاله الطوفي من أن المصلحة أمر حقيقي متفق عليه .

4- والطوفي في عبارته عن تقديم المصلحة علي الإجماع متناقض جدا ، فهو يقول أن المصلحة متفق عليها والإجماع مختلف حوله ، فتقدم المصلحة لأنها متفق عليها (فأصبح معني كلامه : الإجماع أضعف من رعاية المصلحة لأن رعاية المصلحة مجمع عليها والإجماع غير مجمع عليه) [6] .

5- ومن الملاحظ أن الطوفي لم يأت بمثال واحد يرينا فيه كيف أن المصلحة عارضت النص وكيف تقدم عليها ، حتى نستيقن مما يقول ، وما ذلك إلا لأنه لم

يجد مطلقا بعد طول الاستقراء والبحث حالة واحدة تعارض فيها المصلحة النص لأن ذلك التعارض أمر متوهم[7]

ولضعف أدلة الطوفي وشناعة رأيه حمل عليه كثير من المعاصرين حملة قوية . فيقول الشيخ أبو زهرة عن رأيه أنه (رأي شاذ بين علماء الجماعة الإسلامية) ويقول (.. إن مهاجمته للنصوص ونشر فكرة نسخها أو تخصيصها بالمصالح هي أسلوب شيعي ، أريد به تهوين القدسية التي يعطيها الجماعة الإسلامية لنصوص الشارع . والشريعة الأمامية يرون أن باب النسخ والتخصيص لم يغلُق لأن الشارع الحكيم جاء بشرعه لمصالح الناس في الدنيا والآخرة ، وأدري الناس بذلك الإمام فله أن يخصص كما خصص النبي (ص) لأنه وصى أوصيائه . وقد أتى الطوفي بالفكرة كلها وإن لم يذكر كلمة الإمام ليروج القول وتنتشر الفكرة) [8] .

ويقول الشيخ عبد الوهاب خلاف : (.. وإن الطوفي الذي يحتج بالمصلحة المرسله إطلاقا فيما لا نص فيه وفيما فيه نص ، فتح بابا للقضاء علي النصوص وجعل حكم النص أو الإجماع عرضة للنسخ بالرأي ، لأن اعتبار المصلحة ما هو إلا مجرد رأي وتقدير ، وربما قدر العقل مصلحة وبالروية والبحث يقدرها مفسدة . فتعريض النصوص لنسخ أحكامها بالآراء وتقدير العقول خطر علي الشرائع وعلي كل القوانين) [9] .

[1] المصلحة في التشريع الإسلامي ونجم الدين الطوفي - مصطفى زيد ص 194

[2] راجع في ذلك المصدر نفسه ص 67 - 88 وضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية محمد سعيد رمضان البوطي - ص 202 - 206 وأنظر ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ج/2 ص 366.

[3] أنظر النص الكامل لهذا الشرح في ملحق كتاب المصلحة في التشريع الإسلامي لمصطفى زيد .

[4] ملحق كتاب المصلحة في التشريع الإسلامي - مصطفى زيد ص 235 و 238

و 240

[5] أنظر نفس المصدر ص 235 وما بعدها

[6] أنظر (ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية) - محمد سعيد رمضان

البوطي ص 212

[7] أنظر (ابن حنبل) لأبو زهرة ص 359

[8] نفس المصدر ص 363

[9] مصادر التشريع الإسلامي فيما لا نص فيه - عبد الوهاب خلاف - ص 101

اجتهادات عمر بن الخطاب

يقال أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يلتزم بحرفيه النصوص في عدد من

اجتهاداته وفيما يلي اثنان من أشهرها :

1- (اجتهاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قطع العطاء الذي جعله القرآن الكريم للمؤلفة قلوبهم ، كان في مقدمة الأحكام التي قال بها عمر تبعا لتغيير المصلحة بتغيير الأزمان ، رغم أن النص القرآني لا يزال ثابتا) [1] .

ويقول النووي عن ذلك :

(فأبي شئ هذا إن لم يكن إلغاء تشريع قرآني حين اعتقد أن الظروف المتغيرة لم تعد تجيزه ؟ لكن هل يجرؤ علماءنا وكتابتنا علي مواجهة هذه الحقيقة الصريحة ؟) [2].

ولكن هل صحيح أن عمر في هذه القضية غير حكما ثابتا بالقرآن ؟ إن سؤالا واحدا كفيل بوضع هذه القضية في موضعها الصحيح ، وهو هل وجد مؤلفة قلوبهم في عهد عمر أم لا ؟

فمن المعلوم أن مصارف الزكاة محدودة لأصناف ثمانية معروفة أو صافهم ، فإذا لم يوجد صنف منهم في أي عصر من العصور ، مثل عدم وجود صنف الرقيق (في الرقاب) في هذا العصر ، فكل ما يمكن أن يقال أن مصرفا من مصارف الزكاة موقوف حتى يوجد من يستحقه . فكل ما فعله عمر رضي الله عنه هو أنه حكم بعدم وجود صنف المؤلفة قلوبهم في عصره ، وليس ذلك إلغاء لتشريع قرآني ، وليس فيه تغيير لحكم ثابت بالقرآن لتغيير الزمان ، فإذا وجد المؤلفة قلوبهم في أي عصر أعطوا وإذا لم يوجدوا لم يعطوا [3] .

2- (..اجتهاد عمر رضي الله عنه عام المجاعة في وقف تنفيذ حد السرقة علي السارقين وهو قطع اليد ... وفي هذا تغيير لحكم السرقة الثابت بنص القرآن عملاً بتغيير الظروف التي أحاطت بالسرقة) [4].

ولكن من الواضح أن عمر هنا إنما درأ الحد بالشبهة ، ودرأ الحدود بالشبهات أمر مشروع وروي عن غير واحد من الصحابة [5] . ويقول ابن القيم عن ذلك : (فإن السنة إذا كانت سنة مجاعة وشدة ، غلب علي الناس الحاجة والضرورة ، فلا يكاد يسلم السارق من ضرورة تدعوه إلي ما يسد به رمقه - وهذه شبهة قوية تدرأ القطع عن المحتاج وهي أقوى من كثير من الشبه التي يذكرها كثير من الفقهاء) [6] .

فليس في اجتهاد عمر تغيير للنص الثابت بالقرآن استجابة للظروف .
فقه الشافعي القديم والجديد :

ومن الأمثلة التي تساق لتغيير الأحكام بتغيير الظروف ما ثبت من تغيير فقه الشافعي القديم حين كان بالعراق إلي فقهه الجديد حين انتقل إلي مصر [7]. وتغيير فقه الشافعي من القديم إلي الجديد أمر ثابت ، أما تعليل هذا التغيير بتغيير الظروف فهو يحتاج إلي نظر . فمن المعلوم أن الشافعي قد جمع فقهه في كتبه وهو قد ألف أكثر هذه الكتب في القديم ، ثم حين أعاد تأليفها في الجديد كان يأمر بتمزيق الأولي التي حوت اجتهاداته القديمة والتي تغير رأيه فيه [8] ، وفوق ذلك فقد روي البيهقي عنه أنه كان يقول : لا أجعل في حل من روي عني كتابي البغدادي (وكتابه البغدادي هو المشتمل علي مذهبه القديم [9] ، فلماذا هذا التشدد في نسخ آرائه القديمة وسعيه لإماتها ؟ .

لا يبدو من ذلك أن السبب في تغيير اجتهاداته تغيير ظروف مصر عن ظروف العراق ، لأن الأمر لو كان كذلك لأجاز للناس رواية ونقل مذهبه العراقي ، ولكن تشدده في نسخه وسعيه لإماتته كأنه لم يقله ، دليل علي أنه أعاد النظر في آرائه الماضية ، فاستبان له وجه جديد أصح وأقوى ، أو ربما اكتشف أخطاء في اجتهاده القديم ، لهذا أحب ألا ينقل عنه رأي خطأ . وإعادته النظر في آرائه القديمة وتغيير اجتهاده فيها أمر عادي بسبب زيادة علمه وخبرته لا بسبب تغيير الظروف . ويقول

أحد أشهر تلامذته وهو الإمام أحمد بن حنبل عن كتبه القديمة والجديدة التي حوت (فقهه القديم والجديد): " .. عليك بالكتب التي وضعها بمصر فإنه وضع هذه

الكتب بالعراق ولم يحكمها ثم رجع إلي مصر فأحكم تلك) [10]

ولعل استقراء المسائل التي تغير اجتهاده فيها هي أفضل وسيلة لمعرفة ما إذا كانت للظروف أثر في ذلك ، ولا أعلم مسألة واحدة يمكن أن يقال أن لتغير الظروف بين مصر والعراق أثر في تغير رأيه فيها .

رأي الإمام ابن القيم في تغير الأحكام :

عقد الإمام ابن القيم في كتابه (أعلام الموقعين) فصلاً عن (تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والنيات والعوائد) . وقد حمل سوء الفهم لهذا الفصل بعض الناس فجعل رأي ابن القيم ورأي الطوفي سواء [11]، ولكن الدارس لرأي ابن القيم من الأمثلة التي ساقها يتضح له أنه لا فرق بينه وبين رأي سائر الفقهاء في إثبات تغير الأحكام في دائرة المسائل التي سكنت عنها النصوص ، أما في دائرة النصوص فالأحكام ثابتة إلا إذا دل النص نفسه علي تغييرها .

وقد أورد ابن القيم عدداً من الأمثلة لتغير الحكم وكل أمثله تدور علي الحالات الآتية [12] :

1- الحالة التي يثبت تغير النص فيها نص آخر ، مثل نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن تقطع الأيدي في الغزو ، فتعطيل الحد هنا في هذا الظرف ثابت في نص آخر . ويشبه ذلك أيضاً سقوط حد السرقة أيام المجاعة كما هو منقول عن عمر بن الخطاب عملاً بنص درء الحد بالشبهة .

2- الحالة التي تتعارض فيها المصالح التي تثبتتها النصوص ، ومثالها ترك إنكار المنكو إذا كان يستلزم ما هو أنكو منه . يقول: " فإنكار المنكو أربع درجات: الأولى أن يزول ويخلفه ضده ، الثانية أن يقل وإن لم يزل بجملته ، الثالثة أن يخلفه ما هو مثله ، الرابعة أن يخلفه ما هو شر منه . فالدرجتان الأوليان مشروعتان ، والثالثة موضع اجتهاد ، والرابعة محرمة . " [13]

3- حالة يستعمل فيها القياس وإلحاق الأشباه والنظائر بأمثالها التي تثبتها النصوص ، ومن أمثلة ذلك أن النص جعل صدقة الفطر في أصناف مخصوصة ، فيقاس عليها أمثالها من الأصناف التي تصلح أن تكون قوتا ، في البلاد التي لا يوجد فيها الأصناف التي حددها النص . ويضيف ابن القيم قائلا: " وكذلك حكم ما نص عليه الشارع من الأعيان ، التي يقوم غيرها مقامها من كل وجه أو يكون أولى منها ، كمنه على الأحجار في الاستجمار ، ومن المعلوم أن الخرق والقطن والصوف أولى منها بالجواز ، وكذلك نصه على التراب في الغسل من ولوغ الكلب والاشنان أولى منه ، هذا فيما علم مقصود الشارع منه وحصول ذلك المقصود على أتم الوجوه بنظيره وما هو أولى منه ."[14]

4- حالة استثنائية قاهرة خاصة بحالة العجز والضرورة ، ومثالها صحة طواف الحائض إذا خشيت أن تفوتها رفقتها في الحج ، مع أن النبي صلى الله عليه وسلم منع الحائض من الطواف وقال: " اصنعي ما يصنع الحاج غير أن لا تطوفي بالبيت " ، وهو نص واضح في عدم صحة ذلك في الأحوال العادية . يقول ابن القيم: " وليس اشتراط الطهارة للطواف أو وجوبها له ، بأعظم من اشتراطها للصلاة ، فإذا سقطت بالعجز عنها فسقوطها في الطواف بالعجز عنها أولى وأحرى "[15].

5- الحالات التي تتغير فيها عبارات العقود والأيمان والطلاق والندور تبعا لتغير العرف والعادة في ذلك .

وليس من أمثلة ابن القيم مثال واحد لتقديم المصلحة علي النص .
أختامة: أحكام النصوص ثابتة :

ومن هذه المناقشات كلها لا نجد دليلا واحدا ، يؤيد رأي العصرانيين فيما يحاولونه من فتح الباب لتغيير النصوص ، بل إن الأحكام في دائرة النصوص أحكام ثابتة لا تقبل التحريف والتبديل.

[1] مقال الدوليبي المصدر السابق ص 555

[2] مقال النويهي - مجلة الآداب (بيروت) ص 100 عدد مايو 1970

- [3] راجع منهج عمر بن الخطاب في التشريع - محمد بلتاجي ص 175 - 191
والكتاب كله مناقشة قيمة لاجتهادات عمر .
- [4] مقال الدواليبي ص 555
- [5] راجع نيل الأوطار الشوكاني ج/7 ص 118
- [6] أعلام الموقعين ج/3 ص 14
- [7] مقدمة في إحياء الشريعة - المحمصاني ص 67
- [8] مناقب الشافعي - البيهقي ج/1 ص 256
- [9] الشافعي - أبو زهرة ص 192 - 395
- [10] مناقب الشافعي - البيهقي : 1/263 ومناقب الشافعي - ابن أبي حاتم ص 60
- [11] أنظر المصلحة في التشريع الإسلامي - مصطفى زيد ص 161
- [12] أعلام الموقعين - ابن القيم - ج 3، ص 3 - 50
- [13] نفس المصدر ج 3، ص 4 .
- [14] نفس المصدر ج 3، ص 14.
- [15] نفس المصدر ج 3، ص 15.

=====

غريبٌ أنا أم زماني غريبٌ؟!

غريبٌ أنا ! أم زماني غريبٌ؟! ...
... وحيرَ فكري السؤالُ العجيبُ
غريبٌ ! وكيفَ وكلُّ شعاعٍ ...
... سرى في السماء لعيني قريبٌ؟
غريبٌ! وكيفَ وكلُّ جمالٍ ...
... بهذا الوجودِ لقلبي حبيبٌ؟
وكيفَ أكونُ غريباً وحولي
...
... حبورٌ ونورٌ ولحنٌ وطيبٌ؟

وعندي رجاء .. وفوقي سماء ...
... تظلُّ، وشعرٌ، وفكرٌ خصبٌ؟
وكيف أكون غريباً وشمسي ...
... أقامت بطول المدى لا تغيب؟
وكلُّ البرايا معي ساجدات ...
... لربِّي نلبي ... له نستجيبُ
فذرّاتُ هذا الوجودِ تلبي ...
... وأسمعُها لو تشفُّ الغيوبُ
تسبحُ سرّاً بغيرِ ذنوبٍ! ...
... أسبحُ جهراً وكلِّي ذنوبُ
غريبُ أنا! أم زمني غريبٌ؟! ...
... يحيرني ذا السؤالِ العجيبُ
غريبٌ! وكيف وهذي سبيلي ...
... وغيري هوى، ضيعةُ الدروب؟
وكيف ودربي ابتداءُ الرسول ...
... يقود القلوبَ، فتحيا القلوبُ؟
أنا إن سجدتُ أناجي إلهي ...
... فؤادي يطيبُ، وروحي تذوبُ
أعيش بظلِّ النجاوى سعيداً ...
... فأدعو، وأدعو، وربِّي يُجيبُ
وربي قريبٌ، قريبٌ، قريبٌ ...
فكيف يُقال: بأني غريبٌ؟

=====

قيمة عنصر الزمان بين الإدراك الخارجي والشعوري

بقلم: عباس المناصرة

اتفقت البشرية على قياس عنصر الزمان من خلال حركة الشروق والغروب بالنسبة للشمس، أو حركة القمر وأطواره بالنسبة للقمر (التقويم الشمسي، والتقويم القمري) ثم تعارفت على تقسيم اليوم إلى ساعات، والساعات إلى دقائق، والدقائق إلى ثوان، وجمعت الأيام ثلاثين يوماً لتصبح شهراً، وجمعت الاثني عشر شهراً لتصبح سنة، قال تعالى:

(إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض) (التوبة 36).

فلو أنك طلبت من صديق لك أن يقابلك في الساعة كذا، لما وجد أي مشقة في فهم عنصر الزمان الذي تريد، لأن عنصر الزمان الخارجي متعارف عليه بين البشر بكل وضوح ودقة، ولكن الشيء الذي يثير الارتباك ويربك الأفهام، هو قيمة الزمن عند النفس البشرية في الأفراد والجماعات، إذ لا يكاد يتفق الكثير من الناس على قيمة الزمن ليس من ناحية الأهمية في استغلاله، ولكن من ناحية إدراكه ومروره وشعورهم به واستقبالهم له وتفاعلهم معه.

فقد تمر الدقائق التي تراها كأنها دهور طويلة عند نفس خائفة مرتبكة، وقد تمر الليالي كأنها دقائق أو لحظات عند نفس سعيدة مسرورة.

وإذا حاولنا أن نتتبع مرور الزمان على النفس البشرية وكيفية استقبالها له، وإدراكها لقيمتها، وجدنا العجب العجاب في هذا الجانب من كثرة المواقف وتعددتها وتباينها.

هذا شاعر العرب في الجاهلية (امرؤ القيس) يرى الليل ثابت النجوم ثقيل الظل، لأن حالته النفسية رسمت له الليل بهذه الصورة القاتمة عند إنسان قلق تأكله الهموم:

وليل كموج البحر أرخى سدوله علي بأنواع الهموم ليبتلي

فيالك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدتْ بيذبل

بينما نرى شاعراً يصور الزمان الطويل ليلاً دخوله على عروسه، كأنه لحظات

ضئيلة لم يصح منها إلا بهجوم كهجوم الحرس:

حين تم النوم مع حلو اللمى هجم الصبح هجوم الحرس

ويطالعنا أبو العلاء المعري بصورة أخرى لمرور الزمن مريرة كسواد الليل:

(ليلتي هذه عروس من الزنج عليها قلائد من جمان

هرب النوم عن فؤادي فيها هرب الأمن عن فؤاد الجبان

ويجمع ابن زيدون الصورتين معاً، فيساعدنا على إدراك الحقيقة الكاملة، وهي أن الإنسان يرى الزمان من خلال حالته النفسية، فعلى قدر سعادته وسوره يرى السنوات الطويلة تمر خفيفة كلمح البصر، أما إذا ضاقت نفسه بالحياة ذرعاً، فإنه يراها بمنظار آخر ثقيلة الظل بطيئة المرور:

إن يطل ليلى بعدك فلكم بت أشكو قصر الليل معك

ويورد القرآن الكريم لنا رؤية النفس البشرية للعالم في قوله تعالى:

(حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم) (التوبة 118).

والسبب في ذلك أن النفس البشرية تدرك الدنيا من حولها إدراكاً "مصلحياً" مرتبطاً بهواها ورغبتها في الإشباع، فإن شبعت هدأت، وإن حرمت سخطت، وضاقت بالزمان والمكان.

فالأرض الواسعة رغم سعتها ورحابتها، تراها النفس ضيقة خانقة الضيق، في حال الأزمات وأوقات الشدائد والخوف، ولعل السبب في ذلك يعود إلى ابتعاد النفس عن إدراك حقائق الحياة الموضوعية بحياد منقطع عن الإشباع وتحقيق الأطماع، فالحياة من حولنا لا هي ضيقة ولا هي واسعة، ولكن يلزمها أن ندرك حقائقها كما هي، وليس كما ترى وترغب الأنفس، ولو تابعنا هذه النفس بشيء من الترددية لتغيرت نظرتها للحياة، وأدركتها بحكمة واسعة كما يدركها العاقلون. قال الشاعر:

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق

ويقول آخر:

والذي نفسه بغير جمال لا يرى في الوجود شيئاً جميلاً

أما أن للنفس البشرية أن تدرك قول الله تعالى:

(ألا بذكر الله تطمئن القلوب) (الرعد 68).

لأن الإيمان هو المخلص الوحيد لها من عذابها وهلعها، وهو الدافع لها نحو الأمن والطمأنينة، بعد أن تدرك أنه لا بد من التسليم لخالق هذا الكون، كما سلمت بقية

الكائنات، وأنها مهما خدعت ذاتها بالهموم والمطامع والبحث عن السعادة الكاذبة في غير منهج الله، فلن تصل للسعادة إلا بأن تسلم، بأنه لا ضرر ولا نفع إلا بإذن الله سبحانه، وإذا عرفت أن الكون هو ملك الله، وأن جميع المخلوقات عباد الله، وبأنه لا يجري شيء في هذا الكون إلا بعلمه، عندها يطمئن الإنسان، ويأنس بهذا الكون ويذهب عنه الخوف والهلع، وما علينا إلا أن نتذكر قول القاضي عياض:

(عليك بطريق الحق ولا تستوحش لقلّة السالكين

وإياك وطريق الباطل ولا تعجب لكثرة الهالكين).

هذه الطريق هي الوحيدة القادرة على رفع اليأس والشكوى من الزمان والخوف والقلق من نفس الإنسان، ليحمل المشاعر الإيجابية الصحيحة تجاه الحياة والأحداث.

صحيح أن الشاعر يرى الحياة من خلال الذات والنسبية بشكل عام، ولكن الشاعر المسلم تنهذب ذاته ونسبيته، من خلال الخضوع لمنهج الحق، فيرى الحياة بفراسة المؤمن الذي يرى بنور الله. جعلنا الله من أصحاب النفوس المطمئنة التي ترجع إلى ربها راضية مرضية.

=====

محمد صلى الله عليه وسلم محرر الإنسان والزمان والمكان

د. محمد أحمد العزب

[1]

دين يحرق الباحث في ملامح الحركة التاريخية قبل وبعد ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم فإنه لا يحتاج إلى معاناة ليستجلي حقيقة موضوعية أكبر من أن تتوارى في غياهب الجدل، هذه الحقيقة الموضوعية هي أن هذا الميلاد العظيم كان إيذاناً بثورة كونية شاملة عملت عملها في تغيير علاقات الأشياء بعضها مع بعض، وفي تغيير علاقات الأحياء بعضهم مع بعض، حتى ليتمكن القول بأن ما حدث كان تحريراً كاملاً لوضع الإنسان في الأرض، ووضع الأرض في الكون، ووضع الزمان في التاريخ.

أجل، كان هذا الميلاد العظيم إيذاناً ببدء ثورة شاملة، حررت الإنسان والزمان والمكان، ورفعت عنها إصو عبوديات كثيرة كانت تعتاق انطلاقها جميعاً، فأخذ الإنسان حريته بيده، وصاغ هوية زمانه ومكانه صياغة جديدة فجرت عناصر الخير في كل شيء كان احتجاجاً قليباً على كل عناصر الخير، فوقف الإنسان على ربة التاريخ يسدد خطواته نحو الأشرف والأفضل، ووقف المكان ليلهم ويحتضن وينبت الأروع والأنصع، ووقف الزمان ليفسح ويتيح للأكمل والأشمل!

ولكن كيف؟

كيف حرر محمد صلى الله عليه وسلم الإنسان من ربة عبودياته المتعددة؟
كيف حرر محمد صلى الله عليه وسلم الزمان من قبضة كونه إطاراً للحركة التاريخية الهابطة؟

كيف حرر محمد صلى الله عليه وسلم المكان من وضعية كونه صنماً أو مناطاً لصنم معبود على الأرض؟

القضية جرت بها أقلام كثير من الباحثين، ولكنهم تناولوها من منظور كمي إذا جاز أن يقال، بمعنى أنهم رصدوا كمّ التحول التاريخي على مستوى سياسي واجتماعي وثقافي وعقائدي، دون أن يفتنوا إلى جدل هذه المستويات وإشعاعاتها التي تشكل خلفياتها الحقيقية، وهو ما نحاول تجليته في هذه السطور..

ولكن.. كيف.. مرة أخرى؟

[2]

التاريخ هنا لا يتسطيع أن يكذب على نفسه.. فإن ثورة محمد صلى الله عليه وسلم من أجل إنسانية الإنسان تكاد تشكل كل ملامح رسالته الشامخة، لأن القيم والأعراف والمبادئ والنواميس والأحكام والشرائع والقضايا والمقولات التي يمكن أن تشكل في النهاية مجموع الرسالة الإسلامية ليست بذات بال إن هي فقدت محور وجودها الصميمي الذي هو الإنسان.

إن قيام الإنسان بهذه المواضع الإسلامية هو ما يعطيها معقولية وجودها على الأرض، ومن هنا نستطيع أن نفهم أن نزول القرآن «منجماً» كان ترتيباً طبيعياً على مقدمة أسلسية وهي أن معاناة البشر الكادحين هي بالضرورة محور تنزل

الوحي من السماء إلى الأرض، أي أن وجود الشرائع والرسالات هو وجود متوقف على وجود آخر قبلي ومسبق وهو الوجود الإنساني، فما لم يوجد الإنسان كان لا يمكن أن توجد الشرائع، وما لم يحفر البشر تاريخهم الحلولي على أخاديد الصخور وأعراف الجبال كان لا يمكن للرسالات أن تحفر تاريخها الحلولي على أخاديد الورق أو في أعراف الطبائع والنفوس!

وإذن فقد كان تحرير محمد صلى الله عليه وسلم للإنسان تحريراً مقصوداً وقبلياً، ولذلك فإن حجم هذا التحرير يعطي قناعة أن كل الجراح التي نزفت من محمد صلى الله عليه وسلم كانت جراحاً حميمة إلى قلبه، لأنها نزفت دماً هنا ورقأت دماً بلا حدود هناك، أعنى أن كل قطرة دم أو عرق نزفت من جبين محمد القائد الرسول صلى الله عليه وسلم قد استحالت في تاريخ الإنسان على امتداد هذا التاريخ إلى يد برة حاذية تمسح عن جبينه طوفان الدم وشلال الدموع. إن الجراح التي نزفت هناك من جبين محمد صلى الله عليه وسلم وهو يعدل مسار الكون والتاريخ والإنسان، هي التي تتيح لهذا الإنسان أن يقبض في رحاب الكون والتاريخ على إنسانيته بيديه، غير غارق في طوفان الرجعة الذاهلة إلى حرب الأعراق الفاجرة، أو إلى انحناء الجذع الإنساني أمام حجم حجري بليد، أو إلى انصياع في مسارب اللذات غير مبدع ما ييقى على التاريخ عنواناً على عظمة البشر ومجد الإنسان في الأرض!

كان الإنسان -قبل محمد صلى الله عليه وسلم- يتكئ في قناعاته على مسلمات كثيرة، فأطلق محمد صلى الله عليه وسلم فيه ثورة العقل وثورة الجسد وثورة الروح.. لقد زلزل هذا الإنسان بثورة العقل معاقل الخرافة، وأسوار التجمد، وحوائط الانغلاق، فأطلق لفكره العنان يجول في أبهاء الزمن والتاريخ والكون والثقافات، يشيد من بعضها ما يراه موائماً لطبائع التطور، ويشيد على أنقاض بعضها الآخر ما يراه عاجزاً عن مواكبة الطموح البشري في اندفاعه مع تيار التواصل الكوني والإنساني.. وزلزل هذا الإنسان بثورة الجسد مقاصير العنت، ومناطق الخوف، وأحراش الرهوبت، فأطلق للإبداع الإنساني آفاق طموحه المشروعة، وأمن لخطوات التاريخ على طرائق الخير والحق، وجعل من «القيمة»

وحدها مقياس التوافق مع الوجود الإنساني النبيل الذي يرفض أن يشارك في مهزلة الأعلى والأدنى على ضوء مقاييس البطش والإرهاب.. وزلزل هذا الإنسان أخيراً بثورة الروح تاريخهمجية على الأرض، فأطلق لأشواقه العليا أن تلوذ بمناطها الطبيعي، وأن تستريح من قرها إلى دفء الألوهية.

وهكذا يتوافق إيقاع ثورات العقل والجسد والروح تلك التي أطلق شرارتها الأولى محمد صلى الله عليه وسلم لتؤلف في النهاية هذا الكون المسلم الذي يرفض إنسانه أن يوجد على الأرض بليداً بلا عقل، وكاسداً بلا فعل، ومعطلاً بلا أشواق، وهذا هو حجم التحول الذي قاده هذا الإنسان النبي صلى الله عليه وسلم في أحلك فترات التاريخ قتامة وجهامة وانطفاء!

[3]

وليس فعل محمد صلى الله عليه وسلم في تحرير الزمان بأقل من فعله في تحرير الإنسان، وإن كنا نلاحظ منذ البدء أن الفصل بين الإنسان والزمان فصل عشوائي وغير مبرر على الإطلاق، إلا أن التقسيم المرحلي لقيمة الفعل البطولي الذي قاده النبي محمد صلى الله عليه وسلم يحدثم أن نقف عند كل مرحلة على مشارف لا نتعدى إطارها إلى إطار آخر حتى لا تختلط التخوم والأبعاد.. إن تحرير محمد صلى الله عليه وسلم للزمان يتوهج في حقيقة أولية توشك أن لا تلمحها البدائية العجلى، وهي اقتداره العظيم على اقتلاع حركة الزمان بما هو تاريخ من فوضى التدفق العشوائي إلى تحديد الملامح وتجسيد الهويات، بمعنى أن التاريخ الزمني كان إطاراً سائباً لا تجري داخله حركة عقائدية محددة تبدع للإنسان شوطاً يجريه، أو هدفاً يحققه، أو إنجازاً يضعه على الأرض.. فجاء محمد صلى الله عليه وسلم ليجعل من هذا التاريخ الزمني إطاراً لحركة تبدأ تخومها من الأرض لتنتهي في السماء، أي أن حجم هذه الحركة العقائدية التي أعطاها محمد صلى الله عليه وسلم للتاريخ الزمني محتوى ومضموناً، تبدأ بمفردات الوجود الإنساني على الأرض لتتوافق في نهاية الرحلة مع كلية الوجود الإلهي في الأشياء وما قبل الأشياء وما وراء الأشياء!

هذا شيء.. وشيء آخر لا يقل عن ذلك تأصلاً وإشعاعاً.. ذلك هو انتقال محمد صلى الله عليه وسلم بالتاريخ الزمني من شواطئ المواجهة للإنسان إلى شواطئ العناق للإنسان، بمعنى أن التاريخ الزمني كان قبل محمد صلى الله عليه وسلم عدواً للإنسان يتربص كل واحد منهما بالآخر في محاولة لإجهاض وجوده على الأرض، ولذلك نرى المسلحة الكبرى من الإبداع العقلي والفني للإنسان ما قبل التاريخ الإسلامي تغص بقتل الإنسان لزمه التاريخي في قصف هنا، أو لهو هناك، أو حرب غير مبررة هنالك، ربما لإحساس هذا الإنسان بأن الزمن التاريخي يتربص به، فهو يحاول قتله قبل أن يستطيع هو أن يقتله، وكلاهما قاتل ومقتول في نفس اللحظة وعلى نفس التراب! حتى إذا جاء محمد صلى الله عليه وسلم انتقل بالتاريخ الزمني من شواطئ المواجهة إلى شواطئ المعانقة، وشكل للإنسان حاسة تاريخية ترى في اللحظة الآنية إثراءً طبيعياً للحظة الحاضرة، وفي الآن الماضي تربة طبيعية لتشكيل الآن المستقبل، استطاع الإنسان بعدها أن يفيق على حقيقة أن الزمن هو إطاره الطبيعي، وأن تدمير الإطار يعني على الفور تدمير الذات الساكنة في هذا الإطار، فعزف عن مناوأة تاريخه الزمني، وعقداً معاً ما يشبه الحلف المقدس، فأحس الإنسان المسلم دائماً أن الزمن ثروة ينبغي أن تستغل، وعمر يجب أن يمتلئ، وتاريخ لا بد أن يحتوي أروع ما في الإنسان من طاقات وإبداعات!

وما لنا لا نحاول أن نفهم من المواقيت الزمنية الصارمة للصلاة والصيام والحج والزكاة فوق حكمة مشروعيته حكمة طولها في وقت معين وز من بذاته ربما لتحرك في أعماق الطبيعة الإنسانية قيمة الزمن والإحساس بتاريخية كل الأشياء؟

الحق أن حجم التحول الذي قاده النبي العظيم محمد صلى الله عليه وسلم في مجال تحرير الإنسان والزمان حجم يجب أن يظل في مناطق الضوء، لأن به وحده يمكن التعرف على ضخامة العطاء الإنساني والرسالي الذي وهبه لنا هذا النبي الإنسان صلى الله عليه وسلم، الذي حمل في عينيه أحلام مستقبل البشر.

[4]

فإذا انتقلنا إلى تأمل ملامح الحركة الثالثة وهي تحرير محمد صلى الله عليه وسلم للمكان، لراعنا أن قوة الفعل هنا لا تقل عن روعة الفعل هناك، فإذا تخطينا

ملاحظة أن الفصل هنا كذلك بين الإنسان والزمان والمكان فصل مرحلي تحتمه طبيعة التأمل والفهم ولا تحتمه طبائع الأشياء لأن طبائع الأشياء ترفض هذا الفصل ولا تزكيه، إذا تخطينا ذلك كله إلى محاولة تأمل قيمة الفعل الذي أعطاه محمد صلى الله عليه وسلم لتحرير المكان تمييزاً لتحرير الإنسان والزمان، لبددها على الفور أن علاقة الإنسان هنا بالمكان غير علاقة الإنسان هناك بنفس المكان -بمعنى أن المسوح المكاني الذي جرت عليه أحداث الحياة قبل البعثة المحمدية، ولكن علاقة إنسان الجاهلية بهذا المكان غير علاقة إنسان الحركة الإسلامية بنفس هذا المكان، لأن طبيعة الجدل بين الإنسان وإطاره الطبيعي الذي هو المكان قد وضعت في المنظور الإسلامي على مستوى آخر يرى في الأشياء صديقاً وملهماً ومحراباً، إن الأرض هنا تصبح «مسجداً وظهوراً».. ويصبح «المكان» قبلة وكعبة ومنسكاً وبيتاً وحقلاً وميداناً وملاعب ذكريات.. وإذا كان محمد صلى الله عليه وسلم قد حرر جبين الأرض من أن تصبح مجرد صنم أو مجرد مناط لصنم، فإن ذلك يعني أن قد حررها من أن تكون بوضعيتها المكانية غير قادرة على الإلهام والعطاء، لأن صنمية الأشياء تعني رفض تعقل الأشياء، أن أن الصنم يتطلب عقلاً صنماً لا يفكر، لأنه إذا تحرك بالفكر رفض على الفور مقولة أن يخرّ لـحجرة الصنم.. فإذا حرر محمد صلى الله عليه وسلم هذا التاريخ الطبيعي الذي نسميه الأرض، أو نسميه المكان من أن يكون صنماً أو مناطاً لصنم، فإن ذلك يعني أن أعطى هذا التاريخ الطبيعي اقتداره الطبيعي على أن يلهم ويحرك ويستثير، بمعنى أن الأرض بهذه الوضعية تصبح مجالاً لتأمل الفكر، وطموح العقل، وجسارة الاستشفاف، وما دام ذلك كذلك، فإن رحلة العروج الإيماني قد تبدأ من نبتة طالعة في الصخر، أو نبع متدفق في الرمال، أو شفق هائم على صدر الأفق، أو مضيق متعرج بين جبليين.. وهنا لا بد أن نطفن إلى نداءات محمد صلى الله عليه وسلم المتواصلة التي كان يعقد فيها صداقة كونية بين مظاهر الطبيعة وإنسان هذه الطبيعة، حتى لنراه يدمع وهو يفارق مكة، ونراه يندني على الزرع الطالع في تعاطف حميم، ونراه يقبل الحجر الأسود، ونراه يميظ الأذى عن الطريق.. إن هذا الفعل الرسولي ليس فعلاً عشوائياً يمتد من داخل الذات إلى محيط الإطار في عفوية ساذجة ولكنه

يمتد من داخل الذات إلى محيط الإطار ليشكل هذا التواصل الوجداني بين الكون والإنسان، ربما ليستحيل الإنسان في الكون إلى طاقة متلقية وواهبة تعطي الكون معنى أن كان ومعنى أن يكون، وهذه هي قيمة الفعل في تجاوب النقائض والأضداد!

لا أدري بعد.. هل يمكن أن تغيم مقولة أن محمداً صلى الله عليه وسلم حرر الإنسان والزمان والمكان منذ لحظة وجوده على الأرض فاعلاً وغالباً؟ أم أن هذه المقولة بعد تأمل كل هذه المفردات يمكن أن تكون كما يكون طلوع الشمس في أعقاب ليل بهيم، حركة كوزية لها ثقل الحركة بكل أبعادها الهائلة، ولاها جلال الكون بكل أسرارها وغوامضها وضوافيه؟

أعرف أن الاختيار الأخير هو الأصوب، وأن ما عداه خرافة يجب أن نهزمها في عقل التاريخ!

مجلة الأمة - العدد 15 - ربيع الأول 1402 هـ

أفيون هذا الزمان

تتبارى أجهزة التلفزيون والإذاعة والسينما و صفحات المجلات و الجرائد على شيء واحد خطير هو سرقة الإنسان من نفسه. شد عينيه و أذنيه و أعصابه و أحشائه ليجلس متسمرًا كالمشده أمام التلفزيون أو الراديو أو السينما، و قد تخدرت أعصابه تماما، كأنه أخذ بنجا كلياً و راح يسبح بعينه مع المسلسلة، و يكد ذهنه متسائلاً: من القاتل، و من الهارب. و بين قاهر الجواسيس، و ريتشارد كامبل، و الأفيشات العارية في المجلات، و العناوين الصارخة في الجرائد ينتهي اليوم و الليلة، و يعود الواحد إلى فراشه و هو في حالة خواء و فراغ و توتر داخلي مجهول السبب، و حزن دفين كأنه لم يعيش ذلك اليوم قط.

و الحقيقة أنه لم يعيش بالفعل، و أن حق الحياة سلب منه، و أنه سلب من نفسه، و أخرج عنوة و ألقى به في مغامرات عجيبة مضحكة، و تسلؤلات لا تهمة على الإطلاق. من الذي قتل شهيرة هانم! و لماذا تخون كلوديا كاردينالي زوجها في

رواية ((الذئب في فراشي)) ؟ و أين الكنز في سلسلة عبيد الذهب؟ و أين الحقيقة في رواية ارحمني يا حبيبي؟

و يمر اليوم تلو اليوم. و تظل هذه الأجهزة تقوم بما يشبه العادة السرية للمتفرجين، و تغرقهم في نشوات مفتعلة إلى درجة التعب، ثم تلقي بهم إلى الفراش آخر الليل منهوكي الأحاسيس، لا يدري الواحد منهم ماذا به بالضبط. لماذا يشعر بأنه مجوف تماما. و أنه لا يعيش أبدا، و أنه لا يقول ما يريد أن يقوله، و لا يسمع ما يريد أن يسمعه، و إنما هو يربط في أرجوحة تظل تدور به دورانا محموما حتى يغمى عليه تماما و ينسى ما كان يفكر فيه، و ما كان يريد أن يقوله، و ما كان يريد أن يسمعه، و ما كان يملأ منه القلب و العقل. و يتحول إلى حيوان أعجم مربوط العقل و الإحساس إلى هذه الأجهزة الغريبة التي تفتعل له حياة كلها كذب في كذب. و هذه الظاهرة ظاهرة عالمية، بل هي من سمات هذا العصر المادي الميكانيكي الذي تحولت فيه أجهزة الإعلام إلى أدوات للقتل الجماعي.

و هو نوع من القتل الجميل الرائع. تخنق فيه العقول بحبال من حرير، و تخنق الخيالات بالعطور الفواحة. و تخاط فيه الشفاه بجداول من شعر بريجيت باردو، و أرسلوا انرس.

و كلما زادت مقاومة المتفرج لهذا الأفيون زاد المخرجون من المساحة العاربية المسموح بها من صدر الممثلة و من ساقها، و سكبوا كمية من الدم أكثر في رواياتهم، و كمية من البترول المشتعل أكثر على أعصاب الناس.

و حينما تنفجر الأعصاب في ظواهر متشابهة مثل ظاهرة الخنافس و الهيدز، و رقصات الجرك المجنونة، و أدب الساخطين و الغاضبين و اللاعدين، فهي دائما نتائج ذلك البخار المضغوط في جماهير الشباب التي قضى عليها بأن تعيش أسيرة عنكبوت الإعلام، و الأخطبوط ذي الألف اسم. الإذاعة و السينما و الجرائد. ذلك السجن ذي القضبان الجميلة من الأذرع العاربية في المجالات و الروايات لتعيش معزولة عن معركة المصير و عن الإدلاء برأي في مأساة الحياة و الموت التي تجري على مساحة العالم كل يوم.

و حينما يدور الكلام عن عقار الهلوسة و الماريجوانا، و الحشيش، و الهيروين، و الكوكايين، و العصابات التي تروجه، فإنهم يذسون دائما مخدرات أكثر انتشارا و أخطر أثرا.

مخدرات تدخل كل بيت من تحت عقب الباب، و تقتحم على كل واحد غرفة نومه، و تراحم إفطار الصباح إلى معدته و فنجان الشاي إلى شفتيه. تلك هي وسائل الإعلام التي تكاتفت فيما بينها - بتعاقد غير مكتوب - على أن تقتل الناس بقتل وقتهم، و تميتهم بالضحك و الإثارة و النكتة البذيئة، و تلك الكلمة الغامضة اللذيذة التي اسمها التسلية.

و تحت شعار قتل الوقت يقتل الإنسان، و يراق دم اللحظات، و يسفك العمر، فما العمر في النهاية إلا وقت محدود. و ما الإنسان إلا فسحة زمنية عابرة إذا قتلت لم يبقى من الإنسان أي شيء.

و مسئولية كل مفكر و كاتب أن يخرج على الخط، و يتمرد على هذا الإتفاق غير المكتوب بقتل الوقت في محاولة شريفة لإحياء وقت الناس بتثقيفهم و تعليمهم و البحث عن الحق، لا عن التسلية و إثراك الناس في مأساة مصيرهم، و إعادة كل واحد إلى نفسه و قد ازداد ثراء و وعيا لا سلبه من نفسه و سرقة من حياته، و رفع شعارات الحرية لتفسح الروح الإنسانية عن مكوناتها.

على وسائل الإعلام أن تتحول من أفيون إلى منبه يفتح العيون و الأحاسيس على الحقيقة، و يدعو كل قارئ إلى وليمة الرأي و يدعو كل عقل معطل إلى مائدة الفكر، فتكون كرحلة تحشد الحماس عند كل محطة تقف عندها لا كخيمة للغاز المسيل الدموع مضروبة على الناس أو قنابل دخان تطلق للتعمية.

إن حضارة الإنسان و تاريخه و مستقبله رهين كلمة صدق و صحيفة صدق و شعار صدق. فبالحق نعيش، و ليس بالخيز وحده أبدا.

و إذا كان السؤال المطروح الآن:

ما هي صحافة اليوم؟

فهاأنذا أقول لكم الجواب:

أن نقول الحق.

و أن نقول الجد.

و أن نقول المفيد و النافع و الصحيح.

و أن نحیی وقت القارئ لا أن نقتل وقته.

=====

لا يتغير الحلال والحرام بتغير الزمان

تاریخ الفتوى : 16 صفر 1420

السؤال

هل يجوز أن تصبح المرأة المتزوجة ملكاً لليمين كما ورد في سورة النساء؟ وهل ملك اليمين حلال أم حرام في هذا الزمان لأن هناك من يقول عن الإسلام ما كان حلال في الماضي لايجوز حله الآن وما كان محرماً في الماضي يمكن أن يحل الآن مثل فوائد البنوك؟ وشكرا لكم

الفتوى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد:

فإن ما حرم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم لا يكون حلالاً بتغيير الزمان وما كان حلالاً فإنه لا يحرمه تغيير الزمان كذلك، قال تعالى: (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلالٌ وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب) [النحل:116]. وأما ملك اليمين فهو أن تصبح المرأة أمة رقيقة لدى سيدها وله وطؤها بملك اليمين، قال تعالى: (فإن خفتن ألاّ

تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم). [النساء: 3]. وإذا وطئها سيدها فحملت منه فإنها تصبح أم ولد تعتق بموت سيدها ولا يجوز له أن يتزوجها بحيث تصبح زوجة له، ولكن إن أرادها زوجة له فإنه يعتقها ويتزوجها. وأما غير سيدها فإن كان عبداً فله أن يتزوجها مطلقاً لأنه رقيق مثلها وأما إن كان حراً فلا يجوز له ذلك إلا إذا لم يستطع - طويلاً - أن ينكح الحرائر المحصنات المؤمنات لعجزه عن صداقهن أو نفقتهن، فله أن يتزوج من الأمة المؤمنة إذا خشي الوقوع في الزنا، قال تعالى: (ومن لم يستطع منك طويلاً أن ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت

أيمانك من فتياتكم المؤمنات ... إلى قوله ... ذلك لمن خشي العنت منكم وأن
تصبروا خيراً لكم والله غفور رحيم ([النساء: 25]. والله أعلم .

المفتي: مركز الفتوى بإشراف د. عبدالله الفقيه

=====

رجال لكل زمان

الحمد لله الذي جعل في كل زمان بقايا من أهل السلم، يدعون من ضلَّ إلى الهدى،
وينهونهُ عن الردى، ويحيون بكتاب الله تعالى الموتى، وبسنة رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - أهل الجهالة والردى، ويصبرون منهم على الأذى، فكم من قتيلٍ
لإبليس قد أحيوه؟! وكم من تائه ضالٍ قد هدوه، بذلوا دماءهم وأموالهم دون هلكة
العباد، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم، يُنفون عن دين الله
عزَّ وجلَّ تحريف الضالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الضالين الذين عقدوا ألوية
البدع، وأطلقوا عنان الفتنة، يقولون عن الله وفي الله، وفي كتابه بغير علم، تعلى
الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً. ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،
أمَّا بعد: أيها الناس :

فمقدمة هذه الخطبة تؤثر عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وعن الإمام أحمد
- رحمه الله -، وهي في وصف أهل السنة الذين جعلهم الله درعاً للإسلام منذ وفاته
- صلى الله عليه وسلم - إلى عصرنا هذا، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها،
يذَّبون عن دين الله باللسان والسنان والقلم، يرمون بأنفسهم في كل فجيرة، ذوداً عن
حمى الدين وحوزة الإسلام، يقفون في وجه كل معتد وضال ومعاند، فهم الذين
وقفوا في وجه أهل الردة حتى حصدوا شوكتهم، وهم الذين قاتلوا كسرى وقيصر
حتى أسقطوا دولة كل منهم، وهم الذين جابهوا الخوارج فأقنعوا من اقتنع منهم
باللسان، وأجهزوا على بقيتهم بالسنان، وهم الذين وقفوا في وجه الرافضة وأحرقوا
الغلاة منهم، وهم الذين وقفوا في وجه نفاة القدر حتى أبطلوا حجتهم، فأضحى
عقيدتهم بحمد الله في القرون الأولى هي السائدة، ثم توالى الهجمات الشرسة على
الإسلام وأهله، وتبنى بعض الخلفاء غير معتقد أهل السنة، فزادت ضراوة الفتنة،
وأصبح أهل السنة في مواجهة فرقٍ نشرت باطلها بالسيف والتعذيب، وهم لا

يملكون سوى اللسان والقلم، ومع ذلك وقفوا وعرض من عرض منهم على السيف، وعذب من عذب وعلى رأسهم إمام أهل السنة - أبو عبد الله - أحمد ابن حنبل - رحمه الله -. ثم خذل الله أهل البدع، وتولى الأمر بعض أهل السنة، والصراع على أشده بين الحق والباطل، وللباطل وأهله مواقف ذليلة، فحينما عجزوا عن مجابهة أهل الحق في ساحة الوعي، لجئوا لقطع الطرق على الجميع، ومداهمتهم في مقرهم، في بيت الله الذي من دخله كان آمناً، وهكذا نرى أهل السنة قد وقفوا في هذم الفترة في مواجهة قوة الخوارج، وثورة الزنج، وفتنة الجهمية والمعتزلة، وغيرهم من فرق أهل الكلام، وفي مواجهة الباطنية، جميعها فرق تنتسب إلى الإسلام، إلى أن أحس الأعداء من الخارج بضعف دولة الإسلام، بسبب هذم الانقسامات، فهجموا هم أيضاً في حملة صليبية حاكمة شرسة، فأخذوا ثالث المساجد التي تُشد إليها الرحال، وقبلة المسلمين الأولى، فكان لأهل السنة معهم وقفات انتهت بخذلان الباطل وانتصار الحق، وإعادة المسجد الأقصى، ومع هذا فالصليبيون لا يألون جهداً في محاولة كسب الموقف، إلى أن دهم البلاد خطر آخر، خطر وحشي، حملة مغولية من التتار الذين أتوا على الديار فأبادوا الأخضر واليابس، لم يرحموا شيخاً ولا طفلاً ولا امرأة، وسقطت في أيديهم البلاد تلو البلاد، ولم يبق لأهل السنة إلا نواة انطلقوا منها، ووقفوا في وجه هذا العدو، وسعى من سعى من أعلام المسلمين وأئمة الدين في شحذ الهمم، وتطمين النفوس، ألا وهو شيخ الإسلام ابن تيمية، فكتب الله النصر لأهل الإسلام، وعاد العدو أدراجة خاسراً ذليلاً، ولم تكن مواقف أهل السنة في هذه الفترة مقصورة على المواجهة في القتال، بل بالكتابة والدعوة إلى الرجوع للمنهج السليم، والرد على كل مبتدع وضال، وإن أدى ذلك إلى شيء من الأذى والاضطهاد، فهم الذين يدعون من ضل إلى الهدى، وينهون عن الردى، ويحيون بكتاب الله الموتى، ويصبرون منهم على الأذى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه؟! وكم من تائه ضال قد هدوه؟! بذلوا دماءهم وأموالهم دون هلكة العباد، فما أحسن أثرهم على الناس، وهي تحنل أولى القبليتين، ومسرى النبي - صلى الله عليه وسلم.

وأقبح أثر الناس عليهم، أي والله، لقد بذلوا دماءهم وأموالهم دون هلكة العباد، فمنهم من قُتل، ومنهم من سُجن حتى مات في السجن، ومنهم من عذب، احتملوا كل ذلك لله وفي الله، وفي سبيل تبليغ دين الله لمن بعدهم، صافياً لا تشويه شوائب أهل الزيف والضلال، وقد وصل إلينا بحمد الله كذلك، فكان لزاماً علينا أن نذود عنه كما زاد أسلافنا، إذ الحربُ متوارثةٌ مستمرة، فوجد أهل السنة اليوم أنفسهم في مواجهة أخطارٍ عديدةٍ كثيرة، وهم في حال ضعفٍ لا ناصر لهم ولا معين إلا الله، ووجدوا أنفسهم في مواجهة دولة اليهود ذات الجيش المزود بأحدث وأفتك أنواع الأسلحة، وفي مواجهة دولة النصارى، عبادة الصليب، وهي تحتل جزءاً آخر من بلاد المسلمين، وفي مواجهة الإلحاد الشيوعي الماركسي، وهو يغزو البلاد ويدمر العباد، وجدوا أنفسهم في مواجهة هذه الجبهات العديدة التي فتحت عليهم عسكرياً، وجدوا أنفسهم وقد تداعت عليهم أمم الكفر والضلال كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، كما أخبرهم بذلك نبيهم - صلى الله عليه وسلم -، وكان الواجب علينا أن نسأل أنفسنا لماذا نحن المقصودين بالذات دون سائر الأمم بهذا الغزو الشرس، والجواب ظاهر، فاللص لا يأتي إلا البيت الذي يظن وجود المال فيها.

الخطبة الثانية

الحمد لله... أما بعد، أيها الناس :

فلا شك بأن الغزو العسكري الذي دهم بلاد المسلمين غزوٌ خطرٌ لهم من الآثار السيئة ما لا يعلم مداه إلا الله، لكن مع ذلك لبيت الأمر مقتصر على هذا الحد فقط، لكن هناك ما هو أخطر منه وأعظم، ألا وهو الغزو في الفكر والمعتقد، فكما أن أهل السنة في مواجهة ما سبق، فكذلك هم في مواجهة غزو من الداخل أشد وأنكى، فهم في مواجهة انحراف العقيدة عند الصوفية، وهم في مواجهة غزو الرفضية الشرس الذي هو في قمة نشاطه وأوج مجده، وهم في مواجهة شبّهات ألقاها أعداء الإسلام من يهود و نصارى و شيوخ عيين، وشبّهات أصغوا بها في دين الإسلام، وتلقفها جهلة أبناء المسلمين، وفي نظري أن كل هذا يهون عند غزو مبطن، ظاهره الترفية والتسلية، وباطنه فيه البلاء والهدم، فيه الاسم الزعاف القاتل، فيه

اجترارنا إلى الهاوية، والانحراف بنا عن مسيرة الحق، إنه غزو من داخلنا، من أبنائنا، من بني جلدتنا، فحُصُونَا مُهَدَدَةً من داخلها، ومن مأمَنِهِ يُوتَى الحذر.

أخرج البخاري في صحيحه عن حذيفة - رضي الله عنه - قال: ((كانَ النَّاسُ يُسألُونَ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - عن الخير، وكنتُ أسألهُ عن الشرِّ مخافةً أن يُدركني فقلتُ: يا رسولَ الله، إنا كُذِّبنا في جاهليةٍ وشرٍّ، فجاءنا اللهُ بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شرٍّ؟ قال: نعم. قلتُ: وهل بعد ذلك الشرِّ من خيرٍ؟ قال: نعم وفيه دخن، قلتُ: وما دخنه؟ قال: قومٌ يهدونَ بغيرِ هدي، تعرفُ منهم وتُتكر، قلتُ: فهل بعد ذلك الخير من شرٍّ؟ قال: نعم، دعاةٌ على أبوابِ جهنم، من أجابهم إليها قذفوا فيها، قلتُ: يا رسولَ الله، صفهم لنا، قال: هُم من جلدتنا، ويتكلمونَ بألسنتنا، قلتُ: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعةَ المسلمين وإمامهم. قلتُ: فإن لم يكن لهم جماعةٌ ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعضَّ بأصلِ شجرةٍ حتى يُدركك الموتُ وأنت على ذلك)) .

معشرَ الإخوةِ في الله، هذا حديثٌ عظيمٌ جليل، ممن لا ينطقُ عن الهوى، فيه تحذيرٌ لكم من خطرِ المنافقين، وفيه بيانٌ لمنهجِ الصحابةِ - رضي الله عنهم - في حرصهم على معرفةِ الشرِّ ليحذروه، وقد تكالبت عليهم الشرورُ من كلِّ جانب، وأنتم لا تعرفونها، بل تتساقون وراءها، لأذنها تُظهرُ لكم أشياءَ براقيةٍ لماعة، بألسنةٍ كأنما يسيلُ منها العسل، وهُم واللهِ الخطرُ كلُّ الخطر، يقولُ نبيكم - صلى الله عليه وسلم - كما جاء عنه في الحديثِ الصحيح: ((إنَّ أخوفَ ما أخافُ على أمتي: كلَّ منافقٍ عليمُ اللسان)) .

ويقولُ الحسنُ البصري - رحمه الله -: إنما الناسُ ثلاثةٌ نفر: مؤمنٌ ومنافقٌ وكافرٌ، فأملُّ المؤمنَ فعاملٌ بطاعةِ الله، وأملُّ الكافرَ فقد أذلهُ اللهُ تعالى كما رأيتم، وأملُّ المنافقَ فها هنا وها هنا في الحُجَرِ والبيوتِ والطرق، نعوذُ بالله، واللهِ ما عرفوا ربَّهم بل عرفوا إنكارَهم لربِّهم بأعمالِهِم الخبيثة، ظهرَ الجفاء، وقلَّ العلمُ، وترتِ السنة، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون، حيارى، سُكارى، ليسوا يهوداً، ولا نصارى، ولا مجوساً، فيحذروا) .

وقال : إنَّ المؤمنَ لم يأخذ دينه عن الناس، ولكن أتاه من قبلِ الله عزَّ وجل فأخذه، وإنَّ المنافقَ أعطى الناسَ لسانه، ومنعَ اللهُ قلبه وعمله، يحدثانُ أحدنا في الإسلام: رجلٌ ذو رأىٍ سواءٍ، زعم أنَّ الجنةَ لمن رأى مثلَ رأيه، فسلَّ سيفه، وسفكَ دماءَ المسلمين، واستحلَّ حُرمتهم، ومترفٌ يعبدُ الدنيا، لها يغضبُ وعليها يُقاتل، ولها يطلبُ، وقال : يا سبحانَ اللهُ ما لقيت هذه الأُمَّة من منافقٍ قهرها واستأثرَ عليها، وما رِق مرق من الدينِ فخرَجَ عليها صنفاً خبيثان، قد غمَّ كلَّ مسلم، يا ابنِ آدمَ دينكَ دينك، فإنَّما هو لحمكَ ودمك، فإن تسلمَ فيا لها من راحة، ويا لها من نعمة، وإن تكنِ الأخرى فنعوذُ بالله، فإنَّما هي نارٌ لا تُطفئ، وجحيمٌ لا يُبرد، ونفسٌ لا تموت.

فإنَّ اللهَ معشرَ المسلمين، كُونُوا على حذرٍ من كلِّ ما يعوقُكم عن هدفيكم، فما ظاهِرُهُ اللهُ وأنتم لا تدرون أنه تخديرٌ لكم، وتدرجٌ في إخراجِ نساءكم، حتى إذا هجمَ عليكم عدوٌّ لا سمحَ اللهُ، فإذا بكم صفرَ اليدين، بأيِّ رجالٍ تُقاتلونهُ، أم بأيِّ سلاحٍ تصدونه، أبشبابٍ همهُ الكرةُ وتشجيعُ الأندية؟ شبابٌ فتكت به المُخدرات، وأمراضُ جسمهُ الآفات، شبابٌ عبد الفيديو والمُسكرات، أم بتلك المهرجاناتِ والاحتفالات، التي تُولونها هذا الاهتمام، وأمأمكم قضايا، فما أشبهكم بمرضى تسري الآلام في جسده لا يعرضُ على طبيب، بل طبيبهُ اللهُ واللذات العاجلة، حتى إذا تمكنَ المرضُ من جسده أسلمَ الروح، وفارقَ تلك اللذات، اللهُ اللهُ معشرَ الإخوة كُونُوا مثلَ حذيفةَ

يقظة الوعي الحضاري .. هل يُنهي زمن الغفوة ؟

د.مسفر بن علي القحطاني

يشكّل غيابُ فقه مقاصد الشريعة وبعده عن فقه الأحكام التكاليفية وعزله عن الفروعيات الجزئية- أزمة واقعية على المستوى الفكري والتطبيقي للإسلام؛ فأصبحت الأحكام الشرعية نتيجة لهذا الغياب عبارة عن أفعال ديناميكية تصدر من اللاشعور الاعتيادي عند ممارسة الفرد لها دون فهم حقيقي لمراد الشرع الحنيف من هذه التكاليف أو مقصد الدين من هذه العبادات، كما أدّى هذا الغياب في فهم المقاصد إلى تأطير الشريعة في مجالات محدودة من الحياة، وقصر التعبد على

نواحٍ معدودة من العبادات العملية، فأثر هذا الفصام في تهميش دورها التفاعلي في "حفظ نظام الأمة واستدامة صلاح هذا النظام الشامل بصلاح المهيمن عليه، وهو النوع الإنساني".. كما قال الإمام الطاهر بن عاشور - رحمه الله - في معرض ذكره عن المقصد الرئيس لهذه الشريعة.

إن الأزمة الحقيقية التي تمر بها مجتمعاتنا الإسلامية في عصورنا الراهنة هي أزمة وعي بالدور الحضاري للأمة التي أراد الله عز وجل - أن تكون شاهدة على كل الأمم وفي كل العصور!! يقول الحق - تبارك وتعالى - : (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ..) [آل عمران: من الآية 110] و قال - سبحانه - : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا...) [البقرة: من الآية 143] فالخيرية التي وُصفت بها الأمة إنما هي معللة بالدور الذي يجب أن تؤديه لتلك المجتمعات الأرضية من أمر بالمعروف بكل ما يشمل هذا المفهوم، وكذلك النهي عن المنكر بنفس الشمول أيضاً، وهذا المعنى الزائد عن الوصف هو من أهم الأسس في شهودنا الحضاري على الأمم، وقد نبه عمر - رضي الله عنه - على حقيقة هذا المفهوم الشامل الذي يتعدى الأحكام الفردية إلى الممارسات الحياتية المختلفة إلى الهيئات الخارجية للناس، وذلك لما رأى في أحد الحجج التي حجها هيئة سيئة للناس لا تليق بمقام أهل الإسلام، حينها قرأ قوله - تعالى - : (كنتم خير أمة أخرجت للناس..) ثم قال: "يأيها الناس، من سره أن يكون من تلك الأمة فليؤد شرط الله منها".

إن المراد بحقيقة هذه الأزمة التي تعاني منها الأمة يكمن في أن رسالتها في الشهود الحضاري على الخلق جميعاً: إنسهم وجنهم، برهم وفاجرهم، جمادهم وحيوانهم غير واضحة في وعيهم الديني فضلاً عن وجود هذه المعاني في واقع حياتهم.. بل أصبحت مغيبة من دروس العلم وخطب الوعظ ولقاءات ومؤتمرات وكتابات أهلى الفكر والعلم والنظر - إلا من رحم ربك - وأظن أن عددهم قليل بالنسبة لجموع أولئك النخب.

هذه الأهمية لا مجال لبسط الحديث حولها في مثل هذا المقال؛ بل يحتاج الأمر إلى فصول وأبواب حتى يتم تشكيل الوعي المدرك بالخطوة الأولى في مدارج العمل الراشد للتحضر.. ولعل الأهم في هذه المرحلة أن نثير أهل العزم والحزم من علماء ودعاة الأمة الإسلامية بأن يبعثوا من جديد هذا الوعي في عقول الجميع، ويقدموا لأفراد الأمة العدة الكافية والعناد اللازم لخوض المعركة الحضارية التي زاد سعارها بعد اندفاع سيل العولمة في كل أودية الفكر والثقافة والاقتصاد في مجتمعاتنا؛ حتى الحملات العسكرية الغربية التي تُشنّ على بعض البلاد الإسلامية وغيرها تُسوَّغ بأنها دفاع عن القيم والمبادئ الحضارية، ولا يقصدون هنا سوى حضارتهم دون غيرها. فأقحمنا -شئنا ذلك أم أبينا- أمام صدام عملي بين الحضارات العالمية، وإن كان المفهوم النظري لهذا الصدام أكثر تسامحاً وتعقلاً - ومع هذا التحفظ على المصطلح - فإن الأدوات الفاعلة في هذه الحرب المستعرة هي للعلم والتقدم والتسابق التقني والتنافس الاقتصادي على الموارد والطاقة، وليست في حقيقتها سباقاً في التسلح أو من خلال عسكرة الحرب.

فالمعركة ضارية، وتحتاج منا إلى تأهل يدفعنا إلى معرفة موقعنا على خارطة الأمم، ومحاولة اليقظة العاجلة بالعودة إلى أسس المدافعة والبناء، ولن يتم ذلك إلا بالبناء العلمي، وإشاعة العدل والمساواة، واحترام الإنسان والإحسان إلى كل شيء. وبالعودة الصادقة الواعية للدين نضمن الحصول على كل تلك الأدوات الفاعلة للنهوض الحضاري، كما استخدمها النبي - صلى الله عليه وسلم - في بعثه الأول للأمة.. فالعلم فريضة في شريعتنا على كل مسلم ومسلمة، والعدل والمساواة قواعد كفاية عليها قامت كل أحكام الدين و الدنيا، واحترام الإنسان جاء من خلال حفظ كلياته الخمس: دينه ونفسه ونسله وعقله وماله، وانتظمت كل الأحكام الشرعية في تلك المقاصد الكلية، أما الإحسان فقد كتبه الله عز وجل - على كل شيء حتى في أعنف حالات التعامل مع الآخرين، كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "إن الله كتب الإحسان في كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحدّ أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته" حتى الجماد والبيئة لم يُغفل حقها من التشريع؛ كما في النهي عن البول في الماء الراكد أو تحت الأشجار أو طرقات

الناس، وكذا نهيه عن سبّ الدهر، والريح، أو قطع الأشجار المثمرة، إلى غيرها من صور التحضر الواعي الذي افتقدناه في مجتمعاتنا التي أصبحت مضرب المثل في التخلف والفقور، وشيوع الأمراض، وانعدام الحياة الكريمة للفرد العادي، فهل ستشكل يقظة الوعي لدينا الإفاقة اللازمة لغفوتنا الحضارية الراهنة..!؟

3/1/1427

02/02/2006

المصدر:

<http://www.islamtoday.net>

إبحار في زمن السقوط

عبد العزيز بن محمد السالم

رجلٌ سار على درب الرماد *** وتمادى في أمانيه وزاد
وعلى كل الشعارات ارتقى *** خفقت راياته في كل نادٍ
وتنادت بسمة النصر على *** كل ثغرٍ عشق الرقّ ومادٍ
و (رفاق) النصر قد باتوا على *** لَغَطٍ يعلو وأقداحٍ تُعادٍ
رجلٌ ماتت حياة الناس في *** صوته الأحمر يستهوي الجمادٍ
يدّعي حب المساكين ولا *** يستحي من قطع أعناق العبادٍ
يتباكى حين يلقى أمةً *** تشتكي الضعف وتستجدي النفاذٍ
وينادي بانتصار الحق من *** كل من يدعو إلى درب الفسادٍ
ويبئزُّ الناس في مظهره *** أنه المنقذ من كل الشدائد
أنه بذرة خيرٍ للدنى *** يملأ الأرض جلالاً واجتهادٍ
يمحقُّ الباطل في معقله *** وينادي بمساواة العبادٍ
وإذا الشرُّ تنامى زرعُه *** في الورى فهو له شرٌّ حصادٍ
هكذا ظن وهذا ما ادعى *** هكذا قال وهذا ما أرادٍ
خدع الدنيا بفكرٍ أحمرٍ *** غيّه خافٍ وقد أبدى رشادٍ
بعبارات على مبسمها *** ألف أهٍ تتمطى في انقيادٍ
كان جباراً وفي أفيائه *** مصنعٌ يعلو وبنيانٌ يُشادٍ

والورى يهتف في موكبه *** فهو يستهوي ملايين الجراد
في حمى (منجله) رعبٌ سرى *** يحصد الأمنَ وأحلامَ الرقاد
في حمى (منجله) شرعٌ به *** أمةٌ تُسبى وآلافٌ تباد
لا تسلُ (مطرقة) الغدر كما *** لا تسلُ (منجله) عما يُراد
فلقد بان لنا الحق وما *** عاد يلهينا عن الحق سواد
سقطتُ كل الشعارات التي *** رُفعتُ فوق منار (الاتحاد)
رجل أسقطه طغيانه *** رجلٌ أنهكه أهلُ الجهاد
طالما دامت ليالي عرسه *** فليذُق من أهلنا طعم الحداد
قدك الممشوق يا هذا نوى *** فاطرح فكراً هزياً وعناد
عد إلى كهف الضلالات ومُت *** في نواحيه وخذ ماءً وزاد
لا تُجربُ حظك العاثر في *** دعوة أخرى وأثوابِ جِداد
كفرَ الناس بما قلتَ وهل *** يحصد المرءُ وروداً من قتاد!
قد تعجبتُ ولكن ليس من *** سقطة الفكر الذي امتدَّ وساد
إنما من بعض قومي حينما *** جعلوا فكرته فيهم عماد
أنا أقسمتُ وهذا الكون لي *** شاهدٌ قولاً وفعلاً واعتقاد
أنه لا حظٌ في النصر لنا *** حينما نُسلمُ للكفر القياد
إنما النصرُ حليفٌ صادقٌ *** لصلاحٍ وكفاحٍ وجِداد
المصدر: <http://www.albayan-magazine.com>

أه على زمن الشباب

د. عبد الرحمن بن عبد الرحمن شميلة الأهدل
ولّى الشبابُ مُودعاً إحسائي *** ومضى بروثقه إلى الأرماس
ولّى الشبابُ كأنه طيفُ الكرى *** أو كالسرابٍ يعيشُ في أنفاسي
ولّى الشبابُ بحسنه وبهائه *** وبلونه الوضاء كالألماش
ولّى الشبابُ بما حوى من خُصرة *** ونضارةٍ وبنوْبهِ الميَّاس
ولّى الشبابُ وما هنالك عودَةٌ *** وأتى المشيبُ كخفةِ القرطاس

هَبَّ الْمَشِيبُ بِرَعَشَةٍ وَتَنَاطُوبٍ *** وَبِقُوَّةٍ تَدُنُّو إِلَى الْإِفْلَاسِ
هَبَّ الْمَشِيبُ وَقَدْ طَوَى أَكْفَانَهُ *** وَدُمُوعُهُ تَجْرِي بِغَيْرِ قِيَاسِ
أَهٍ عَلَى زَمَنِ الشَّبَابِ خَسِرْتُهُ *** مَازَلْتُ أَذْكَرُهُ وَ لَسْتُ بِنَاسِي
أَهٍ عَلَى زَمَنِ الشَّبَابِ أَضَعْتُهُ *** فِي مُنْتَدَى الْأَصْحَابِ وَالْجُلَاسِ
لَمْ أَبْنِ فِيهِ سِوَى النَّدَامَةِ وَالشَّفَا *** وَسَبَحْتُ فِي بَحْرِ مِنَ الْوَسْوَاسِ
لَمْ أَبْنِ فِيهِ سِوَى التَّهَوُّرِ وَالْأَذَى *** وَكَأَنَّ شَيْطَانًا يَجُولُ بِرَاسِي
رَبَّاهُ إِنِّي فِي الْحُقُوقِ مُقْصِرٌ *** وَالْقَلْبُ مِنْ عَظْمِ الذُّنُوبِ لِقَاسِي
وَاحْسَرْتَا مِمَّا جَنَنْتُهُ يَدُ الصَّبَا *** وَيَدُ الشَّبَابِ ضُحَى وَ فِي إِغْلَاسِ
فَاغْفِرْ ذُنُوبِي وَاعْفُ عَفْوً تَكْرُمٌ *** وَاسْتَرْ فَسْتَرْكَ عِزَّتِي وَ لِبَاسِي

المصدر:

<http://www.saaid.net>

قراءة في زمن المحنة

عبد العزيز بن محمد السالم

الحق في الدنيا يقال ويسمعُ *** والناسُ نحو ضيائه تتطلع
وعلى فؤادي ألفُ ظلٍ من أسي *** تجتاحني في النائبات وتفرغُ
يا أمتي جل المصابُ فما أرى *** للخرق من يرفو ولا من يرقعُ
ماذا أقول وفي فمي ماءٌ ولا *** أدري من الآلام ماذا أصنعُ
يا إخوة ركبوا سفينَ نجاتهم *** والناس في لُجج الغواية ترتعُ
إني أقول لكم مقالةً مشفقٍ *** رامَ النصيحةَ قلبه يتقطعُ
لا تحزنوا مما يقال ولا تخا *** فوا فالدني لكم تذللٌ وتخضعُ
وإذا ادلَّهم الخُطْبُ فاجتمعوا إلى *** علمائكم إلى رؤاهم فارجعوا
يا أيها العلماءُ يا تاجاً على *** هاماتنا بالصالحات مُرْصِعُ
يا غرةً في وجه أمتنا به *** صرنا ننتيه على الورى، نترفعُ
يا شعلةً في الليل، يا علماً له *** في كل نازلةٍ نهبٌ ونفرعُ
يا أيها العلماء أنتم غصّةٌ *** في حلق من بالشائعات تذرعوا
ولسان من ظلموا يلوكُ فعالكم *** وعقاربُ الفساق أضحت تلسعُ

والبغي بات مفكراً وجنوده *** هذا يخاصمكم وهذا يخدع
خسئت جنود صارعت شرف الفضي *** لة إن من رام الفضيلة يضرع
إن كان في الدنيا حبال قطعت *** جهراً فحبل عقيدتي لا يقطع
المصدر: <http://www.albayan-magazine.com>

مولود في زمن المخاض

أ. مها أبو النجا

"واء..واء..واء" صوخته المتتالية تتجاوز حدود الغرفة الكئيبة وتتسرب من
الجران المطلية بالسواد والحداد.
بكاؤه المتواصل يحزن المتألمين داخل الحجرات المتأوهة يقتربون منهما ونظرات
الرحمة تملأ أحداقهم الداكنة. المواسية لفجيعتهما.. يلتفون حولهما يمسدون
جراحهما ويتفوهون بكلمات عزاء لا تبقى في ذاكرتها..
تتبس شفتها بكلام غير مفهوم، تتركهم وتجوب مساحة الحزن ذهاباً وإياباً تردد
أسماءهم.. وتستحضر أجسادهم الفانية. عيناها تفقدان لونهما وروحهما، تعكسان
صور لقطعها الهالكة. وعائلتها المبتورة.. منذ معاناتها من آلام المخاض والحادث
الأليم لا يرقأ لها دمع، ولا يهدأ بها مضجع يريح أعصابها المنهارة من وقع
الصدمة، تقف في منتصف الحجرة.. صراخه يوقظ مشاعرها الملتهية.. تدنو من
مهده الباكي تحضنه بقوة تدفن وجهها في قلبه الصغير تنصت لنبضاته؛ لتستمد منه
الرغبة في الحياة، وأجزاء سعادتها المسلوقة منها.
تشتم رائحته المنبعثة من جسمه الهش.
استنشقتها قبل عدة سنوات، لهما نفس العبير الطفولي، والملاح المتشابهة
واللمسات الأولى.
سمع المتجاورون نواحيهما المشترك، تأملوا دموعها الممتزجة بمرارة الواقع،
تحاول تهدئته وفتناً لوعته، تضمه إلى صدرها يمتص أحاسيسها المتألمة يتذوق
ملوحته اللاذعة فتزيد من تشنجاته وانقشاع لونه..

"تهدهده" بأغنية حزينة، وتحكي له قصة الأسوة المساوية تتادي على زوجها وولديها..

تراهم بعينين متورمتين.. يقبلون عليها ويطبعون قبلاتهم على جبينها المتجدد..
طيفه يتراءى لها من بعيد.. يقترب منها البرودة تفيض من خياله.. يبتسم لها " يناعي "

مولوده الجديد، يردد معها أرتام "الأغنية الصامته" يتحرك في كل الاتجاهات،
يصدر أصواتاً غريبة ويتذكر أشخاصاً قد هجرهم منذ زمن، يوصيها بالاعتناء
بنفسها وولدها الصغير ويؤكد لها على تفانيه والإخلاص لها.. ويطلق كلمته
الأخيرة " لا تنسينا " .. يرتدي "بيجامته" تنفست الصعداء، وحدثت نفسها "
سيخذ إلى النوم سينال قسطاً من الراحة "

تراقبه بارتياح يتجه نحو النافذة تعرقل مسيرته المتقدمة.

تسأله عن مصير الطفلين.. يصوب نظره باتجاه المنزل يطلق سراح يديها ويخرج
مع الغبار دون الالتفات للوراء..

يقود سيارته بسرعة هائلة، صوت اصطدام يزلزل أركان الشارع الأحمر تنغرس
قدمها في الأرض الصلبة.. يد خفية تدفعها نحو النافذة.. تصل إليها بصعوبة
بالغة..

شهقت.. حرضت بريقها، أجزاء حديدية مفرومة على الطريق، شظايا إنسان
مبعثرة تعانق الألم وتنزف دماءً حارة، تهبط السلام الطويلة، "الآخرون" يتأملونها
بشفقة، ويترحمون على أمواتها، ويدعون لها بثبات العقل، تجمع أعضائه الدامية
يتلخخ ثوبها بلون كريبه، تصرخ " أين الولدان؟ " "ترفع بصرها تنظر إلى"
المحاجر" المعلقة على " الشبايبك " يشيرون بأصابعهم إلى مكان تعرفه، تحفظ
تفاصيله عن ظهر قلب، تسرع حافية القدمين متأوهة من وخز الأشواك النافرة
تسمرت أمامه.. لمستته بيديها.. شعرت بتجمده وتصلب أضلاعه فارقت الأرواح
الخائفة توجه له لطمات قاسية لتحطم أسواره وتتخطى العتبة الأمامية.. يُفتح الباب
الرئيسي لها ويدعوها لرؤية المنظر الرهيب.. حبست أنفاسها.. وتفشت المساحة
البيضاء في رأسها رأت أطرافاً لينة متخاذلة، وعيوناً مشرعة على مصراعها

تختلط فيها نظرات العتب والرعب وحناجو متخشبة من الاستجداد.. جسدان محبوبان داخل قفص حجري حائل للأصوت والحرارة.. تتراجع تقطع المسافات المرتجفة من هول المشهد، يصيبها الهذيان والذهول، تدور.. وتدور.. تسقط فاقدة الوعي والشعور تحمل على " نقالة خشبية " تُحجز في الحجرة المعقمة.. تفقد رونقها وأحلامها تنصت لنحيبه.. تمنع بصرها في قسماته.. يرفع يديه نحوها، تحمله وتعهده بقرار التفرغ لتربيته والحرص

على هدوئه واستقراره دون الاستسلام لضغوطات داخلية وخارجية.. تختار منزلاً جديداً تدخر فيه ذكرياتها الشجية.

رأى المقربون من خلف الزجاج أمماً أرملة تدلل صغيرها وتحكي له قصة حزينة تفرح لخطواته الأولى المتمائلة، ولتفوقه في دراسته، وتعيد شريط " الفيديو " لحفلة تخرجه من الجامعة.

تعد الأيام على انتهاء بعثته الخارجية، و" تزغرد" له في زفافه يودعها إلى بيته الآخر وتبقى وحيدة بين زوايا مأواها الدفين تبثه أسرارها وأحزانها ينصت لها وينصت.. ويكتم أوجاع أشطر حياتها الباقية..

08-شوال-1426 هـ

09-نوفمبر-2005

المصدر:

<http://www.lahaonline.com>

مبشرات في زمن الأزمات

أم عبد الرحمن الزيد

للفتن حكّم ولو لم نعرف منها إلا واحدة لكفانا، وهي الابتلاء والامتحان.
قال - جل وعلا -: {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ} [آل عمران: 179].

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله - : «اقتضت حكمته الباهرة أن يبثلي عباده ويفتتهم بما به يتميز الخبيث من الطيب من أنواع الابتلاء والامتحان»
ا. هـ (1).

1 - فأول هذه المبشرات:

حصول الأجر ووضع الوزر: وذلك إذا قرن بالصبر والاحتساب. يقول أبو طالب المكي: اعلم أن الصبر سبب لدخول الجنة والنجاة من النار؛ لأنه جاء في الخبر: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحَفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ» (2).

بل إن العبادة في وقت الفتن وعند غفلة الناس لها أجر مضاعف؛ فعن معقل بن يسار - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «العبادة في الهرج كهجرة إلي» (3).

يقول النووي - رحمه الله - : «المراد بالهرج هنا الفتنة، واختلاط أمور الناس. وسبب كثرة فضل العبادة فيه أن الناس يغفلون عنها، ويشغلون عنها، ولا يتفرغ لها إلا أفراد» ا. هـ (4).

2- وعد الله الصادق والخبر الجازم باستخلاف المؤمنين العاملين الصالحات، وتمكينهم الأرض، وإقامة العبودية لله وحده لا شريك له:

قال - جل وعلا - : {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [النور: 55].

يقول ابن كثير - رحمه الله - : هذا وعد من الله - تعالى - لرسوله - صلوات الله وسلامه عليه - بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض، أي أئمة الناس والولاية عليهم وبهم تصلح البلاد وتخضع لهم العباد {وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ} «من الناس {أمنًا} وحكمًا فيهم، وقد فعله - تبارك وتعالى - - وله الحمد والمنة؛ فإنه صلى الله عليه وسلم لم يمت حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين واليمن وسائر الجزيرة العربية بكاملها، وأخذ الجزيرة من مجوس هجر ومن بعض أطراف الشام، وهاداه هرقل ملك الروم، وصاحب مصر والإسكندرية وهو المقوقس، وملوك عمان،

والنجاشي ملك الحبشة. قال الربيع بن أنس عن أبي العالدية: كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمكة نحواً من عشر سنين يدعون إلى الله وحده وإلى عبادته وحده لا شريك له سراً وهم خائفون لا يؤمرون بالقتال حتى أمروا بعد الهجرة إلى المدينة، فقدموها، فأمرهم الله بالقتال؛ فكانوا بها خائفين يُمسون في السلاح ويُصبحون بذلك ما شاء الله، ثم إن رجلاً من الصحابة قال: يا رسول الله! أبدأ الدهر نحن خائفون هكذا؟ أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع عنا السلاح؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لن تغبروا إلا يسيراً حتى يجلس الرجل منكم في المأ العظيم محتبياً ليست فيه حديدة، فأنزل الله هذه الآية» ا. هـ (1).

ويقول الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله -: «فوعدهم الله هذه الأمور وقت نزول الآية وهي لم تشهد الاستخلاف في الأرض والتمكين فيها والتمكين من إقامة الدين الإسلامي والأمن التام؛ بحيث يعبدون الله ولا يشركون به شيئاً ولا يخافون أحداً إلا الله، فقام صدر هذه الأمة من الإيمان والعمل الصالح بما يفوق على غيرهم؛ فمكثهم من البلاد والعباد، وفتحت مشارق الأرض ومغاربها، وحصل الأمن التام والتمكين التام؛ فهذا من آيات الله العجيبة الباهرة. ولا يزال الأمر إلى قيام الساعة مهما قالوا بالإيمان والعمل الصالح؛ فلا بد أن يوجد ما وعدهم الله، وإنما يسلب الله عليهم الكفار والمنافقين ويديلمهم في بعض الأحيان بسبب إخلال المسلمين بالإيمان والعمل الصالح» (2). وقال أحد السلف: لولا مصائب الدنيا لوردنا الآخرة مفاليس.

3- أن الله أقسم بعزته على نصره المظلوم:

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة لا تردُّ دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء ويقول: وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين» (3).

ويقول - جل وعلا -: {وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيُزِدُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ} [آل عمران: 178].

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: «ولا يظن الذين كفروا بربهم وناذبوا دينه وحاربوا رسوله أن تَرَكَنا إياهم في هذه الدنيا وعدم استئصالنا لهم وإملاءنا لهم خير لأنفسهم ومحبة منّا؛ كلاً! ليس الأمر كما يزعمون، وإنما ذلك لشئ يريد به الله بهم وزيادة في عذاب وعقوبة إلى عذابهم، ولهذا قال: {إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيُزِدُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ} [آل عمران: 178]؛ فالله تعالى يملي للظالم حتى يزداد طغيانه ويترادف كفرانه، ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر. فليحذر الظالمون من الإمهال ولا يظنوا أن يفوتوا الكبير المتعال» ا. هـ (4).

وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله يمهل للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} [هود: 102]» (5). وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أن مع الكرب فرجاً، ومع الشدة يسراً، ويثبت أمام أقوال الظالمين؛ فمنهم من يقول: ألم يجد الله غيرك رسولاً يرسله؟ ويقول آخر: لو رأيتك متلعقاً بأستار الكعبة ما صدقتك. فيصبر ويحتسب حتى يظهر الله دينه، وينصره على الظالمين.

4- تكفل الله بحفظ الدين وإظهاره على سائر الأديان:

يقول - جلت قدرته -: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} [التوبة: 33]. يقول ابن كثير - رحمه الله -: الهدى هو ما جاء به من الإخبارات الصالحة والإيمان الصحيح، والعلم النافع، ودين الحق هو الأعمال الصالحة الصحيحة النافعة في الدنيا والآخرة {لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ}: أي على سائر الأديان؛ كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله زوى لي الأرض مشارقها ومغاربها، وسيلبغ ملك أمتي ما زوى لي منها» (6).

وروى الإمام أحمد عن تميم الداري - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين يُعزُّ عزيزاً ويذلُّ ذليلاً، عزاً يعز الله به الإسلام، وذللاً يذل الله به الكفر»، فكان تميم الداري يقول: قد عرفت ذلك في أهل

بيتي: لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز، ولقد أصاب من كان كافراً منهم الذل والصغار والجزية» ا. هـ (7).

5- المحاسبة الدقيقة للنفس المؤمنة (8):

والوقوف على المنح الربانية والعطايا الرحمانية من هذه الفتن: ذلك أنه يكون من جملة أسباب هذه الفتنة ذنب أو تقصير أو غشيان معصية أو إخلال في العقيدة والثقة بالله؛ والتوبة ومراجعة النفس وسيلة لدراسة الحاضر واستهشراف المستقبل؛ فالمتأمل في غزوة أحد وفي ذنب واحد وهو نزول الرماة؛ وذلك بعد أن ظنوا أن المعركة انتهت؛ فماذا حصل؟ لقد وقع فيهم سبعون شهيداً، ومثّل بهم أفبح تمثيل. لقد شج رأس النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته وهشموا البيضة على رأسه، وهي الخوذة التي يضعها الفارس على رأسه.

قال - جل وعلا -: {أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [آل عمران: 165].

يقول ابن كثير - رحمه الله -: أي بسبب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمركم أن لا تبرحوا مكانكم فعصيتهم. ويعني بذلك الرماة» (1).

ويقول الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله -: «دين تنازعتم وعصيتهم من بعد ما أراكم ما تحبون؛ فعودوا على أنفسكم باللوم، واحذروا من الأسباب المردية؛ فإياكم وسوء الظن بالله؛ فإنه قادر على نصركم، ولكن له أتم الحكمة في ابتلائكم ومصيبتكم» (2).

ويقول أبو ذر - رضي الله عنه -: ما أهون الخلق على الله إذا هم عصوه. ومن صور محاسبة النفس تقوية عقيدة الولاء والبراء وإثباتها في النفس؛ وذلك باستمرار المقاطعة الجادة للمنتجات اليهودية والنصرانية.

يقول الدكتور محمد بن عبد الله الشباني: في مقال (واجبنا زمن الانهزام): «وبهذه المقاطعة يتحقق أمران:

الأول: تشجيع منتجات البلاد الإسلامية وتقوية اقتصادياتها.

الثاني: محاربة العدو اقتصادياً بالامتناع عن شراء السلع المنتجة في تلك البلاد، ومحاربة كل تاجر مسلم يستورد السلع الاستهلاكية من بلاد أعداء المسلمين، وعلى

كل فرد رفع شعار (قاطعوا الأعداء) بالامتناع عن شراء أي سلعة منتجة وموردة من بلاد النصارى وبالأخص الدول التي تتولى قيادة دول النصارى(3).

6- وبالجملة فإن للفتن خيرات وفي المحن عطايا ومبشرات ومنافع ومسرات نذكر منها إجمالاً:

1- دفاع الله عن الذين آمنوا: يقول – جل وعلا –: {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ} [الحج: 38].

يقول ابن كثير – رحمه الله –: يخبر تعالى إنه يدفع عن الذين توكلوا عليه، وأنابوا إليه شر الأشرار وكيد الفجار، ويحفظهم ويكلؤهم وينصرهم كما قال – تعالى –: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ} [الزمر: 36](4).

ويقول الشيخ السعدي – رحمه الله –: «هذا إخبار ووعد وبشارة من الله للذين آمنوا أن الله يدفع عنهم كل مكروه، ويدفع عنهم بسبب إيمانهم كل شر من شرور الكفار وشرور وسوسة الشيطان وشرور أنفسهم وسيئات أعمالهم، ويحملي عنهم عند نزول المكاره ما لا يتحملون، فيخفف عنهم غاية التخفيف كل بحسب إيمانه له من هذه المدافعة والفضيلة بحسب إيمانه، فمستقلٌ ومستكثرٌ»(5).

2 - صلابة الإيمان وقوته وقت المحن والأزمات: يقول ابن القيم – رحمه الله –: «ليس المؤمن بالذي يؤدي فرائض العبادات صورةً ويتجنب المحظورات فدسب؛ إنما المؤمن هو الكامل الإيمان لا يختلج في قلبه اعتراض، ولا يساكن نفسه فيما يجري وسوسة؛ وكلما اشتد البلاء عليه زاد إيمانه وقوي تسليمه».

3 - إبراز الشخص بصورة أقوى لمقاومة الأزمات والشدائد: يقول الأستاذ مصطفى صادق الرافعي: «ومثل الابتلاء كقشر البيضة سجن لما فيها تحفظ ما بداخلها حتى يتشكل ويخرج بعد ذلك خلقاً آخر؛ وكذلك المبتلى يكون ابتلاؤه سجناً له، ويتشكل وهو فيه حتى يخرج من الابتلاء وهو خلق آخر».

4- ما ذكره الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله في مقال: (القضية البوسنية دروس وعبر):

أولاً: رجوع الناس في تلك البلاد إلى الإسلام؛ حيث برز منهم من يفهمه فهماً صحيحاً بعد أن كان إسلاماً صورياً بالهوية فقط وما نتج عن ذلك من التمايز عن

الكفار بعد أن كانوا في حالة من الانصهار والذوبان معهم دون علم بحقيقة الإسلام، وحقيقة الكفر.

ثانياً: أظهرت هذه الأحداث طرفاً من خيرية هذه الأمة، وأن الشعوب رغم ما دهاها في دينها فلا تزال فيها بقية من خير وحب للإسلام؛ وذلك فيما ظهر من التعاطف الشديد من المسلمين بعامّة مع إخوانهم المنكوبين؛ حيث برزت أمثلة رائعة في البذل والتضحية والدعوة والجهاد من دعاة وخطباء ومجاهدين وأثرياء (6).

*آخر المطاف:

عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يأتي على الناس زمانٌ الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر» (7).

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي – رحمه الله –: وهذا الحديث يقتضي خبراً وإرشاداً: أما الخبر فإنه صلى الله عليه وسلم أخبر أنه في آخر الزمان يقلُّ الخير وأسبابه، ويكثر الشر وأسبابه، وأنه عند ذلك يكون المتمسك بالدين من الناس أقلّ القليل؛ وهذا القليل في حالة شدة ومشقة عظيمة كحالة القابض على الجمر؛ من قوة المعارضين وكثرة الفتن المضلة.

أما الإرشاد فإنه إرشاد أمته أن يوطنوا أنفسهم على هذه الحالة، وأن يعرفوا أنه لا بد منها، وأن من اقتحم هذه العقبات وصبر على دينه وإيمانه مع المعارضات فله عند الله أعلى الدرجات، وسيعينه مولاه على ما يحبه ويرضاه؛ فإن المعونة على قدر المؤونة.

ولكن مع ذلك فإن المؤمن لا يقنط من رحمة الله، ولا ييأس من روح الله، ولا يكون نظره مقصوراً على الأسباب الظاهرة، بل يكون ملتفتاً في قلبه كل وقت إلى مسبب الأسباب الكريم الوهاب، ويكون الفرج بين عينيه ووعده الذي لا يخلفه بأنه سيجعل له بعد عسر يسراً، وأن الفرج مع الكرب، وأن تفريج الكربات مع شدة الكربات (8).

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 125.

(2) رواه مسلم عن أنس – رضي الله عنه – في وصف الجنة، رقم 2822.

(3) رواه مسلم، رقم 7326.

(4) شرح صحيح مسلم للإمام النووي (18/288).

(1) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، ص 949 950.

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 521 522.

(3) الفتح، (3/1423).

(4) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 125.

(5) رواه مسلم (2583).

(6) رواه مسلم (4/2215).

(7) رواه أحمد (4/130).

(8) يحسن الرجوع إلى كتاب: (قل هو من عند أنفسكم)، للشيخ عبد العزيز بن

ناصر الجليل.

(1) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، ص 258.

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 123.

(3) مجلة البيان، عدد 76، شهر ذي الحجة عام 1414هـ.

(4) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، ص 897.

(5) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 488.

(6) مجلة البيان، عدد (94) شهر جمادى الآخر، 1416هـ.

(7) رواه الترمذي، كتاب الفتن، رقم 2186.

(8) كتاب بهجة القلوب الأبرار وقررة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار،

ص 200 201. <http://www.albayanmagazine.com>

المصدر:

النقل يسرع زمن استجابة المخ

مع تزايد مخاوف المستهلكين من إمكانية أن يؤدي استخدام الهاتف المحمول لفترات طويلة إلى مشكلات صحية تتراوح بين الإصابة بالصداع إلى الأورام

تظهر دراسة حديثة وجود معدلات تنذر بالخطر للإصابة بسرطان المخ بين بعض من مستخدمي الهواتف المحمولة.

وأصبح الطبيب آلان بريس رئيس قسم الفيزياء الحيوية في مركز بريستول للأورام بين مجموعة من العلماء الذين يتزايد اقتناعهم بأن الإشعاع الناجم عن الهواتف المحمولة يسبب عمليات كيميائية في الجسم قد تسبب ضررا.

وتشير ست دراسات منفصلة الآن إلى أن سرعة الاستجابة تزداد عندما يتعرض الناس إلى ترددات أشعة الهواتف المحمولة. وأبلغ بريس مؤتمرا في لندن بشأن الأخطار الصحية لاستخدام الهاتف المحمول ربما يجب علينا الآن قبول وجود تأثير على المخ. يتحسن زمن الاستجابة بسبب بروتينات التوتر التي يحركها أحد الجينات. وذلك يحتاج لمزيد من البحث. وقد يؤدي التعرض المتكرر لترددات الأشعة إلى أضرار صحية غير مرغوب فيها.

وتنتج بروتينات التوتر عندما ترتفع درجة حرارة الجسم ولكن بريس وعلماء آخريين قالوا إنها يمكن أن تنتج عن ترددات الأشعة بينما تكون درجة حرارة الجسم طبيعية. وأشارت دراسة أخرى من السويد وسويسرا إلى أن الإشعاع الناجم عن الهاتف المحمول يؤدي إلى تقطع النوم. وقالت منظمة الصحة العالمية الأسبوع الماضي إن هناك حاجة إلى المزيد من الأبحاث قبل القول إن الهاتف المحمول لا يسبب أضرارا للصحة.

وأبلغت اليزابيث كارديس رئيسة قسم الإشعاع والسرطان بالوكالة الدولية لبحوث السرطان التابعة لمنظمة الصحة العالمية مؤتمرا في فنلندا أن أي خطر محتمل ضئيل.

وخلصت العام الماضي دراسة علمية مولتها الحكومة البريطانية إلى أنه بالرغم من عدم وجود دليل على خطورة استخدام الهاتف المحمول على الصحة سيكون من الحكمة عدم تشجيع الأطفال على استخدامه لسرعة تأثيره للإشعاع

المصدر:

<http://www.arabmedmag.com>

=====

الهجرة إلى الله في زمن الإنترنت

ذكرى الهجرة تحتاج مَذاً إلى إعادة قراءة.. فدروسها تتجاوز الزمان والمكان، فهي
تحتل أكثر من قراءة وفهم حتى يمكننا تنزيلها في كل زمان ومكان.
بلسان قومه ليُبين لهم.

هل نهاجر الآن من دار كفر لدار إيمان؟ وأين هي دار الإيمان الخالصة وقد طغت
الدور على بعضها البعض وامتزجت، ثم نشأت دور متخيلة هي ساحة الإنترنت..
إلى سلحة المتخيل ننشئ لنا على الإنترنت دوراً نأوي إليها؟ بلا مهاجرين ولا
أنصار، بل ساحات مبارزة بالكلمة، وجهاد بالفأرة نمسكها في أيدينا بعد أن سقطت
السيوف وصار توازن الرعب النووي يخيم فوق رؤوسنا؟.

جلست أتأمل في الهجرة ودلالاتها ووجدت أن آخر الزمان لم يعد يتيح خيارات في
الهجرة سوى الهجرة إلى الله - سبحانه وتعالى -- استمسكاً بالدين نَعَضُّ عليه
بالنواجذ، ونسعى لاتقاء الفتن ما ظهر منها وما بطن ونتواصى بالحق والصبر
وأحد مجالاته التواصل عبر الإنترنت ونسير في هذا العالم الذي يموج بالأفكار
والمذاهب مستعصمين بالكتاب والسنة غير مبدلين ولا ناكسين.

ليست الهجرة هجرة مرة في العمر أو هجرة أمكنة، بل هي هجرة كل لحظة إلى
الله.. إنكاراً للمنكر وإحفاقاً للمعروف ونصرة لله ورسوله أينما كنا.. في أي زمان
عشنا.. وقد تداخلت الأزمنة باقتراب الوعد بالحق.

إني-مهاجرٌ إلى ربِّي.. هذا هو شعار المرحلة.. لا هروب ولا انعزال، ولا إلقاء
بالنفس في بحر لُجِّي من ظلمات ما بعد الحادثة في استسلام، بل هجرة إلى الله
دائمة نجدد نيتنا ونشدّ همتنا ونوظف المتاح من أدوات عصرنا، ونعيد قراءة
سيرة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - ونرنو إلى لقائه على الحوض، لم نُحدِّث
بعده ما يحرمانا شفاعته حتى نكون يومها من أصحابه - صلى الله عليه وسلم -.

المصدر:

<http://www.muslema.com>

الصهاينة يسابقون الزمن في تهويد القدس المحتلة

رغم بدء ظهور بوادر جديدة في الصراع الفلسطيني الصهيوني، خاصة مع التزام
جميع الفصائل الفلسطينية بالتهديّة، إلا أن الحكومة الصهيونية مصرة على المضي

قدماً في تنفيذ مخططاتها الاستيطانية المخالفة للشرعية الدولية وللتقاهمات بين الجانبين، سيما في مدينة القدس المحتلة، كما أنها تسابق الزمن من أجل تهويدها. وكان آخر هذه المخططات ما كشف النقاب عنه مؤخراً من أن الحكومة الصهيونية بدأت مؤخراً في تنفيذ مخطط استيطاني جديد يقضي ببناء 3650 وحدة سكنية في المنطقة الواقعة شمال شرق مدينة القدس.

وبحسب ما أفادت به صحيفة يديعوت أحرونوت الإسرائيلية، فإن شارون يشرف شخصياً على تنفيذ هذا المخطط الاستيطاني، وأنه أصدر تعليمات بتسريع إجراءات إصدار تراخيص بناء الوحدات السكنية ضمن هذا المخطط. وبدأ العمل في هذه الأثناء على بناء 1250 وحدة سكنية ضمن هذا المخطط وسيتم في المستقبل القريب بناء 2250 وحدة أخرى كما سيتم بناء 150 وحدة كنزل للمسنين.

من جانبه رأى مديرو دائرة الخرائط في بيت الشرق بالقدس خليل توفكجي أن "الكيان الصهيوني يقوم بشكل متواز بعملية تهويد المدينة المقدسة، والمقصود في ذلك هو ما يتم الآن داخل البلدة القديمة من شراء بيوت واحتلال بعض المنازل، وفي الوقت ذاته هناك عملية تطوير للمستوطنات الواقعة خارج حدود بلدية القدس".

وأضاف توفكجي في تصريحات خاصة بم، أن الكيان الصهيوني يسعى إلى تحقيق ثلاثة أمور من مخططاتها هذا وهي: "الخروج من حدود القدس لتنفيذ مخطط القدس الكبرى، وإحداث تغيير ديموجرافي داخل مدينة القدس، إذ تبين في آخر الدراسات الصهيونية أن نسبة العرب في القدس حوالي 35% وهذا يخالف الرأي الذي وضع في العام 1973م بأن نسبة العرب في القدس 22%. والأمور الثالث وهو الأهم حسب الخبير الفلسطيني، يقضي بفصل شمال الضفة الغربية عن جنوبها".

وأشار توفكجي في هذا السياق، إلى أقوال شارون قبل نحو شهر عندما قال: إن "خطة فك الارتباط عن قطاع غزة سيعتبعها عملية تعزيز الاستيطان في الضفة الغربية".

ولفت توفكجي إلى مخطط بناء ال 3650 وحدة سكنية بين القدس ومستوطنة معاليه أوميم وقال إنه يندرج ضمن مخطط "إي 1" البالغة مساحته 12.5 كم مربع وتجري الآن إقامة البنية التحتية فيه.

وأوضح أن هذا المشروع تمت المصادقة عليه في العام 1997 وكان وزير الحرب الصهيوني في تلك الفترة هو إسحاق مورديخي.

وأضاف توفكجي أن مشروع "القدس الكبرى" الذي خططت له حكومات ومؤسسات يهودية محلية ودولية "يستهدف القدس الشرقية كلها وضواحيها أيضاً.

فقد تمت المصادقة في العام 1997 أيضاً على إقامة ما سمي بالبوابة الشرقية للقدس التي تبلغ مساحتها 2200 دونم، لإقامة حوالي 2000 وحدة سكنية كمنطقة للصناعات التكنولوجية العالية".

ورأى أن "كل ذلك يأتي ضمن إطار إغلاق القدس من الناحية الشرقية، وبالتالي إحداث تغيير ديمجرافي لصالح الجانب الإسرائيلي وعدم إقامة دولة فلسطينية عاصمتها القدس".

وفي هذا السياق حذر توفكجي، من استباق "إسرائيل" للمرحلة النهائية التي تعني بدء المفاوضات على قضايا الحل الدائم.

وقال: إن "إسرائيل تستبق المرحلة النهائية في ثلاثة فروع، أولها رسم الحدود بينها وبين الضفة الغربية من خلال بناء جدار الفصل العنصري.

وثانيها يتم من خلال بناء المستوطنات بشكل مكثف قدر الإمكان في الضفة الغربية وهذا ما يساعد أيضاً على ترسيم الحدود.

والفرع الثالث يتعلق بالقدس وحسم الأمور لصالح الجانب الصهيوني، وفي هذا السياق يستمر تهويد المدينة من خلال توسيع المستوطنات المحيطة.

من جهة ثانية، أشار توفكجي إلى مصادرة أراضي الفلسطينيين داخل منطقة بلدية القدس ومنها جبل أبو غنيم بين القدس وبيت لحم.

وقال: "قبل أيام تم الإعلان عن بدء تنفيذ القسم الثاني من مشروع جبل أبو غنيم من خلال بناء 6500 وحدة سكنية في المرحلة الأولى ومن ثم بناء حوالي 17 ألف

وحدة سكنية في المرحلة النهائية.

=====

غياب الأيديولوجية في زمن الاستضعاف

ربيع الحافظ

طال الأمد على آخر تحوُّل أيديولوجي كبير يشهده العالم؛ فانقلاب شعوب أوروبا وآسيا في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين على نظم سياسية مزمنة تحت طائل العامل المعاشي والظلم أو الاستعلاء كانت البؤر السياسية العالية الرئيسية في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين في حالة من عدم استقرار السياسي، والشيخوخة، وكانت المناخات السياسية تنذر بأن تحولات كبرى قد أزف أوانها؛ فالأحوال المعاشية المتردية في روسيا القيصرية في مقابل الفكر الشيوعي الوليد يومئذ، وتراجعات الدولة العثمانية المتعبّة أصلاً في حروب البلقان، ثم تحالفها الهش مع ألمانيا ضد بريطانيا وفرنسا في أوروبا، ووصول النازية إلى ألمانيا، والتخلخل السياسي في منطقة نفوذ الإمبراطورية اليابانية في جنوب شرق آسيا، ثم أمريكا التي لم تكن قد حزمت أمرها بعدُ حول علاقتها مع العالم الخارجي، هذه كلها كانت إرهابت لتحول كبيرٍ ما سيكتنف العالم.

عدم توافق السياسي والأيديولوجي السائد، والتنافس الاقتصادي أدخلا العالم طوراً من التوتر قاد إلى حربين عالميتين، كان من تداعياتهما قيام إمبراطوريات جديدة، منها ما جسدّ فكراً أنياً عابراً كالشيوعية والنازية، ومنها ما ورث حضارات قائمة كأمریکا بالنسبة لأوروبا.

كما كان من تداعيات الحربين احتجاج نظم سياسية لحضارات كبرى، في طليعتها النظام السياسي للحضارة العربية الإسلامية، الذي اختفى من خارطة السياسة بشكل كاملٍ وللمرة الأولى منذ خروجه على العالم كلاعب سياسي رئيسي قبل أربعة عشر قرناً، تاركاً وراءه رقعة هائلة من الجغرافية السياسية المكشوفة دون غطاء سياسي ذاتي. فقد كانت الحقبة العثمانية الختامية أقرب للحراسة العسكرية

لرقعة شعوب الحضارة العربية الإسلامية، وأفضى انتهاؤها إلى انكشاف هذه الرقعة على الأصعدة جميعها؛ الثقافية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها. من جهة ثانية؛ فقد طال الأمد على آخر دور طليعي للعرب في النظم السياسية التي استوعبت الحضارة العربية الإسلامية؛ حيث تعتبر حقبة الخليفة المعتصم ولجوءه إلى الأتراك للاحد من النفوذ الفارسي المتنامي في الدولة العباسية منعطفاً وبداية النهاية للطور العربي في النظام السياسي للحضارة العربية الإسلامية. لكن هذا الدور سد مسده – أو حد من تداعياته – في أحيين متعددة عالمية الحضارة العربية الإسلامية، وتعاقب شعوبها من سلاجقة وأكراد ومماليك ثم أتراك عثمانيين على انتشار نظامها السياسي في مراحل الضعف وتصريف شؤونها؛ حدث ذلك يوم كانت هذه الشعوب أعجمية النسب ولكنها عربية اللسان والثقافة، وسنية المعتقد سياسياً.

المنطقة تواجه من جديد زلازل سياسية على أعلى الدرجات في مقياس الزلازل، في ظرف يقترن فيه – هذه المرة – استمرار الغياب السياسي العربي، مع خروج اختياري لتلك الشعوب من المعادلة السياسية للحضارة العربية الإسلامية تحت طائل النزعة القومية التي اجتاحت شعوب الأرض في القرنين الأخيرين، فعادت تلك الشعوب أعجمية النسب واللسان والثقافة. يضاف إلى المشهد التراجع الكبير للدور الفكري العربي الذي كان رديفاً بالغ الأهمية – وإن من مواقع سياسية خلفية – للنظم الحاكمة غير العربية، ووازعاً لكثير من قراراتها السياسية المفصلية في مسار الحضارة.

السيناريو الحاضر يمكن إيجازه: بأن الخطر عاد إلى المنطقة من جديد، وأن الدور السياسي العربي لا زال معطوباً، والشعوب التي سدت مسد العرب في الماضي هجرت الميدان، وهي ليست بأحسن حال منهم، والحصيلة هي ما بات يطلق عليه «النظام السياسي العربي المنهار». وقد توغلت أمريكا في جغرافية هذا النظام السياسي الفاقد للمناعة السياسية والثقافية، لإعادة تكوينه وإقامة ما تسميه «الشرق الأوسط الكبير»، والعراق هو محطتها الأولى فيه.

لا يخفي نزلاء هذه الجغرافيا بدءاً من الأقليات السياسية والدينية والطائفية وانتهاءً بإسرائيل أن سيناريوهات كهذه هي فرص نادرة الحدوث في عمر الأمم لإعادة إحياء مشاريع مؤجلة أو ملغاة أو مستعصية، وقد نبشت الأراشيف ولم يعد مستهجناً عند أصحاب المشاريع فتح ملفات علاها الغبار منذ عقود طويلة، ولا يعدّ محرماً أو عيباً اللجوء إلى أية وسيلة لبلوغ الغاية.

لم يألُ الظهير الإعلامي لتلك المشاريع جهداً في وضع الحدث اليومي في المشهد العراقي ضمن سياق لا تخطئه الإمكانيات الفكرية العادية لرجل الشارع العادي، سواء كان هذا الرجل في نيويورك حيث الحرب على الإرهاب، أو في إسرائيل حيث فرحة بلوغ الفرات (الحدود الشرقية لدولة الميعاد) وعبوره إلى بابل حيث مذفى الأجداد، أو في «كردستان الجنوبية» المقتطعة من كردستان الكبرى، أو من مناطق المقابر الجماعية التي حفرت أخايدها «الأقلية السنية» التي «ظاهرت» صدام، أو في المثلث السني الذي ما حمل السلاح وشن المقاومة لولا خسارته لمواقفه السياسية التاريخية.

كل شيء عند نزلاء الجغرافيا «وزوارها» (الأمريكان) يسير وفق سياق.

المشهد العراقي غني بمعطياته وانعطافاته القتالية والوطنية التي يراقبها باهتمام شديد العدو قبل الصديق، وهو مشهد يحدث على مفترق طرق رئيسي لعمالقة الأمم والكتل السياسية التي ترقب بصبر نافذ عثرة العملاق الأمريكي المتغطرس في حلبة العراق التي باتت محكاً سيكرّم فيه العملاق أو يهان.

الأمر مجتمعاً (الاحتلال + مشاريع النزلاء + المقاومة بأشكالها المختلفة + الهشاشة السياسية في المنطقة + التنافس السياسي العالمي في المنطقة) تشكل وصفاً تحوّل كبير قابل للحدوث جداً في أحد اتجاهين متعاكسين.

من الواضح جلياً أن السياق الأيديولوجي مؤمّن بشكل جيد لأحد الاتجاهين، لكنه يغيب بشكل أكثر جلاءً عن الاتجاه الآخر. فالأخبار التي تتوالى من العراق عبر قنوات لا يفترض أن تكون مناوئة، هذه الأخبار على أهميتها ومراميها الاستراتيجية لا تتعدى في أحسن الأحوال كونها عرضاً نزيهاً لشريط أخبار لا تقع ضمن سياق، ويمكن وصفها إلى حد كبير بـ «كومة» مفردات؛ منها: المثلث

السنّي، الحوزة الاصامّة، أهل السنة الوحيدون من غير قيادة، المقاومة ليس لها ذراع سياسي، لولا طهران لما سقطت بغداد، ولولاها لما سقطت كابول أيضاً، الموساد يصطاد العلماء العراقيين، يهود بيتاعون عقارات في العراق، المقاومة تحارب على جبهتين أمريكية ومحلية، غزو ديموغرافي إيراني للعراق، حرق دور التراث، وغيرها من المفردات التي تثير فضول السامع العادي بشكل كبير لكنها لا تنبئه إلى ما تعنيه مجتمعة.

كان القاسم المشترك في تحولات القرن التاسع عشر والقرن العشرين هو ظهور قادة ملهمين سلبوا لب الشارع السياسي المتعطش للرؤى الثاقبة، وهيجوا المشاعر وأوجدوا القناعات فصنعوا التغيير. بعبارة ثانية: لقد كانت أزمت القرنين الماضيين محضناً – إن لم تكن رحماً – للأيديولوجيات التي قُيض لها من يحملها ويترجمها إلى شعارات تتقبلها عقول الناس.

لم يكن الحال في نظم حضارتنا السياسية عبر التاريخ على غير هذه الشاكلة؛ فقد ارتبطت محطات الحضارة بأسماء أعلام بعثوا الأمل في النفوس وقادوا مجتمعاتهم وتركوا بصمات غائرة على محيا التاريخ، وهم إلى هذا اليوم مدارس يلتقي عليها المفكرون.

ما نشهده في ساحتنا اليوم هو صورة مقلوبة لسنن التحول في حياة الأمم؛ شارع يبحث عن قيادة وليس العكس، عامة تبحث عن نخبة وليس العكس. التاريخ اليوم يُصنع في شوارع الفلوجة وبغداد وتكريت و سامراء والموصل وبعقوبة والأنبار على الوجه الذي يتوق إليه أي قائد جماهيري في أي شعب من الشعوب.

في الشهر القادم (نزول العدد) سيكون عامان من التغطية الإعلامية والإخبارية التي شهد لها العدو قبل الصديق بالشجاعة والسبق المهني، لكنها تغطية خارج السياق، كحبة الماس الثمينة التي تبحث عن عقد تنتظم فيه لتأخذ شكلها الجمالي النهائي، ولو خرجت أمريكا من العراق غداً فسيتحول شريط الأخبار إلى تغطية أحداث الغد، ونجد أنفسنا أمام كومة إخبارية جديدة.

أكثر من عام على الاحتلال كافٍ وزيادة لمجاراة العواطف والانفعالات الإنسانية التي لا مناص منها في الأزمت؛ فالعواطف مهما جاشت لن تدوم، بل ستخفت، ما

يدوم هو الحقائق؛ فهي التي تُبقي النبض في العروق، وتشدذ الهمم كلما اقتضت الحاجة.

لقد أظهرت أحداث عام ونصف وبلون فاقع هشاشة الأداء السياسي عند أهل السنة وتذبذباته، وبدائية أدواته، وحسبنا أن أحدث معجم سياسي في حوزة المؤسسة السياسية للحضارة العربية الإسلامية يتناول مسألة خيانة طابور خامس هو نسخة سنة 656هـ، مع أن سقوط بغداد في ذلك العام ليس هو الأقرب زمنياً لسقوطها في 9 نيسان 2003م، بل سقوطها الثاني في 1917م على يدي الإنكليز هو الأقرب، ولا زال تصوير دواوين ابن كثير لتدمير بغداد وحرق دور تراثها بعد تسعة قرون على كتابتها هو أحدث ما في ملفاتها عن مؤامرة تدمير حضارة بتنسيق بين عدو خارجي وطابور محلي وهدم دولة على رؤوس ساكنيها. المشكلة لا تُعزى إلى ندرة العمالقة في هذا العصر، ولكن السقوط الأول كان عسكري الطبيعة، وبقي هناك من يرصد الحدث بمنظار الحضارة، ويضع الأمور في سياقها، في حين خلت مدونات التاريخ المعاصر — أو كادت — من وثائق وحقائق سقوط بغداد الثاني، رغم التشابه الكبير في الحالات الثلاث، وامتلات بالعموميات والتزييف، ولم تورث أجيال اليوم مادة تسترشد بها أو تقتبس منها شعاراتها ونعوتها، فعادت إلى أراشيف القرن السابع الهجري.

إن الحقائق المذهلة التي تتكشف اليوم عن فصول التاريخ القريب قلبت قناعات ظنها الكثيرون نهائية، لكن هذه الحقائق — على أهميتها — تُقرأ اليوم كمادة إرشيفية منتهية الصلاحية، ولو أنها دونت في حينها بنمط آخر؛ لكانا اليوم أمام صورة مغايرة للتاريخ المعاصر، ولأغنى قاموس 1917 بشخصياته وبيوتاته المعاصرة عن قاموس 656هـ، ولكانت أجيال اليوم أقل سطحية وحيرة وأكثر تأهباً لما حدث اليوم أو لما سيحدث في المستقبل.

لقد أيقظ الاحتلال والمقاومة معاً الإحساس بالهوية، وبعثا روح العزيمة، وأزالا الحدود القطرية التي كانت نُدباً ثقافية وسياسية شبه مزمنة في العقل العربي المعاصر لتصبح المقاومة هي الأخرى متعددة الجنسيات مثل القوات الغازية، وكانت العثرة الحقيقية الأولى في مسار الإمبراطورية الأمريكية.

العراقيون ليسوا وحدهم في الميدان، بل معهم عرب الجوار وعرب الأقباطي والمسلمون، وكل شعوب الأرض التي اكتوت بظلم وجشع ظاهرة «دولة الشركات» كل يعبر عن حذقه بطريقته الخاصة، ولو بارتداء دثار «فانيلة» تحمل اسم العراق، أو رفع علم العراق في مناسبة رياضية. ليس المقصود عند هؤلاء العراق ذاته، ولا يهيم العراقيين رفع العلم أو الدثار (الفانيلة)، ولكن قضية العراق أصبحت بصيص أمل الفلسطينيين في مخيم جنين، والسوداني في دارفور، والأفغاني في كابول، والأرجنتيني الذي سلبه المزارع الأمريكي مزرعته، والفيتنامي الذي حولت أسلحة الدمار الشامل الأمريكية أرضه إلى أرض جدهاء لا تثبت، وأصبحت الفلوجة اسماً يضاف إلى قائمة الأمراض النفسية «للأمة الأمريكية».

أهل السنة بحاجة إلى سياق أيديولوجي تنتظم فيه مكونات قضيتهم وفصول تضحياتهم، وترتسم من خلاله الصورة الكاملة للحدث بخلفياته ومراميه، سياق يتسق مع الماضي فيحدث الماضي وراء ظهورهم، ويتسع للحاضر فينشد أحرار العالم إلى قضيتهم.

لا بد من ولادة أيديولوجية في مناخ أزمة كهذه، تحاكي كل أطراف المجتمع التي يربعها المشروع الصهيوني — أمريكي، ولا بد من المسرعة إلى تدوين أحداث الحاضر، وإعادة كتابة أحداث الماضي القريب الذي ترك لأقلام شعوبية بحبر جديد، وإعادة الثقة إلى الشارع السني بوطنية آبائه وأجداده وأدوارهم مع الإنكليز التي لم تختلف عما يشاهدونه اليوم.

نقول هذا خشية زهاب حقائق وتضحيات مقاومة مثلثهم أو مستطيلهم أدرج الرياح، وضياعتها بين ثنايا الكتب غير السياسية كما حصل إبان الاحتلال البريطاني، أو أن تخطف المشهد زوابع لا تلبث أن تنتهي أو تقمع ذاتها.

لقد كانت معادلة أو «تفاهم» العلماء — الأمراء (العلماء أهل النظرية والأمراء أو الساسة أهل التنفيذ) هي المناخ السياسي الذي يُصنع فيه القرار السياسي في نظم الحضارة العربية الإسلامية، وكانت حجج الزاوية في تماسك نظامها السياسي وجبهتها الداخلية.

ولم يعرف العالم عن العرب قبل هذه المعادلة أو هذا «التفاهم» سمة الأممية، كما أنه لم يُعثر لها على أثر بعد اختلال هذه المعادلة، بلى إن العرب بغير الرسالة السماوية التي تمت مكارم الأخلاق عندهم، وخطت أيديولوجية أعادت صياغة نظام حياتهم هم أقل أقوام الأرض قدرة على إدامة المدنيات والحضارات، وبغيره يعودون إلى ثقافة داحس والغبراء التي تتخذ اليوم شكل (فيشت الديبل) و (بوليساريو)، و (الكويت) و (حلايب) وغيرها.

لكنه لن يشق على الناظر إلى الساحة السياسية اليوم، وفي العالم العربي على وجه الخصوص، معرفة حجم الضرر الذي أصاب هذا «التفاهم» في ظل النظام السياسي المعاصر، وفي ظل الحرب الثقافية الأهلية التي اجتاحت المجتمعات العربية منذ مطلع القرن الماضي، ومزقت نسيج المجتمع وأنهكت الشعوب والحكومات معاً واستنزفت الثروات، وكانت بامتياز سمة القرن الماضي.

هذه الحرب هي التي تطورت وتعدت فيما بعد، وشهدت استتجاد أطراف فيها بالخبرات الأممية الخارجية لكسب المعركة الثقافية، وانتهت باستضافة الجيوش الأجنبية على أراضيها بشكل رسمي.

كان دخول المشروع القومي إلى المنطقة إيذاناً ببدء الحرب الأهلية؛ فقد جاء متأسيماً بالمثل الأوروبي الذي أوصل أوروبا إلى جادة الرخاء والاستقرار التي هي فيه. الفارق هو أن المثل الأوروبي أتى في وقت كانت قد حسمت فيه القارة ومنذ وقت مبكر علاقتها مع كنائسها التي كانت سبباً في شقاء وهجرة الملايين من الأوروبيين وفي تخلفهم أيضاً. في حين اقتبس المشروع القومي العربي في زمان كانت تؤوب الشعوب فيه إلى الدين تحسباً من بديل سياسي مجهول في ظل جيش احتلال أجنبي وأطمع ثقافية مرافقة، ومكان من العالم يُعتبر فيه الدين وما يتفرع عنه قاعدة لفهم السياسة والتاريخ، والنتيجة هي إرهابات حرب ثقافية أهلية.

كان الدين في تلك اللحظة، ممثلاً بالمساجد والعلماء، خط الدفاع الأول في وجه القادم المجهول، وكان هو أيديولوجية المقاومة في أبسط أشكالها، قبل أن تنتشأ مدارس سياسية تترجم الرفض الجماهيري إلى شعارات وأدبيات، وتصيغ مفاهيم الحضارة العربية الإسلامية بلغة معاصرة.

وبذلك تكون المنطقة قد تجاذبتها عموميات الفكرة القومية الليبرالية المسلوقة — إن لم نقل المحاربة — لشق الشخصية الحضارية العربية الإسلامية والتي فتحت الميدان السياسي لكل من نطق بالعربية، ومعارضة سياسية إسلامية مبتدئة فاقدة للخبرة السياسية، والتي فعلت الشيء نفسه ولكن لكل من رفع لافتة الدين، فحققت أطراف سياسية شروط الانخراط السهلة في النمطين الفضايفيين. ومن بين المتفوقين في اجتياز شروط النضال القومي العربي بامتياز «صفويون» فرس (مصطلح شيعي عربي) ولكن بآنساب عربية منتحلة، واجتاز متدينون منهم اختبار منح الثقة عند الإسلاميين، وظلت تلك الثقة مسبغة عليهم حتى لحظة وصولهم على ظهور الدبابات الأمريكية إلى أسوار بغداد، وسط ذهول كثير من القوميين والإسلاميين على حد سواء، الذين أنطقهم هول الصدمة بعبارة: (كنا نظنهم مناظرين).

ليس من شطط الكلام القول إن هذه السذاجة الأيديولوجية عند القوميين والإسلاميين — التي لم تُستدرك — هي التي أسقطت العراق بيد الصفويين الجدد في صفر 1423هـ / نيسان 2003م وقدمته على طبق من فضة، وقد تسببت السذاجة ذاتها في سقوط دول أخرى في المنطقة ولكن من دون ضجة.

الأحاديث الجريئة التي شقت طريقها أخيراً إلى الهواء الطلق بعناء واستحياء شديدين، عن تواطؤ الحوزة مع المحتل الأمريكي بعد عام ونصف على وقوع الاحتلال لا زالت ناقصة، ولم تخرج عن دائرة العموميات؛ فالتشيع الصفوي علاوة على الاختلافات المعروفة بين أهل السنة والشيعة مدرسة سياسية راسخة على الخريطة السياسية العالمية، لها أجندتها السياسية التي يفهمها الأوروبيون ويفهمها الروس وتفهمها الهند، منذ الانقلاب غير الأبيض الذي حمل الصفويين إلى الحكم عام 900 هـ، وأخرج إيران من دائرة الحضارة العربية الإسلامية، لتكون الخروف الأسود في القطيع الأبيض، ويصبح خلافها السياسي مع محيطها الإقليمي ورقة ثمينة لا تفرط بها القوى الدولية في توازناتها الإقليمية والدولية.

ولم تتغير الأجندة الصفوية في إيران بتغيير السلالات المتعاقبة على حكمها، ابتداءً بالصفويين أنفسهم، فالقاجاريين، فالبهلويين، وأخيراً الحوزة.

وقد التقت مصالِح إيران الحوزة مع مصالِح قوى عالمية على حساب جاراتها المسلمة ثلاث مرات خلال عقدين: تارة مع الشيوعية، وتارتين مع المسيحية المتصهينة التي يعتنقها نزلاء البيت الأبيض. وهذا الذي يحدث في العراق تكرر لتلك المصالح كما لا ينفي ذلك المسؤولون الإيرانيون، وهي مصالِح تغلبها طهران كل مرة على تبعات الحروب المعروفة سلفاً من انتهاكات الحرمات والأعراض.

لا جدال في أن نمط الحياة السياسية في الدولة العراقية الحديثة، والأطقم الثقافية المبكرة للدولة من السنة العرب والأكراد من بقايا الدولة العثمانية له علاقة مباشرة بالخلاف الصفوي العثماني، وحساسية العثمانيين من الشيعة الذين قاطعوا مؤسسات الدولة العثمانية والتعليم الحكومي، وانصرفوا إلى أعمال التجارة، ومن أراد التعليم منهم طلبه في إيران.

ولكن في الوقت الذي غاب فيه الحضور العثماني عن العراق بجميع أشكاله، وخرج من اهتمامات الدولة التركية الوريثة شؤون الشعوب التي شاركتها نظامها السياسي أربعة قرون، إضافة إلى تخليها عن أدوار الدولة الإقليمية الكبرى، واكتفائها بشؤون التركمان العراقيين، ثم ارتفاع جذر ثقافية عالية تعزل أجيال اليوم عن شركاء الأمم بسبب أدبيات ومناهج تعليم الدولة القومية التي اعتبرت الحقبة العثمانية حقبة احتلال أجنبي، مقابل هذا كله يستمر حضور الشريك الفارسي بأشكاله المختلفة؛ الديموغرافية والفقهية والمالية والسياسية، وظلت إيران على الدوام الرقم الحاضر الغائب في المعادلة الداخلية العراقية، والعمق الاستراتيجي والروحي للحوزة ولشيعة العراق، وهو حضور يطور الخلاف السني الشيعي المحلي، ويقلل من فرص الوفاق.

وربما ظهرت آثار هذا الحضور بادية في موقف الحوزة الصامتة — مصطلح شيعي عربي — التي يهيمن عليها التيار الفارسي في صمتها من تدمير الفلوجة وقتل أناسها العزل، في مقابل السلوك التكافلي الذي أبداه أهل السنة والتيارات الشعبية الشيعية العربية نحو بعضهم أثناء أحداث الفلوجة الأولى وأحداث النجف. وظهرت هذه الآثار في فتوى المرجعية العظمى في الحوزة — وهو إيراني لا

يحمل الجنسية العراقية – بدخول النار لمن لا يشارك في العملية السياسية التي يريدتها المحتل الأمريكي.

ليس مجازية للصواب القول: إن الدولة العراقية استطاعت إيجاد شخصية عراقية تعتز بوطنها، وأن ملامح هذه الشخصية غطت إلى حد ما على الاعتبارات الأخرى التي يزخر بها كل مجتمع فسيقائي كالمجتمع العراقي.

قد لا نبالغ إذا قلنا: إن المشوار الثقافي عند الفرد السني وطموحاته السياسية تنتهي عند الغلاف الخفي لكتاب التربية الوطنية الذي تقررته مناهج الدولة في المدارس والمعاهد وحتى في الدوائر الحكومية.

هذه العلاقة بين الشخصية السنية ومؤسسات الدولة صيد سهل لخصوم أهل السنة، لكن الناظر في التاريخ يرى أن نشوء هذه الشخصية كان مصاحباً لنشأة دولة الحضارة العربية الإسلامية الأولى، بل إنهما أوجدا بعضهما، لتبقى هذه الشخصية لصيقة بالدولة ومؤسساتها الفقهية والفكرية والحضارية على مر العهود. وفرق كبير بين أن تكون نقطة البداية من الحكم وبين أن تكون المعارضة هي الأصل.

المشكلة هي أن الدولة المعاصرة تغيرت والشخصية هذه استمرت؛ فما كان هو الأسلم في حساباتها يوم صفين ووصول الأمويين وفتن الفلاسفة في خلافة بني العباس والعلاقة مع الأقليات المذهبية بقي هو الأسلم. الأسوأ هو عندما تحسب هذه الأنظمة على أهل السنة ويؤخذون بجريرتها. وقد خسر أهل السنة بسبب أيديولوجية استتبقت في ظروف مختلفة قطاعاً واسعاً من شارعهم ولا زالوا يفعلون.

يمكن القول: إن سيكولوجية الحكم المزمنة لدى هذه الشخصية لا زالت تتحكم بها في زمن الاستضعاف؛ فهي لم تألف العمل المعارض، ولا تملك خطأً ثانياً من مؤسسات الاكتفاء الذاتي المالي والإعلامي والاجتماعي مما يوازي مؤسسات

الدولة، فتفعله في الحالات الاستثنائية وتدير به شؤون «شارعها» كما هو الحال لدى الأقليات؛ لذا نرى الاضطراب والحيرة يذبان في سلوكها لحظة غياب الدولة. من أين تبدأ هذه الشخصية خطة إعادة التأهيل؟ سؤال كبير. ولكن ما من شك أن طريقة التفكير هي إحدى العثرات المبكرة على الطريق؛ فلا زالت هذه الشخصية تفكر بعقلية من يحكم وليس بطريقة من اجتمعت عليه الأحزاب. وفي الغرب يدخل أفراد الحزب الحاكم الذي خسر الانتخابات في «كورس» لنقلهم من جو سيكولوجي إلى آخر، وإعادة تكييف الشخصية بما ينسجم ومهامها الجديدة؛ فكيف بمن أمضى تاريخه كله في موقع الحكم ولم يجرب المعارضة، وليس في فقهه السياسي الذي استتب في ظروف التمكّن الكثير الذي يرجع إليه، أو في تاريخه من الفصول المشابهة التي يمكن الاقتباس منها؟

ما استيقظ عليه أهل السنة أمام مشهد سقوط بغداد وبعضهم لم يستيقظ حتى هذه اللحظة أن الحدث الكبير ألغى عملتهم الأيديولوجية في سوق صرف العملات، فلا العراق عاد عربياً، ولا وحدوياً، ولا عراقاً موحداً بالضرورة. بضاعة خرج موسمها.

أمر آخر استيقظ عليه أهل السنة، وهو أن خصمهم وضعهم في خانة واحدة، إسلاميهم ووطنهم، دون اعتبار لاختلافاتهم، وذبهم على مذبح واحد. وإذا كان الأمران الأول والثاني خارجين عن الإرادة؛ فإن الأمر الأخير هو إيضاح ميداني بالألوان لبيئة العمل السياسي الموحد لأطياف أهل السنة ولو إلى حين، وإذا كان الخوف من الغرق جدير بأن يحول ركاب السفينة الجانحة إلى فريق إنقاذ واحد، فإن الفناء أمام الآلة العسكرية والسياسية الأمريكية أجدر به أن يحقق ذلك.

لقد كانت الشخصية الوطنية وسلامة الوطن والانتماء للمحيط العربي شغل الفرد السني الشاغل، لكن الحصار الداخلي الخانق الذي يواجهه أهل السنة اليوم، والحرب الأهلية غير المعلنة التي تشن ضدهم، واشتراك ميليشيات الفئات الأخرى مع جيش الاحتلال في ذلك مدتهم، والدور الإيراني المكشوف، ومجيء الكوريين والبولنديين والمجريين واليابانيين من وراء الحدود، هذا السيناريو بمجمله لا يبقي

لمعاني المواطنة الشيء الكثير، ويختزل معنى الوطن إلى مسلحة من اليابسة للعيش، ويدفع الخيارات الأيديولوجية للمحاصرين إلى ما وراء الحدود من جديد باتجاه عمقهم الإقليمي التاريخي.

ما ينتظر العراق علمه عند الله تعالى؛ فقد يطول الاحتلال وقد يقصر، ولكن الاحتراب الثقافي الداخلي يبقى بوابة المحتل متى ما شاء الدخول، وطوق النجاة إذا ما اضطر إلى الخروج يوماً، وحينها سيدخل في صفقة مع من يراه أخف الضررين في طرفي النزاع الثقافي، حتى لو كان ذلك الطرف فصيلاً في المقاومة، وسيتحول ذلك الفصيل إلى حكومة وطنية، وينقلب على رفيق الأمس، وحينها نكون قد عدنا إلى حيث بدأنا في القرن الماضي حينما قرر الإنكليز والفرنسيون «الخروج» ومنح «الاستقلال».

قضيتنا نحن أهل السنة – وبخلاف غيرنا – هي أننا إما أن نكون أو لا نكون. شخصيتنا سبيكة ثنائية المعدن، العمل بأحدهما يذبح ثقافة عرجاء جربها جيلان على نحو ثمانية عقود فوصلوا بها إلى درك التخلف العالمي.

مدرسة أهل السنة اليوم – وكما في أية مدرسة سياسية – أمام مشكلة أطياف سياسية، هذه الأطياف منها ما يقف عند النص (في هذه الحالة بشقيه: الرسالة السماوية ومكارم الأخلاق العربية)، وهو ما يقابل النظرية أو الأيديولوجية عند الأحزاب المعاصرة، وهذا طيف أقرب للمرجعية الفكرية. ومنها أحزاب سياسية ميدانية تلتقي في برامجها مع النظرية في مساحات وتبتعد عنها في مساحات أخرى. ونوع ثالث يصطدم مع النص ولا ينتسب إلى مدرسته في الواقع إلا انتساباً «بيولوجياً».

لا يختلف المسلمون عبر تاريخهم أن السياسة هي فن الممكن، وفي كثير من الأحيان هي فن الإنقاذ. وإذا كان ركاب السفينة الجانحة يدركون تماماً أنهم أمام وفاق قسري مدته تعادل بُعدهم عن اليابسة على الأقل، وإلا فالغرق هو خيارهم الآخر والوحيد؛ فإن الذين يذبحون اليوم على مذبح المارينز أمام وفاق قسري إلى

حين انجلاء هذه الغمة، وإلا فالفناء السياسي هو خيارهم الآخر، إلا من أراد منهم الغرق الاختياري في المستنقع الأمريكي.

إذا كان الاقتباس السياسي في حكومة عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — هو أول صور المرونة التي مارستها دولة الحضارة العربية الإسلامية الفتية؛ فإن في العملية السياسية في الغرب اليوم طرفاً ثالثاً في معادلة صنع القرار يتوسط مؤسستي النظرية والتنفيذ، وقد قطع هذا الفن أشواطاً بعيدة تحت مسمى معاهد الفكر التي تكون ظهيراً — ولكن مستقلاً — للمؤسسات السياسية، التي تستفيد غير ملزمة من عصارة بحوثها ودراساتها في رسم سياستها واستقراء الواقع من حولها. وتنتسب هذه المعاهد إلى مدارس أيديولوجية، وتتخصص في إثراء نظرياتها لتكون هي العمق الفكري للمؤسسة التنفيذية، وهمزة الوصل بين شخصيتي المنظر والمنفذ. وتلعب هذه المعاهد أدواراً مهمة في تحديد مواقع نقطة الوسط في الطيف السياسي؛ فهي — أي المعاهد — أقرب للمثالية منها إلى الواقع، وهو ما يحافظ على قرب أحزاب الوسط من النظرية، ويضع حداً لحالة التقلت الأيديولوجي. كما أن لهذه المعاهد المستقلة المقدرة على إبداء آراء ونشر دراسات يتعذر على المؤسسة التنفيذية القيام بها.

نحن أكثر حاجة من الغرب إلى معاهد فكر تعمق مفاهيم حضارتنا، وتؤطر أيديولوجيتنا، وترمم العلاقة بين طرفي معادلتنا، وتعيد صياغة قاموسنا السياسي بلغة سهلة يفهمها رجل الشارع.

الأزمات محطات مهمة في تاريخ الشعوب لا تقوّت، فيها تُراجَع القناعات وتُصنَع المعجزات، وفيها يعاد رسم الشخصية الجماعية للمجتمع، وهي فرص نادرة الحدوث.

الخطب ليس يسيراً، ولكن الأمم إما متبوءة لقمة الرفاهية راكنة إلى الدعة في فترات الاستقرار ومتراحية في مضمار البناء الفكري، وإما متبوءة لقمم الفكر في أوقات الضيق ومتراجعة عن رغد العيش، والأمل في الله ثم في سنن المجتمعات هو أن تكون الأخيرة من نصيب أجيال اليوم.

(* كاتب من العراق مقيم في بريطانيا.

صفر 1426 هـ * مارس / أبريل 2005م

المصدر:

<http://www.albayan-magazine.com>

فلوجة العز في زمن النذل

د. يوسف بن صالح الصغير

حتى كتابة هذه الكلمات فإن الاشتباكات ما تزال مستمرة في الفلوجة التي إن كانت القوات الأمريكية نجحت في تدمير أجزاء كبيرة منها؛ فالأحياء مدمرة بنسبة تتراوح بين 30 و 70 بالمئة؛ فإنها لم تُفلح في السيطرة عليها.

ويبدو أن المقاومة تصو على أن تجعل من الفلوجة جرحاً مفتوحاً في خاصرة القوات الأمريكية وحلفائها في خطة استنزاف طويلة، يمنع الكبرياء والمكابرة لدى الأمريكان من الانسحاب والخروج من الفخ الذي وقعوا فيه للمرة الثانية، واضطروا للاستعانة بالقوات البريطانية التي منيت بخسائر كبيرة، تحرص الحكومة على التعقيم عليها. وأرى هنا أن أهل الفلوجة يصدق عليهم توجيه الرسول - صلى الله عليه وسلم - بقوله: «لا تتمنوا لقاء العدو؛ فإذا لقيتموه فاثبتوا». نعم! لقد ابتلي أهل الفلوجة وظلموا، وحاول المحتل الكافر إذلالهم فصبروا وانتصروا لدينهم، فحق لهم أن يُنصروا بإذنه - تعالى -.

ويبدو من تسلسل الأحداث أن مدينة الفلوجة كانت مستهدفة منذ بداية الحرب؛ حيث إن خضوعها والسيطرة عليها يعني السيطرة على كافة مناطق أهل السنة في العراق؛ حيث إن هذه المدينة بنيت في مكان مدينة الأنبار القديمة، وارتبط اسمها بالمقاومة والصمود؛ ففي ثورة العشرين ضد الاستعمار البريطاني كان للفلوجة دور ريادي، وتمكن أهلها من قتل قائد القوات البريطانية (الجمن)، وقد مارس فيها الإنجليز من أعمال القتل والتدمير والسلب ما أثبتته الشاعرة العراقية (معروف الرصافي) في قصيدة منها قوله:

هو خطب أبكى العراقيين *** والشام وركن البنية المحجوجه
حلها جيشكم يريد انتقاماً *** وهو مغر بالساكنين علوجه

ولما عرف به أهل المدينة من التدين والمحافظه وحب الخير والنخوة فقد
اصطدموا مع نظام البعث الذي اضهد الفلوجة وقتل خيرة علمائها، وأغلق جل
مدارسها الشرعية، ولكن في النهاية انتهج صدام حسين معهم سياسة خاصة تقوم
على المجاملة ومحاولات الإرضاء، وأثناء تقدم القوات الأمريكية إلى بغداد، وبينما
كان العراقيون يعيشون صدمة السقوط السريع لنظام البعث، ووقوع البلد تحت
الاحتلال الأمريكي كان للفلوجة موقف ملفت: يتلخص في أنه تم الاتصال بالقوات
الأمريكية وإبلاغهم أن المدينة لن تقاوم بشرط عدم دخول القوات إليها، وأنهم
سيقومون بضمان الأمن فيها، وهذا ما تم حتى أسكر الأمريكان دخولهم الأسهل
والسريع لبغداد، فأرسلوا قوات أمريكية مدعومة بشرطة عراقية معينة من قبل
الاحتلال، وكانت ممارسات هذه القوات سبباً رئيساً في تفجر الأوضاع؛ فالشرطة
قامت بالتعدي على السكان، وكان رئيس الشرطة يتحدى أهل الفلوجة، ويتنقص
منهم؛ مما أدى إلى قيام عدد كبير من المسلحين بمهاجمة مركز الشرطة الرئيس،
وطرد من بقي حياً من رجال الشرطة. أما القوات الأمريكية فقد احتلت المدارس
داخل الأحياء، وكان احتكاك الجنود بالنساء، بل حتى مراقبة البيوت بالمنظير
المقربة مدعاة لسخط السكان الذين انتهزوا فرصة قرب بدء الدراسة، فقاموا
بمظاهرات سلمية تطالب بإخلاء المدارس، وكانت ردة الفعل الأمريكية هي إطلاق
النار على العزل، ومقتل حوالي سبعة عشر متظاهراً؛ ومن هنا بدأت عمليات
إزعاج مسلحة حتى اضطرت القوات الأمريكية إلى الانسحاب والتمركز حول
الفلوجة، ومع استمرار المواجهات ووقوع مجموعة من ضباط المخابرات
الأمريكية في كمين، ونشو صور التنكيل بالجثث مما يدل على الكره الشديد
للاحتلال، انكشف زيف الصورة الوردية المرسومة في أمريكا والتي تظهر الجندي
الأمريكي بيتسم وهو يلعب الكرة مع الفتيان، أو يقوم بتوزيع الأدوات المدرسية
والحلوى على أطفال العراق!

لقد كانت ردة الفعل الأمريكية المتشنجة بسبب نشر الصور أكثر منها بسبب حادثة يحصل مثلها يومياً، وكان الطلب الأمريكي تسليم جميع من ظهرت صورهم بالفلم وتسليم الجناة، ولم يتم تنفيذ الطلب لاستحالة الاستجابة له في مجتمع قبلي متماسك؛ ولذا قامت القوات الأمريكية بهجوم انتقامي وحشي قتل فيه آلاف الأشخاص في غارات جوية عنيفة، ودفن الناس قتلاهم في حدائق البيوت وملعب كرة القدم، وكان وجود وسائل الإعلام العربية في المدينة ونقلها وقائع الجريمة الأمريكية عاملاً في إخراج قوات الاحتلال وفضحها، وقد قامت القوات البرية بالدخول للمدينة، وكانت النتيجة أن القوات الأمريكية داخل الفلوجة تم حصارها وقطع الإمدادات عنها. أما القوات التي تحاصرو الفلوجة فقد ضيق عليها الخناق، وكانت قوافل الإمدادات تتعرض لهجمات مستمرة؛ مما اضطر قوات الاحتلال لطلب الهدنة، وقامت بتوسيط (الحزب الإسلامي)، وتم الاتفاق على السماح للقوات الأمريكية بالانسحاب ودخول قوات عراقية مكونة من أهل الفلوجة وما حولها، وتحمل العلم العراقي القديم.

لقد دفعت قوات الاحتلال ثمن استهتارها بقدرات أهل الفلوجة؛ ومن الطبيعي أن السيطرة من جديد على الفلوجة أصبحت قضية كرامة للقيادة الأمريكية، وكانت الخطة الجديدة تقوم على حشد قوات كبيرة مدعومة بقوات عراقية؛ مع الحرص على منع جميع وسائل الإعلام الخارجية عن سيطرتهم من تغطية ما يجري. وبقدر حرص الاحتلال على الانتقام كان حرص أهل الفلوجة على تجنب حدوث معركة جديدة يعلمون أن مدينتهم ستكون ضحية للهمجية والجيروت الأمريكي، وقام أهل الفلوجة بتشكيل وفد للتفاوض، ولكنهم صُدموا بالحقيقة المرة؛ فلم تكن المفاوضات إلا لتمديد الوقت حتى تنتهي الانتخابات الأمريكية، وكانت المطالب العلنية على لسان (علاوي) هي تسليم أبو مصعب الزرقاوي غير الموجود بالمدينة؛ بينما لم يتطرق لهذا الأمر مطلقاً أثناء التفاوض، وخلال ذلك كانت الطائرات الأمريكية تُغير يومياً على ما يُعتقد أنه أماكن يوجد فيها (الزرقاوي) أو معاونوه. وتستمر الغارات، ويستمر انتشار جثث النساء

والأطفال؛ عفواً! إنها وسيلة مشروعة أمريكياً لإضعاف معنويات الخصم، وليحس بالعجز إزاء التفوق الأمريكي الكاسح.

ولنا أن نتساءل: ما هي الخيارات المطروحة أمام أهل الفلوجة؟

* الخيارات المطروحة:

1 - فتح المدينة أمام الغزاة وحلفائهم:

إن هذا الخيار تكتنفه كثير من المخاطر ليس أقلها مدى حجم الخسائر الناجمة عن عمليات التفتيش، وما هي نسبة شباب ورجال المدينة الذين سيتم اعتقالهم؟ وهل لديهم استعداد لتحمل التعذيب والإذلال والخدمات الموجودة في أبو غريب؟

2 - فتح المدينة وانسحاب المقاتلين:

إن هذا يبدو أسلم من السابق، ولكن هناك احتمال الانتقام من أسر المقاتلين والتكيل بهم. وبالطبع هذا الخيار يقتضي توفير أماكن آمنة للمقاتلين مع احتمال انهيار معنويات الكثير منهم.

3 - خروج أهالي الفلوجة من المدينة، وبقاء مفارز مقاومة؛ لإبداء مقاومة رمزية، ثم الانسحاب لتقويت فرصة تدمير المدينة: وهذا قد يؤدي إلى ارتفاع معنويات جيش الاحتلال، ويدفعهم إلى تكرار العملية في مدن سنية أخرى.

4 - خروج أهالي الفلوجة، والصمود أمام قوات الاحتلال، ودفعها لخوض حرب شوارع تؤدي إلى خسائر كبيرة في الجانبين، وتدمير كبير للمدينة يكون سبباً في خسارة دعائية كبيرة، وعاملاً في اتساع المقاومة وتجذرها لانكشاف طبيعة المحتل وسقوط دعاوى الإعمار والحرية والديمقراطية، وارتفاع أسهم أهل الفلوجة، وتأكيد ما اتصفوا به شجاعة وإقدام.

إن القرار الذي اتخذه مجاهدو الفلوجة، واختيارهم عدم الانسحاب إلا بعد مواجهة يطير ذكرها في الآفاق يتناسب مع طبيعة أهل المدينة التي امتزج فيها الانتماء لقبائل عربية أصيلة مع غلبة التدين، وإن الذي اتخذ قرار المواجهة هم وجهاء المدينة وزعماء عشائرها؛ لأنه تبين لهم من خلال وفود المفاوضات أن المدينة هدف للانتقام الأمريكي أياً كان موقفهم؛ ولذا اختاروا وقفة العز في زمن الذل.

* ماذا أعدوا للفلوجة؟

لقد كان إخفاق محاولة إخضاع الفلوجة في المرة الأولى دافعاً للقيادة الأمريكية لتحضير قوات كبيرة مدعومة بالطيران والمدفعية والدبابات، والحرص على مشاركة عراقية في المعركة، وإظهار المعركة أنها تمت بأمر (علاوي)، وعدم تكرار الأخطاء السابقة في فتح جبهات مختلفة في وقت واحد؛ ولذا تم تحييد الصدر وأتباعه ومحاولة اقتحام الرمادي قبل الهجوم على الفلوجة؛ مع استقدام قوات بريطانية لدعم الوضع الأمني ببغداد. وكان هناك حرص شديد على تحميس الجنود ودفعهم للقتال؛ وذلك برفع شعارات دينية مثل: الصلبان على الدبابات، وتعميد الجنود قبل المعركة، وقراءة مقاطع من الإنجيل والتوراة عليهم لحثهم على الثبات، ومرافقة مجموعة كبيرة من القسيسين والحاخامات لهذه القوات في أرض المعركة وفي المستشفيات.

ويبلغ عدد القوات البرية المشاركة ما يلي:

1 - عشرة آلاف من مشاة البحرية الأمريكية، منهم حوالي ألف يهودي كثير منهم يعملون قناصة. وقد تحدثت صحيفة (هآرتس) عن نقيب الحاخامات في مراسم الجنازات الخاصة بعدد من الجنود الصهاينة الذين صرّعوا في الفلوجة. ونقلت الصحيفة قول (أرفيننج ألسون) وهو أحد حاخامات مدينة نيويورك الأمريكية: «نحن هنا لتوديع عدد من الجنود اليهود الذين لقوا حتفهم في الفلوجة، وهم المقدم (أندي شتيرن) بسلاح المدفعية، و (مارك أفين) قناص يهودي وهو حفيد أحد الحاخامات الكبار في أمريكا».

وكشف الحاخام في كلمته عن وجود عدد كبير من الجنود اليهود في الجيش الأمريكي، معظمهم يعملون في القنص، ودعا الحاخام عائلات الشباب اليهودي الأمريكي إلى إرسال أبناءهم للعراق للحرب ضد من أسماهم بـ (أعداء) الدين اليهودي، واعتبر أن القتال ومساعدة الأمريكان في العراق أفضل كثيراً من العمل الديني في المعابد اليهودية.

واعتبر أن الجنود اليهود في العراق «شهداء» إذا ما سقطوا خلال القتال، وخاصة أن أغلبهم «متدينون» ويحافظون على قراءة الكتب الدينية اليهودية. وبحسب (هآرتس) فإن عدد الجنود اليهود في العراق يتراوح بين 800 إلى 1000 جندي وضابط، على حين يبلغ عدد الحاخامات نحو 37 حاخاماً. ويقول مراسل صحيفة (المونيتور) في تقرير له: إن جنود القوات يبدوون حملتهم بقراءات من مزامير داود من العهد القديم، وقد بدأت «الكتيبة الحمراء» يومها بقراءة الإصحاح 91 من المزامير، وقد كتب العريف (دوستن باركر) من ولاية تكساس الأمريكية على خوذته أجزاءً من الإنجيل تقول: «لا تخش عدوك بالليل، ولا من الأسهم التي تتطاير بالنهار، ولا تخش من الأوبئة والطواعين التي تسير في الظلمة».

2 – ألفين من قوات الحرس الوطني، ويبدو من الصور المنشورة أنهم من أتباع (السيستاني) لحملهم الصور الخاصة به على عادة القوم في حمل صور مراجعهم. ويبيد الجنود الأمريكيون تذرهم من انخفاض أدائهم وروحهم المعنوية.

3 – ليس لدي معلومات عن مدى مشاركة الميليشيات الكردية (البشركة) في الهجوم، ولكن ذكر أن قائد قوة كردية اختفى بعد أن اطلع على خطط الهجوم، ولا يخفى أن الأكراد يحاولون الابتعاد عن التحالف الرفض الأمريكي؛ بدليل انضمام الأحزاب الكردية للمطالبة بتأجيل الانتخابات، خلافاً لموقف بوش وعلوي والسيستاني وإيران؛ حيث إن مشروعهم يقتصر على المنطقة الكردية في الشمال، ومحاولة توسيع تلك المنطقة لتضم الموصل، وكركوك.

* إنها حرب عصابات حقيقية:

تعاني القوات الغازية من أنها تجابه خصماً جيد حرب العصابات؛ مما أعاد للأذهان عقدة حرب فيتنام. ويعاني الجنود من أنهم دائماً يسقطون، ولا تتاح لهم الفرصة غالباً للاشتباك مع الخصم؛ فهو دائماً يتوقع الموت في أي لحظة من رصاصة قناص، أو رشقة رشاش، أو قذيفة آر بي جي، أو عبوة ناسفة على جانب الطريق يُتحكم بها عن بُعد ولذا لا يستغرب القارئ أن كثيراً من الإصابات هي في حقيقتها نفسية وعقلية نتيجة حالة التوتر والخوف المتواصلة. وأنقل إليك أخي

القارئ بعض مظاهر الانهيار النفسي الذي يعانيه جنود الاحتلال نتيجة الإجهاد وعدم القناعة بالحرب. يقول الوزير الأمريكي لشؤون المحاربين (أنطوني رنسيبي): إن تكتيكات المقاومة العنيفة في العراق سوف تؤثر تأثيراً طويلاً على الصحة النفسية للجنود؛ مما ينتج عنه تعويضات العجز مدى الحياة للكثيرين ممن رجعوا من الحرب. وحتى الآن فإن 20% من المحاربين العائدين من العراق يطلبون الرعاية الصحية العقلية، وفي حين أن الكلفة الحقيقية لأولئك المصابين من حرب العراق غير معروفة فإن الوزارة تتوقع حالياً أن تدفع 600 بليون دولار على مدى العقود الثلاثة القادمة كتعويضات للعجز النفسي للمحاربين في حروب سابقة.

ويقول (رينسيبي): إن وزارة شؤون المحاربين تستعد لاستقبال دفقات من المحاربين المصابين بأمراض نفسية وعقلية واضطرابات من العراق. ويقول: «هذا النوع من الحرب - حرب العصابات - حيث لا تعرف إن كنت أنت الضحية التالية لسيارة مفخخة أو لغم شارع أو قنابل صاروخية. إنها مثل الحرب في فيتنام؛ حيث كنت في (دلتا ميكونج) فأنت لا تعرف متى تقع في كمين للمقاومة».

صحيفة (الجارديان) البريطانية تابعت تطورات العراق من زاوية جديدة؛ حيث أجرت تحقيقاً مصوراً من مستشفى (لاندستهل) الألماني الذي يعالج فيه العسكريون الأمريكيون من إصاباتهم في العراق.

وينقل التحقيق كلمات العاملين ونزلاء في المستشفى، منها ما تقوله إحدى الممرضات من أن بعض الجرحى لا يستطيعون الكلام، وأن كل ما يفعلونه هو البكاء.

أما القس الملحق بالمستشفى فيقول: إن الأمر يبدو رهيباً، لكن هذه التضحيات لا بد منها.

أما صحيفة (الأوبزرفر) فقد كشفت أن الجيش البريطاني أخلى حوالي ثلاثة آلاف إصابة، كثير منها إصابات نفسية وعقلية وإعاقات جسدية، وأفادت إحدى الأمهات

أن ابنها الذي كان اجتماعياً مرحاً أصبح لا يبتسم، وإذا ذكر العراق فإنه يبدأ بالصراخ.

ويقول العنصر الطبي (راميرز) البالغ من العمر ستاً وعشرين سنة من مدينة (سان أنطونيو) وضابط البحرية الملحق بفرقة (برافو) الجراحية: إنني اعتدت من قبل على رؤية أناس يقضون نحبهم على الطاولات في غرف العمليات الجراحية، غير أن ما شاهدته في الفلوجة كان مرعباً بحق. وبعد شهرين من ذلك وعند أول وصول للجرحى من الجنود الأمريكيين والعراقيين للمستشفى بعد اجتياح مدينة الفلوجة استعد (راميرز) للأسوأ من هذه المشاهد المخيفة، وقال (راميرز) إن عمله مع المرضى لم يكن يؤثر عليه، ولكن بعد مشاهدته المتكررة للدماء على الأرض أو لشخص يحمل قطعة من ذراع أو رجل أدرك أن هذه المناظر ستبقى في ذاكرته طيلة حياته. وقال العاملون الطبيون في المستشفى الميداني لشركة (برافو) الجراحية والتي يتم نقل كافة قتلى وجرحى المعارك إليها: إن إصابات الجنود في قتال الفلوجة دائماً ما تكون مدمرة، وأن معظمهم أصيب في انفجارات قريبة منهم. وقال رئيس فريق معالجة الصدمات النفسية (دامون ساندرز): إن إصابات الجنود مرعبة بحق؛ فقد شاهدنا أعداداً متزايدة من إصابات شظايا الانفجارات، وعادة ما يتعرض شخص أو شخصان إلى إصابات مباشرة من المتفجرات، بينما يتعرض الآخرون إلى شظايا تلك الانفجارات. وأضاف ساندرز «36 عاماً» من مدينة (تيميكولا) من ولاية كاليفورنيا قائلاً: إن الإصابات في الفلوجة تعتبر أكثر قسوة وفضاعة من تلك التي يتعرض لها في العادة الجنود في العراق. وعزا ذلك على نحو كبير لسيطرة عناصر المقاومة العراقية على المدينة طيلة الشهر واستعدادهم للقتال حتى الموت. وأوضح (راميرز) أن المستشفى الجراحي الميداني كان مستعداً لاستقبال أكثر عدد من الجنود الجرحى قبل بدء معركة مدينة الفلوجة، ولكنه قال: إنه وزملاءه لم يكونوا مستعدين لهذا العدد الكبير من الجرحى بما في ذلك الذين يمشون على أرجلهم؛ مما اضطر إدارة المستشفى لنصب خيمة إضافية كبيرة لمعالجة هؤلاء الجرحى الذين يتم إحضارهم على نقالات. وأضاف (راميرز) قائلاً: إنه عندما تم إبلاغهم بالتوجه إلى الفلوجة فقد كان الكثير منهم يعتقد أنه سيشاهد

الكثير من جرحى إطلاق الرصاص، ولم يكونوا يتخيلون أنهم سيشهدون أشخاصاً بأعضاء مبتورة بسبب الانفجارات. وقال (راميرز) إنه قضى وقتاً طويلاً في طمأننة الجنود المصابين بأنهم سيتلقون أفضل الرعاية الصحية، وقال متذكراً: إنه كان هناك أحد الجنود المصابين في حالة عصبية حادة للغاية. ومضى (راميرز) قائلاً: إن العاملين في المستشفى الجراحي الميداني كانوا يعملون على مدار الساعة خلال اشتداد حدة المعارك في الفلوجة، وبصفة خاصة أثناء تقدم قوات مشاة البحرية صوب الأحياء الجنوبية للمدينة؛ حيث واجهوا مقاومة عنيفة من عناصر مسلحة مدربة جيداً؛ مضيفاً أن تلك أيام لا يمكنه وزملاؤه نسيانها طيلة حياتهم. وصدق الله العظيم في تثبيته للمؤمنين؛ حيث قال: {إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونًا فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُ كَمَا تَأْمُونُ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ} [النساء: 104].

إن النجاح هو فيما إذا تمكنت المقاومة من الاستمرار في القيام بعمليات داخل وخارج الفلوجة، وجعل قوات الاحتلال في حالة استنفار دائم؛ مما يؤدي إلى إنهاكها مع العمل على قطع الإمدادات؛ فإن شح التموين عامل أساسي في تحطيم معنويات الخصم. ويبدو أن هذا هو ما يحدث؛ فبعد الخسائر الجسيمة في صفوف قوات الاحتلال يلاحظ أن حدة القتال خفت كثيراً، وغالباً ما تكون في الليل وبمبادرة من المقاومة. وكما صرح الشيخ (عبد السلام الكبيسي) رئيس قسم العلاقات العامة في هيئة علماء المسلمين في اتصال مع قناة الجزيرة: إنه إلى هذه اللحظة فإن أكثر من نصف الفلوجة بأيدي المقاومة الفلوجية، وأقول «الفلوجية»؛ لأنه ليس هناك مقاتلون من غير الفلوجيين داخل الفلوجة - على حد قوله -.

وسخر (الشيخ الكبيسي) من الادعاءات الأمريكية التي كانت تزعم أن الفلوجة ستسحق خلال 48 ساعة، وشدد على أن القوات الأمريكية تعيش حالياً مأزقاً حقيقياً في الفلوجة، وأنها كانت بادئ الأمر تهاجم، لكنها الآن تدافع؛ فهي متخذقة في الفلوجة، ولا تستطيع أن تخرج إلى أي شارع أو أي زقاق في أكثر من نصف الفلوجة، سواء كان في أحياء الجولان أو الشهداء أو الصناعي، وفي حي نزال، وفي أماكن كثيرة.

ونختم هنا بأن أمريكا قد فضحت نفسها بنفسها؛ فبعد تدمير الفلوجة، وتدمير 32 مسجداً، وقتل الجرحى في المساجد، ونشر صورة الرجل الذي قُتل وهو يحمل أمه العجوز يخرج علينا السفير الأمريكي (نيغرو بونتي) وهو (حاكم العراق الفعلي) في تصريح لقناة العربية الإخبارية: إن الفلوجة لم تعد قاعدة لما وصفه بالإرهاب الأجنبي وعناصر النظام السابق. وأضاف: إن هذه القاعدة دُمرت الآن، وأعتقد أن هذا كان بمثابة درس لأولئك الذين يحاولون عرقلة الديمقراطية والحرية في هذه البلاد.

هذا شيء مما نشرته وسائل الإعلام الغربية، وتتحاشاه كثير من وسائل الإعلام العربية نضعه بين القارئ ليعرف حقيقة الحرية والديمقراطية التي جاء الأمريكيون ليسطوها في أرض الرافدين، وهي درس لمن يفكر في خداع الرأي العام بها. تتهاوى وتسقط أمام كل ذي عينين. والله المستعان.

ذو القعدة 1425هـ * ديسمبر/يناير 2005م

المصدر:

<http://www.albayan-magazine.com>

=====

تأملات في أسباب غياب البعد الزمني وآثاره

منصور طه الحاج آدم

استطاع النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يحوّل مجتمعاً كاملاً من جاهلية وشر وفرقة وشتات ودماء وتارات إلى مجتمع رشيد بقيم الحق معافيّ يمثل قدوة في العالمين في فترة لا تتعدى ثلاثاً وعشرين سنة، وقد بدأ العد التصاعدي للدعوة النبوية بيزوغها والإيذان بها، وبدأ العد التنازلي للدعوة الكفر التي غدت تفقد كل يوم أرضاً وضيعةً من ضيعاتها، بينما كانت الجاهلية تسعى جاهدة لتطويق الدعوة وإماتها في مهدها بشتى السبل والطرق؛ لمعرفتها ما يترتب من تحولات قادمة تحسب لها الحسابات عبر رصدتها لتحركات النبي - صلى الله عليه وسلم - وجماعته، ولكنها أخفقت وخاب مسعاها؛ لأن الدعوة

منصورة بالله، ثم لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - عمل بالأسباب الواجبة
المقتضية لتحقيق تمكينها في الأرض.

ولأهل الباطل عداوات شديدة ورصد كبير لأهل الحق ودعاته، ولا يفتؤون
ببذلون ما في وسعهم لضرب الدعوة وأهلها؛ مما يوجب عليهم ذلك نظراً
بصيراً وتحركاً محكماً ينطلق من تقييم صحيح وسليم، وتعرف على مآلات
الخير والشر ودرجات كل منهما، وكما يقال: "ليس العاقل من يعرف
الخير من الشر، ولكن العاقل من يعرف خير الخيرين وشر الشريرين" كما
يوجب عليهم الإفادة من الزمن لتحقيق المفاجأة وتغيير موازين القوى؛ فإن
عامل المفاجأة وتغيير الموازين في الصراع يستند إلى قدرة الجماعة على بذل
طاقاتها مع اختزال للجهد والزمن بأقصى ما يمكن لتحقيق التفوق على
الخصم؛ فإن صراع الجماعات والأمم صراع على أرضية الزمن،
وكيفية كسبه وتحقيق أعظم إنجاز بأقل جهد وزمن، وهذا ما نلاحظه في دعوة
النبوة: عظمة الإنجاز مع قلة الزمن.

وأمام أهل الحق جبهات ثلاث مفتوحة علمياً وعسكرياً وسياسياً من قبل التيارات
الآتية:

1 - التيارات الكفرية والشركية.

2 - تيارات النفاق من العلمانيين والشيوعيين وغيرهم الذين يتلونون بكل
لون، ويدفعون كل راية حسب مقتضى الحال، ويكشفون عورات المسلمين.

3 - الفرق والجماعات الضالة الحديثة والقديمة في أصولها.

وتستخدم هذه التيارات هيئات متخصصة لدراسة ورصد القوى الإسلامية،
وتعد خطاً ومناهج فكرية وسياسية وعسكرية لضربها وقطع الطريق
أمام العودة الإسلامية الرشيدة للأمة؛ ومما تستخدمه من وسائل محاربة:

1- إفراغ محتوى دعوات الإصلاح بتحويل مناهجها ومقاصدها عبر
الإسقاطات الفكرية المختصة.

2- التشويش الفكري والعقدي، والتشكيك في عقائد الإسلام ومنهجه.

3- إدخال الجماعات الإسلامية في معارك استنزافية فكرية وسياسية وعسكرية.

4- بث وتوسيع الخلافات الداخلية والاستفادة من وضعية التشرذم الداخلي.
5- إيجاد الشرعية لضربها وإنهائها، والتحرش بها عبر وصمها بالألقاب الآتية:
الأصولية، الإرهاب، المتاجرين بالدين، أصحاب العاهات العقلية
والنفسية.

6 - إضعاف السند والالتفاف الشعبي حول الدعوة - أو استخدام
سياسة الاستفراء بالجماعات باستثمار أخطائها.

وفي مقابل هذه العداوات المرصودة وبكل شراسة ضد جماعات الدعوة
الإسلامية نجد تشرذم البيت الإسلامي وانشغاله بقضايا بيئية، بينما الواقع
المعاش لأمة الإسلام يلقي بأحمال وتبعات ثقيلة على دعاة الحق، وإنه
لينوء بها من ينوء إلا ذوي العزائم وكبار النفوس المتوكلين على ربهم.
المطلوب:

1 - مرجعية علمية وعملية واحدة، أو معالجة أحوال النخبة:

من الاهتمامات الكبرى الضرورية في الدعوة المعاصرة تشكيل
المرجعية العلمية والعملية الواحدة بمعالجة أحوال النخبة من علماء
وطلبة علم ليمثلوا حالة الوحدة في المرجعية العلمية وضبط منهجية العمل الدعوي
ومقاربتها في إصلاح الواقع في تصوره ومطالبه، وفقه التعامل والإنزال
فيه، ومعالجته معالجة منهجية بعيداً عن الفوضى والارتجال العلمي
والعملي التي يعاني منها الواقع الإسلامي المعاصر الذي أدى إلى ظهور
تيارات مغالية أو مجافية، وبدون أفكار نشاز زادت من أزمة البيت
الإسلامي؛ حيث انطلقت من رد فعل أزمة الواقع واتساع مطالبه وفقدان
المرجعية الموجهة والضابطة علماً وعملاً. إن توحيد أو مقاربة المرجعية العلمية
القائدة هي نقطة أولى لرأب الصدع وتوحيد الجهود.

2 - مراجعات منهجية في العلم والعمل:

مما يؤدي إلى سلامة مسلك الدعوة في أقوالها وأفعالها تحريراً منهاجها على قواعد
وضوابط وأصول أهل السنة والجماعة: العلمية والعملية، ثم يتبع
ذلك مراجعات منهجية في جانب العلم والتصور والفهم؛ لتلايحيد عن الوسط

ويصاب بعاديات البدع والانحراف؛ فإن الأصول ربما تكون سليمة ولكن تعتري العلة بعض الجوانب أو بعض المسائل التي توجب فتنة للاختلاف والشقاق فيها، وقد تكون تلك من الآثار التي عبر عنها ابن تيمية - رحمه الله - تعالى - نتيجة المعصية، وهي: خفاء الحقائق عند أقوام أو أحوال ومواطن فيضيّقوا ما وسّع الشارع، أو يتوسطوا فيما ضيق فيه من الحرام، ولاشتباه الحق بالباطل تقع الفتن(1).

فلا بد إذاً من تنقية المنهج العلمي وتصحيح المسلك العملي ومراجعته ليكون على مشروعية صحيحة، كما أنه يجب أن نستوعب قواعد السياسة الشرعية وأصولها في النظر إلى الوضع القائم وتقويمه، وفي ضبط مسلك الدعوة في الواقع المحيط بمختلف مكوناته العضوية والعلمية والفكرية دوراً وموقفاً نتوخى في ذلك كله جلب كل صلاح مستطاع ودرء كل فساد مقدور عليه، ولنؤمن طريق الدعوة من المعارك الاستنزافية التي يكيد بها الخصماء، والتي تفقد فيها كثيراً من القدرات والطاقات، وتهدم فيها المكتسبات.

3 - تجديد خطاب الدعوة المعاصرة وإصلاحه:

الذي يتابع خطاب النبوة في عصر الدعوة الأول يرى تنوعه وتطوره بحسب المراحل التي تمر بها الجماعة والمطالب التي تقتضيها المرحلة؛ فالخطاب في مكة غير الخطاب الموجه في المدينة، والخطاب في المدينة ممتد عن الخطاب الموجه في مكة تفصيلاً وتوضيحاً وإضافة(2).

والواقع المعاصر أشد حاجة إلى هذا التنوع والمرحلية في الخطاب لتلبية حاجات المرحلة ومطالب الواقع في الأعيان والأحداث والأحوال تنوعاً ينتظم تحت دائرة كلية واحدة يقتضي بعضها بعضاً وتتضافر فيها المفاهيم في مسلك واحد ولتحقيق غاية واحدة وهي تحقيق العبودية لله. إن تجديد أساليب الخطاب المعاصرة وإصلاحها لتعالج قضايا الأمة وفق منظور شرعي واستراتيجية عملية ناضجة ضرورة لتحقيق التغيير الإسلامي المنشود، وإن أشد ما يعاني منه الواقع الدعوي المعاصر ذلك الخطاب الذي يعرض صورة منحرفة أو جزئية ناقصة أو سطحية تنطلق من رأي هذا أو ذلك،

أو فهم هذا أو ذلك مقدماً على الحق كما أن الخطاب الذي اقتصر على مرحلة أو جزئية معينة وثباته حولها عامل من عوامل الشلل الدعوي، وهو ما يفسر موت كثير من الأنشطة الدعوية المعاصرة وتجاوز الزمن لها.

4 - بناء الكفاءات والقدرات:

إن مراعاة البعد الزمني للدعوة تتطلب الإعداد الضروري الذي يؤهل للوصول إلى المستقبل المُستشرف، وكل مرحلة وطور لها متطلباتها ووسائلها التي ينبغي الإعداد لها، وكل مرحلة تؤدي إلى الأخرى في تتابع وانتظام ثابت؛ فالذي يجب أن يرافق الاستشراف المستقبلي إعداد وتطوير الوسائل والإمكانات والقدرات التي تشكل ذلك المستقبل المتطور وتصوغه.

إن كثيراً من الفروض العامة غائبة لغياب المؤهلين الذين يقومون بها مما أقعد الأمة عن ممارسة دورها الحضاري، وهذا لا يُعفي العاجزين عن أدائها، بل يُلزمهم أمراً آخر وهو تهيئة القادرين عليها ودفعهم لإتقانها(3)؛ فإن الأفراد قد جُبلت فيهم خلقاً مختلفاً القدرات والإمكانات الذاتية التي يُسروا لها (فكل ميسر لما خلق له) فإما أن تموت فيهم، وإما أن تحيا فيهم فيكون لها دورها في حياتهم وفي حياة أمتهم؛ فلذلك لا بد من العناية بالتنشئة السليمة لنانشة الإسلام التي تُخرج فيهم كوامن القدرات والطاقات، وتسعى إلى بنائها وتطويرها، وتدفع بكل واحد إلى ما هيئ له بوفور القدرة عليه ليحوز العلوم والآداب التي تناسب ما هو ناهض به، وإن تأهل لغيره أُعِين عليه.

إن الدعوة الإسلامية المعاصرة تفتقر إلى كثير من القدرات والمؤهلات والبناء الداخلي المؤسس، مما يؤدي إلى ثغرات وعوامل ضعف فيها في المرحلة الراهنة، وتلك القدرات هي أهم ما تفتقر إليه القيادات الدعوية الرشيدة التي تملك قدرة التأثير وزمام المبادرة في القيادة والإصلاح والتربية. ومما يؤخذ على الجماعات الإسلامية المعاصرة عندما تخوض المعترك السياسي أو المعترك العسكري أنها تضعف أو تشل قدرتها في التربية والإصلاح، وتتناقص عضويتها الصفوية، وتتحول إلى تيارات شعبية عامة، مما ينحرف بمسارها وتتحول أهدافها وتفقد هويتها.

وأخيراً:

هل يعي دعاة الحق ويتفهمون تحديات الواقع وينهضون قياماً بالواجب وإصلاحاً في الأرض؟ إن القيادات والدعاة الربانيين هم أدلاء الخير وقادة الإصلاح، تلو بهم راية الحق وتبطل بهم رايات الباطل، والأرض الإسلامية عموماً خصبة تثبت ما يزرع فيها نباتاً صالحاً، وقد توارت كثير من رايات الباطل إما زوالاً وإما كيداً خفياً من وراء الشعرات الإسلامية. وإن كانت الأرض مهياًة لقبول ما يزرع فيها فثمة تحدٍ يتمثل في فقدان دعاة الحق؛ وهي حال قد تدفع بالتيار العام للانحراف وراء دعوات خبيثة أو إمامات ضعيفة ناقصة تؤدي إلى فتنة داخلية؛ فإن ما يلحظ أن كثيراً من التيارات المتغربة التي تلبس لبوس الإسلام وأخرى باطنية خبيثة لها مبادراتها وطروحاتها وأفكارها تعالج بها كثيراً من قضايا الواقع وتنتج كمّاً هائلاً من الفكر مما يلقي بثقله على أصحاب الحق من الواجبات العظيمة التي تنوء دونها الجبال.

إن تعقّد الواقع وامتداداته الداخلية والخارجية تستوجب من أهل الدعوة أن يكونوا في مستوى المطالب والمقاصد فهماً وهمة وإصلاحاً وعملاً وتضحية وتخطيطاً وتنظيماً للجهود والطاقات؛ فإن إصلاح الأمة إنما يتم بجهد وحركة علمية ناضجة ونشطة تجدد ما اندرس من معالم النبوة وآثارها، وتبعث منهاهج السلف وأصولهم وهديهم علماء وعملاً وممارسة وسلوكاً. ومن الله وحده العون وعليه التكلان.

الهوامش:

(1) يراجع الفتاوي، 14/ 147.

(2) يراجع الفتاوي، 15/159، والموافقات 2/62.

(3) الموافقات، 1/121.

رمضان 1420، يناير 2000.

المصدر:

<http://albayan-magazine.com>

لن أعيش في زمنكم

حسن عبد الحليم
كلماتنا لا تلقى الترحاب
هم يريدون مهرجين يضحكونهم
حتى يسيل اللعاب
أو حتى يختنقوا
ويسعلوا من فرط الضحك
ويشيرون إلينا في غمرة ذلك بالبنان
يريدوننا مهرجين
لتعديل مزاج نسائهم
الأتي يتناقلن
عندما تطلب شهواتهم الوصال
يريدوننا مهرجين
لا نعكر استرخاءهم
بأحوال البلاد
لا شأن لهم بما نقول...
ليس ضمن اهتماماتهم
الوطن والعباد
سيخبرون أصدقاءهم
كم كنا مضحكين
وكم كنا جيدين
وكم كنا مهرجين
يريدوننا مهرجين فتعلموا
فن التملق والتهريج والنفاق
أو ابحثوا لكم

عن مكان آخر
أو عن زمن آخر
فقد آن أوان الفراق
هذه استقالتني أقدمها لكم
يا معشر الفارحين الفارحين
فأعينوني على غبائي
واعذروني
فلن أقبل العيش في زمنكم
زمن التهريج والنفاق

المصدر:

<http://www.d-alyasmen.com>

=====

تحذير ونذير يسابق الزمن ... " حقائق غائبة من قلب الحقيقة "

إنَّ الوصولَ إلى حقائقِ الأمورِ يُعدُّ ظفراً كبيراً،
ونصراً على الضبابية مؤزراً، ولو كانت
الحقيقة مرأً وعلقماً، ولا يشكُّ العاقل أن إجلاء
الحقائق، وتجسيد صورها ومعالجتها من
المهمات الصعبة جداً، من حيث الانتصار على
النفوس، والسير في طلب الحقيقة بتجردٍ من
العاطفة والتقليد، وطُلب الحقائق هم فئام من
صفوة الخلق، كالقلب موضع النظر ومحط
القرار.

* تتجلى حقائق:

إنَّ حالَ الأمةِ اليومَ لهو حري بتتبع لا يفتأ صاحبه
ليصل إلى حقيقة أمرِ الهوانِ والذلِّ دون أن يُخفي
عن أمته ما يهوي بها إلى سحيقِ المستقر،
وموطئِ القدم، ومن سبيلِ المهانة، وطريقِ الذلة،

تخرج هذه الصرخات بالحقيقة من واقعها المر، لتعلم الأمة بأمر لا يقبل النقاش لأنه حقيقة، وإن كثرت حوله الجدل، فهو وثيقة سالمة من العلل.

* بين يدي الحقائق:

أخرج آدم من الجنة بذنب، وأغرق قوم ببعض ذنوب، وخُسفَ بأمّةٍ، ومُسيخَ قوم بسبب حيلتهم على شرعتهم إلى قردة خاسئين، انهارت دول، ودمرت أخرى، وقُذفت أمم وماتت أخرى، كل ذلك بذنوب قال الله: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَالِيَهُمْ وَلِلكَافِرِينَ أَمْثَالَهَا) وقال: (فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ)

وقال: (وَكَلَّيْنِ مِنْ قُوَّةٍ عَنَّا عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُكْرًا) * الحقيقة الأولى:

إن الذي سلّم رقابنا إلى أيدي الكفار ليس الغرب أو الشرق، ولكن للأسف [نحن] حكماً ومحكومين فسلط الله علينا ذلاً وعد أن لا ينزعه حتى نوجع إلى مُرادِه قال - صلى الله عليه وسلم - " إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم " فتبايعنا بالربا، وركوننا للدنيا، وتركنا للجهاد، هذا سبب التسلط، والحقيقة أن كل ذلك فينا واقع وحقيقة.

* الحقيقة الثانية:

نحن نحارب الإسلام حرباً ضروساً لا هوادة فيها، فقد بلغ التنصير مبالغاً مهولاً، وانتشرت الأفكار الهدامة انتشاراً مرعباً، وبلغ الفساد الأخلاقي مبالغاً محرقاً، ولو سألت ماذا خصص الوالي والتجار والمقتدر من ماله لحرب هذا البلاء على فرض عدم القدرة على الجهاد والزمن زمن دعوة؟ لوجدت الوالي سهّل بل بعضهم دعا، والتاجر استثمر، والمقتدر تقهقر، وعلى الذوات والشهوات الصرف بغير حساب، ومن حقوق أهل السنة والكتاب، فلذلك يذكر ابن حزم - رحمه الله - تعالى - حال هؤلاء الولاة وأنهم سبب كبير في سقوط الأندلس فيقول: (والله لو علموا أن في عبادة الصلابة تمشية أمورهم بالادوا إليها، فنحن نراهم يستمدون النصارى فيمكنوهم من حرم المسلمين وأبنائهم... وربما أعطوهم المدن والقلاع طوعاً فأخلوها من الإسلام وعمروها بالنواقيس) انظر رسائل ابن حزم 3/176 أقول فسبحان الله كأنه يتكلم عن عصرنا فله الأمر من قبل ومن بعد.

* الحقيقة الثالثة:

لسنا اليوم أولياء الله، ودليل هذا أنه من كلامه - عليه الصلاة والسلام - قوله: [إنه لا يذل من واليت] وقد وقع الذل الفاضح علينا إلا الثلة المجاهدة في سبيله، بل نحن أولياء الملذات، وسادات الشهوات، أبطال الأومبيات، ورجال السفريات بين ديانا

بريطانيا، ورافعة لواء العفاف ديانا كرازون، ولك
أخي أن تتصور سفالة الحال في تروشيح كرازون
حيث بلغ عدد الناهقين بترشيحها كأفضل
مغنية أكثر من خمسين مليون مسلم، والذين
عروضوا الحرب على أفغانستان والعراق أربعة
ملايين فقط!!، ويُستقبل ثاني بطل أكاديمي
بثلاثين ألف منهم الحاضنات ومن الرجال من
ألحق نفسه بقاء التأنيث، أو ياء المخاطبة
وبهتافات باكية وكأنه محمد بن القاسم فاتح
السند والهند فله الأمر من قبل ومن بعد.

* الحقيقة الرابعة:

لابد من الملحمة مهما تأخر وقتها، فقد بدت
أشواطها، وبرق في الأفق حسامها، فبما أن الأمم
من قبلنا أصابهم الله بذنوب، وبععض ذنوب، فقد
جمعت الأمة اليوم والأمم جمعاء كل الذنوب،
ليذهب الرعاع، ويتلاشى الجُفاء، ويبقى ما
ينفع الناس، وتكون العاقبة لوعد الله القاضي
بإستخلاف المتقين، فماذا نقول ربا بلغ ذروته،
وعمالة وصلت منتهاها، وتفسخ أخلاقي نال
الأمهات والأخوات، وفضائيات ما تركت للمسلمين
بيتاً إلا ولعنته إلا من رحم الله، البيوت فساد،
والشوارع فساد، والعمل فساد، والتعاليم فساد،
والسياسة فساد، والاقْتِصاد فساد، ورأس هذا فساد
في التوحيد بسبب تفشي الشرك بكل أشكاله،
والبدع بكل ألوانها، حكم الله مزدري، وشرعته
مقللة، وكتابه قُدمت أوراقه وقتلت أحكامه، يُرجع

للكتاب حال موافقة الهوى ويُستظهر أو يخرق حده إذا هدد الهوى فله الأمر من قبل ومن بعد.

* الحقيقة الخامسة:

وجهت قوانا لبعضنا، وكفينا العدو مؤنتنا، وعلا بعضنا على بعض فيا لها من كارثة مستطيرة، ومصيبة مستشرية حارقة خطيرة، وإنني أذكرُ قومي بحقائق من التاريخ معتبرة، يتعضُّ بها أصحاب العقول النيرة، والنوايا الصالحة الخيرة، عندما فشى الفساد في بخارى، واستهان الناس بشرعة الله، ساط الله عليهم قوارع أهدمت كل جميل يُذكر، وانتزعت منهم كل نعمة تُخفي أو تُشهر، مُلأت شوارعهم دماء، ورمّت مساكنهم بالأشلاء، فأنطق الله الكفار على آثامهم شهداء، فهذا عدو الله جنكيز خان لما دخل بخارى صعد المنبر من يوم الجمعة في موضع الخطيب ولم يبق من أهلها إلا ما يقارب الثلاثمائة ومع أنه كافر بالله قال: "يا قوم فاعلموا أنكم قد ارتكبتم جرائم بشعة، واقترفتكم آثاماً كثيرة، ومن جملة تلك الجرائم والآثام ما فعله أمراءكم، فإن سألتموني عمن أكون الذي أخطبكم؟ وعلى أي دليل أقول هذا الكلام؟: أجبتكم أني سوط الله الذي بعثني إليكم، لأنزل بكم عقابه على جرائم اقترفتموها، وآثاماً ارتكبتموها، ولو لم تستحقوا ما نزل بكم من عذاب لما أرسلني الله إليكم" ((انظر تلريخ قلاتح العالم 1 / 117 أو أجوج ومأجوج فتنة الماضي

والحاضر والمستقبل لد. الشفيح الماحي
أحمد

* الحقيقة السادسة:

أمة أو كَلَّتِ دِمَاهَا لِبَعْضِ حَسَنَاتِهَا الَّتِي تُعَدُّ قَطْرَاتٍ فِي مَسْتَنْقَعَاتِ سَيِّئَاتِهَا، فترى من يقول نحن أحسن من غيرنا، ويُعَدِّدُ لَكَ بِعَضِ الْمَحَاسِنِ الَّتِي تَنْبِئُكَ قِرَائِنِ مَنْ سَيِّئَاتِهِمْ أَنْ أَكْثَرَهَا يَعْتَرِيهَا سَقَمُ أَكْلِ قِوَامِهَا وَثَمَرِهَا، وَقَدْ قَالَ قَوْمٌ مِنْ قَبْلِ وَتَبَاهُوا بِبَعْضِ عَمَلِهِمُ الْحَسَنَ لِيَكُونَ لَهُمْ حَمَى، فَرَدَّ الْقُرْآنُ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهَا لَا تَمْنَعُهُمُ الْعَذَابَ قُلَّ اللَّهُ: (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) وَقَدْ سَأَلْتُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ زَيْنَبَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - الرَّسُولَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِقَوْلِهَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْهَكَ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبِيثُ) وَأَعْجَبْتَنِي هَذِهِ الْوَصِيَّةُ مِنْ هَذَا الْخَلِيفَةِ الْمَوْفُوقِ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِبَعْضِ عَمَالِهِ عِنْدَمَا قَالَ: فَإِنَّ الذُّنُوبَ أَخْوَفُ عِنْدِي عَلَى النَّاسِ مِنْ مَكِيدَةِ عَدُوِّهِمْ، وَإِنَّمَا نَعَادِي عَدُوَّنَا وَنَسْتَنْصِرُ عَلَيْهِمْ بِمَعْصِيَتِهِمْ، وَلَاوَلَا ذَلِكَ لَمْ تَكُنْ لَنَا قُوَّةً بِهِمْ، لِأَنَّ عَدَدَنَا لَيْسَ كَعَدَدِهِمْ، وَلَا قُوَّتُنَا كَقُوَّتِهِمْ، فَإِنْ لَانُصِرَ عَلَيْهِمْ بِمَقْتِنَا لَا نَغْلِبُهُمْ بِقُوَّتِنَا، وَلَا تَكُونُنَّ لِعَدَاوَةِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ أَحْزَرَ مِنْكُمْ لِذُنُوبِكُمْ، وَلَا أَشَدَّ تَعَاهُدًا مِنْكُمْ لِذُنُوبِكُمْ..... (وَلَا تَقُولُوا أَنْ عَدُوَّنَا شَرُّ مِنَّا)، وَلَنْ

يُنصَرُوا عَلَيْنَا وَإِنْ أَدْنَبْنَا، فَكَمْ مِنْ قَوْمٍ قَدْ سُلِّطَ -
أَوْ سُخِّطَ - عَلَيْهِمْ بِأَشْرٍ مِنْهُمْ لِذُنُوبِهِمْ.. رواه أبو
نعيم في الحلية برقم (7502) .

* الحقيقة السابعة:

أمةٌ تسعى للتخلي عن الواجبات الشرعية، وذلك
باختلاق مسببات منكرة، وأمور في الفطرة
مستقذرة إلا من - رحمه الله -، ولك أكبر شاهد من
تاريخنا المعاصر مع الأحداث الأخيرة، وما كان
فيها من خطأ، توى الكثير من أنكر الجهاد
برمته ولم يبق أو يذر فكل جهاد في الدنيا هو
من شأن من سموهم " الإرهابيون " فتسمع العواء
من كل بلاد العالم، وتطاولت أعناق النفاق بأبواق
الأعداء بقولهم ألم نقل لكم؟! ألم نخبركم؟! ولم
يستثنى من ذلك أحد حتى في فلسطين، وفي
العراق، وأفغانستان، وفي كل الثغور، فلم يعد
هناك مجاهد يحمل للإخلاص راية، تلاشت قضية
الأمة، ورفِعَ عنها الواجب، ومسحَ فرض الجهاد، كل
ذلك بسبب بعض المماسك، ووالله لزوال الدنيا أهون
عند الله من طمس فرض فرضه، وما نراه ونسمعه لا
شك أبداً أنه يُجسّد مدى الغنائية التي تُكوى الأمة
بحر اعوجاجها، وفقدان المرجعية التنظيرية
إلا في قلة ابتلعتهم الضبابية القاتمة عن
مسرح الأحداث يُصارعونها بل مع كلمات تخرج
إلى الأمة مجهدة، وهذا منهج أعداء الملة قديماً
وحديثاً فيحملوا خطأ أبناء الإسلام الإسلام نفسه
لينالوا منه ليهون عند مريديه، ويقدموا

التنازلات عن بعض فرائضه وواجباته، وليس العجيب أن نرى هذا من الأعداء، ولكن العجيب أن نسمعه ممن لهج بلُغَتِنَا، ودان بِمِلَّتِنَا؛ والقولُ أن نقولَ لهم: كم من الشجبِ والتنديدِ سمعناه منكم على مر عقود من الزمان وكانت ثمرته لا حراك (أسمع جعجعة ولا أرى طحيناً) فاللهيق لدينا معلوم، وغايته مفهومة، فلقد علمتنا هذه العقود من الزمن أن عواءكم، وسكوتهكم سواء، ولو كان لصرخاتكم ومض صدى لرأينا آثارها في فلسطين قبل أن تحمل بِجِيلِنَا الأرحام!! ولو باليناكم لهان علينا ديننا من أيام القوة الكنسية .

* وقفات مع الغنائية:

ماذا جنت أفغانستان من عواطفنا؟ وماذا حصدت فلسطين من مظاهراتنا؟ وماذا نل العراق من صرخاتنا؟ أقول: لا شيء، ومن هنا يتبين لك من نحن! نحن اليوم لا شيء فعواطفنا وصرخاتنا لها فلك تجري فيه وهو فلك من دخله كمن لم يدخله واستثني الثالثة.

* خاتمة:

قد يقول قائل أهذه رسالة يأس؟! أقول بل هي صفحة أمل ولكن بعد الخلاص من الغنائية ولأجل تجسيد صورة جلية تفجر الأفق وضوحاً أسأل هذا السؤال الطويل المُفَقَّر وهو هل هناك استعداد لدى من بيده الأمور أن يتخلص من سخط الله وغضبه

ووعد عقابه المتمثل في البنوك الربوية؟
الجواب لا.

وهل هناك استعداد لإغلاق القنوات الإباحية؟
الجواب هذا حلم.

وهل هناك استعداد لترك العمالة الغربية؟
الجواب أبداً.

وهل هناك استعداد لتطبيق الشريعة الإسلامية
على مراد الله؟ الجواب محال.

وهل هناك استعداد لإعادة الدول الإسلامية
المحتلة؟ الجواب خيال.

وهل هناك استعداد لفتح الحدود لمتطوعي
ومريدي الجبهة للجهاد في الأرض المحتلة؟
الجواب خيال.

وهل هناك استعداد لحضرٍ ومنعٍ وقمعٍ كل
القنوات والمشارب التي تقوم بإفساد الأمة، ونشر
النور الرباني دعوة صادقة مدعمة بسطوة
السلطة لأجل تربية الأمة وإنقاذ الأجيال من
الانسلاخ في سحيق الثقافة الغربية والشرقية
التي تجرّها إلى سرعة العقاب وشديد العذاب؟
الجواب لا.

إذا نحن لا نريد طاعة الله نعم لا نريد هذه هي
الحقيقة بلستثني طائفة على الحق ظاهرة
تقاتل عليه، وبالمقابل هناك استعداد
لاستقبال كل فساد، ودون أي ممانعة، وعلى جرعات
متشكلة، وفي قوالب حضارية، وأحياناً دينية،
فسفينتنا إلى مزيدٍ من الربا، إلى مزيدٍ من

العمالة، إلى مزيد العلمنة، إلى مزيد الإباحية، إلى مزيد القوانين الغربية، إلى مزيد من التبليد، والغثائية والإنحطاطية، والبعد عن الشريعة الربانية، الرسالة النبوية، وأعان الله من يلاطم الأمواج في قلب السفينة فهو بين لطمات الأمواج ولطمات السقّان والركبان .

* أمل:

عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول " لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال فينزل عيسى بن مريم - صلى الله عليه وسلم - فيقول أميرهم تعال صل لنا فيقول لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمه الله هذه الأمة . رواه مسلم وغيره واللفظه.

1425 / 3 / 7 هـ

المصدر:

<http://www.awda-dawa.com>

=====

زمن الهوان العربي

كمال السعيد حبيب

حاولت الرجوع إلى أقرب قاموس لغوي لمطالعة معنى "هان" ويهون؛ ذلك لأن ما يحدث في الواقع العربي المعاصر أبعد بكثير كما نتصور عن معنى الهوان في القواميس اللغوية. وتدور معاني الكلمة حول الذل، والسهولة، والخفة، وكأن وضع اللغة العربية كلغة كريمة عزيزة تعرضت باستحياء لمعنى الهوان لحد أنني وجدت صعوبة في العثور عليها، ولأنني مهتم بأن مدخل اللغة هو أحد أهم المداخل لفهم الواقع السياسي والاجتماعي؛ فإن مادة "هون" تعطيك تفسيراً لما يجري وما جرى في قمة شرم الشيخ والعقبة فالقاموس يقول "هان فلان" أي ذل، وهان الشيء على

أهله أي سهل عليهم وخف فهو هين، وهون الشيء أي سهّله وخففه، وهون الأمر أي استخف به، وتهاون بالأمر أي استخف به أيضاً. فأنت تجد أن معنى الهوان يجسد في الواقع بأكثر مما شرحتة اللغاة وفسرته، فالهوان العربي أي الذل الذي يجعل القادة العرب لا يملكون مقاومة من يستهين بهم إلى حد أن يعظم ويمجد آلام العدو وقيمه كما فعل "محمود عباس" حين تحدث عن آلام اليهود وعذاباتهم دون أن يشير إلى عذابات قومه وآلامهم أو دون أن يشير إلى أن هذه العذابات هي بسبب ممارسة الوحشية ضد أهله وبني قومه.

ثم الهوان والذل مرتبط أقوى ارتباطاً بالتفريط والاستسهال؛ فالذليل لا يمكنه المدافعة ولا المقاومة كما أنه لا يشعر بقيمة ما يملكه، وإذا شعر فإنه لا يملك إرادة الدفاع عنه. وأنت تلاحظ ذلك في قمة شرم الشيخ والعقبة حيث التفريط والاستسهال من الجانب العربي إلى حد لا يمكن تصديقه، فأبو مازن يتحدث عن ضرورة إنهاء "عسكرة الانتفاضة"، والرئيس المصري يتحدث عن "ولايات الإرهاب الموجه ضد الإنسانية"، و"رفض ثقافة التطرف والعنف في أي شكل كان" - فأى استسهال أكثر من هذا.. وهو استسهال يصل إلى حد التبعية الفكرية والقيمية للعدو حتى تبدو كلمة "الإنسانية" وكأنها ضد الإنسان العربي والفلسطيني؛ فلماذا الإرهاب الموجه ضد الإنسانية..؟ وماذا عن الإرهاب الصهيوني الموجه ضد الإنسان الفلسطيني بعامة، من الطفل الذي لا يزال في رحم أمه؛ وحتى الشيخ الهرم الذي كاد الموت أن يقبضه؟ الإنسانية هنا كلمة مراوغة تعني الإنسانية من المنظور الأمريكي والصهيوني؛ فالإنسان هو الرجل الأبيض الذي يدين بالمسيحية واليهودية.

إنها مركزية "الأنا" ذات الطابع العنصري الاستيطاني الودشي الذي دشنته أمريكا ضد الهنود الحمر ثم الصهيونية في فلسطين. إننا بإزاء حالة نفسية عربية جوهرها شعور عميق بالذل والحقارة صاحبها استسهال لكل القيم العزيزة والغالية؛ بل واستخفاف بها.. لم يعد شيء يستحق أن نناضل من أجله أو نحافظ عليه بعد شعورنا بالذل والحقارة.. هكذا النفسية العربية التي تعاملت مع واقع قمة شرم

الشيخ والعقبة لحد أن هذا الشعور بالذل والاستسهال والاستخفاف جعل "بوش" يتعامل مع القادة العرب بروح بيت الشعر العربي "من يهن يسهل الهوان عليه". وفي الواقع فإن خارطة الطريق هي خريطة "تعميق" الهوان العربي، وكأن الأمريكان والصهاينة يؤسسون لمدرسة الهوان العربي التي لا تعرف المقاومة ولا تملك روحها، التي تسترخص كل الأشياء فإذا بها تهدرها حتى دون أن يطالبها عدوها بذلك. فأى دولة تلك التي يتحدث عنها "بوش" وهي فضلاً عن كونها شيئاً غائماً لا يزيد عن 6% من مساحة أراضي الضفة وغزة فإنها قادمة عام 2005م وإلى جوارها دولة يهودية مفعمة بالحياة والحيوية كما تجرأ بوش وأعلن ذلك في قمة العقبة. إننا في العالم العربي بإزاء عالمين من القيم.. قيم العزة والكرامة والتضحية من أجل حياة الأمة وبقائها، وقيم الهوان والاسترخاض والاستسهال والذل والشعور بالحقارة وأنه لا مستقبل وراء مجرد المصلح والكراسي والبقاء الفردي الذاتي. وتقف أمريكا لحماية من ينشرون معاني الهوان ضد الذين يقاومونه.

قمة شرم الشيخ:

كان الشعب المصري ولا يزال ضد "مقدم" بوش الابن الأول إلى مصر وهو ضد ما جاء لتدشينه في "شرم الشيخ"، التي أصبحت عنواناً على المطبخ الخلفي الذي تملى فيه إرادة الأعداء وتحاك فيه المؤامرات والبيانات ضد قيم الأمة العربية والإسلامية. عنوان شرم الشيخ هو تعبير عن العزلة وتعبير عن الهوان والاستسهال أيضاً؛ ففي عام 1996 استضافت شرم الشيخ قمة مثلت أول جبهة عالمية ضد المقاومة الإسلامية في فلسطين ووصفتها بالإرهاب، وبعدها بدأت حماس عملياتها الاستشهادية لتأكيد حقها في المقاومة والدفاع والمدافعة، وتأتي

قمة شرم الشيخ في 3 يونيو لتتماس بقوة مع قمة شرم الشيخ الدولية عام 1996 ولكن هذه المرة بحضور عربي وإملاء أمريكي، أي أن أهل البيت العربي نفسه هم الذين يملكون الطرف الرئيس في اعتبار المقاومة ضد المحتل إرهاباً، لا ليس هذا فقط بل وكما قال الرئيس المصري في بيانه: "سنستخدم قوة القانون لمنع وصول الدعم إلى المنظمات غير الشرعية بما في ذلك الجماعات الإرهابية"،

والمعلومات تشير إلى أن "بوش" حاول فرض ذكر "حماس" و"الجهاد" بالاسم لكنه لم يفلح في ذلك لأن الدول العربية لا يمكنها في بيان رسمي أن تعتبر "حماس" و"الجهاد" منظمات إرهابية لأنها منظمات مقاومة مشروع وهي التي تحمي الأمن القومي العربي بما في ذلك أمن مصر على الجبهة الشرقية. وكما هو معلوم فإن قمة شرم الشيخ والتي حضرها من الجانب العربي، السعودية والبحرين ومصر والأردن والسلطة الفلسطينية ممثلة في محمود عباس ظلت معلقة لمدة ساعتين لمقاومة الضغوط الأمريكية التي فرضت إملاءاتها على الحكام العرب، ووصف "بوش" بأنه جعل مجريات الأمور في قمتي شرم الشيخ والعقبة تسير على هدى ما يفعله راعي البقر مع ماشيته، وتحدثت تقارير صحفية عن أن بوش قال وهو في طريقه إلى الدوحة للصحافيين على طائرتة الرئاسية: "استخدمت تعبير راعي القطيع ولا أعلم ما إذا كان أحد فهمها في الاجتماع الأول".

ومن المثير للأسى أن يرفض السفاح شارون الحضور إلى شرم الشيخ حتى لا يمنح جائزة إلى مصر، حتى لا يعزز دورها في عملية التسوية السياسية؛ ففي صحيفة "يدعوت أحرنوت" تحدثت عن كواليس القمة وقالت: "مبارك استلم إشعاراً من واشنطن وأعلن على الفور "ليس عندي مانع من استضافة شارون في شرم الشيخ"؛ إلا أن أحد مساعدي بوش صرح بأن عقد القمة هو جائزة للمستضيف وبالتالي تقرر تقسيمها مناصفة بين مبارك والملك عبد الله، مبارك حظي بشرم الشيخ بسبب دوره في الوساطة الفلسطينية لوقف العمليات، أما عبد الله فقد حظي بجائزته إثر التسهيلات التي قدمها للأمريكيين خلال حربهم في العراق، وتحدثت صحيفة هاآرتس عن أن السفاح رفض الذهاب إلى شرم الشيخ حتى لا يسهم في تضخيم قوة مبارك، ولأن مبارك وعده بزيارة مصر بعد تشكيل الحكومة لكنه لم يف بوعده مما أغضب السفاح.

وحاولت أمريكا أن تفرض عملية تطبيع كاملة بين الدول العربية بما في ذلك السعودية كهدنة للكيان الصهيوني لكن العرب تحدثوا عن أن مبادرة ولي العهد السعودي تتضمن ذلك، وتحدثت المصادر عن أن مصر والأردن يختاران سفيريهما للعودة ثانية إلى الكيان الصهيوني، وقال مبارك إنه لا يوجد أي مشكلة

في تعيين سفير جديد لإسرائيل طالما أن هناك بواذر عملية لتطبيق خريطة الطريق الأمريكية.

بيانات شرم الشيخ:

في قمة شرم الشيخ ألقى بوش بياناً وألقى مبارك بياناً عن الطرف العربي، وفي بيان مبارك - وهو الأساس في المسألة - رحب بالالتزام الأمريكي بتطبيق خارطة الطريق وطرحه لرؤية إقامة دولتين إسرائيلية وفلسطينية تعيشان في أمن وسلام، وهذا كان جزءاً من الديباجة التي أشارت إلى القرارات الدولية السابقة ومبادرة ولي العهد السعودي، وفي المضمون قال البيان: "نحن نؤيد إصرار السلطة الفلسطينية على الوفاء بمسؤولياتها في إنهاء العنف وحفظ الأمن والنظام الذي أعلنه رئيس الحكومة محمود عباس، وسنستمر في دعم جهود السلطة الفلسطينية نحو الالتزام بتعهداتها لتمكينها من تثبيت سلطاتها في إطار مؤسسات ديمقراطية مسؤولة" وأضاف البيان: "وسنتأكد من أن مساعدتنا لفلسطين ستوجه فقط إلى السلطة الفلسطينية"، وسنستمر في محاربة ويلات الإرهاب الموجه ضد الإنسانية، ورفض ثقافة التطرف والعنف في أي شكل كان ومن أي مصدر انطلاقاً من أي مكان بصرف النظر عن الدوافع والتبريرات إدراكاً منا لمخاطرها كوباء يهدد الأمن والاستقرار في العالم أجمع"، "سنستخدم قوة القانون لمنع الدعم عن المنظمات غير الشرعية بما في ذلك الجماعات الإرهابية"؛ أما بيان بوش فقد قال: "أسعدني أن أقف مع قادة العرب الملتزمين بهذه المبادئ وأن كل تقدم نحو السلام هو رفض للإرهاب. وأعلن الزعماء رفضهم الثابت للإرهاب بصرف النظر عن مبرراته أو دوافعه.. استخدموا كل الوسائل لقطع كل المساعدات بما فيها الأسلحة والتمويل لأي مجموعة إرهابية"، والتزموا بمساعدة السلطة الفلسطينية في حربها ضد الإرهاب؛ فالإرهاب يهدد أمريكا والدول العربية وإسرائيل ويهدد إقامة الدولة الفلسطينية، وهناك ضرورة لمواجهته وإحاق الهزيمة به"، وبالفعل فحن أمام بيان يستجيب للمطالب والإملاءات الأمريكية وبيان يقول "الاستجابة للمطالب الأمريكية والسعي في ركبها سوف يقدم لكم الحماية والاستمرار في الزعامة"، ويبدو أن أمريكا بالفعل ترى أن الجلوس إلى بعض الزعماء العرب هو

جائزة لا يجب أن تمنح إلا لمن يطأطئ رأسه لكافة المطالب التي يتقدم بها الإمبراطور الأمريكي. وبشكل عام يمكن القول إن البيانات أكدت الآتي:
أولاً: إضفاء الاعتراف بالاحتلال الأمريكي للعراق عبر اعتبار القرار 1483 وسيلة مفيدة للوصول إلى إجراءات إعادة الإعمار والحفاظ على حدوده ووحدة أراضيه وهذه أول مرة في التاريخ العربي والإسلامي يتم الاعتراف رسمياً بالاحتلال الخارجي لأرض عربية.

ثانياً: اعتبار حماس والجهاد منظمات إرهابية غير مشروعة ومن ثم منع الدعم عنها بكافة أشكاله.

ثالثاً: دعم السلطة الفلسطينية في شن حربها على منظمات المقاومة.

رابعاً: رفض ثقافة التطرف والعنف في أي شكل كان وهو ما يعني إمكان اعتبار الدعوة للمقاومة ضد المحتل الأمريكي أو الصهيوني بأي شكل كان سلمي أو عسكري تطرفاً وعنفاً يجب أن يواجه ويحاصر ويحاكم.

خامساً: تأسيس حلف في المنطقة تقوده أمريكا والكيان الصهيوني والدول العربية التي تتبنى القيم الأمريكية لمواجهة "الإرهاب".

بيانات العقبة: ألقى كل طرف مشارك في قمة العقبة بيانه، ولا يوجد في بيان الملك عبد الله شيئاً ذا قيمة لكن بيان السفاح شارون أكد على أن فلسطين / إسرائيل هي مهد الشعب اليهودي وأن مسئوليته الأولى هي أمنها دولة وشعباً وأنه لن يساوم مع الإرهاب حتى هزيمته، وأشار إلى أن مصلحة إسرائيل هي في حكم الفلسطينيين أنفسهم في دولة خاصة بهم لكن السلام لا يتحقق من دون التخلي عن الإرهاب والعنف والتحريض.

أما بيان أبو مازن فقد تحدث قائلاً: "لكي أكون صريحاً لا يوجد حل عسكري لصراعنا ونكرر رفضنا وإدانتنا للإرهاب والعنف ضد الإسرائيليين أينما كانوا"، "سنبذل كل جهدنا لإنهاء عسكرة الانتفاضة والانتفاضة المسلحة يجب أن تنتهي وعلينا أن نستخدم الوسائل السلمية في سعينا لإنهاء الاحتلال".

"نهاية كاملة للعنف والإرهاب وسنكون شركاء كاملين في الحرب الدولية ضد الإرهاب"، "سنعمل ضد التحريض على العنف والكرهية مهما كان شكله وأيا كانت وسائله"

أما بيان بوش فقد ذكر: الولايات المتحدة اليوم ملتزمة بقوة وأنا ملتزم بقوة بضمان أمن إسرائيل كدولة يهودية تنبض بالحياة"، "وعد بإنهاء الانتفاضة المسلحة، ووعد بالعمل من دون مساومة من أجل وضع حد للعنف والإرهاب"، "إنهاء العنف وإزالة كل أشكال الحقد والأذى والتحريض الرسمي في الكتب المدرسية وفي وسائل الإعلام وفي الكلمات التي يستخدمها المسؤولون السياسيون". تشير البيانات إلى الآتي:

أولاً: إنهاء الانتفاضة الفلسطينية بشكل لا يقبل التأجيل أو التهاون.

ثانياً: حرمان الفلسطينيين من حق العودة إلى بلدانهم بالاعتراف بالكيان الصهيوني كدولة يهودية تنبض بالحياة.

ثالثاً: مشاركة السلطة الفلسطينية بشكل كامل في الحلف الأمريكي للحرب على الإرهاب.

رابعاً: منع وحصار ثقافة الجهاد والمقاومة بما في ذلك منع آيات الجهاد والمقاومة من الكتب المدرسية وفي وسائل الإعلام وكلمات المسؤولين.. أي أن الأمر يرتبط بتغيير الثقافة الفلسطينية ذاتها.

لكن التساؤل الجوهرى هو لماذا كل هذه التنازلات المهينة وبأي ثمن أو مقابل؟ يبدو أن القادة العرب يدركون أن الأوضاع حولهم تغيرت بعد أن أصبحت أمريكا جزءاً من العالم العربى بعد احتلالها للعراق وأن عليهم أن يدوروا في الفلك الأمريكى لكي يظلوا محتفظين ببقائهم على كراسيهم وعروشهم...

المصدر:

<http://www.alsunnah.org>

في زمن ضاعت فيه الحقوق

إن المتأمل في واقع المسلمين اليوم يحتاج إلى مجلدات من الإرشاد والتوجيه، ففي هذا الزمن زمن اللامبالاة، زمن اضطربت فيه العلاقة مع الله ثم مع الآخرين،

فهناك أمر عظيم واضح وجلي الزم الله المسلمة به إلزاما جادا حقيقيا وهو حق الزوج. فما بقي للمرأة العصرية في أيامنا هذه من مهام الحياة وأعباؤها إلا القليل حيث قامت بنات " أندس " بتحمل الكثير فربما قد تكون هذه فرصة لتتيح للزوجة القيام بحق زوجها على أكمل وجه. وفيما روي عن عائشة؟ أنها قالت: {سألت رسول الله؟ أي الناس أعظم حقا على المرأة؟ قال: زوجها، قالت: فأبي الناس أعظم حقا على الرجل؟ قال: أمه} ويؤكد رسول الله؟ هذا الحق فيقول: {لو أمرن أحدا أن يسجد لأحد، لأمرن المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها} رواه الترمذي وابن ماجه.

فتألمي أختي المسلمة عظم حق الزوج الذي كاد أن ينقرض، فالمرأة اليوم تتعامل مع الرجل بمبدأ المساواة لا بمبدأ القوامة التي جعلها الله من خصائص الرجال، وأعلمي أن أكثر ما يدخل المرأة النار عصيانها لزوجها وكفرانها إحدانه إليها، فعن ابن عباس؟ أن رسول الله؟ قال: {اطلعت في النار فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن العشير، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئا قالت: ما رأيت منك خيرا قط} رواه البخاري.

وهناك نماذج من الزوجات تجدينها تصلي وتصوم وتتصدق ولكنها عاصية لزوجها، لا تنفذ له طلبا، ولا تلبى له رغبة، إن حاورها جادلته، وإن ناقشها رفعت صوتها وتناولت عليه، عابسة في وجهه، عاقدة للحاجبين، مهملة في بيتها وأولادها، نائمة، ضخابة بالأسواق دواجة – لا تكف عن كلمة هات وإن منعها أقامت الدنيا وأقعدتها، تجدينها دائما بثوب البيت وإذا أرادت الخروج لبست أحسن الثياب، أما الزوج المسكين فليس له نصيب في ذلك، وانظري إليها بين صوحيباتها توزع الابتسامات هنا وهناك وللزوج النصيب الأكبر من التشاؤم والتشكي والاكنتاب، وقد جاء في الحديث أن رسول الله؟ قال {خير النساء من إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالها}.

فكم من الأزواج يظلمهم سقف واحد ويملاً رأس كل منهما أهداف متنافرة، انعدمت الثقة بينهما فلا تفاهم ولا ود ولا تسامح، وأعلمي يا أختاه أن من أسباب السعادة تنفيذ أوامر الله؟ في كل أمر، ليس أن تختاري ما يوافق هواك وتدعين الباقي. ولا

تلقي اللوم على زوجك، فبيدك أنت بعد أمر الله مفتاح السعادة، كوني له أمة يصير لك عبداً، وكوني له أرضاً يكون لك سماء، واختم مقالتي لك بحديث روته أم سلمة؟ عن رسول الله؟ أنه قال: {أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راضي دخلت الجنة} فعليك بمعرفة الله فمعرفة الله تستوجب حبه، وحبه يستوجب طاعته.

المصدر:

<http://www.islammesssage.com>

=====

التفاؤل في زمن اليأس

محمد علي سالم

الحمد لله الذي أفاض على عباده النعمة، وكتب على نفسه الرحمة، وأن رحمته سبقت غضبه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، - صلى الله عليه وسلم - وخير الهدي هدي محمد - صلى الله عليه وسلم - الذي كان يستعيز بالله من الهم والحزن، ويعجبه الفأل، وخير الحديث كتاب الله الذي يقول فيه: (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين).

أشير إلى غزو القراصنة للعراق قائلاً: لا تسمع لليائسين والمتشائمين الذين يفتون في عضد المسلمين، فهؤلاء لن يصنعوا تاريخاً، ولن يقودوا جيلاً، إذ أن فاقد الشيء لا يعطيه، إن علاج المصائب لن يكون بالوجوم والتحازن، ولكن بالرأي السديد والعمل الرشيد، ولا شيء يدمر إمكانيات الأمة ويدحر مستقبلها أكثر من الحزن واليأس والقنوط، وصنيعهم هذا كصنيع الذين استعبدتهم أمريكا فيريدون من الناس تأليه أمريكا والاستسلام لها بالتحليلات التي يتشددون بها ويزعمون دقتها وينشرونها بين الناس، مرجفين بالسيطرة المطلقة لأمريكا، كأن ما تريده أمريكا يكون، وما لا تريده لا يكون، وأنها تعلم ما كان وما يكون، والعياذ بالله من الكفر والجبن، وكم خاب ظنهم وبطلت تنبؤاتهم، لكنهم لا يتوبون ولا هم يذكرون، فأمریکا لم ولا ولن تملك العالم، فالملك لله الواحد القهار، ولا تدبر أمريكا الأمر، قل إن الأمر كله لله.

إن غزو الأمريكان للعراق معركة وليست حرباً، يوم بيوم والحرب سجال، ولسنا سواء ففتلانا في الجنة وقتلاهم في النار، ونحن في انتظار وعد الصادق المصدوق

- صلى الله عليه وسلم - بالنصر والتمكين، ففي مسند ابن أبي شيبة وفي المستدرک على الصحيحين عن عبد الله بن عمرو قال: بينما نحن حول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نكتب إذ سئل: أي المدينتين يفتح أولاً قسطنطينية أو رومية؟ فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : بل مدينة هرقل أولاً تفتح، يريد قسطنطينية، وقد فتحت منذ 1492م على يد السلطان محمد الفاتح - رحمه الله -، وسميت مدينة استامبول، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون، فنحن على وعد صادق بفتح مدينة روما، كما وعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بفتح الشام والعراق وهو محاصر في غزوة الأحزاب فقال المنافقون يومئذ ((ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا)) [الأحزاب: 12]، وقال المؤمنون ((صدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً)) [الأحزاب: 22].

إن الحرب مع الروم مستمرة فقد قال الله - تعالى - : ((ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا)) [البقرة: 217]، وعدواتهم مستمرة فقد قال: ((ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم)) [البقرة: 120]، وروى الإمام أحمد عن المستورد قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: أشد الناس عليكم الروم وإنما هلكتهم مع الساعة. وفي مسند ابن أبي شيبة عن ابن محيريز قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (فارس نطحة أو نطحتان، ثم لا فارس بعدها أبداً، والروم ذات القرون أصحاب بحر وصخر، كلما ذهب قرن خلف قرن مكانه، هيهات إلى آخر الدهر هم أصحابكم ما كان في العيش خيراً). فالعداوة والحرب مستمرة إلى يوم القيامة، ولن تنتهي بمعركة.

ولا تلتفت لأوهام المعرضين عن هذه المعاني جهلاً أو هوى، وألقِ سمعك لحديث أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - عندما سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : هل مرّ عليك يوم أشد من يوم أحد فقال: (لقد لقيت من قومك - وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة - إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا بـ (قرن الثعالب) فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: (إن الله - عز وجل - قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد

بعث إليك ملك الجبال، لتأمره بما شئت فيهم، قال: فناداني ملك الجبال، وسلّم علي، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فيما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال له الرسول - صلى الله عليه وسلم -: (بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً) رواه مسلم.

كذلك نحن نرجو أن يخرج الله من أصلاب هذا الجيل من يطرد الغزاة من أرض العراق وفلسطين وديار المسلمين كلها، هذا التفاؤل وحسن الظن بالله - تعالى - مطلوب مع الإقرار بالضعف وعظم المصائب ووجوب التغيير، وذلك إيماناً بالله، وثقة بالنصر الموعود، كما قال - صلى الله عليه وسلم -: (والله ليتمنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون) عندما اشتكى إليه بعض الصحابة تعذيب قريش لهم.

قال - تعالى -: ((ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتهم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين)) [آل عمران: 152]، هذه في غزوة أحد، وأشهد أن الله - سبحانه وتعالى - قد أرانا بعض ما نحب في هذه الحرب، فسقطت بعض طائراتهم وسلط عليهم ريحاً تفسد عملهم وقتل بعضهم بعضاً، واستعصت عليهم قرية أم قصر، ولكن خيانة قيادة العراق المناقفة أصلاً سلمت القصر والعرش الجمهوري نفسه، وتكاملت مع خيانة الأعراب والفرس والأكراد من حولها، فازدهرت سوق النفاق والخيانة في هذه الأيام، ولو كان ذلك بالتفريط في جميع القيم الدينية والقومية والأخلاقية وبالتفريط في المصالح الإستراتيجية والتاريخية للوطن والشعب والأمة، وما كان لأمرىكا أن تنتصر لولا هذه الخيانات.

إن هذا يبعث الأمل في النفس بالنصر لو كانت القيادة صادقة مؤمنة، فهناك الأبطال الذين هبوا للاستشهاد ولنصرة العراق من كل حذب وصوب، فخانهم فدأيو صدام، وعذبتهم المخابرات السورية، وهناك الشعب الصبور الذي يتناسى

وي- تعالى - على كل ما أصابه من قهر وظلم، ورب غفور رحيم يصدق الوعد وعزيز حكيم يمنح النصر، لكن من يخذل أمر الله يخذله الله، فضلت قيادة العراق المجرمة الاستسلام على مواقف العز والشرف، وآثروا الدنيا التي لم يبق لهم فيها شيء على الآخرة التي لم يؤمنوا بها ولم يعملوا لها، فالنار والعار أولى وأقرب إلى أجسادهم التي نبتت من سحت، وما كان الله لينصر أمثالهم.

وأبشروا بخروج الأمريكان سريعاً كما دخلوا سريعاً، فمن سهل دخوله سهل خروجه، ولن يرضى أبناء الإسلام في العراق بهذا الظلم والغزو وإن أدهشتهم هزيمة النظام وجلبه العدو وتشويش المعارضة، وأعدت لهم الخلافات العميقة والمصائب المتراكمة عن سرعة الرد والتنبه لمخاطر الغزو، وسيمن الله عليهم بالنصر والتمكين، وسيري الله بوش وشارون وملاهم منهم ما كانوا يحذرون، ولو رأى الناس ذلك بعيداً.

وأبشروا بخراب أمريكا، فقد قال - تعالى - : ((فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون)) [النمل: 52]، فقد ظلموا العالم وكسبوا عدواته ولوثوا البيئة وانتهكوا الحريات وحقوق الإنسلان في بلادهم كما فعلوا في غيرها، وأصبحت محاكمهم مثل محاكم التفتيش وإجراءاتهم القضائية أسوأ من إجراءات قانون الطوارئ والأحكام العسكرية في العالم الثالث، وقد وقعت إحدى انتفاضات السود في أمريكا بعد حرب الخليج الثانية، وربما تقع بعد هذه الحرب كذلك منهم أو من غيرهم، فوالد الجندي الأسود لم يرض بفقدان ولده الوحيد، وأكثر قتلى الأمريكان هم من ذوي الأصول الأسبانية وممن لا يحمل الجنسية الأمريكية، وستجد الحرب الداخلية بينهم من يسعّر لها، ولعبة الفتن والحروب الداخلية التي تنتقنها الإدارة الأمريكية ربما ترتد عليها، ولعل جورج بوش لعنة على الأمريكان فقد قسمهم عند مجيئه وفي حربه وسيقسم الأمريكان أكثر عند خروجه.

إننا بحاجة إلى الأمل الذي يحيي النفوس، والعمل الذي يتجاوز بنا هذه المرحلة المظلمة، ((ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض)) [محمد: 4]، لا لدفق اليأس في القلوب، فاليأس والإحباط بضاعة فاسدة تصدر من قلوب كاسدة في الخير زاهدة، ليست في العمل جادة.

إننا نطلب المعجزات والكرامات وإيقاف السنن الإلهية وخرق العوائد ونحن لم ننصر أمر الله ولم نكرم دينه ولم نتخلف عن عاداتنا السيئة. وفوق ذلك نستعجل النصر على الأعداء بلا جهاد ولا إعداد ، أليس ذلك ظلماً.

إن الله - عز وجل - لا يعجل لعجلتنا، ولا تتحول سننه لأهوائنا ولا لأحزاننا، وسنن الله لا تحابي أحداً، فلنعمل لله دوماً، ولنصبر ولنصابر، فإذا لم ندرك نحن ثمرة النصر فليقطفها أبناؤنا، وعمر الإسلام أطول من أعمارنا والعاقبة للمتقين، والله - تعالى - بيده الأمر كله، وليست الذلة والمرارة التي تعيشها الأمة الإسلامية حتماً صارماً لا يزول، فليس بعد الظلام الدامس إلا الفجر الساطع وربما سبقه فجر كاذب، وليس صحيحاً ما يردده الأمريكي المتعطرس من نهاية التاريخ، فهو إما غاش مخادع و أما مغرور جاهل بل التاريخ في دورات متعاقبة يتحقق فيها التقديم والتأخير والتمكين والاستضعاف.

وعليك بهذه الآية ((فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفك الذين لا يوقنون))
[الروم: 60] وإن كثرت اليوم والغربان في هذا الزمن فـ ((الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون)) [الروم: 4]، وسيقول المتشائمون حينئذ: ويكأن الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم.

المصدر:

<http://www.alsunnah.org>

=====

آه يا زمن

يحيى زيلع

يُقال إنَّ: الابتسامة تريح سبعةً وثلاثين عضلةً في الوجه. حقاً إنها معلومة قيمة ويزدان جمالها يوم أن توشح بالمعاني الإنسانية الفاضلة. الابتسامة الصادقة هي الحلم ... في زمن العواطف المتأرجحة.. وهي البلمس الشافي ... للعلاقات المصاوبة (بالأنيميا الحادة).

نحن ندرك أنَّ القلب مذبح الصفاء وتقاسيم الوجه معمل الأدلة. فيه يفتضح من ضحك ممن تضاحك... ومع ذلك تبقى أفنعة الزيف والخداع في مدها وجزرها.. رغم تلميح العقلاء وتصريح الشعراء بعدم الاغترار بها:

إذا رأيتَ نيوب الليث بارزة * * * فلا تظننَّ أنَّ الليث يبتسم
مشكلتنا نحن المبصرين وبعضنا من أهل الستة على الستة.. أنا لا نكتشف أنياب
المخادعين إلا بعد أن يقع الفأس في الرأس! عندئذٍ يكون العمى أحبَّ الأمانى، حتى
لا نشهد مصارعنا بأعيننا.. حينها نردد مع أبي الطيب المتنبى:
كفى بك داءً أن ترى الموتَ شافياً * * * وحسب المنايا أن يكنَّ أمانيا
إضاءة: لا شك أن الضحك يريح الجسم كله...ولكن ما رأيكم في الضحك على
النفس أو على الآخرين!؟

المصدر:

<http://www.alnoor - world.com>

=====

معذرة العراق إنه زمن الهوان

إبراهيم العريفان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإيمان والعقيدة... في هذا الزمان، وفي كل مكان.. يراق دم الإنسان.. كل
ذنبه أنه يقرأ القرآن.. لقد سمعنا قبل سنوات كلمات مريرة من أرض البوسنة
والهرسك تقول: نحن لا نريد أن تدافعوا عنا، فلا ترسلوا جيوشكم إلينا، ولا تبعثوا
لنا بالسلاح، ولا نريد صدقاتكم وأموالكم.. فقط أرسلوا لنا حبوب منع الحمل، حتى
لا ينبت في أحشائنا أبناء الصرب!!

كانت هذه الكلمات المريرة لامرأة بوسنية مزجتها بطعم الألم والحسوة والخيبة،
التي ارتوت منها العروق، والتي كانت شاهداً على أعلى صور الخزي والهوان
الذي ضربنا به المثل في ذلك الوقت، والتي حسبنا وقتها أن الأمة لن تمر بتلك
الصورة من التخاذل والمخزي مرة أخرى. وظننا أن بُعد الشقة بيننا وبين البوسنة،
وقطيعة الرحم الإسلامية معها أدت إلى جزء من ذلك التخاذل، فما الذي كانت
تعرفه الأمة عن البوسنة قبل حروبها، وما هي صور التواصل التي كانت بيننا
وبينها!! لا شيء.

واليوم نخشى أن تخرج علينا امرأة أخرى بالنداء المرير الأليم نفسه! ولكن.. ليس من البوسنة هذه المرة.. إنما نخشى أن تصلنا تلك الرسالة من فلسطين.. من بغداد.. من عمان.. من القاهرة.. من دمشق.. من أي بلد عربي أو إسلامي ليس بعيداً عنا، لنا معه روابط ووشائج، نحفظ تاريخه، نعرف حتى أسماء أزقته ودروبه.

وما يمنع؟ فما هي العراق قد رأينا فيها الموتى الجماعي التي كنا نسمع عنها في البلاد البعيدة.. في البوسنة.. في كوسوفا..

وما يمنع من ذلك! وما هي العراق قد رأينا فيها الدمار والخراب الهائل الذي رأيناه في البلاد البعيدة.. في كابول.. في كشمير.

ما يمنع من ذلك! والرسائل الموجهة كتلك الرسالة البوسنية تأتيتنا كل يوم، وما هو مناديهم ينادي:

أعيرونا مدافعكم ليوم.. لا مدامعكم.. أعيرونا.. وظلوا في مواقعكم... ألسنا أخوة في الدين قد كنا.. وما زلنا... فهل هذتم!! وهل هُنا!!.. أيعجبكم إذا ضعنا.. أيسعدكم إذا جعنا.. وما معنى قلوبكم معنا؟ رأينا الدمع لا يشفي لنا صدراً.. ولا ييري لنا جرحاً.. أعيرونا رصاصاً يخرق الأجساد.. لا نحتاج لا رزاً ولا قمحاً.. أعيرونا وخلو الشجب واستحيوا.. سئمنا الشجب والردحا..

في العراق اليوم.. المدينة تلو المدينة تنتظر دورها في الدمار والخراب والقتل والتشريد.. وأمتنا تقف موقف المشاهد، ورغم وضوح الصورة وقوة الصوت وبشاعة المشهد، ورغم العيون التي لم يصبها العمى بعد، والآذان ما زالت تسمع، فإن الاستجابة مخزية.. وكأن القوم يرون مشهداً سينمائياً مؤلماً، أو يسمعون أغنية عاطفية مؤثرة كالتي أشربوها من قنواتهم ومذائعهم.

ماذا نقول لربنا عن خذلاننا لإخواننا في الدين وقد استنصرونا وهو القائل - سبحانه - : { وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ } ماذا نقول لنبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - وهو القائل (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله) وهو القائل أيضاً: (ما من امرئ يخذل امرأ مسلماً في موضع تنتهك فيه حرمة، وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله) ماذا نقول يا أمة المليار عن عائلة عراقية

مؤلفة من خمسة عشر شخصاً قُتلت.. ماذا نقول لربنا عن طفلة عراقية ماتت ولم تتجاوز ستة أشهر.

ماذا نقول.. وهم ليسوا بعيداً عنا فنعتذر بطول السفر؟ ماذا نقول وقد ذُبحوا بغير ذنب، هل نعتذر عن عدم النفرة لشدة الحر: { قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ }؟ ماذا نقول وليس بيننا وبينهم إلا أسلاك شائكة؟

ماذا فعلنا لتلك الدموع المنهمرة التي تستغيث بنا ليلاً ونهاراً.. فما زادنا ذلك إلا فراراً.. فمعذرة العراق.. قد فُجعت بنا ولم نُفجع بك.. عندنا صمت كل شيء، وعندكم حركتم الأرواح تبذلونها رخيصة في سبيل الله.. نحن مُتتاً جُبناً في جلودنا، وأنتم الذين تصنعون الحياة بموتكم.. فمعذرة العراق إنه زمن الهوان..

معذرة أيتها النائحة الثكلى على والد أو زوج أو أخ أو ولد.. فما عادت نخوتنا كما كانت، وما عادت شهامتنا كما كانت.. وما عاد الشرف الرفيع الذي لم يسلم من الأذى تراق على جوانبه حتى قطرة من دمع!!

معذرة بني!! أيها الصغير حين لم تجد فينا رجالاً يضمنونك إليهم، يهدئون روعك، يؤمنون خوفك، يشبعون جوعك، أو حتى يمسحون دمعك!!

معذرة أخي المجاهد.. خذلناك وما خلفناك في أهلك ومالك بخير.. خذلناك وما أمددناك ولا نصرناك.. ولا حتى واسيناك!!

معذرة أيتها النساء.. حزنا بحزنكن.. وفرحنا بقوتكن و صمودكن أمام دبابات وصواريخ تحملون السلاح.. تدافعون عن دينكم وأمتكم..

ألف أسف على أمة يدافع عنها نساؤها.. يحمي أعراضها نساؤها، تجود بأرواحها نساؤها.. حماية للقاعدين.. حماية للمتقاعدين إلى الأرض.. حماية للمخلفين.. فمعذرة العراق..

يا أمة المليار ونصف المليار.. هل تعلمين أن أهلنا في العراق قد تردت أوضاعهم، وكثر عدد شهدائهم، تمزقت أجسادهم، وتقطعت أطرافهم، وانتشروا في الطرقات وتحت أنقاض البيوت، ألا يحق لي أن أقول صارخاً: وا فضيحتاه!! في العراق ... خراب ودمار وقتل وتشريد.

في العراق ... أطفال أبرياء يُقتلون.. ونساء ضعاف يُذبحون.. وشيوخ كبار يُوسرون.

في العراق ... صياح وصراخ وبكاء

اليوم وليس غداً إخوانكم هناك في ثغور دائمة مطيّبين بالكفاح مُضخنين بالجراح.. اليوم الدماء مهدرة والبيوت مهدّمة.. اليوم الجرحى يتساقطون في الشوارع ولا أحد يُسعفهم أو يُنقذهم.. أطفال أبرياء يُقتلون، وسيدات مُسنّات يُذبحن، ومساجد هُدّمت، والصلبيون متسلطون.. والله إن الخطب جسيم، والمأساة أليم.. ونحن والله ثم والله ثم والله مسؤولون عن مناظر القتل والحصار التي نسمع عنها أو نراها عبر الشاشات أو نطالعها عبر الجرائد والمجلات.. مسؤولون عن مناظر القتل والحصار التي يمارسها الصليبية كلاب الروم.. وكثير منّا لا يحرك ساكناً.. تقع أمامهم الحوادث وتتلهم الخطوب، فلا يألمون لمتوالم، ولا يتوجّعون لمستصرخ، ولا يحنون لبائس، بل الأعمى من كل ذلك أنه في ذات الوقت الذي يُذبح فيه المسلمون ترى كثيراً منّا لاهين عن مصابهم في إقامة مهرجانات سياحية تُسوّق للعرش والفجور، أو دورات وبطولات رياضية، أو رقص على جراح الأمة بحفلات غنائية.. فإلى الله المشتكى..

فهل هذا هو الشعور بالإخوة الإسلامية.. وهل هذه هي النخوة العربية التي تميزت بها العرب.. هل يُعقل أن تتحرك المظاهرات في البلاد الأجنبي والدول الكافرة باستنكار ما حدث ثم ترى العرب والمسلمين لا يحركون ساكناً.. إن إخواننا في العراق يودون عنا الواجبات التي قصرنا فيها.. يؤثرونها بعمليات استشهادية حين يقوم شباب منهم بتقديم أنفسهم شهداء في سبيل الله ليقتلون العدو الغادر.. فهم يؤدون الواجب الذي قصرنا فيه.. ثم نحن نقصّر عن دعمهم بالمال، حتى الدعاء بخلانا به، حتى القنوت في المساجد.. ترى كثيراً من أئمتنا وهم من أهل الخير تركوا القنوت.. بالرغم من أنه قنوت أمر به ولادة الأمر في هذه البلاد. فأى ذلّ وأى خور هذا الذي نراه..

إن عمل الصليبية هذا لهو أكبر ردّ على ما يُسمى بمشروع السلام.. ووضّح لنا أن كلاب الروم قوم جبناء لا يهتمهم من السلام إلا ما يتوافق مع مصالحهم، وما يُسوِّغ

بضائعهم وتجاراتهم، فهل نعي ذلك! هل نعي الدور الإجرامي القذر الذي يمارسه الصليبيون في دولة تُسمى زوراً وبُهتاناً راعية السلام، وهي التي تقوم بكل تلك الممارسات.

يا أمة المليار ونصف المليار إن كنت لا تعلمين بذلك ولم تسمعين به فتلك مصيبة، وإن كنت تعلمين بذلك فالمصيبة أعظم.

يا أمة المليار ونصف المليار.. ما بالكم.. أين غيرتكم! أين حسمكم الإسلامي! أين الشعور بالجسد الواحد! أين تمعُر الوجوه! أين عاطفتكم! ألا تتحرك وهي ترى هذه الدماء وهذه التهديدات.. والله إننا لنخشى أن يعمنا الله بعقوباته المتعددة من زلازل وفيضانات وفقد للأمن وجوع وغيو ذلك { وَمَا لَكُمْ لَا تَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا }.

نداءات كثيرة سمعناها، وأهوال كثيرة رأيناها، فما الذي تحرك فينا، تحركنا في تظاهرات صوتية، وبكىنا على أسرة وعائلة عراقية.. ومن حرك منا يده فبالقلم أو بالهتافات والشعارات المنبرية، أو بالدعوة للمقاطعة عن المنتجات الأمريكية تضامناً مع القضية العراقية.

وما أعز وما أفرح الناس إلا تلك الانتصارات التي أوجعت كلاب الروم كثيراً، ففي الوقت الذي صمتت فيه كل الأسلحة.. عسكرية أو اقتصادية أو سياسية.. نطقت أفواه الأطفال والنساء والشيوخ، نطقت أرواح الشهداء في العراق لتسمع العالم كله أن أمتنا لن تموت موت الخراف، ولن تذلل ولن تخضع ولن تساوم، وستقاوم كل الجهود التي تعمل على إيجاد موطئ قدم لدولة إمريكا في أرض الشام.

في العراق لن تحل القضية في مجلس الأمن ولا في الأمم المتحدة، ولا في البيت الأبيض ولا بالدبلوماسية العرجاء، ولا بالتسول السياسي... قضيتنا حسمها الله - عز وجل - فقال: { قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصَرِكُمْ عَلَيْهِمْ وَيُشْفِئُ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ } وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (إذا تبايعتم

بالعينة، وأخذتم أذنان البقرة، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى تعودوا إلى دينكم)..

هذا كلام ربنا، وهذا كلام رسولنا - صلى الله عليه وسلم - أنجيبه؟ هل نقاد له؟ هل نعمل به؟ أم نتركه لقول الأميركيين بأن قتالهم في العراق هو القضاء على الإرهاب.

انتفض أو مت إذا شئت شهيداً
فحديد الموت قد فلّ الحديداً
فجرّ الأرض ودعها شعلة
قطع الباغي وريداً
فوريداً

دُس على هامات أذيال الخنا
بائعي الزور ولا تبقى يهودا
سمها إن شئت عنفاً أو فداءً
أو قصاصاً أو دفاعاً أو
صوداً

أيها المسلم أطلق صرخة
تضع الحامل بالهول
الوليداً

يا شهيد الحق أيقظ أمتي
فالإذاعات غناءً ونشيداً
خذ دمي حبراً وجلدي دفترًا
واكتبه فيه خلوداً يا شهيداً

معاشر المؤمنين.. أبشروا يا مؤمنون أن النصر قريب.. وإن كان هو في نظرنا بعيد.. ولكن مادام الناس على إعراضهم عن عبادة الله بمعناها الحقيقي فسيقون مسخرين لجميع أنواع المتحكمين فيهم من يهود أو أذئابهم، وأما في الوقت الذي تقوم فيه أمة ترفع لواء الإسلام، وتعيد سيرته الأولى فإن جميع من أمامهم من أمريكا وأعدائهم لا يستحقون أكثر من وصف الجرذان فلا يخيف والله العدو ولا أتباع العدو إلا العصابة المؤمنة العابدة لربها التي تجدد مجد أمتها وتعيد تاريخها وما ذلك على الله بعزيز { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَدَّصَرُوا لِلَّهِ يَدَّصَرْكُمْ وَيُنَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ}.

لا بد أيها المسلمون من إعادة الفريضة الغائبة فريضة الجهاد في سبيل الله، لا بد أن نمثّل قوله تبارك و - تعالى - : { وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم} لا بد من التربية الجهادية، لا بد أن يعلم كل أحد ينتمي

إلى الإسلام أن العزة لهذه الأمة مربوطة بالجهاد في سبيل الله، ولا بد أن نحفظ أنفسنا ونساءنا وأطفالنا وشيوخنا، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - (إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم).

ولا يرد العدو الصليبي عما عزمت عليه غير منطق (الجواب ما تراه لا ما تسمعه)!

لقد كان هذا هو منطق أمير المؤمنين وخليفة المسلمين في زمانه هارون الرشيد يوم أطلقها مُدويّة من أرض بغداد. لقد تجرأ نقفور ملك الروم فكتب (مُجردّ كتابة!!!) إلى هارون ملك العرب أما بعد: فإن الملكة التي كانت قبلي أقامتك مقام الرخ وأقامت نفسها مقام البيدق، فحملت إليك من أموالها وذلك لضعف النساء وحمقهن، فإذا قرأت كتابي فاردد ما حصل قبلك وافقد نفسك وإلا فالسيف بيننا! فلما قرأ الرشيد الكتاب اشدت غضبه وتفرق جساؤه خوفاً من بادرة تقع منه، ثم كتب بيده على ظهر الكتاب: من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم!

قرأت كتابك يا ابن الكافرة! والجواب ما تراه لا ما تسمعه. ثم ركب من يومه وأسرع حتى نزل على مدينة هرقل وأوطأ الروم ذلاً وبلاءً، فقتل وسبى وذل نقفور، وطلب المودعة على خراج يؤديه إليه في كل سنة، فأجابه الرشيد إلى ذلك. الله أكبر.

الله أبوك يا هارون الرشيد! ألا يوجد مثلك اليوم رجل رشيد!! والله إن الأمة بحاجة إلى مخاطبة كلب الروم - اليوم - بهذا الخطاب، وبهذه القوة، وبهذه اللغة.

وكم هو والله بحاجة إلى أن يُعرّف قدره. إن طلب الروم يعيث اليوم في الأرض فساداً ولا هارون! أليس منا القائد الرشيد؟ بلى، ولكن الأمة استتوقت! إلا من رحم الله وقليل ما هم.

يا ألف مليون تكاثر عدّهم
يتبخترُ
إن الصليب بأرضنا

فالحرب دائرة على الإسلام يا قومي، فهل منكم أبي يثارُ

إننا سئمنا من إدانة مُنكرٍ
يـزأرُ

إننا مللنا من لسانٍ

يتقاسم الأعداء أوطاني على
أين النظام العالمي ألا ترى
يُقبِرُ

مرأى الورى وكأننا لا نشعرُ
شعباً يُباد وبالقذائف

أين العدالة أم شعار يحتوي
ما دام أن الشعب شعب مسلمٌ
يا أمتي والقلب يعصره الأسى
والله لن يحمي ربي أوطاننا
ينتقدُ

سفك الدماء وبالإدانة يُسترُ
لا حل إلا قولهم: نستكرُ
إن الجراح بكل شبرٍ تُسعرُ
إلا الجهاد ومصحف

اللهم إنك أنت الله لا إله إلا أنت الواحد الأحد، الفرد الصمد، اللهم لا يُهزم جُنُك،
اللهم إنا نسألك نصراً مؤزراً لإخواننا المستضعفين في العراق، اللهم فكِّ
حصارهم، اللهم أهلك عدوهم..
اللهم أعز الإسلام والمسلمين.

المصدر:

<http://saaid.net>

=====

زمن البغاث

د.نورة السعد

في فترات التدهور والانحطاط تبدو في بعض الشعوب قزامة غريبة وضالة
وتخاذل وانهازامية.. فيعلو الزبد وينتشر البغاث الصغير ريشه ويزهو.. ويمضي
في غيه سادراً يحتمي بمظلة مثقوبة ألوانها مستمدة من محبرة العدو ويعتقد بجهالة
أنها الحماية له؛ لأن في عينيه قذى وفي فؤاده حلقة بعد أن ران على قلبه ما يجعله
في هذا السقوط..

هؤلاء الرويبضة ينتشرون في بعض القنوات الفضائية نساء ورجالاً وتمتلئ
الصحف بمقالاتهم التي تحارب الدين عقيدة وشريعة وتستهزئ بالأحاديث الشريفة

بل وتمنح أقلامهم الحق في استحداث تشريعات جديدة لتحسين صورة العالم الإسلامي أمام الغرب!!

وهم يرفضون أي فتوى شرعية من العلماء المتخصصين ويمنحون في المقابل أنفسهم هذا الحق بدعوى أن الدين ليس حكراً على العلماء...!! ولهذا نجد أنهم يصدرن فتاوى جديدة في الحجاب والاختلاط أو في مناسك الحج كما حدث مؤخراً من بعض هؤلاء!!

ونجدهم يرددون في عبارات مشوهة ما يردده الغرب من أن الدين علاقة بين الفرد وربه وليس له أن يتدخل في الحياة المدنية.

ينسون أن تاريخ فصل الدين عن الدولة هناك ليس نموذجاً يحتذى به في عالمنا الإسلامي.. فالإسلام عقيدة لا يمكن أن تتحقق بذاتها في الواقع الاجتماعي والسياسي ما لم تتمثل في نظام اجتماعي معين وتتحول إلى تشريعات وقوانين تسيّر مجريات الحياة للفرد وللجماعة في العلاقة بين الخالق والمخلوق أولاً، ثم بين المخلوق ودوائر الآخرين حوله حاكماً كان أو محكوماً.. فقيراً أو غنياً..

إن الإسلام الحقيقي الذي لم نتمثله جميعاً بما يليق به حكماً أو محكومين.. هو العقيدة المتمثلة في السلوك وفي العبادات والمعاملات.. في السر والعلن.. في ظلمة الليل ووضوح النهار.

هو الحياة التي تتحقق فيها (عدالة السماء) وليس (ظلم الحاكم) أو (تسلط العدو).. لقد ابتعدنا عن ديننا وجزأنا تطبيقه.. ولهذا تسلط علينا الأندال وحاربوا عقيدتنا تحت مظلة محاربة الإرهاب.. واستسلم بعضنا، ورضي بعضنا هذا الهوان الذي بدأ يحيط بجغرافيتنا الإسلامية.

بل وأسهم البغاث من بعضنا في تحقيق مزيد من استباحة العدو الصهيوني واليمين الأمريكي للدماء المسلمة في فلسطين وأفغانستان والعراق.

وبقدر ما يتضمن المشهد المعاصر من عوامل ذل وهوان إلا أن رحمة الله تأتي إلا أن تحقق إلماعات مضيئة في ظلمة هذا الوضع تحملها البشائر برفض الهيمنة والاحتلال من العدو في مختلف مظاهره..

وما يذشر في الصحف من أخبار المقاومة لهذا المحتل تتلج الصدر ويكفيها نحن النساء المسلمات فخراً ما جاء في وصية الشهيدة إن شاء الله (ريم الرياشي) لنساء وأطفال الأمة الإسلامية.. وهي النموذج المشرف لدفاع المسلم عن عقيدته وشرفه وأرضه..

وصية ريم الرياشي أحق بها أن تكتب بماء الذهب وتعلق في كل منزل فهي البرهان على أن النساء المسلمات لسنن في حاجة إلى (تحسين صورتهم) أمام العالم الغربي كما تردد وسائل الإعلام الغربي والعربية التابعة!!

ريم الرياشي التي تقول في جزء من وصيتها: "إخوتي الأحبة نساء وأطفال الأمة العربية السليبية.. أتوجه إليكم دون الرجال؛ لأنني لم أعد أرى رجالاً من أمتنا سوى بقايا منهم في فلسطين والعراق.. فأنتم الأمل الباقي لهذه الأمة بعد أن خلت من الرجال وأنتم المسؤولون عن قيادة هذه الأمة إلى النصر وإلى العزة وإلى الكرامة بعد أن أوصلها أشباه الرجال إلى هذا الذل والعار الذي يجلبها من مشرقها إلى مغربها.. أنتم الذين ستحملون راية الأمة وترفعونها خفاقة بين رايات الأمم التي تعيش فوق كوكبنا هذا بعد أن نكس راياتها أشباه الرجال..

من أرحامكن يا نساء الأمة سيخرج الأطفال الذين سيعيدون مجد هذه الأمة يكتبونه بدمائهم وأشلاتهم، من أطفال هذه الأمة سيخرج من تربي على رمي الحجارة ومواجهة الدبابات بصدرة العاري ليخلص هذه الأمة من المخدولين والمنافقين والمرائين والمعوقين. وأخيراً ليخلصها من اليهود المغتصبين... أما أشباه الرجال فأوصيهم بالتخلي عن الكلام الذي لم يعد يسمن ولا يغني من جوع وأن يعتزلوا منابرهم التي يقفون عليها فهم ليسوا أهلاً لها، وأوصيهم بإلحاق نون النسوة بصفاتهن وأسمائهن وتاء التأنيث بأفعالهن، فهن أحق بها وأهلها...".

.. بقية وصية (ريم الرياشي) لا يسعها المقال ولكن هي صفة في وجوه جميع المخدولين والعملاء.. فليرحم الله ريم الرياشي.. ونعتذر لها فأشبه الرجال مشغولون بمتابعة قناة (سوا) وقناة (ستار أكاديمي) والبقية منهم مشغولون بقراءة

أخبار مشاريع الإعمار في العراق المحتل!! أو استنكار آخر ما يصلهم من تعليمات ليمارسوا الحرب على الدين وعلى الفضيلة وعلى الشرف.

المصدر: <http://alarabnews.com>

=====

تاريخ الدعوة زمن الأنبياء (1)

إن الرجوع إلى تاريخ الدعوة والإطلاع على مراحلها وخطواتها شيء لا بد منه حتى يعلم كل واحد منا وهو يسير في خط الدعوة لتبليغ آية يحفظها أو لتبليغ حديث يحفظه أنه لا يقوم بشيء محدث ولا بدعوة محدثة ولا يقول بدعاً من القول وإنما هو يتابع ويكمل خطأ قديماً عريقاً بدأه الأنبياء والمرسلون وإن أهدنا إذا سلك خطأ وهو يعلم أنه خط أصيل عريق له جذور ضاربة في أعماق التاريخ فإن هذا يورثه في نفسه قوة دافعة يشعر معها أنه يستند إلى قوة جبار السماوات والأرض لذلك لا بد لنا من استعراض موجز سريع لتاريخ الدعوة التي نحمل لواءها ولا يمكننا أن نستعرض تفاصيل حياة كل نبي من الأنبياء؛ لأن هذه السلسلة التي نحن في بدايتها كما ذكرت لكم تستمر سنة ونصف تقريباً فلو خضنا في تفاصيل حياة الأنبياء لاحتجنا إلى سنة ثانية أو أكثر وإن بعض التفاصيل من حياتهم ستمر معنا عندما سنتكلم عن صفات الدعوة وأساليب الدعوة إلى الله ولكن الذي نريده اليوم من هذا الأسرد الموجز السريع هو أن نعلم أنه ما من نبي أرسله الله - تعالى - إلا ودعا قومه للإسلام الذي ندعو نحن إليه ولنعلم أيضاً أن دعوتنا قديمة قدم التاريخ كله.

وإن أول نبي أرسله الله - عز وجل - ليحمل لواء الدعوة إلى الإسلام بعد انحراف البشرية عن الطريق المستقيم إنما هو سيدنا نوح على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام فقد جاء في الصحيح عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: (كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام) فبعد أن خلق الله سيدنا آدم مكث الناس على الإسلام والتوحيد تلك المدة الطويلة ليس للشرك بينهم مكان ولكن الشيطان لم يهدأ له بال ولم يفتر فدخل بطريقة خبيثة وماكرة استطاع من خلالها أن يدخل الشرك إلى قلوب الناس فقد ورد في صحيح البخاري أنه لم مات

رجال صالحون من قوم نوح جاء الشيطان ووسوس للناس وزين لهم أن يجعلوا لهؤلاء الصالحين أنصاباً وتمائيل يجعلونها في مجالسهم ففعلوا ذلك ظناً منهم أن في هذا الفعل إكراماً للصالحين فلما مرت الأيام والأجيال جاء الشيطان وقال إن من كان قبلكم كانوا يعبدون هذه التماثيل فصدقوا ذلك ومن هنا أتت عبادة الأصنام. فأرسل الله - عز وجل - سيدنا نوح ليصحح مسار البشرية وليرفع لواء الدعوة وينقذ الناس من مصيدة الشيطان ليعيدهم إلى عبادة الله والاستسلام له فقام نوح - عليه الصلاة والسلام - بحمل لواء الدعوة خير قام.. وسمعوا إلى كلام الله - عز وجل - لتعلموا كيف سار نوح - عليه الصلاة والسلام - بدعوته: (قال رب إنني دعوة قومي ليلاً ونهاراً فلم يزد هم دعائي إلا فراراً وإنني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً ثم إنني دعوتهم جهاراً ثم إنني أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً مالكم لا ترجون الله وقاراً وقد خلقكم أطواراً).

فنوح - عليه الصلاة والسلام - لم يدخر جهداً ولا وقتاً ولم يترك أسلوباً إلا استخدمه فهو يدعو إلى الله في الليل والنهار في السر والعلن ولكنه لم يرى منهم إلا الإعراض والتولي والإصرار على ألا يسمعوا منه كلامه ولا يصغوا لدعوته. فلما رأى عنادهم لخص لهم دعوته كلها من أولها إلى آخرها فقال لهم (فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين).

وبما أننا نتحدث عن سيدنا نوح - عليه الصلاة والسلام - فإنني أغتنم الفرصة لأذكر لكم مكر اليهود وخبثهم وكيف أنهم يحاربون دعوة الأنبياء ودعوة الرسل ويناصبوننا العداً ويخططون لنا منذ زمن بعيد... ويربون أجيالهم ويرضعونهم مع حليب الأمهات كراهية وبغض العرب والمسلمين ودعوتهم.

كلاكم تعلمون أن اليهود حرفوا التوراة وكذبوا على الله وحرفوا الكلم عن مواضعه ومن جملة تحريفهم للتوراة ما ورد فيها أن سيدنا نوحاً - عليه الصلاة والسلام - غرس كرماً فصار عنباً فصنع منه خمرأ فشرب حتى ثمل وسكر - والعياذ بالله

فحاشاه أن يفعل ذلك ولكن اليهود هم أعداء الله وأعداء الدعاة والدعوة يقولون شرب حتى ثمل وسكر..

ثم ألقى الثياب عن نفسه حتى ظهرت عورته فدخل عليه ولده (حام) وهو أبو كنعان وهم يقولون أن كنعان هو أبو العرب ولعداوتهم للعرب وللنبي العربي اختلقوا هذا النص - يقولون فدخل عليه حام فشهد عورة أبيه بادية فتركه وذهب وأخبر أخوته سلم ويافث وقال لهم إن أباكم شرب حتى ثمل وظهرت عورته ويقولون بأن فضح والده أمام الناس ثم يزعمون أن سام ويافث ذهبا وقد وضعا الرداء على ظهرهما ورجعا القهقري إلى الخلف حتى وصلا إلى نوح ولم ينظرا إليه وألقيا الرداء عليه حتى يسترا عورته... فدعا لهما بالبركة ودعا على ولده حام أبو كنعان باللعنة إلى يوم القيامة ودعا على أولاده ومنهم نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - أن يكونوا خدماً وعبيداً لأولاد سام ويافث فهم يحرفون الكلم ويخططون بخبث ومكر ليزرعوا العداوة في قلوب أجيالهم هذه القصة أحببت أن أذكرها في سياق حديثنا عن سيدنا نوح لأثبت من خلالها عداوة اليهود وخبثهم ومكرهم.

ثم تتابع الأنبياء بعد نوح - عليه الصلاة والسلام - كلهم يبلغ دعوة الإسلام حتى جاء أبو الأنبياء جميعاً فما من نبي بعده إلا وهو من نسله ومن ولده إنه سيدنا إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - وإن الله - عز وجل - خاطب البشرية كلها بقوله: (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين).

ومن يرغب عن ملة إبراهيم فما هي ملة إبراهيم التي كان يدعوا إليها والتي من رغب وابتعد عنها وتركها من الأولين والآخرين كان سفيهاً بنص كتاب الله - تعالى - ما هي ملة إبراهيم؟

(ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين).

إذاً رأينا أن نوحاً قال لقومه: (فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين).

وإبراهيم - عليه الصلاة والسلام - : (قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين). ولقد حاول أعداء الله اليهود أن يغيروا في هذه الحقيقة ويجادلوا فادعوا في زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - في المدينة المنورة أن إبراهيم كان يهودياً فواجههم القرآن الكريم بالحجة الناصعة والبيان الذي ما بعده بيان: (يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده هاأنتم هؤلاء حاجبتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين إن أولى الناس بإبراهيم الذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين).

فدين إبراهيم ودين الأنبياء ودعوتهم إنما هي الإسلام ولا شئ سواه ولذلك لما قام إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - بأعظم عمل عمله في حياته وهو بناء الكعبة المشرفة كان دعاؤه لنفسه ولولده الذي ساعده ولأمته من بعده أن رفع يديه قائلاً: (ربنا اجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمةً مسلمةً لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم).

وقبل أن ينتقل إبراهيم إلى الرفيق الأعلى وصى أهله وأبناءه بأن يتمسكوا بدين الإسلام وألا يحدوا عنه شعره واحدة (ووصى بها إبراهيم بنيه يعقوب يا بني إن الله أصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون).

وانتقل إبراهيم لربه وكان من بعده حفيده يعقوب والد بني إسرائيل جميعاً الذي سنتابع الحديث عنه وعن بعد في الأسبوع القادم بإذن الله - تعالى - ونسأل الله أن يوفقنا للتمسك بالدعوة التي ارتضاها الله للناس أقول هذا القول وأستغفر الله..

بتصرف من:

<http://www.alsaer.net>

=====

تاريخ الدعوة زمن الأنبياء (2)

إن المقصود من الحديث عن تاريخ الدعوة الإسلامية هو أن نعلم وأن يعلم الناس أن ما ندعو إليه ليس بأمر محدث وإنما هو خط بدأه الأنبياء وأمر نزل به الوحي من السماء وتحديثنا عن سيدنا نوح - عليه الصلاة والسلام - الذي رفع لواء الدعوة إلى الإسلام تسعمائة وخمسين سنة وقد كان - صلى الله عليه وسلم - خلال

هذه السنوات الطويلة يدعو قومه صابراً محتسباً لم يترك وقتاً ولا أسلوب إلا وأستخدمه في دعوته في الليل والنهار في السر والعلن... ثم تحدثنا عن أبي الأنبياء إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - الذي طلب من ربه أن يجعله وولده مسلمين وأن يخرج من ذريته أمة مسلمة تحمل لواء الدعوة فقال (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك).

ثم من بعده يعقوب - عليه الصلاة والسلام -.. وسيدنا يعقوب هو حفيد سيدنا إبراهيم وهو والد بني إسرائيل جميعاً... عندما حضرته الوفاة كان يدور في ذهنه أمر يقلقه يا ترى ما القضية التي تشغل باله في ساعة الاحتضار ما الأفكار التي تراوده وتمر على ذهنه وهو في سكرات الموت.. ما هو الأمر الذي يريد أن يطمئن عليه قبل أن يفارق الحياة.. ستجدون الجواب على هذه الأسئلة في قوله - تعالى - : (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي..).
هذا ما كان يشغل تفكيره في سكرات الموت ما تعبدون من بعدي ما هو الخط الذي ستسيرون عليه ما هي الدعوة التي ستمسكون بها وترفعون لوائها من بعدي (ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إله واحدا ونحن له مسلمون)

لم يطمئن قبل وفاته حتى سمعها من أولاده وأحفاده وأقربوا أمامه أنهم سيعيشون وسيموتون على ملة الإسلام والتوحيد الخالص.

ومن الأنبياء الذين رفعوا لواء الدعوة إلى الله سيدنا يوسف ابن سيدنا يعقوب عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام. سيدنا يوسف الذي مر بحياته بمصائب ومصاعب ونكبات تهد الجبال، فقد تنكر له اخوته ووضعوه في غيابة الجب... وراودته امرأة العزيز فلما امتنع عنها تنكرت له ووضعته في غيابة السجن ولكن الدعوة إلى الله لا يثنىهم شيء عن المهمة التي حملهم إياها الله - عز وجل - فهم يرفعون لواء الدعوة إلى الله مهما كانت الظروف حتى إذا ما نفاهم الطغاة فيعتبرون أن نفيهم عن أوطانهم سياحة وإذا سجنوهم فيعتبرون أن سجنهم خلوة، وحفظ الله الشاعر الذي صرخ في وجه العملاء والطغاة الذين يحاربون

الدعاة ويدكونهم في السجون والمعتقلات كما فعل بسيدنا يوسف صرخ في وجههم ليخبرهم أن الدعاة الصادقين لا يمتنعون عن رفع لواء الدعوة مهما كلف الأمر فقال لهم بكل ثبات:

ضع في يدي القيد ألهب أضلعي *** بالسوط ضع عنقي على السـكـين
لن تستطيع حصار فكري ساعة *** أو نزع إيماني ونور يقيني
فالنور في قلبي وقلبي في يدي ربـي *** وربـي ناصرني ومعيني
سـأعيش معتصماً بحبل عقيدتي *** وأموت مبتسماً ليحيا ديني
وهكذا كان سيدنا يوسف عندما وضع القيد في يده وألقي في السجن وإذا به يحول
السجن إلى مدرسة للتوحيد ونشو دعوة الإسلام فيقول لمن معه يعرض عليهم
دعوة الإسلام (يا صاحبي السجن أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار).
وبقي سيدنا يوسف صليراً محتسباً رافعاً لواء الدعوة حتى فرج الله عنه وملكه
الدنيا والمال والسلطان وأصبح ملكاً وحاكماً يتصرف كيف يشاء وإذا به يرفع يديه
إلى الله - عز وجل - والشوق يملأ قلبه فهو لا يريد مالاً ولا ملكاً ولا كرسيّاً
وإنما همه أن يموت على دعوة الإسلام التي عاش من أجلها فدعا ربه قائلاً:
(رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض
توفني مسلماً وألحقتني بالصالحين)...

الدنيا أصبحت في يده وهو يرغب عنها ويطلب من ربه قائلاً(توفني مسلماً
واللحقتني بالصالحين) ومن أعظم الدعاة الذين مروا على التاريخ ولم يكن لهم حظ
من أقوامهم من الاحترام والتبجيل والتعظيم الذي يستحقونه بجدارة سيدنا سليمان
على نبينا و- عليه الصلاة والسلام - فقد من الله عليه وأعطاه ملكاً عظيماً وسخر
له كل المخلوقات من الإنس والجن والحيوانات والجمال لتعمل معه في مجال
الدعوة إلى الإسلام حتى جاءه الهدد في يوم من الأيام وأخبره أن امرأة في اليمن
تحكم قوماً يعبدون الشمس ويسجدون لها من دون الله... سبحان الله هدهد صغير
بسيط لما رأى أناساً قد انحرفوا عن الإسلام والدعوة الإسلامية أنكر عليهم وحمل
همهم وأخبر بهم نبي الله سليمان.

ليعيدهم إلى الإسلام.. هدهد ضعيف صغير يطير ويسعى في سبيل الدعوة ونحن اليوم نرى شباباً ورجالاً ونساءً ينتمون إلى الإسلام ولا يحركون ساكناً ويقفون على هامش الحياة وكأن الدعوة أمر لا يهمهم ولا يعنيههم.. فجاء الهدد وقال لسيدنا سليمان كما ذكر في القرآن الكريم (إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم.. وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله). فلما سمع سيدنا سليمان كلام الهدد حمله رسالة إلى تلك المرأة وإلى قومها.. فحمل الهدد الرسالة وطار بها وبذل جهداً في سبيل إيصالها والمؤسف أن من المسلمين اليوم من بلغ من العمر الثلاثين والأربعين والسبعين ولم يبذل ربع الجهد الذي بذله الهدد في سبيل الدعوة ووصلت رسالة سليمان - عليه الصلاة والسلام - إلى المرأة وقومها يا ترى ما الذي يوجد في الرسالة هل فيها مفاوضات هل فيها اتفاقيات على تقاسم الثروات والأموال هل فيها معاهدات على الخيانة من أجل البقاء على الكرسي والمنصب اسمعوا يا أخوة نص الرسالة التي أرسلها سيدنا سليمان - عليه الصلاة والسلام - مع الهدد إلى تلك المرأة وقومها الذين انحرفوا عن دعوة الإسلام (قالت يا أيها الملاء إني ألقى إلى كتاب كريم: إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا على وأتوني مسلمين) هذا هو نص الرسالة: (بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين).

هذه الكلمة وكفى ولا شيء سواها فهو لا يريد من البشرية إلا أن يخضعوا ويسلموا لله - عز وجل -.. ولما أنتصرو سليمان على تلك المرأة وعلى قومها وجاءت خاضعة بين يديه إلتفت سليمان إلى قواده ووزرائه وبطانته وحاشيته ليذكرهم أن هذا النصر المبين الذي حققوه لم يكن بقوتهم ولا بخبرتهم ولا بعظمتهم وإنما لأنهم رفعوا لواء الدعوة إلى الإسلام وتمسكوا به جيداً فقال لمن حوله (وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين).

ولما رأت بلقيس اعتراف سليمان بفضل الله عليه وما أعطاه الله إياه من قوة وعظمة وملك ما كان منها إلا أن استجابت لدعوة سليمان وقالت (إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين).

ثم جاء بعد ذلك أعظم أنبياء بني إسرائيل على الإطلاق وهو سيدنا موسى - عليه الصلاة والسلام - صاحب التاريخ العظيم الذي أخذ نصيباً وحظاً وافراً من القرآن الكريم والذي خاطبه ربه قائلاً: (ولتصنع على عيني). وقال له ربه أيضاً (واصطنعتك لنفسي) هذا النبي الكريم الذي رفع لواء الدعوة للإسلام عندما أراد أن ينقذ بني إسرائيل من الضعف والذل والهوان والاستكانة أول أمر طلبه منهم أن قال لهم (يا قوم إن كنتم أمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين). لأنه يعلم أن دخولهم في الإسلام سيخلصهم من بطش الفراعنة ومن حياة الذل والهوان التي كانوا يعيشونها ولقن سيدنا موسى كلمة الإسلام لسحرة فرعون فدخلوا الإسلام وأعلنوه صيحة مدوية مجلجلة في وجه فرعون فقالوا له: (وما تنقم منا إلا أن آتينا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ عليه صبراً وتوفنا مسلمين).

حتى إن فرعون بذاته الذي ناصب موسى العداوة وطغى وتكبر وادعى الألوهية كان يعلم الحقيقة كان يعلن أن الإسلام هو دين الله ولا دين سواه. فعندما وقعت برأسه الواقعة وأدركه الغرق لم يسعه إلا أن يعترف بالحقيقة والإسلام ولكن في لحظة لا ينفع فيها الاعتراف ولا الندم فقال أخزاه الله وهو يغرق: (لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين).

وأخر الأنبياء قبل سيدنا محمد - عليه الصلاة والسلام - إنما هو سيدنا عيسى كلمة الله التي ألقاها إلى مريم والذي دعا قومه إلى الله.... وأحب أن يسمع الإخلاص لدعوة الإسلام والإقرار بها من خلص قومه وجماعته الذين رباهم. أحب أن يأخذ منهم عهداً بالبقاء على دعوة الإسلام والتمسك بها في وقت ضاع وفسد وكفر فيه الناس (فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آتينا به واشهد بأننا مسلمون).

وهذا أيها الإخوة سرد موجز لتاريخ الدعوة الإسلامية في زمن بعض الأنبياء لنعلم أن كل الأنبياء كانوا دعاة للإسلام لا لغير الإسلام ولم يعرفوا ديناً آخر سوى الإسلام وما أنزل الله وحياً ولا كتاباً ولا أرسل رسولا ولا نبياً إلا من أجل دين واحد هو الإسلام.

وقد بين الله هذا بشكل واضح في القرآن الكريم فقد أخبر على لسان أناس ضلوا وفسقوا وابتعدوا عن الإسلام فقالوا (كونوا هوداً أو نصارى تهودوا قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين قولوا آمنا بالله وأنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب الأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن لهم مسلمون).

وأختم كلامي هذا بحديث لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوجز لك هذا الحديث أيها الأخ الحبيب أن الأنبياء والمرسلين إنما هم كوكبة واحدة يعملون في سبيل الدعوة إلى الله - تبارك و تعالی - فقد جاء في صحيح البخاري أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فراح الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ثم قال - عليه الصلاة والسلام - فأنا اللبنة وأنا خاتم الأنبياء).

اللهم أجعلنا من الذين يرفعون لواء الدعوة ويسيرون على خطى الأنبياء الذين قلت عنهم في كتابك (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)
<http://www.alsaer.net> يتصرف من:

أنين العفة في زمن الغربة

يقشعر جلد المسلم وهو يسمع ما أصاب بيوت المسلمين إلا ما رحم ربي ويتقلب قلب المسلم للقدر إذا اشتد عليه غليانه.. كل ذلك وهو يفكر فيما أصاب هؤلاء.... إلى الله المشتكى.

فهذا السائق مع تلك الفتاة يذهب بها وإذا بك ترى وياليتك ما رأيت... السائق يضحك بصوت مرتفع والفتاة تتمايل... الموضوع ساخن بينهم حتى كادت سخونته تحرق قلب ذلك المسلم الذي رأى ذلك الموقف، فما أن يغيب عن ناظريك هذا المشهد النكد حتى ترى مشهداً آخر يحرق ما تبقى... عندها وقف ذلك المسلم حائراً... أنسته حيرته طريق بيته... وصارت السيارة تمشي كأنها بدون سائق... وذلك المسلم يفكر في هذا الزمن وهذه الغربة الشديدة التي يعيش فيها المسلم

اليوم... وفكر المسلم كيف يكمل العفيف وكيف تكمل العفيفة ما تبقى من العمر في هذه الغربية... دون أن يتأثر العفاف الذي تبقى لهما.

فكر المسلم وفكر... كيف يثبت هذا العفاف أمام تلك القنوات... كيف يثبت أمام تلك المشاهد في الشارع وفي السوق... حتى العمل بات مكان دعاية مجانية لتلك القنوات السيئة فذلك يمدح البرنامج الفلاني... وذلك يحكي عن جمال تلك المفتونة... فيما يجد المسلم الأئين يئن بداخله... ففتش فإذا به أئين العفة في زمن الغربية... فهل يعتزل المسلم والمسلمة المجتمع؟ أم ماذا يفعل... وعندها ضغط ذلك المسلم على شريط قرآن كي يسمع شيئاً من كتاب الله لعله يذهب عنه بعض ما أصابه وإذا به يسمع الحل الرباني أمام هذه البلايا وكأنه يسمعها لأول مرة... يا سبحان الله هذه آية في كتاب الله أين كنت عنها... كيف غفلت عنها؟ فهذا ذلك الأئين في قلبه... وصار يردد تلك الآية بصوت منخفض (الم احسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) إنه التميز العظيم لكل مسلم ومسلمة. يوم يقول الفتى: أنا مسلم وتقول الفتاة: أنا مسلمة. هنا تظهر الحقيقة عند الاختبار.

تلك المشاهد التي لاعبت قلب ذلك الرجل المسلم هي نوع من الاختبار. هي الفتنة فهل ينجح المسلم والمسلمة في هذا الامتحان حينما تعرض تلك الفتن بأنواعها وألوانها ومغرياتها فيقف أمامها كأنه طود شامخ خاصة والله - تعالى - أكرمنا بجوارح نميز بها بين الخير والشر وعند عرض هذا البلاء على النفس ينتصر الإنسان على غلبة الهوى... عندها يتميز من بين الركाम العظيم فيكون مسلماً حقاً حقاً. وتعلو نفسه ويهدأ أئينه ويحفظ عفافه. وفقنا الله وإياكم لذلك. وصلى الله وسلم على نبينا محمد إمام المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصدر:

<http://muslm.net>

=====

خواطر في زمن الصحوة

د. نهى قاطرجي

يتساءل المسلم وهو على مشارف عام ميلادي جديد عن دور المسلمين في مواجهة العولمة الأميركية - الصهيونية - التي تهدف إلى إلغاء الدين والهوية واللغة؟

ويأتي التساؤل أيضاً عن موقع الإسلام في قلوب أبنائه؟ وهل صحيح ما يقال من أن الصحوة الإسلامية تأخذ طريقها بين أبناء المسلمين؟ وأنها لا بد أن يكون لها دور مستقبلي في مواجهة الأخطار والتحديات القادمة؟

إن الإجابة عن هذه الأسئلة ليست من قبيل التنبؤ ولكنها من قبيل الاستقراء للأحداث التي حصلت في القرن الحالي، ومن قبيل يقين المسلم بأن العزة لهذا الدين ولو بعد حين.

إن مما يستطيع أن يدركه أي مسلم عايش الفترة الزمنية الممتدة من السبعينيات إلى الآن، هو وجود بذور صحوة إسلامية لم تكن موجودة فيما قبل، فإذا أمكن الحصول على فيلم فيديو يصور الحياة اليومية في أحد الشوارع العربية (ذات الأغلبية المسلمة) في فترة السبعينيات ومقارنتها بفيلم آخر للشوارع نفسه في يومنا هذا يلاحظ بسهولة تغيرات بين ذلك الزمن وهذا.

لقد كان الناس - في تلك الأيام - يفتتحون يومهم بالاستماع إلى فيروز وإلى الأغاني الكلاسيكية، وكانت أصداً هذه الأصوات تملأ أذان المارين أمام المحلات التجارية في طريقهم إلى مدارسهم أو مراكز عملهم؛ أما اليوم فإن هذا الفعل قد استبدل - بفضل من الله - تعالى - وأصبحت آيات القرآن الكريم تصدح في المحلات التجارية وداخل البيوت أيضاً، فإذا فتحت النافذة صباحاً تأتيك آيات القرآن الكريم أو يأتيك صوت العالم أو الخطيب الذي يلقي درساً أو خطبة دينية تستمع إليها ربة المنزل وهي تقوم بأعمالها المنزلية.

ويمكن أيضاً بالمقارنة بين صور الناس في تلك الفترة وصورهم اليوم، أن يُلاحظ اختلاف واضح في لباس الناس بين هاتين الفترتين، ففيما كان الحجاب نادر الوجود في تلك الفترة نتيجة الانقلاب الذي قامت به بعض النسوة تحت شعار الحرية، أصبح الحجاب - وبرغبة من المرأة أيضاً - لباساً إسلامياً تفخر به المرأة، وتتمسك به تمسك افتخار وتحدي، أما المسلم الملتحي الذي كان فيما مضى نادر الوجود، فقد أصبح وجوده اليوم أمراً عادياً لا يلفت انتباه المارة.

إن هذه الأمور جد مهمة، لأنها إنما تعبر عن تمسك المسلمين بأوامر الله - عز وجل - الذي أمر باتباع دينه ونهى عن متابعة أهل الكتاب، قال - عز وجل - :

"ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم، قل إن هدى الله هو الهدى، ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير" [سورة البقرة، الآية 120]

قال الإمام ابن تيمية في تفسير هذه الآية: "فانظر كيف قال في الخبر "ملتهم" وفي النهي "أهواءهم" لأن القوم لا يرضون إلا باتباع أهوائهم من قليل أو كثير، ومن المعلوم أن متابعتهم في بعض ما هم عليه من الدين نوع متابعة لهم في بعض ما يهونونه، أو مظنةً لمتابعتهم فيما يهونونه" [اقتضاء الصراط المستقيم، ص 15]

إن في ترك التشبه بالكفار ترك لاتباع الهوى وتمسك بالعقيدة، لأن من فعل هذا الأمر مختاراً إذما يفعله نتيجة إدراك داخلي بوجود أمر يأمره بفعل هذه الأمور، وبما أن الأمر في مثل هذه الحالة لا يمكن أن يكون نابغاً عن النفس وعن الشيطان لكونهما لا يأمران بمعروف ولا ينهيان عن شهوة ولذة، فإنه في هذا الحالة لا بد أن يكون نابغاً عن إيمان بالله الذي أمر عباده بالمعروف ونهاهم عن المنكر.

إن ميزة هذه الأفعال أنها ليست فردية، كما أنها - إن شاء الله تعالى - في تزايد مستمر، مما يجعل المراقب المحايد يتيقن أن الأمر اليوم يختلف عما سبق، وأن الدافع وراء هذه التصرفات ليست دوافع آذية فردية؛ بل هي نابغة عن صحوة إسلامية في نفوس أبناء الإسلام الذين نفضوا عن أنفسهم غبار الهزيمة والانحطاط وعادوا إلى أصلاتهم وتمسكهم بدينهم.

وفي محاولة لمعرفة دوافع هذه الصحوة وتحليل بعض مسبباتها، يمكن ذكر ما يلي:

1 - فشل الحول المستوردة ووعود التيارات المتغربة، التي كانت منتشرة بين الناس في تلك الفترة الماضية، والتي نجحت في السيطرة على المجتمع الإسلامي وبث السموم في نفوس المسلمين عبر المدارس والجامعات، وعبر إرسال البعثات التعليمية إلى الخارج التي كان لها دور في الدعوة إلى اللحاق بركب الحضارة الغربية ونبذ التخلف والتراجع الذي كان متمثلاً - بنظر المُبتعثين - بالتمسك بالدين والهوية الإسلامية.

2 - انتشار العلم الشرعي بين الناس وسهولة الحصول عليه، فانتشر العلم بين الخاصة والعامة ولم يعد مقصوراً على طبقة العلماء فقط، فأصبح من السهل على كل طالب علم أن يلتحق بالمعاهد والكليات الشرعية أو يلتحق بحلقات العلم في المساجد والبيوت، كما أصبح من السهل على كل من يريد أن يتعرف على دينه أن يصل إلى مبتغاه عبر وسائل الإعلام المرئية وغير المرئية، تلك الوسائل التي تعنى بنشر العلم الديني وتعريف الناس بمبادئ هذا الدين الحنيف.

3 - عودة الناس إلى الفطرة التي فطرهم الله عليها في عالم الذر، قال - تعالى - : "وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم، وأشهدهم على أنفسهم ألاست بربكم، قالوا بلى شهدنا" [سورة الأعراف، الآية 172]

فالناس منذ آدم يؤمنون بوجود الله - سبحانه و تعالى -، والرسول والأنبياء لم يبعثوا لكي يقولوا للناس أن هناك إلهاً (أي لأن هذا معروف بالفطرة) ولكنهم بعثوا " لتصحيح مسار العقيدة وتقويم الفطرة مما تقع فيه من الضلال"، [محمد قطب، مذاهب فكرية معاصرة ص 608]

فإذا قومت الفطرة وذهبت الموانع التي كانت تحول بين الإنسان وفطرته، فلا بد أن يعود إلى الالتزام بشرع الله مصداقاً لقوله - تعالى - : "فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله"

4 - التجاء المسلمين إلى الله - عز وجل - بعد أن أيقنوا أنه لا ملجأ منه إلا إليه، وقد كان لابتلاء الله - عز وجل - بالخوف والجوع والنقص في الأموال والأنفس أثره في هذا المجال، أن سئنة الابتلاء جعلها الله - سبحانه و - تعالى - - سبيلاً أمام العبد للإنابة إلى الله والعودة إليه، قال - تعالى - : "ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين* الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون" [سورة البقرة، الآيات 155 - 156]

فهذا الابتلاء من الله - عز وجل - للعباد هو لاختبار صبر الصابرين، ولرفع درجات المؤمنين، وليعلم العبد أن الله هو الخالق الواحد الرازق المحيي المميت،

وهو أيضاً الغفار مجيب الدعاء، فهو القائل: "وقال ربكم ادعوني أستجب لكم"
[سورة غافر، الآية 60]

5 - انتباه المسلمين إلى المؤامرة التي طالت الأمة الإسلامية حيث تكالب الأعداء عليها وتحيزوا ضد أبناءها وظلموها ظلماً لا سبيل لرفعه إلا بتكاتف أبناء الإسلام حول دينهم، لأنه لا سبيل للعزة والنصر إلا بالعودة إلى تعاليم الإسلام والتزام شرعه، وقد أدرك المسلمون أيضاً كذب هؤلاء الأعداء حين رفعوا شعارات لا يؤمنون بها ولا يطبقونها على أنفسهم، كشعار الدفاع عن حقوق الإنسان، وشعار حرية المعتقد، وما إلى ذلك.

كل ما سبق كلام واقعي يمكن ملاحظته بسهولة بالاستقراء، ولكن السؤال هو التالي: ألا يلزم لهذه الصحوة دعائم وأسس؟ ألا يمكن للمسلمين اليوم أن يترجعوا عن صحتهم تحت أي شعار، وتحت أي ظرف؟

بلى، إن الصحوة تحتاج إلى دعائم، ودعائمها تكون بالعلم الشرعي وبالتمسك بكل ما جاء به الإسلام، بكل بنوده وأحكامه تنفيذاً لأوامر الله - عز وجل - الذي يحب أن يؤخذ الكتاب بقوة، فقد قال - سبحانه وتعالى - ليحيى - عليه السلام -:
"يا يحيى خذ الكتاب بقوة" [سورة مريم، الآية 12]

كما قال - عز وجل - لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين" [سورة المائدة، الآية 67]

إن أي خلل في تبليغ الرسالة يهدد أبناء الأمة بالانحراف، ويهددهم بغضب الله وبالضلال الذي أصاب الأمم السابقة، والتي منحتها أمة اليهود التي أخذت ببعض الكتاب وكفرت ببعض، فقال - تعالى - فيهم: "ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون" [سورة البقرة، الآية 85]

وهذا الأمر هو للأسف ما يحصل مع بعض أبناء المسلمين اليوم الذين يريدون الالتزام ولكن بشروطهم وشعاراتهم وأفكارهم التحررية التي نقلوها من مذهب فكرية دنيوية تدعو إلى النظرة إلى الدين نظرة معاصرة، وإلى فتح باب الاجتهاد للبحث عن أحكام شرعية جديدة ونبت تلك الأحكام المستمدة من القرآن والسنة، وهم يعتقدون أنهم بفعلهم هذا يعملون على إيجاد حلول لمشاكل معاصرة لم تكن موجودة فيما مضى، والواقع أن هذه المشاكل التي يتحدثون عنها إنما هي ناتجة عن التمسك بأفكار ومبادئ بعيدة عن منهج الدين الإسلامي وهي بالتالي تخدم مخططات الغرب وأهدافه في هدم الدين الإسلامي على يد أبنائه.

ومما يثير التخوف من الكبوة والانزهاج، هو أن هذه الصحوة ليست شاملة، فهي محصورة في منطقة دون أخرى، ومع أناس دون آخرين، حتى أنه قد يكون في البيت المسلم الواحد المسلم الملتزم والآخر المتحرر، البنت الملتزمة والأم المتحررة، والمؤسف أيضاً أنه فيما تمتلئ المساجد بالمصلين، فإن هناك أماكن أخرى تمتلئ أيضاً، هذه الأماكن هي أماكن اللهو وعلب الليل التي تعج بأبناء المسلمين الذين يضيعون أوقاتهم بالمعاصي وارتكاب الموبقات، وينبذون الدين وراء ظهورهم.

إن هذا التناقض ليس بمستغرب لأن الخير والشرف في صراع دائم منذ بدء الخليقة، والشيطان وأعدائه يعملون جاهدين على تكثير أتباعهم إلى يوم القيامة حسداً وكرهاً لبني آدم، فقد ورد في القرآن الكريم على لسان إبليس لعنه الله: "قال أرأيتك هذا الذي كرمت عليّ لئن أخرجتني إلى يوم القيامة لأحتكن نريته إلا قليلاً" [سورة الإسراء، الآية 62]

والمسلم ليس مطالباً باقتلاع الشر من جذوره، إنما هو مطالب بالتبليغ والدعوة إلى الله - تعالى - والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليرفع عنه الإثم ولتتطبق عليه صفة الخيرية التي قال الله - عز وجل - فيها: "كذتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله" [سورة آل عمران، الآية 110] والتي توجب على من يريد أن يتصف بها على أن يعمل ضمن إمكانيته وقد استطاعته على تحويل زمن الصحوة إلى زمن نصرة ورفعته قبل أن يسبقه

أعداء الإسلام الذين يحاولون أن يثبتوا بأن الصحوة التي ورد الحديث عنها هي... مجرد خواطر.

المصدر:

<http://akhawat.islamway.com>

=====

الفكر الإسلامي في زمن العولمة (1)

محمد سليمان أبو رمان

يعد سؤال الهوية من الأسئلة المحورية في الفكر العربي المعاصر، وقد شغل هذا السؤال كثيراً من مداولات وسجلات المفكرين العرب، وأدخلهم إلى ميادين الصراع الفكري، وقسمهم إلى فئات متنازعة حول الأصول الفكرية والمعرفية التي ينبغي أن تحكم مسيرة النهضة والتنمية، والخروج من كهف التخلف ومن ظلمات التيه.

وأخذ الصراع الفكري أشكالاً متعددة، ومر بمراحل مختلفة في العالم العربي في فترة العصور الحديثة، لكنه وصل اليوم مع العولمة إلى مرحلة متقدمة جداً تمتاز بوجود أمريكي مهيمن على العالم، وحداثة غربية تنتقل وتسود بشكل كبير - مع تطور ثورة الانفوميديا -.

و يجد الفكر الإسلامي اليوم نفسه أمام تحديات كبيرة في عدة مستويات: مستوى نقد الحداثة الغربية، ومستوى مواجهة ظواهر التشدد والانغلاق والجمود الفكري في الداخل، ومستوى صوغ استراتيجيات فكرية تدفع بالإنسان والمؤسسات في العالم العربي إلى المضي بفعالية و قوة في مشروع النهضة والتنمية وتجاوز مرحلة الانكشاف الحضاري السافر الذي وصلنا إليه أمام الآخر، والخروج من الفجوة الكبيرة بين حالتنا الحضارية ورصيدنا الحضاري الكبير..

المدرسة الإصلاحية:

بدأت أولى الجدالات حول مسألة الأصالة والمعاصرة، ودور الفكر الإسلامي في مواجهة التحديات الكبرى مع الحملة الفرنسية على مصر، وعودة الطلاب العرب الدارسين في الغرب، وجاءت أبرز المساهمات الرائدة في هذا المجال مع رحلة

رفاعة الطهطاوي والذي سجّل ملاحظاته ورؤيته و استنتاجاته حول الحضارة الغربية في كتابه "تخليص الإبريز في تلخيص باريز".

ثمّ كانت أبرز المحاولات الفكرية في مواجهة التحدي الحضاري الغربي - و ما وصل إليه من فلسفة وعلوم ومعرفة وما صاحب ذلك من تقدم وتطور تكنولوجي - من قبل ما عرف بالمدرسة الإصلاحية (جمال الدين الأفغاني، عبد الرحمن الكواكبي، محمد عبده، رشيد رضا، علّال الفاسي، ابن عاشور، ابن باديس)، وقد تمركزت مجهودات هذه المدرسة في:

- الإطلاع على المعرفة والثقافة الغربية، وهضم أصولها، ودراستها دراسة نقدية.
- رصد الجوانب الإيجابية في المعرفة والثقافة الغربية، والعمل على الإفادة منها في المشروع النهضوي الإسلامي.
- رصد جوانب الخلل في المفاهيم الحاكمة في هذه الحضارة، وتنبية المسلمين إليها، وإلى خطورة الوقوع فيها، خاصة الفلسفة المادية في النظر إلى الوجود والحياة.

- إعادة تفسير الإسلام ومصادره المعرفية وفق أسس جديدة تتناسق مع الأصول الفكرية والمقاصد الشرعية للإسلام، وتكون قادرة على الدخول إلى العصر بروح إسلامية متقدمة ومتجددة.

- تجديد الفعالية الحضارية و النهضوية الإسلامية، والعمل على استنهاض الشعوب للمساهمة والمشاركة في عملية التنمية والتحديث في العالم الإسلامي.
وكان للمفكر الجزائري مالك بن نبي مقاربة متميزة في فهم شروط النهضة و أسس التنمية المطلوبة، وكذلك في فقه الصراع الفكري في العالم العربي، خاصة في كتابه "الصواع الفكري في البلاد المستعمرة"، ولعل أبرز ما قدّمه ابن نبي -بالإضافة إلى نظريته في شروط النهضة - هو مفهوم "القابلية للاستعمار"؛ والذي يقوم على فرضية أن الاستعمار هو محصلة ونتيجة منطقية للحالة الثقافية والفكرية وليس سبباً لها، والمشكلة هي في جمودنا وكسلنا وغياب الفعالية الحضارية، وليس الاستعمار والغرب.

الفكر الإحيائي:

وتلا المدرسة الإصلاحية والمحاولات المبكرة في هضم الثقافة الغربية، وتجديد الخطاب الإسلامي، مرحلة جديدة ظهر فيها الانقسام الفكري على أشده، وجاء أغلب النتاج الفكري والمعرفي لهذا الصراع الفكري قبيل الاستعمار، وفي المرحلة المبكرة من الاستقلال السياسي وظهور الأنظمة العلمانية في العالم العربي، وبدأ مع هذه المرحلة حالة الاستنزاف الشديد للفكر العربي في هذا الصراع والجدال الحاد حول هوية الدولة والمجتمع، وأثر ذلك على مناهج الثقافة والتعليم والفن والأدب.

واجه الفكر الإسلامي هذا التحدي والصواع الجديد من خلال مجهودات ركزت على نقد الأسس الفكرية والمعرفية للحدثة الغربية وتصوراتها العامة في كافة مجالات الحياة، وبرزت في هذا السياق مساهمات أبي الأعلى المودودي في أغلب كتبه، وأيضاً الشهيد سيد قطب، وأخيه الأستاذ محمد قطب خاصة كتبه: "مذاهب فكرية معاصرة"، "الإنسان بين المادية والإسلام"، "جاهلية القرن العشرين"، وكتب يوسف القرضاوي ومنها " الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا"، وكتب الشيخ محمد الغزالي.

وقد أكد الفكر الإسلامي في هذا النتاج المعرفي والفكري على عدة قضايا:

- التمييز في الحضارة والفلسفة الغربية بين البعد الفلسفي والبعد التقني والعلمي المحض، والدعوة إلى تجاوز الفلسفة الإلحادية والإفادة من التطورات العلمية التطبيقية.

- نقد الأسس المادية للحدثة الغربية، ولمناهجها العلمية والإنسانية، ومفاهيمها الحاكمة، ورصد آثارها المدمرة على الأمن الاجتماعي المبني على سيادة القيم والحفاظ على رأس المال الاجتماعي، الذي يستند على الدين الناظم لكل القيم الروحية والأخلاقية التي تحمي الإنسان من الفساد والانحطاط.

- عرض الفلسفة الإسلامية المقابلة للفلسفة الغربية، وبيان حالة التفوق الكبير للإسلام في تجاوز الخبرة الغربية أثناء التجربة المسيحية، وحالة الصدام بين العلم والدين والاستبداد الديني لرجال الكنيسة، وفساد التصورات المعرفية الكونية والاجتماعية للكنيسة.

وأغلب ما يميز المدرسة الإصلاحية / النهضة السابقة عن المدرسة الإحيائية في مواجهة النظم العلمانية؛ أنّ المدرسة الإصلاحية لم تشهد صعود التيار العلماني بشكله الفض والرافض للقبول بالمنطلقات الإسلامية في السياسة والمجتمع و المعرفة والثقافة، وكذلك لم يشهد الفكر الإصلاحي الصراعات السياسية الحادة على هوية الدولة بين الحركات الإسلامية والنظم السياسية القائمة، الأمر الذي تطور إلى معارك دموية وحالة أمنية متعسرة واضطراب سياسي شديد، مما جعل الفكر الإحيائي أكثر تشدداً في مسألة الانفتاح، و أقل حرصاً على التجديد والتفاعل مع الحضارة الغربية، ودفع بالبعد الأيدلوجي – السياسي إلى الأمام، على حساب البعد المعرفي في محاولة الإجابة عن سؤال النهضة في الفكر و معضلة التخلف في الواقع العربي الحديث والمعاصر.

العولمة و الانكشاف الحضاري

مع انتهاء الحرب الباردة و أقول نجم الاتحاد السوفيتي و تضعض مكانة ومصداقية المذهب الشيوعي؛ تأثر الفكر العربي بشكل كبير، وضعف بالتبعية الفكر الاشتراكي العربي، وأخذ عدد كبير من فلول المفكرين اليساريين يبحثون عن أيديولوجيا جديدة يتدثرون غطاءها بعد انكشاف عورتهم الفكرية و الفلسفية التي كانوا يجادلون عنها سنين طويلة، و لبس عدد كبير منهم ثوب الديمقراطية والمجتمع المدني وحقوق الإنسان عندما وجدوه بضاعة رائجة في سوق المعونات والرشوة الأمريكية للمثقف العربي والمسلم، كما يرصد ذلك بموضوعية عزمي بشارة في كتابه "المجتمع المدني".

كما صدرت قراءات مستقبلية حول المرحلة القادمة من الصراع الفكري العالمي، كان أبرزها كتاب فوكوياما "نهاية التاريخ" والذي يزعم فيه أن التاريخ البشري قد وصل إلى نهاية كدحه الطويل؛ بحثاً عن الفلسفة الفكرية التي تحقق سعادة الإنسان و تكون القول الفصل في الجدل الإنساني الطويل في الفكر والفلسفة، وطبقاً لفوكوياما فإن الليبرالية والديمقراطية الغربية هي ذروة الفكر الإنساني ومحور خلاصه وسعادته.

أما القراءة الثانية؛ فقد كانت للمفكر السياسي المعروف صموئيل هانتجتون في كتابه "صدام الحضارات"، والذي يرى فيه أن المرحلة القادمة من الصراع العالمي ستكون مرحلة صراع ثقافي، وبالتحديد بين الثقافتين الإسلامية والغربية، وجوهر كل منهما المتركز حول الدين.

لقيت القراءتان السابقتان اهتماماً كبيراً في العالم، وكان لهما صدى واسع في العالم العربي، و أثارتا جدالاً كبيراً، بيد أن المهم في الموضوع أن الفكر الإسلامي وجد نفسه أمام تحد واضح وكبير مرة أخرى، وهو مواجهة الحداثة الغربية، وقد جاءت هذه المرحلة بقوة وغزارة شديدة ترتدي ثوباً جديداً يطلق عليه "العولمة".

مفهوم "العولمة" - إذا - ليس مفهوماً محايداً؛ بل هو مفهوم محمّل ومتقل بالمضامين المعرفية والحضارية للحداثة الغربية، وخطورة العولمة أنها وسيلة قوية جداً ومتطورة لنقل الحداثة والمشروع الغربي إلى أنحاء العالم، كما أنها تحمل قناعاً تجميلياً فائقاً يقدمها في إطار من الإغراء الشديد للدخول والولوج إليها، وتصل محاولة تجنب التفاعل مع العولمة إلى درجة الاستحالة الحقيقية، إلا إذا اختارت أمة أو مجموعة أن تدخل كهفاً من الكهوف، وتعزل نفسها عن العالم وصولاً إلى الخلاص الروحي!.

ومما يزيد من صعوبة وخطورة تحدي العولمة أمام الفكر الإسلامي المواجهة العسكرية والسياسية بين العالم الإسلامي والولايات المتحدة، والتي تفجرت بشكل كبير مع أحداث 11 أيلول وما تلاها من تحديات، وظهور التيار الجهادي، مما يجعل من مهام الفكر الإسلامي - بالإضافة إلى التحاور مع العولمة- مواجهة حالة الإحباط والتشدد الذي تنتاب كثيراً من أبناء الأمة الإسلامية في غضبهم الشديد، وحنقهم على الحالة السياسية الحرجة التي آلت إليها الأمور من تسلط وهيمنة خارجية أمريكية وتدفعهم إلى الغلو في رفض الآخر، والميل إلى الانغلاق الفكري حرصاً على التأكيد على الهوية والذات أمام روح التبعية والهزيمة التي تنتاب فئات كبيرة من المفكرين والساسة.

ومن دواعي استنفار الفكر الإسلامي - في هذه المرحلة - انكشاف الحالة الحضارية للعرب والمسلمين عن درجة عالية من الفشل في المشاريع التنموية،

وعن فساد كبير في الممارسة السياسية العربية، وحالة متقدمة من خطورة الأوضاع الاقتصادية والثقافية في العالم الإسلامي، وما يرتبط بذلك من فقر شديد و بطالة ونسب مرتفعة من الحرمان، و الأمية وغياب الإنتاج العلمي، وضعف تدفق المعلومات، وإهدار كبير للثروات، ناهيك عن الأوضاع السياسية البائسة المرتبطة بالديمقراطية وحقوق الإنسان والحريات العامة.

ويمكن الإشارة إلى جزء من هذه الحقائق المخيفة التي تكشف الحالة الحضارية في تقرير التنمية الإنسانية - بعيداً عن تحفظات كبيرة حوله -، وفكرة مبادرة الشراكة الأمريكية - الأوسطية، وكل هذا وذاك من الأرقام والوقائع والإحصائيات يؤكد الفجوة الكبيرة بين الرصيد الحضاري الكبير و بين الحالة الحضارية الحالية. إن الملاحظات السابقة تضع أمام الفكر الإسلامي العديد من المسؤوليات والمهام في هذه المرحلة، أبرزها:

- مجهود التعامل مع العولمة وما تستبطنه من قيم و معرفة، وبناء الخطاب الحضاري الإسلامي بما يستبطنه أيضاً من أسس ومفاهيم وقيم تميزه عن الخطاب الغربي، والتي تستند على الاعتراف بالوحي كأحد أبرز وأهم مصادر التنظير الإسلامي.

- مواجهة الثقافت الفكرية في الداخل سواء اتجاهات الغلو العلماني والانجراف الفكري أم جماعات الغلو الفكري والتشدد الديني، وبناء الرؤية الحضارية الإسلامية في الفقه العام للتدين، ودور الدين في الممارسة السياسية، و العلاقة بين الشعب والسلطة..إلخ.

- بناء الرؤية الاجتهادية الإسلامية في التعامل الواقعي مع المشاكل والقضايا الداخلية التي تعاني منها الشعوب العربية، ومنها: الفقر والبطالة والفساد السياسي والتخلف العلمي والأمية وفشل المشاريع التنموية وإهدار الثروات والمعضلات الاقتصادية..إلخ.

المصدر: <http://www.islamtoday.net>

=====

الفكر الإسلامي في زمن العولمة (2)

محمد سليمان أبو رمان

يأتي في إطار مهام الفكر الإسلامي اليوم تحدٍ رئيس، وهو مواجهة العولمة التي تستند إلى الحداثة الغربية وتقوم عليها، وتوظف ما وصلت إليه التقنيات البشرية خاصة ثورة الانفوميديا في هذا المجال بشكل فاعل وكبير.

ومواجهة الحداثة أو فرضية تفوق الحضارة والعلوم والقيم الغربية تتطلب قراءة معرفية عميقة للحداثة الغربية ورصد مساحات الخلل وكشف الفجوات الكبيرة في بنيتها المفاهيمية الحاكمة، وتقديم الأسس الفلسفية والفكرية للخطاب الحضاري الإسلامي في مواجهة ذلك، وبيان أدوات ومناهج التعامل مع العولمة ومعطياتها وفيضانها الكبير على العالم الذي وصل إلى درجة كما يصفها هوفمان "إن أزمة القيم الغربية تحظى حالياً بالقلق داخل بقية العالم؛ لأنّ الثقافة في وقتنا الحالي ليست ثقافة مكان بعينه، بل هي ثقافة وقت بعين".

في هذا السياق من مهام الفكر الإسلامي يأتي كتاب مراد هوفمان المفكر الألماني المسلم، الذي كتب قبل هذا الكتاب عدة كتب تبين أسباب دخوله الإسلام وتحاول تقديم الأصول الفكرية للرؤية الإسلامية التي تتجاوز التناقضات والفراغات المعرفية الكبيرة في الفلسفة والثقافة الغربية الحديثة.

وليس كتاب هوفمان ببدع من الكتب التي تقدم نقدًا للفكر الغربي المستند على معطيات الحداثة، أو تتحدث عن الآفات المترتبة على النزعة المادية والمرتبطة أيضاً بالفلسفة الفردية الليبرالية الحديثة، فهناك على سبيل المثال كتاب الفوضى لأحد أبرز المنظرين الأمريكيين بريجنسكي، لكن الجديد في كتاب هوفمان أنه ينقد الخبرة المعرفية والفلسفية الغربية الحديثة في شتى العلوم والمجالات الحيوية من خلال فكره الإسلامي الذي يصدر عن فهم يصل إلى قاع النظرية المعرفية الإسلامية التي تقوم على الاعتراف بمصادر المعرفة وحدود كل منها: الوحي و العقل والحس، أو الموازنة بين العقل المؤيد والعقل المسدد - على حد تعبير الإمام محمد عبده - رحمه الله -.

يحمل كتاب هوفمان عنوان "خواء الذات: العقول المستعمرة" (دار الشروق الدولية، القاهرة، 2002)، ويأخذ جزءاً من العنوان من عبارة للدكتورة نادية مصطفى - أستاذة العلوم السياسية في جامعة القاهرة - إذ تقول: "عملية الاختراق المسماة بالعولمة، لا تتعلق باختراق حدود جغرافية، ولكن بالسيطرة على العقول"، فاستعمار العقول الذي تشير إليه مصطفى من أكبر التهديدات والحروب التي تشن على المسلمين اليوم وهي حروب من نوع جديد - كما يصفها محمد حسنين هيكل في كتابه "حرب من نوع جديد" -، وبما أنها تستهدف العقل والوعي و تدفع إلى الهزيمة الفكرية والنفسية؛ فهي إذاً أخطر من الحروب العسكرية والهيمنة السياسية. وهذه الملاحظة يشير لها الخبير الأمريكي جوزيف ناي في كتابه مفارقة القوة عندما يتحدث عن القوة الناعمة والمرتبطة بالنموذج الثقافي الاستهلاكي الأمريكي الذي تسعى الولايات المتحدة إلى تعميمه على العالم.

ما يريد هوفمان إذاً قوله في هذا الكتاب هو: أن الحداثة الغربية - التي تستند عليها العولمة كمضمون فكري وثقافي ومعرفي يجري تسويقه وكأنه العلم بعينه، و أنه آخر ما وصل له العقل البشري من إبداع، وأنه الإنتاج المعرفي والثقافي الذي يحقق الخير والسعادة للإنسانية -، أنها - أي الحداثة - مليئة بالثغرات والتناقضات، وقد وصلت إلى أزمة حقيقية اليوم أنتجت ما يسمى بمدرسة "ما بعد الحداثة".

وبالتالي على العقل المسلم أن يتحرر من التبعية الخطيرة للفكر الغربي، وأن يشق طريقه في المعرفة والعلم والتفكير انطلاقاً من الرؤية الإسلامية الناصعة التي تنظر إلى الكون والوجود والحياة بشكل شمولي متكامل ولا تختزل أي جزء لحساب الآخر، كما هو الحال في الفكر الغربي والذي يختزل الحياة في بعدها الفيزيقي المادي المحسوس، الأمر الذي يصيب الإنسان باضطراب شديد في مسيرته الحديثة، كما يوضح ذلك كتاب هوفمان وكما يشرح الأمر بشكل مفصل للغاية محمد مزريان في كتابه القيم "البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية".

وإذا كان كتاب هوفمان يتألف بشكل رئيس من ثلاثة أجزاء، فإن الجزء المهم و المساهمة الفكرية الرئيسة في الكتاب هو ما يرتبط بنقد الحداثة الغربية، ويدل على

هذه الملاحظة أيضاً تقسيم صفحات الكتاب؛ إذ يشمل الجزء المتعلق بنقد الحداثة تقريباً 60 صفحة من صفحات الكتاب البالغة 111 صفحة، بينما يقع الجزء الأول المرتبط بالشيوعية في 15 صفحة تقريباً، أما الجزء الثالث حول الرؤية الإسلامية فيقع في 25 صفحة.

زيف الحداثة:

يتتبع هوفمان المادية العلمية التي صبغت البحث العلمي في شتى حقول المعرفة الإنسانية في مدرسة الحداثة؛ ليصل إلى نتيجة أن العلم لم يصل إلى إرواء غليل الإنسان في القضايا الكبرى التي تشكل دوماً مصدر اهتمامه و محور تفكيره: الوجود و العدم، الله والكون، غائبة الحياة..، بل صار العلم اليوم أكثر استعداداً لتقبل فكرة صياغة أسئلة لا يستطيع الإنسان الإجابة عنها؛ لأنها تقع خارج قدرة المعارف الإنسانية.

وساهمت أزمة الحداثة الغربية في ظهور مدرسة ما بعد الحداثة التي تعبر عن ذروة التخبط في العلم الحديث، و تعيد نبش المطلقات الفلسفية والمعرفية التي انطلقت منها الخبرة العلمية المعاصرة، التي بنيت على فرضية التناقض مع الدين، وفرضية أن العقل البشري قادر على الوصول إلى المعرفة المطلقة بمفرده دون أية وصاية خارجية.

بدا واضحاً اليوم أنّ هناك تطوراً دائماً في العلوم، وأن النظريات العلمية تنقد بعضها، وأن ما يثبتته العلم اليوم ينفيه غداً، كما أن هناك فرضيات أساسية شكلت نموذجاً سائداً في حقول علمية شتى ثبت اليوم عدم صحتها، الأمر الذي يصل ببول فييراند إلى القول - في كتابه ترجمتي - : "لقد وصلت إلى الاقتناع أن الأمر كله ليس إلا فوضى مجنونة"، وأصبح علماء الأنسنة أقرب إلى الشعراء منهم إلى العلماء إذ يقولون: "لماذا نتباحث اليوم فيما سوف يتغير غداً على أي الأحوال؟!".

هذا القلق و الاضطراب في عدم القدرة على الوصول إلى الحقيقة من خلال مناهج البحث الحداثيّة أنتج محاولات عديدة للخروج من هذا النفق، و بات عدد كبير من العلماء يشعرو بالحاجة إلى الحكمة الشرقية و فلسفة الروح لإنقاذ العلم من مآته المعاصرة، الأمر الذي حدث فعلاً مع فريتوف كابران - أحد أفراد مدرسة ما

بعد الحداثة - الذي قام في كتابه بالدمج بين الفيزياء والتصوف الشرقي، وكما في التصوف يتوقع كبرا أن ترفع فيزياء العصر الحديث - ما بعد الحداثة - كل المتناقضات، وتصل إلى نقطة يندمج فيها الملاحظ والملاحظ في وحدة واحدة: وحدة صوفية تتجاوز الفيزياء الحديثة.

الله أو الدمار:

يمكن استعارة عنوان كتاب المفكر الإسلامي سعد جمعة "الله أو الدمار" في قراءة نقاش هوفمان لأخطار وآفات الحداثة على الخبرة الغربية الحديثة والمعاصرة في شتى مجالات الحياة..

1- العلم والأخلاق: حاول العديد من المفكرين والعلماء وضع أسس جديد للأخلاق بدلاً؛ إلا أنهم فشلوا في ذلك فشلاً ذريعاً، وأدى العلم إلى مشكلة أخلاقية حقيقية في الغرب؛ إذ لم يتظاهر العلم فقط بوجود برنامج دون مبرمج، لكنه تصرف و كأن العلم وحده هو المعول عليه. وأصبح الغرب وفقاً لفاسلاف هافيل أول حضارة ملحدة في التاريخ أي تتكر دور الدين ابتداءً.

2- العلم والحضارة: الميراث من العلم، والعلم الزائف في القرن التاسع عشر والقرن العشرين بدأ يثمر مجتمعاً لا إدارياً، نفعياً، استهلاكياً، موغلاً في الفردية، وليبرالياً، بما يعني حضارة تنتشد المتعة حتى النخاع.

3- اللذة كأسلوب للحياة: كان جينو - المفكر الفرنسي المسلم - ذا إدراك عظيم عندما حدد أن المفهوم الجوهرى للحركة الإنسانية الذي صيغ خلال فترة النهضة الأوروبية، يُلخص مقدماً البرنامج الذي ستأتي به الحضارة المعاصرة، كل شيء سوف يختزل إلى المستوى البشرى، وإلى المقاييس البشرية، لذلك كان من الممكن التنبؤ أن الحضارة المعاصرة سوف تصل في النهاية إلى الغوص مرحلة تلو الأخرى، إلى مستوى أدنى الرغبات البشرية.

4- دين ما بعد الحداثة: أقام الغرب بنيانه الاجتماعي المعاصر بعيداً عن الدين، وعلى الرغم من حضور الدين في المناسبات العامة، فهو لا يعدو أن يكون فلكلوراً أو تقليداً عارياً عن القوة.

لكن المشكلة هي أن الدين الذي خرج من الباب الأمامي في المجتمعات الغربية عاد من الباب الخلفي من خلال الإقبال الشديد للشباب ولفئات من المجتمع على أديان جديدة وغريبة؛ كجماعات العهد الجديد التي تتعبد داخل الأهرامات، والانبعاثيون الذين يعيدون عبادة إخناتون للشمس، وبالتسلي في مكان الصدارة إلى الآن أديان عبادة القمر، العلموية والتنجيم، والملائكة، والشيطان.

هذه الموجة الجديدة من التدين تستمد قوتها من الحنين إلى التوحد العضوي، والبحث عن المعنى، الغائبين بشدة في الحياة المعاصرة.

5- ثورة القيم: اعتبر الغربيون أن الخروج على الدين و على قيم العصور الوسطى التقليدية ثورة في القيم، واستبدلوها بالقيم الرأسمالية العملية. لكن طبقاً لتحليل عالم الاجتماع دانييل بيل في كتابه "التناقضات الثقافية للرأسمالية"؛ فإن المشكلة في العالم الغربي تكمن في أن نجاحه الاقتصادي يدفع إلى تدمير القيم الجوهرية التي قام عليها.

و داخل المسار الجديد للعلم والقيم العملية النفعية أصبح الناس غير معتادين على حقائق الحياة كالحوادث والمصائب الشخصية والمرض والكهولة والموت، إلى حد أنهم أصبحوا غير قادرين على التوائم مع هذه الحوادث من غير مساعدة مستشاري الأحرار.

6- السلام الخيالي: لم يقدم عوناً لإحلال مدرسة ما بعد الحداثة محل الحداثة مثلما فعلت لا عقلانية الحروب المتواصلة داخل ما يفترض أنه العالم المستنير، وقد تنبأ بذلك تولستوي في رواية الحرب والسلام أن الحياة مستحيلة في اللحظة التي يظن فيها الإنسان أنه يستطيع أن يقودها ويمارسها وفقاً لتوجيهات العقل الخالص.

ولم يعد المجتمع الغربي يزعم بالسلام حتى على المستوى الداخلي، فقد وصل مستوى العنف في المدارس الأمريكية الثانوية حداً مرعباً، وهذا لا يمثل سوى قمة جبل الجليد الغاطس؛ إذ يتغذى العنف كل يوم من كمية العنف غير المعقولة التي تشاهد يومياً في التلفاز، وقد وصلت إلى ألعاب الكمبيوتر بشكل كبير.

7- حافز الربح: أعادت الفلسفة الرأسمالية السائدة في الغرب إنتاج جملة المفاهيم الحاكمة في الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية في الغرب، و تعدلت كثيراً من

المفاهيم لتلائم هذه الفلسفة، فالخير هو النافع والفعال في الحصول على أقصى درجات السعادة عن طريق إنتاج أقصى كمية من البضائع لأكبر عدد من الناس. في الواقع، النفعية هي التي قادت إلى الغلو الذي أنجب الماركسية، وأدت كذلك إلى تفاوت كبير في دخول الأفراد والدول.

ويصل ريتشارد فولك إلى القول: لم يعد الغرب حيزاً جغرافياً، بل ظاهرة كونية تدار العولمة بمؤسسات لا تحصى، بالذمة الضخامة، ومتعددة الجنسيات، ووصل الأمر إلى الحد الذي تدار به السياسة برأس المال، الأمر الذي يهدد الديمقراطية الاجتماعية بصورتها المعروفة في ألمانيا والدول الاسكندنافية.

8- الإعلام والتسلية (المعلومات تسلية): الإنسان الغربي يعاني اليوم من الكم الهائل من المخترعات والأجهزة التي تحرمه من الهدوء والاسترخاء والتأمل أو التفكير بعمق، أو الصلاة بخشوع. في الواقع يجب على الدوام إثارة غرائز الإنسان المعاصر، حتى عطلاته ينبغي تحويلها إلى مغامرات يشرف عليها محترفون بالتسلية.

وعلى الرغم من وجود برامج تلفازية ذات مستوى رفيع، وأيضاً مجالات إلا أن العملة الرديئة تطرد الجودة من السوق، والمنتجات الإعلامية الهابطة تستحوذ على النصيب الأوفى من المشاهدين، وكل هذا يعمل بشكل كبير على إفقار روحي للمجتمع وتنمية النرجسية والبعد عن العلاقات الاجتماعية.

في نفس الوقت تجاوزت وسائل الإعلام المعاصر كل الحواجز الموضوعية لحماية الدول ذات الأيدولوجية المغلقة من تأثيرات الأنباء والثقافات الأخرى، وهنا ينبغي على الدول الإسلامية أيضاً تغيير استراتيجيتها لحماية تراثها الإسلامي من خلال تحصين الناس بالعلم النافع لمواجهة الأفكار الضارة، وليس من خلال عزلهم المادي عن التعرض لها.

9- التعليم كأيدولوجيا: تلعب العلمانية دوراً حاسماً في المعالم العامة للتعليم الغربي، من خلال إبعاد الدين عن المناهج الدراسية وعن صياغة أخلاق الطلاب، ويدرس الإلحاد بشكل سافر في المدارس من خلال نظريات الحداثة أسسها اللادينية.

10- الثورة الجنسية: ضمن كثير من الثورات التي مرت بالإنسان الغربي في العقدين الماضيين؛ فإن أكثرها ثراءً وأطولها بقاءً هي على الأرجح الثورة الجنسية، وبدا الجنس للوهلة الأولى كأنه البديل الأقوى للدين مكتملاً بأنبيائه الذين يبشرون بالحرية الجنسية.

الآن فإن العادة السرية، والجنس ما قبل الزواج، تبادل الزوجات، الجنس في الشرج، والجنس المثلي، ومشاهدة العري، والدعارة؛ أصبحت كلها مقبولة، وتكرر كموضوعات رئيسة من خلال تبادل الحديث، كما تجتذب الإعلام، الجنس مع الأطفال هو الوحيد الذي مازال محرماً. ووصل الأمر إلى السماح لمحترفات البغاء بتكوين نقابات ببعض الدول على أنهن "عاملات جنس"، وفي ألمانيا منذ عام 2001؛ فإن الأزواج الشواذ يحصلون على التسجيل المدني.

11- انحطاط الأسرة: الضحية المباشرة للثورة الجنسية، والتي هي الأكثر استحقاقاً للأسى هي الأسرة، انهيار الأسرة الناتج عن الثورة الجنسية هو عنوان الشؤم على قرب انهيار الحضارة الغربية.

ويعرض التلفاز كل ليلة كم هي عالية درجة الجمال في الرجال الآخرين والنساء الأخريات، ويحض الزوجات داخل بيوتهم على الدخول في منافسة مع جميلات التلفاز، وهي منافسة صعبة جداً، ولا يمكنهم ببساطة الفوز بها، فعندما يصبح الجنس بضاعة تعرض في السوق، فسوف تتحلل الأسرة، وذلك ما يحدث بمعدلات مخيفة، وأرقام الطلاق تتصاعد في كل مكان، والأسوأ من ذلك المزيد والمزيد من الشباب يقررون عدم الزواج مطلقاً منذ البداية.

12- العدوان على الحياة والإدمان البنيوي: ومن آفات الحداثة إياحة الإجهاض وقتل الجنين غير المرغوب فيه، ومن أثارها الإدمان والكحول و المخدرات، والإدمان ليس مرتبطاً بالمخدرات والخمر، وإنما يصل إلى الإدمان على التكنولوجيا والاستهلاك وشراء الحديث، بما يذكرنا بكتاب هربرت ماركوز المتميز "الإنسان ذو البعد الواحد".

يقول هوفمان: "يطغى ضجيج الإدمان على صوت الضمير الذي قد يذكر الإنسان المعاصر بمصيره الحق، وهو معرفة الله، والدخول تحت عباءة الخضوع له. تعطي أنواع الإدمان معنى زائفاً للحياة، وتبدو على هيئة حلول، بينما هي في الحقيقة تمثل المشكلة الجوهرية.. إنها تحرم الإنسان من الصمت الوجودي والتركيز الذي يحتاج إليه من أجل إقامة الروابط السامية".

الفكر الإسلامي و العولمة:

في حوار سابق مع زكي ميلاد حول أحداث أيلول وأثارها على الفكر الإسلامي، قال: إن على الفكر الإسلامي اليوم أن يعيد بناء رؤيته الشمولية للكون وللمفاهيم الكبرى، ويصوغ من جديد استراتيجية الخروج من النفق الحضاري الذي وصلنا إليه.

و يرى الفضل شلق في مقالة له - في مجلة الاجتهاد - أن الهوية الحضارية ليست دوراناً حول الذات، وإنما عملية دؤوبة نحو تحقيق الذات من خلال النمو والتنمية، وعندها ستصبح الهوية الحضارية منجزاً وليس عائقاً.

وبالتالي؛ فإن الفكر الإسلامي في عصر العولمة مسؤول مسؤولية مباشرة عن طرح الرؤية الاجتهادية الإسلامية في التنمية والنهضة والتقدم، وإدارة الصراع الفكري ليكون جدلاً محركاً ومفعلاً لطاقت الأمة وليس كابحاً لها.

والسؤال الذي يجب على الفكر الإسلامي أن يجيب عنه: كيف نسير في مساق التنمية، وننهض انطلاقاً من روح الإسلام ومقاصده العامة؟، كيف نفقه المشروع الحضاري الإسلامي؛ ليكون طرحةً تنويرياً منفتحاً متقدماً يمتلك أدوات الموائمة والتوفيق بين مصادر التنظير الإسلامي الوحي والعقل والحس؟

<http://www.islamtoday.net>المصدر:

=====

أطفال الشوارع... بين ظلم الزمن وقساوة الأيام

فتيحة رشدي

الأطفال زينة الحياة الدنيا وبهجتها أيضاً، وهم أيضاً زينة مجتمعاتنا العربية والإسلامية التي تزخر بهذه الثروة العظيمة التي تفتقد بصورة صارخة في

المجتمعات الأخرى المتقدمة... لكن لماذا تتقلب عندنا النعمة إلى نقمة بل إلى ويلات، لماذا يفقد الأطفال في العديد من البيوت الراقية بينما يعجون في شوارع مدننا الكبيرة ولا يجدون حتى من يتحدث عنهم أو يواسيهم.

باتت بعض أحياء مدننا الكبيرة أمكنة لمبيت العديد من الأطفال الذين لا زالوا في عمور الزهور نجدهم في مواقف السيارات وفي إشارات الضوء الحمراء، وعند أبواب المحلات والمتاجر، يرمقون المارة بنظراتهم البائسة وبثيابهم الرثة، وجوه صفراء والأوساخ العالقة عليها تكاد تمحي الملامح. هكذا يكون منظر أطفالنا ذخر الأمة والمجتمع، وهكذا ينسون ويداسون من طرف المجتمع.

كان الوقت صباحا، وكانت بدايات نسائم أكتوبر تداعب ثياب ووجوه المارة، حين تجمع أكثر من ستة أطفال في إحدى أركان أحيائنا اليتيمة، أمام متجر لازال لم يفتح أبوابه بعد، كانت أجثاتهم هادئة وكانوا مستسلمين للنوم منكمشين على بعضهم البعض، كان الواحد منهم يتخذ من الآخر متكأ له، كانت الصورة تبعث على الاشمئزاز وعلى التدمر الذي لا يمكن بلعه بين طبقة تجد كل شيء المأوى والمسكن والملبس.. وأخرى لا تتعم حتى بمخدة ترخي عليها أجثاتها المتعبة المنهكة والجائعة.

بعض المارة ألفوا المنظر ولا يكثرثون ولا يأبهون حتى لوجودهم، والبعض الآخر يطلق بين الحين والآخر نظرة عليهم ولسان حالهم يقول: "يا لهؤلاء المساكين".

كان الطفل عادل أحد هؤلاء الأطفال المتشردين الذين اتخذوا من الشوارع والأزقة مخدعا لهم ومن المخدرات وليمة يجتمعون حولها ليبثوا فيها شكواهم وآهاتهم، كان يجذب بكم قميصه البالي والرث بينما يتحدث لي: "كنت في الخيرية، لكن المعاملة كانت جد قاسية وكنت أحس إنني بسجن ولا أمل لي في الخروج منه، وعيت على هذه الدنيا ولا والدي ولا أم، قمت بمحاولات عديدة من أجل الهروب رفقة بعض الأطفال، كنا نظن أن وراء أسوار الخيرية عالما رائعا تفدنا في رسم وتسطير معالمه، لكن للأسف ما إن هربنا خارجا، حتى اكتشفنا أننا بعالم غريب عنا، عالم لا يضم سوى الذئب بصورة آدميين، أصبحنا لا نجد ما نأكله أو نشربه أو أي

مكان يأوينا من حر الشمس وقساوة البرد، حاولنا أن نعمل في الأسواق، نحمل ما طاب وما ثقل من القفف، لكن لا أحد يثق بنا وهكذا... لم نجد غير السرقة أحيانا والاستغلال.. أحيانا أخرى والتسول أحيانا كثيرة، وها نحن نعيش ولا ندري ما النتيجة وما الأمل".

بعيدا عن عادل وبحي آخر بضواحي المدينة الكبيرة التي تجمع التناقضات، يقبع الشاب حميد الذي جاوز عمره العقد الثالث ومع ذلك كان لا يزال قابعا متشردا دون مأوى أو مسكن. حميد كان فصلا آخر من فصول ظلم الزمان وقساوة الأيام، توفيت أمه وهو مازال تلميذا بالمدرسة الابتدائية، اضطر أبوه للزواج بامرأة تعتنى به وبابنه حميد، وبالفعل تزوج الأب ووجد في زوجته المثالية التي يطمح لها أي زوج، أراحته كثيرا واعتنت به كثيرا، ووفرت له سبل الراحة أيضا كثيرا، وبالمقابل رفضت حميد بكل قواها، ولم تطق أن تعيش معه تحت سقف واحد، وبأساليب زوجة الأب، طرد حميد من البيت وواجه مصيره بعيدا عن بيته الذي شهد مسقط رأسه، والذي له فيه ذكريات حلوة أو حتى مرة، المهم أنها أحلى مما هو عليه الآن، قاوم حميد حتى لا يستسلم لما يتعاطاه أبناء حاله، وظل يببب الليل تحت سقف البيت الذي كان في يوم ما بيته، وهكذا كبر حميد بين الحرمان والجوع والبرد إلى أن قوي عوده واشتد ساعده بين استسلامه للقبول بصدقات أهل الحي الذين يعرفونه جيدا، وبين تقديم المساعدة لمن يطلبها منه مقابل دراهم معدودة، المهم أنه ظل مشردا، صحيح أنه لا يبتعد عن الحي الذي ولد فيه، لكنه لم يفعل شيئا ينقذه مما هو فيه ويبين لزوجته أبيه ولأبيه الذي تخلى عنه في لحظة جنونية أنه قادر على تحمل الصعاب وعلى تكوين نفسه بنفسه. مؤخرا لا حديث لأهل الحي إلا عن حميد الذي (حرك للطلالين)، نجح أخيرا في العبور إلى ما وراء الضفة، الجميع فرح والجميع ابتهج... "تشرّد تشرّد، اللهم في بلاد الغربية أحسن".

القصة لا تنتهي عند هذا الحد، كان يجب أن آخذ رأي بعض المسؤولين حول الأطفال المتشردين والذين والله الحمد لا يخلو منهم حي أو زقاق، وبالضبط كان السيد حسن مستشار جماعي عن الحي منذ ما يزيد عن الخمسة عشر سنة، كما أخبرني فأطفال الشوارع هي ظاهرة عامة ولا يوجد مجتمع لا يعاني منها حتى

المجتمعات المتقدمة تشكو من ظاهرة أطفال الشوارع، ولإنقاذ هؤلاء يجب كما عبر لي أن تتظافر الجهود الدولية والخواص والمهتمين وجمعيات المجتمع المدني حتى نجد حلا جذريا وناجعا للظاهرة.

صحيح أن ظاهرة أطفال الشوارع ظاهرة تعاني منها حتى المجتمعات المتقدمة والمتطورة، وصحيح أيضا أنه لظاهرة ولإيجاد منافذ لها لا بد من تظافر الجهود، ولكن متى سنتظافر هذه الجهود، ومتى سينظر للأمر انه استعجالي ولا يحتمل أي شكل من أشكال التأخير؟ متى سنولي اهتماما أوسع للظاهرة؟ ومتى ستبدأ بوادر الإحساس بالظاهرة قبل الشروع في البحث عن حلول لها؟

المصدر:

<http://arabe.casnet.net.ma>

=====

توجيهات عامة في التعامل مع الزمن

1 - احرص على شراء حاجياتك من مكان واحد وفي وقت واحد وبكميات كبيرة حتى لا تعود للشراء في وقت قريب، ومثل ذلك المدارس والعلاج والنزهات.

2 - بالنسبة للعمل الوظيفي قسمه إلى الأقسام التالية وحافظ على هذا التقسيم قدر الإمكان.

أ - القسم الأول لمقابلة مرؤوسيك ورؤسائك في العمل لمناقشتهم في قضايا العمل.

ب - القسم الثاني لمقابلة المراجعين لمكتبك وسماع طلباتهم.

ج - القسم الثالث لإنجاز المعاملات والأوراق التي يجب عليك إنجازها في ذلك اليوم.

د - القسم الرابع للرد على المكالمات الهاتفية الواردة للمكتب، وتذكر أن الهاتف وسيلة لقضاء الحاجات فاستعمله بقدرها ولا تجعله وسيلة لقتل الأوقات.

3 - بالنسبة للزيارات منك أو إليك احرص على أن تكون بموعد سابق وبقدر الحاجة منها وأن تقضي وقتها فيما يفيد مع الاستفادة من هوامش الوقت في إنجاز بعض الأعمال الثانوية.

4 - أمّا الانتقال من مكان إلى آخر فليكن بأكثر الوسائل توفيراً للوقت والمال والجهد، وإذا استطعت أن يكون في غير أوقات الازدحام وعبر الطرق غير المزدحمة فلا تفرط في ذلك، وإذا أمكنك إنجاز بعض الأعمال أثناء انتقالك بالطيارة أو القطار أو الحافلة وما شابهها وإلاّ فاجعله فرصة للراحة والنوم استعداداً لما بعد السفر من أعمال واحرص على الحجز قبل السفر بوقت كاف وبخاصة في المواسم.

5 - فترات الانتظار الاضطرارية مثل الانتظار عند الإشارة أو الطبيب أو انتظار الضيوف أو انتظار الطعام عندما تكون ضعيفاً وأمثال ذلك يضيع فيها كثير من الأوقات.

ولتلافي هذه المشكلة عليك بالآتي:

حاول تقليل فترات الانتظار بترتيب مواعيدك، والالتزام بها واختيار الأوقات التي يقل فيها الزحام واسلك لقضاء غرضك أقصر الطرق وأقلها ازدحاماً وأرشد الآخرين للالتزام بدورهم وعدم تجاوزه، وأخيراً استند من انتظارك في القراءة أو الكتابة أو الذكر أو التفكير.

6 - اجعل في برنامجك أوقاتاً خاصة للتطوير الذاتي من خلال القراءة والدراسة وأخذ الدورات التخصصية المناسبة والاعتكاف للعبادة وصيام النوافل وأشبه ذلك.

7 - اجعل في برنامجك أوقاتاً خاصة للترفيه والتنزه المشروع ولا تحسبن ذلك مما يضيع فإنه إذا أحسن الاستفادة منه وكان بقدره وفي زمنه المناسبين كان له أجمل الأثر في تنشيط النفس وإزالة ما قد يصيبها من كلال وملل وسأم.

8 - لا تتردد في استعمال عبارة {ارجعوا هو أذكى لكم} وفي الرد بكلمة (لا) عندما يتسلط الفارغون لإضاعة وقتك والقضاء على أئمن ما تملك.

9 - احذر من ضياع حياتك أمام وسائل الترفيه بل كن حازماً في ضبط ذلك وبخاصة مع أطفالك ومن تعولهم، وعودهم على احترام النظام والترتيب لحياتهم باستغلال الوقت وتحمل المسؤولية.

10 - ضع عتبة احتياطية لمفاتيحك يسهل الوصول إليها وبعيدة عن متناول الأطفال والفضوليين، ورتب ما تحمله من مفاتيح في جيوبك بشكل ثابت بحيث

يسهل الوصول إليها في أي ظرف بمجرد اللمس ولا تجمع المفاتيح كلها في ميدالية واحدة، بل اجعل كل مجموعة مفاتيح متقاربة في العمل في ميدالية خاصة بها؛ لأن كثيراً من الأوقات تضيق في البحث عن المفاتيح وربما كسرت الأبواب وتعطلت الأعمال.

(حتى لا تكون كلاً للشيخ/ د. محمد عوض القرني)

المصدر: <http://www.resalah.net>

=====

عزة المسلم في زمن الانكسار

أ. د. ناصر بن سليمان العمر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم، وبعد:

لا شك أن العزة معنى ينشده كل سوي من بني البشر، وقد تمدح الناس بها وبالسعي لتحصيلها منذ القدم، وكثير منا يحفظ قول المتنبي:
عِشْ عَزِيزاً أَوْ مَتْ وَأَنْتَ كَرِيمٌ بَيْنَ طَعْنِ الْقَنَا وَخَفَقِ الْبُنُودِ
وقوله:

مَنْ يَهْنُ يَسْهَلِ الْهَوَانُ عَلَيْهِ مَا لَجْرَحِ بِمَيِّتِ إِيْلَامٍ
ومن منا لم يسمع أبيات أبي فراس:

ونحن أناس لا توسط بيننا لنا الصدر دون العالمين أو القبرُ
تَهُونُ عَلَيْنَا فِي الْمَعَالِي نُفُوسَنَا وَمَنْ خَطَبَ الْحَسَنَاءَ لَمْ يُغْلَهَا الْمَهْرُ
أعزُّ بني الدنيا وأعلى ذوي العُلا وأكرم من فوق التراب ولا فخر

فما هي هذه العزة، وبماذا تكون؟ وهل لأهل الباطل عزة؟ وهل ثمة عزة غير شرعية؟ ولماذا ينسى بعض أهل الحق عزتهم فيخنس أمام بعض أهل الباطل؟
لعلي في هذه الكلمات أسلط بعض الأضواء على هذه المعاني، ولعل بسطها يتهياً له موطن آخر _ بإذن الله_.

أما العزة في اللغة فمأخوذة من العز، وهو: ضد الذل، تقول منه عز يعز عزاً فهو عزيز، أي: قوي، والعزيز من صفات الله _ عز وجل _، قال الزجاج: الممتنع فلا يغلبه شيء، وقال غيره: هو القوي الغالب على كل شيء.

ومن أسمائه: العزيز، وهو الذي يهب العز لمن يشاء من عباده تُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (آل عمران: من الآية 26).

والعزة التي نتحدث عنها: هي حالة نفسية تصلحها قوة معنوية، وتنبثق منهما أقوال وأفعال تدل على الشعور بالفخر والاستعلاء والاستقلال عن الكافرين وصدق الانتماء لهذا الدين مع تواضع ورحمة بالمؤمنين.

والأمة اليوم أحوج ما تكون إلى الالتزام بالعزة والأخذ بمقوماتها على مستوى الحكومات والشعوب والأفراد، والاعتزاز بالدين من أقوى ما نواجه به أعداءنا في زمن تداعت فيه الأمم علينا كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فهلم إلى طريق العزة والمجد والخلود.

مقومات العزة:

1- الإيمان المطلق بأن الله هو العزيز، وأنه هو وحده مصدر العزة وواهبها، وأنه لا أحد يملك العزة أو يهبها سواه "مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا" [فاطر: من الآية 10]، "وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ" [المنافقون: من الآية 8]، "قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" [آل عمران: من الآية 26].

2- اليقين بأن عزة الظالمين إلى زوال، وأنهم لا يملكون دوامها فضلاً عن أن يهبوها غيرهم: "وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا * كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا" [مريم: 81، 82]، "الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِيتُّهُنَّ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا" [النساء: من الآية 139]، وعندما أثبت بعض الضالين لنفسه عزة زائفة يقولون لئن رجعنا إلى المدينة لئخرجننا لاعرز منها الأذل قال الله: "وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ" [المنافقون: من الآية 8]، ولما اختلف مفهوم العزة الحقيقية عند قوم

شعيب، فقالوا: "قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ"، "قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ" [هود:92].

3- صدق الانتماء لهذا الدين، وإن صاحبه هو العزيز، وغيره هو الذليل، كما قال الله: "وَاللَّهُ الْعَزِيزُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ—وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ—لَا يَعْلَمُونَ—" (المنافقون: من الآية 8)، "وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" (آل عمران: 139)، أما الكافر وإن كان عزيزاً في الدنيا فمآله: "ذُقْ إِذْكَ أَذَّتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ" (الدخان: 49)، "أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ" (السجدة: 18).

4- عدم الانخداع بما عليه الكفار من قوة مادية أو عسكرية، فإنها لا تعني في موازين العزة الحقيقية شيئاً، "لَا يَغْرُدُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ" (آل عمران: 196، 197)، وعز الآخرة وبؤسها لا يقارن بما يكون في الدنيا، لا في حجمه أو نوعه أو مدته، ولا مرحباً بعز محدود يعقبه ذل ممدود، ومع هذا فإن الدنيا دار مدافعة يرفع الله فيها أقوماً ويخفض آخرين، ومن سنته أن جعل أيامها دولا، ثم إن العاقبة للتقوى.

5- الاستقلال عن الأعداء، والاستغناء عنهم، وعدم الاعتماد عليهم في شتى شؤون الحياة، وهذا لا يتعارض مع الإفادة مما عندهم من تقدم مادي من أجل تسخيرها لخدمة هذا الدين، وتقوية المؤمنين، دون ذل أو خضوع أو تنازل.

لا تسقني ماء الحياة بذلة بل فاسقني بالعز كأس الحنظل
"وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا" (النساء: من الآية 141).

كيف نحقق العزة في المجتمع المسلم؟:

1. الأخذ بمقومات العزة، والالتزام بها.
2. تربية أبناء المسلمين على العزة وصدق الانتماء، وتجريد الولاء لله ولرسوله، والبراءة من المشركين، وعدم الاعتماد على ثقافة الغرب أو التأثر بها.
3. استقلال وسائل الإعلام عن الاعتماد على الغرب والخروج من عبودية الغرب إلى حرية الإسلام.

4. الاستقلال السياسي، وهذا لا يتعارض مع إقامة العلاقات الدولية على أسس العدل والتعاون ورفع الظلم.

5. الاستقلال الاقتصادي، في شتى شؤونه وفروعه، وبناء الاقتصاد الإسلامي على أسس شرعية بعيدة عن مقومات الاقتصاد الغربي ودعائمه، وأن يكون تبادل المنافع المادية والاقتصادية مبنياً على الندية وحرية القرار.

6. إيجاد مراكز الدراسات الاستراتيجية التي يتحقق من خلالها رسم السياسات بعيدة المدى في شتى شؤون الحياة الشرعية والثقافية والسياسية والإعلامية والاقتصادية، وعدم الاعتماد على مراكز الدراسات الغربية وتحليلاتها.

7. إقامة المنابر التي تثبت في الأمة روح العزة والكرامة والاستعلاء، والاستغناء عن الآخرين، وتحميها من المؤثرات الوافدة بثتى صنوفها وأشكالها وأخص الإعلامية منها.

وقفات مهمة

1- شعور المسلم بالعزة على الكافرين وتعامله بها يجعله يعيش حياة غير عادية فيها الانتشراح والسعادة والغبطة.

2- ليس من العزة التكبر على المؤمنين والاستعلاء عليهم، فهذه عزة مذمومة، قال _ صلى الله عليه وسلم _ فيما يرويه عن ربه: "العز إزاري، والكبر ردائي، فمن ينازعني فيهما عذبتة"، و قال: (الكبر بطر الحق، وغمط الناس)، بل إن من كمال عزة المسلم تذليله للمسلمين وتواضعه لهم، وهذا لا ينقصه بل يزيده، فما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، ومن تواضع لله رفعه، وقد أثنى الله على المؤمنين بأنهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين.

3- ليس من عزة المسلم ظلم الآخرين والتعدي عليهم في مال أو عرض أو دماء ولو كانوا كفاراً إلا بحق، وهذا باب ضل فيه كثيرون "وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا" (المائدة: من الآية 2).

4- من تمام عزة المسلم: حسن الخلق حتى مع الكفار، وحسن الخلق لا يعني الضعف والذلة والمسكنة، وإنما العدل والإنصاف وتحري الحق "وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ" (المائدة: من الآية 8)، "لَا يَنْهَاكُمُ

اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ" (المتحنة:8).

5- خطورة العصبية والحزبية لقبيلة أو بلد أو جماعة داخل الصف المسلم، فإن المؤمنين حزب واحد "وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ" (المائدة: من الآية 56)، أما العصبيات والنعرات الجاهلية فهي من أخطر قوادح العزة التي نريد، وقد استغلها الأعداء مراراً لتفريق صف المسلمين، وتفريق كلمتهم، وقد ذم الله الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً، فقال: "إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ".

6- جماع الذل في قوله _ صلى الله عليه وسلم _: "إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أُناب البقر، ورضيتم بالزرع، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى تراجعوا دينكم" [رواه أبو داود وصححه الألباني].

7- لا يلزم من عدم قدرة المسلمين على مواجهة أعدائهم عسكرياً أن يذلوا لهم ويتنازلوا عن دينهم، فقد تعذر في عدم قدرتك على إقامة الحق، ولكن لا عذر لك في قول الباطل.

8- أي تنازل من المسلمين في شؤون دينهم وعقيدتهم وبلادهم سيغري عدوهم فيهم، فالثبات الثبات "فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِمْ فَيُصِيبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ"، "ولا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض".

9- لا ينافي العزة الشرعية تأليف الكفار عند دعوتهم بالكلام الطيب أو مجادلتهم بالتي هي أحسن، فقد قال الله: "وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" (العنكبوت: من الآية 46)، وعرض مجادلة عملية، فقال: "قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ".

10- العزة الحقيقة تقتضي التقيد بضوابط الشرع في معاملتنا لبعضنا، وفي تعاملنا مع غيرنا، من أهل الملل الأخرى، فإذا نص الشرع على ألا يقال للكافر سيد، فلا يجوز أن نجامل ونقول له سيد، أو ما في معناها كـ (مستر)، وإذا نص

شرعنا على عدم بدئهم بالسلام فلا نبذوهم بذلك، وإذا سلموا رددنا عليهم السلام، وهكذا نتبع شرعنا في كل ما يحكم علاقة المسلم بغيره.

11- من العزة بالدين إظهار شعائر الإسلام في أي مكان إلا إذا خاف المرء على نفسه لا ضعفاً أو هواناً.

12- من أهم مقتضيات العزة عدم التحاكم إليهم، أو الاستنصار بهم "فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً".

ختاماً

وختاماً، يعيش المسلمون ضعفاً في جوانب كثيرة، لكنهم مع ذلك يتفوقون في الدين والأخلاق والقيم، ومتى راجع المسلمون دينهم واستقاموا على سنة نبيهم - صلى الله عليه وسلم - واتقوا ربهم، فإن العز حليفهم، فوصيتي لِنَفْسِي ولِلْمُسْلِمِينَ بِالِاسْتِقَامَةِ عَلَى الدِّينِ، وَلِنَتَقَاعِلَ فَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ "وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ * إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ" [الأنبياء: 105-106].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

المصدر: <http://www.almoslim.net>

=====

آهات أندلسية في زمن الغرباء

عبد الرحمن فرحانة

(1)

آه من قهر في زمن الغرباء

كم غرناطة ..

نامت في أحضان الروم

كم عاصمة ..

رفعت رايات بيضاء

كم باباً ..

أغلق في وجه الشرفاء
كم من قصرٍ ..
يتلألاً أضواءً في واحات الصحراء

(2)

آه من قهرٍ في زمن الغرباء
من يفقؤ فينا عين المجد
من يزرع جذر كرامتنا ..
في الوحل الأمريكي
من يحرق في أيدينا رايات الخلفاء

(3)

آه من قهرٍ في زمن الغرباء
قلبي مجبول بالأحزان الأندلسية
صوتي مشنوقٌ في حلقي
لكن حروفي المسجونة
تتحدى صمت الأشياء
تتحدى سيف السلطان الخشبي
قدّام الروم
وتلاطم مخرز والينا
راعي النوق العبرية في مرعى الحلفاء

(4)

آه من قهرٍ في زمن الغرباء
يستوطن ذاكرتي
شيءٌ يشبه لون الشمس
عز مجبول بالتاريخ الهجري
يجري في عمق شرايبيني
كالجدول يهدر فيه الماء

يستعمر قلبي وجع القهر
وأنين الموت الصحراوي
وتمزق قلبي غربة حلمي
في موطن مجدٍ ..
أصبح مقبرة للأشلاء

(5)

آه من قهري في زمن الغرباء
قلبي يسبقني نحو الأمل الآتي ..
في عيني طفلي
قدمي تعانق هذي ..
الأرض السمراء
تنمو خطواتي فوق الرمل
درباً خضراء
لكنّ الوالي يسحقني
ويحاكم أحلامي
ويصادر نية عزم في صدري
ويلحق أفكاري الممنوعة ..
في كلّ الأرجاء

(6)

آه من قهري في زمن الغرباء
الشمس تغيبُ ..
بأجفان الأفق الغربي
وطحالب آمالي
تنمو في مرفأ أحزاني
لا شيء جديد
غير القضبان تحاصر قائمة الأسماء

فخناجرهم ما زالت ..
تسرح في شطآن الجرح الوردي
ومقابرنا تنمو مثل الشوك البري
تحنل رواينا
وتصادر منا جذر بقاء
لا شيء جديد
ممنوع أن نتلو أي الأنفال
ويحرم تفسير الإسراء
(7)

آه من قهري في زمن الغرباء
من يسرق سكر دراق الشام
من يحرق غابات النخل البصري
من يطفؤ نخوة عنتره العبسي
من يكسر أسياف الشهداء
(8)

آه من قهر في زمن الغرباء
في كل مدارات الأفق الشرقي
صنم قرشي
وأبو جهل المخزومي
ما زال يعاقر خمر الندماء
السادة في أحضان الليل
والندوة مغلقة الأبواب
وجواري الشهوة ترقص في الأنحاء
لا شيء جديد
الليل طويل
والفجر يخاف شروق الشمس

لا .. لم يتبدّل وجه الأشياء
ما زال الصمت طعام البسطاء

(9)

زمن الغرباء
رفقاً بحنيني الدافقِ ..
للمجد الأموي
رفقاً بالأمل النابتِ ..
في أعماق البؤساء

المصدر

<http://www.palestine-info.info>

=====

أنات شاعر في زمن المحنة

أمل السعدي

غرقت رشيد العرب في الأسقام	في غمرة الأحزان والأوهام
نسجت مآقيها لظى الإجرام	تبكي وتحكي لحن ألف قصيدة
معجونة بالحزن والأحطام!!	هل تعجبون لمن يدون أسطراً
لأني ذائــــــــق الآلام	لا تعجبوا أبداً فما أنا شاعر إلا
حفرت حروف العز والإكرام	أنا شاعر أبكي رياض مدينة
سطعت بنور الحق والإسلام	أنا شاعر أحكي فنون حضارة
هو شاعر الإلهام والأحلام	لما رأوني قال بعض قطيعهم
مثلون الأذواق والأقلام	يبكي ويضحك وهو أكذب ضاحك
روح العداء شديدة الإظلام	قالوا وقالوا قولهم حتى بدت
أن الخلاص بحرق كل سلام	دكوا مآثرها، ونادى حقدهم
شيم الرجال.. غدت كما الأصنام	رخصوا بتبر عراقنا لما رأوا
رقص الذئاب لمقتل الأغنام	حرية مزعومة رقصوا لها
أمضي بروح الصدق والإسلام	كذبوا وما علموا بأنني مسلم
الذل يقتلني كذا الإحجام	إسلامي علمني بأنني ضيغم

لغة المحافل والسياسة عجمة
حبي لأهلي والفرات ومكة
بغداد روعي والفؤاد لها اكتوى
يدعو لك القلب الحزين بحرقه
نصر مكين وعد ربي صادق
مطموسة الأفكار والأرقام
وبقدسنا ضاعت بلاد الشام
أوالله... أفديها وكل عظامي
لا رد من يدعو بقلب دامي
معلومة هي دورة الأيام
المصدر : <http://www.alnoor-world.com>

لحظات في حساب الزمن

هدوء لف ذلك البيت الكبير .. بعد أن ودعنا أبي وغادرنا في سفر قصير كعادته
استوحش المكان .. وشعرت ببرودة الجدران .. وازددت خوفا بغروب الشمس
وغشيتنا ظلمة حالكة إلا من نور خافت يشع من الغرفة المجاورة
أحسست بقشعريرة سرت في كل أنحاء جسدي لم ينتابني خوف من قبل .. كنت
حينها أبلغ الثامنة من العمر .. غشينا صمت عميق .. أمي كانت تعد طعام
العشاء.. وأختي التي تكبرني بعام تمسك بقلم يرتعش بين أناملها .. خربشات
غير مفهومة على ورقة صغيرة تحاول إخفاء شيء بصدرها .. التصقنا بجذتي
علنا

نشعر ببعض الأمان والدفء .. اسمع ترتيلها بهمهمات خافته تلازم دقائق قلبها
المتسارعة .. يقطع ذلك الصمت صوت قطرات المطر أذوب في الخيال واستمتع
بحديث المطر سلسا هادئا أعد الحبات وهي تتساقط .. واحد .. اثنتان .. ثلاثة
تسرع القطرات ويزداد انهمار المطر .. ويخترق صوت الرعد سكون حلمي ..
ارتعش واقفز في حجر جذتي .. تضمني وتكمل قراءتها
ونحن في تلك اللحظات .. وإذا بطرقات شديدة على الباب ..
افتحوا .. افتحوا .. ساعدوني
اهتزت أجسادنا بارتعاشة غريبة .. جرت أمي نحونا وهي تصرخ .. لا تقربوا
الباب .. لا تقربوا الباب
وازداد الطرق .. وعلا الصوت المرتعش .. افتحوا .. بسرعة .. افتحوا ..

ساعدوني

ماذا نفعل ..؟؟ احتارت أُمي .. وتبادلت النظرات مع جدتي
كانت .. لحظات في حساب الزمن
وكأنه .. دهرا لفنا في ثوبه .. لا يريد فكاكا
علت الصرخات .. لا تتحرك .. سأطلق النار .. لا تتحرك
أحاطته الأقدام من كل الجهات .. وصوبت البنادق إلى صدره .. لا لا لاتعيدوني
إلى السجن .. يُسحب من يديه ..
نختلس النظر من النافذة ..

آه .. إنه ذلك السجين .. قالت جدتي .. ليته يتعلم من أخطائه .. كم مرة
هرب .. وكم مرة كسرت ساقه .. وفي كل مرة يحكم عليه بزيادة
هذه إحدى حكايات ذلك البيت .. يا ابنتي
انظري إلى ذلك المتحف .. قد كان بالأمس بيتنا
المصدر : <http://www.naseh.net>

=====

خط الزمن؟

مها عبد الله العمومي
ماذا يعني لنا الزمن؟ إنه يعني الدقائق والساعات والأيام والشهور والسنين التي
نعيشها.

الزمن يعني الماضي، الحاضر والمستقبل..
من الناس من لا يفارق ماضيه؛ يجتر ذكرياته بخلوها ومرها فيرثي نفسه ويبكيها
ويلومها؛ لأحداث مضت وانتهت، فهو لا يطيق بعداً عن ماضيه..
وهناك من لا يتعدى الساعة التي هو فيها، يدور في محيطها يأكل ويشرب
ويلبس، فلا ماضٍ ينظر إليه ليستفيد من خبراته، ولا مستقبل يتطلع إليه، تاركاً
أحداث الغد تفاجئه في أي وقت، وهو غير مستعد..

وهناك صنف ثالث لا يحلو له إلا العيش في المستقبل .. في عالم الأحلام، منشغلاً عما في يديه من زمن. فهو لا يحرك ساكناً في حاضره ليصل إلى ما يريد في مستقبله.

كل واحد من هؤلاء يشقى نفسه من حيث لا يعلم. فهو يحبس نفسه في دوائر مغلقة من الزمن، بل يقف في منطقة واحدة، لا يتقدم في دنياه ولا ينتج ولا يثمر.. وقد جعل الله له من الحياة سعة وآفاقاً في الزمان والمكان، ينتقل بينها كيف يشاء.

إن إطالة التفكير فيما حدث لنا بالماضي نوعٌ من التشبث السلبي الذي قد يورث السخط على القدر (والعياذ بالله)، وقد يورثنا نظرة سوداوية قد تنتقل معنا في مراحل حياتنا، فتأسرنا بأغلالها لتجذبنا بعيداً عن إيجابية الحاضر، وتفاؤل المستقبل، وقد قيل (أشقى الناس بأفكاره من كانت له ذاكرة قوية).

صحيح أن كثيراً مما نمر به اليوم هو نتيجة لأفكار وتصرفات في الماضي، ولكن هذا لا يعني أن نبقى مأسورين لها دائماً، وفرق كبير بين أن نجعل الماضي كابوساً مزعجاً، أو درسا مفيداً.

إن الماضي نبع لا ينضب، ذاخرٌ بالكثير من الدروس والعبر التي من الممكن أن نتعلم منها، لكي نجعل الغد أفضل من الأمس بعون الله وتوفيقه..

أما الحاضر فهو الواقع الحالي، وهو الأرض الخصبة للبذر، والاستثمار لما هو آت، وهو مجال الحركة والنشاط. فالعاقل من يواجه حاضره متوثباً، يميز العقبات التي تعترضه، ويعرف كيف يستفيد من إمكاناته المتوفرة له، فيجتهد فيصيب ويخطئ.

أما المستقبل .. فلا شك في أن أحداثه لن تتشابه تماماً مع أحداث الماضي، ويقع على كاهلنا مسؤولية صنعه، وعلينا أولاً أن نحلم به، ونرسم صورته الجميلة في مخيلتنا، ثم نخطط لبلوغ هذه الصورة، فما دمنا نعيش فهذا يعني أننا ما زال بوسعنا أن نختر ما نود أن نكون عليه في المستقبل، وأن الحاضر بين أيدينا لإحداث التغييرات التي نريد في واقعنا. فنضع الخطة تلو الخطة حتى نصل إلى ما نريد، متسلحين بالإرادة القوية والعزم الأكيد وبخبرة الماضي في مواجهة المواقف المستقبلية الجديدة، وقبل ذلك كله بعون الله عز وجل وتوفيقه، مرددين دعاء حبيبنا

محمد صلى الله عليه وسلم: "اللهم إني أسألك العفو والعافية والمعافاة في الدنيا والآخرة".

العفو عن الماضي، والعافية في الحاضر، والمعافاة في المستقبل. ولنتذكر دائماً أن السعيد هو المستفيد من ماضيه، المتحمس لحاضره، المتفائل لمستقبله..

موقع له _____ أون لاين _____
http://www.lahaonline.com/Family/PreMarriag/a1-30-06-2002.doc_cvt.htm

=====

فَسأل العادين

هدى بنت دليجان الدليجان

جاء الإسلام ليقوم الأمة الوسط في نظامها وأحكامها، تضبط موازينها على أساس العدل، وتؤرخ أيامها وشهورها بالعد القمري والحساب الشهري.

فالعد والحساب صناعة حكيمة لا يتقنها إلا الماهرون من الحفظة وعد الأيام وحساب الساعات صناعة مهمة للمؤمنين، فالأيام والشهور والسنين هي مجموع عمر ابن آدم الذي قدره الله - تعالى - للمكث في هذه الدنيا، ومن ثم يتبعه المكث في القبور إلى يوم البعث، وهناك يكون الحساب والجزاء، وكما قال الإمام الحسن البصري - رحمه الله -: (يا بن آدم الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما).

وكان المشركون يشركون مع الله الدهر في القدرة على الإحياء والإماتة لغلبة الظن في أذهانهم بعدم القدرة على البعث، واتباعهم أهوائهم فضلوا وأضلوا، قال - تعالى - ((أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون، وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر)) الجاثية: 23-24، ففقدوا الحواس الإدراكية، وأظلمت البصيرة المعرفية في تقييم فائدة الزمن، فزعموا له ما ليس له. ومع ذلك يأتي هؤلاء المشركون يوم البعث فيسألون عن مقدار لبثهم في الأرض، فتضيق المصطلحات الحسابية، وتنتهي قدراتهم العددية فيحاروا جواباً - وهم في غاية الذل والانكسار - قال - تعالى - : ((قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا

لبثنا يوماً أو بعض يوم فستل العادين. قال إن لبثتم إلا قليلاً لو أنكم كنتم تعلمون. أفحسبتم إنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون. فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم)) المؤمنون- فالسائل هو الله العلي الكريم يسأل المكذبين بالبعث سؤال التبكيت والقهر بعد النفخ في الصور وقيام الأموات من القبور، فأحالوا الجواب لمن أدرك الحساب من الملائكة أو الناس الصالحين الذين يتذكرون حساب مدة المكث، والإجابة بالإحالة إلى العادين فيها دلالة قوية على مدى اليأس والقنوط الذي اعتراهم وهم في موقف البعث الذي كذبوا به وهم أحياء في الدنيا، ويدل على ذلك ما جاء في سياق تصوير الموقف قوله - تعالى - : ((أفحسبتم إنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون)).

ومن مفارقات آخر الزمان سرعة الأوقات وتقارب السنوات حتى تكون السنة كشهرا والشهرا كأسبوع والأسبوع كيوم واليوم كساعة، وهكذا تمضي الأعمار وتمر الأزمان ويظل العادون يدركون العدد، ويحسون بقصر تلك الحياة وضالتها، ويحسبون لما بعدها من المكث في القبور والبعث. ويظل الإيمان بالبعث وانتظار الحساب والجزاء اعتقاد المؤمن الجازم الذي لا يشك فيه، فيحاسب نفسه على كل صغيرة وكبيرة، ويحسب عمره بانقضاء الليالي والأيام، ولا يتوانى في إدراك ما فاتته

من اللحظات والدقات ليعمرها بالخير والعطاء سواء كانت تلك الأيام من عداد أيام الإجازات- كما يقال- أو من أيام العمل والاجتهاد-

ومن الإشكالات العجيبة في هذا الزمان أن يتناسى الناس حساب الأيام، فإذا بدأت الأعمال تنتظروا الإجازات، وإذا انقضت العطلات قالوا لم يمر علينا مثل سرعة هذه الأوقات، حتى أن بعضهم يبدأ بحساب الإجازة القادمة من أول أيام الدراسة، حتى شب على ذلك الصغير وهرم عليه الكبير، فضاعت متعة الفروق بين الأوقات، والاستعداد لبذل الطاقات.

فحري عند استقبال المواسم الزمنية، مثل: استقبال المدارس في بداية العام، واستقبال! الإجازة في نهاية العام الدراسي، أن ندرك حقيقة العمر، وأن نحسب حساب الزمن، وأن نتدارك ما فاتنا من العبادات في غضون المشاغل والأعمال أو

ما فرطنا فيه في أيام الإجازات، وأن نستغل أيامنا القادمة بالعمل الجاد الدؤوب
المثمر لديننا وأمتنا وأنفسنا، وما يتقل به موازيننا يوم يكشف الكتاب، ويزداد
الاضطراب، فيضيع الجواب إلا عن العادين الذين استعدوا ليوم الحساب

=====

الفهرس العام